جامعة عين شمس
كلية البنات - قسم التاريخ

الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة

دراسة عن التاريخ والمؤرخين

٧٨٤ - ٩٢٢ هـ / ١٣٨٢ - ١٥١٧ م

رسالة مقدمة من

محمد كمال الدين عز الدين علي

للحصول على درجة الدكتوراة في التاريخ

إشراف

السيدة الأستاذ الدكتور

سيدة إسماعيل كاشف

أستاذ كرسي التاريخ الإسلامي والوسيط في الكلية

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م


بسم الله الرحمن الرحيم



أعلن " الظاهر برقوق " نفسه سلطاناً[1] على مصر والشام وما والاهما ، يوم الأربعاء ، التاسع عشر من رمضان سنة (٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) بعد خلعه " المنصور ، حاجي بن شعبان "[2] من السلطنة ، فكان بذلك

---

(١) راجع بشأن ذلك : ابن دقماق ، الجوهر الثمين ج ٢ ص ٢٦١ ، المقريزي ، الخطط ج ٢ ص ٢٤١ ، السلوك ج ٣ ص ٤٧٧ ، ابن خطيب الناصرية ، الدر المنتخب ج ١ ق ١٩٩ أ ، ابن قاضي شهبة ، التاريخ ج ١ ص ٨٦ ، ابن حجر ، إنباء الغمر ج ٢ ص ٦٦ ـ ٦٧ ، ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ج ١ ص ١٨٨ ، المنهل الصافي ج ٣ ص ٢٧٨ ، مورد اللطافة ق ١٢٥ أ ، النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٢٢١ ، السخاوي ، الضوء اللامع ج ٣ ص ١١ ، عبد الباسط ـ الحنفي ، نزهة الأساطين ق ٦٨ أ ، د . حكيم أمين عبد السيد ، قيام دولة المماليك الثانية ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ .

(٢) ويُلحظ أنه أُعيد إلى السلطنة ثانياً يوم الثلاثاء ، سادس جمادى الآخرة سنة (٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م) بعد ثورة " يلبغا الناصري " و " تمربغا الأفضلي منطاش " ، على " الظاهر برقوق " ، وإيداعه قلعة الكرك سجيناً ، بيد أنه لم يدم في السلطنة طويلاً ، إذ تمكن " الظاهر برقوق " من استعادة ملكه ، بعد فكه من محبسه ، في التاسع من رمضان سنة (٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م) .

راجع : ابن دقماق ، الجوهر الثمين ج ٢ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٣ ، ابن الفرات ، التاريخ ، ج ٩ ، حوادث سنتي ٧٩١ ، ٧٩٢ هـ ، المقريزي ، السلوك ج ٣ ص ٦٥٥ وما بعدها ، ابن قاضي شهبة ، التاريخ ج ١ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ـ ٢٩٢ ، ابن حجر ، إنباء الغمر ج ١ ص ٣٧٤ ـ ٣٧٦ ، ٣٩١ ـ ٣٩٢ ، ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ج ٣ ص ٣١٥ ـ ٣١٩ ، عبد الباسط الحنفي ، نزهة الأساطين ق ٦٧ .

أول سلاطين الدولة المملوكية الثانية [١] (دولة المماليك الجراكسة [٢]) ، التى استمرت فى حكم البلاد قرابة ثمانية وثلاثين ومائة سنة هجرية ، تولى فيها السلطنة أربعة وعشرون سلطاناً [٣] ، إلى أن سقطت [٤] على أيدى " الأتراك العثمانيين " سنة (٩٢٣ هـ ٠ / ١٥١٧م٠) بعد هزيمة ومقتل " الأشرف قانصوه الغورى " [٥] فى مرج دابق ـ شمالى حلب ـ فى الخامس والعشرين من رجب سنة (٩٢٢هـ٠ / ١٥١٦م٠) ، فهزيمة " العادل طومان باى الثانى " وشنقه على باب زويلة [٦] ـ أحد أبواب القاهرة ـ فى الحادى والعشرين من ربيع الأول سنة (٩٢٣ هـ ٠ / ١٥١٧م٠) ، وإعلان " سليم الأول " نفسه سلطاناً على البلاد ٠

---

(١) عن الدولة المملوكية الثانية يمكن مراجعة : د ٠ محمد مصطفى زيادة ٠ الدولة المملوكية الثانية (ضمن كتاب " تاريخ الحضارة المصرية " ٠ القاهرة ،مكتبة مصر ، مج ٢ ، ص ٥٠٨ ـ ٥٢٨) ، د ٠ سعيد عبد الفتاح عاشور ٠ العصر المماليكى فى مصر والشام ٠ القاهرة ،النهضة العربية ، ط١ ، ١٩٦٥ ٠

(٢) ليست هذه تسمية مستحدثة لهذه الدولة ، وإنما هى تسمية ترددت فى كتابات المؤرخين المعاصرين لها كالمقريزى (الخطط ج ٢ ص ٢٤١) ، وابن تغرى بردى (مورد اللطافة ق ١٢٥ أ ، النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٢٢١) ،وعبد الباسط الحنفى (نزهة الأساطين ق ٦٨ أ) ، وإن وُجدَ بين سلاطينهم من هو من أصل رومى ، كالظاهر خشقدم ،والظاهر تمربغا ٠

(٣) راجع ملحق رقم : " ١ " من هذا البحث ٠

(٤) عن سقوط هذه الدولة يمكن مراجعة : د ٠ محمد مصطفى زيادة ٠ نهاية السلاطين المماليك فى مصر (ضمن أبحاث مجلة الجمعية التاريخية) ٠ القاهرة ، مايو ـ ١٩٥١ ، مج ٤ ، د ٠ سعيد عبد الفتاح عاشور ٠ العصر المماليكى فى مصر والشام ص ١٧٩ ـ ١٩١ ، د ٠ عبد المنعم ماجد ٠ طومان باى آخر سلاطين المماليك ٠ القاهرة ،الأنجلو ، ١٩٧٨ ٠

(٥) راجع : ابن اياس ٠ بدائع الزهور ج ٥ ص ٦٩ ـ ٧١ ، ابن زنبل ٠ آخرة المماليك ص ٣٠ ـ ٣١ ٠

(٦) راجع : ابن اياس ٠ بدائع الزهور ج ٥ ص ١٧٤ ـ ١٧٧ ،ابن زنبل ٠ آخرة المماليك ص ١٤١ ـ ١٤٢ ٠

وفى ظل هذه الدولة قامت فى مصر حركة علمية زاهرة ، ارتقت فيها العلوم والفنون ، من خلال العديد من المراكز العلمية التى وجدت فيها — آنذاك — وبفضل عوامل متعددة ، وكان لهذه الحركة سماتها المميزة لها ، على نحو ما سوف يُكْشف عنه فى هذه الدراسة .

لكن تأخرت طويلاً العناية بدراسة هذه الحركة على أسس منهجية قائمة على النظرة العلمية المتأنية ، المقتضية العمق والتقصى والنقد ، نتيجة لخطأ شائع — تردد فى كتابات الباحثين المحدثين ، مستشرقين وعرب — مفاده أن نتاج هذه الحقبة ليس سوى كتابات تتمثل فى الشروح والعديد من المختصرات ، أو الجمع التأليفى (الموسوعى) ، الخالى من الابتكار والجدة ، سواء فى المادة أو فى المنهج ، على النحو الوارد فى قول " جاستون فييت " :

" ... ولا ينبغى أن ننخدع بتكاثر المدارس الدينية والمساجد فى ظل حكم سلاطين المماليك ، فليس لذلك علاقة بنبوغ المدرسين ، إذ لم يتخلف لنا عنها اسم واحد عظيم ، لم تخرج هذه المعاهد العلمية الكثيرة شخصية عظيمة أو كاتباً موهوباً ، فهى لم تزد على كونها مدارس لتدريب المدرسين . وباستثناء المقدمة لابن خلدون — ذلك العالم الفذ الذى تلقى تعليمه فى المغرب — لم يظهر فى القاهرة أى عمل أصيل . وقد تميز هذا القرن بكتاب الموسوعات والسير ، التى كثيراً ما كانت قليلة القيمة ، وواضعى المجاميع ؛ فلم تعرف فيه أعمال تتميز بالأصالة . كان هؤلاء الرجال يستحقون فى حياتهم عبارات المديح ، وسيراً موجزة مليئة بالنعوت الرنانة ، ولكن أسماءهم تسقط سريعاً فى طيات النسيان " .(1)

وقول أحد الباحثين العراقيين :

" ... كانت خسارة الحضارة العربية الإسلامية بسقوط بغداد

---

(1) جاستون فييت . القاهرة مدينة الفن والتجارة . تر . د . مصطفى العبادى . بيروت ، مكتبة لبنان ، 1968 ، ص107 .

لا تعوض ، فقد اعتبر السقوط نهاية لعصر ازدهار التراث الحضارى الانسانى الذى أنتجته عقول المفكرين المسلمين فى مختلف نواحى الفكر ، والذى كانت بغداد مركزاً رئيساً له ، باعتبارها قاعدة الخلافة ، ومجمع العلماء ، ومقصد الطلاب .

ولم يقتصر ضرر هذه الخسارة على المجتمع الإسلامى الذى نكب بالحكم الأجنبى ففقد حرية التفكير وقوة الإبداع ، وعجز عن الإتيان بالشىء الجديد ، فعاش فى ظلام فكرى طيلة القرون اللاحقة حتى مطلع القرن الحالى ، وإنما تحسس بهذه الخسارة علماء أوربا ومفكروها أيضاً " . (١)

وهذا وذاك قول توجهه العاطفة ، والعصبية ، مما يفقده الفهم العميق للتاريخ .

ولما لم يكن من سبيل إلى رد هذا الادعاء الخاطىء ، وإلى الإفصاح عن الأصالة والجدة فى هذه الحركة ، وتقديم مادة تأريخية يعتمدها الباحثون فى البناء التأريخى إلا بالدراسة المنهجية والمتأنية للتراث الفكرى المنتمى إلى هذه الحقبة التأريخية موضع البحث (٨٧٤ــ ٩٢٢هـ٠ / ١٣٨٢ ــ١٥١٧م٠) ، تغيها لمنهجه وأغراضه ، فإنه قد اتجه الرأى إلى " اتخاذ الحركة العلمية فى مصر فى دولة المماليك الجراكسة " موضوعاً لهذه الدراسة .

ولما كان التراث المنتمى إلى هذه الفترة ــ موضع الدراسة ــ تراثاً ضخماً ، ينشعب إلى العديد من الأقسام والفروع ، التى تحتاج فى دراستها إلى فترة زمانية طويلة جداً ، تنصرف الهمة فيها إلى دراسة هذه العلوم المنتمية إليها ، والتعرف على سماتها ، ثم حصر هذا التراث وجمعه تمهيداً لتصنيفه إلى هذه الجوانب ، ثم التعريف بأعلام المنشئين له ، ودراسته للكشف عن محتواه ،ونسقيه التنظيمى والتعبيرى ، ومصادره ، فضلاً عن المقارنة بين سائر الأعمال المتجانسة فى موضوعها ، ليكون التقويم لهذه

---

(١) د٠ محمد صالح داود القزاز ٠ الحياة السياسية فى العراق فى عهد السيطرة المغولية ٠ النجف ، ١٩٧٠ ،ص١١١ .

وهؤلاء المؤرخون مرتبون في هـــذه الدراسة حسب سنوات وفياتهم ٠ وهم على التوالي :

م	المـــــؤرخ	سنة الوفـــــــــاة
١	البدر الزركشي	٧٩٤ هـ٠ / ١٣٩٢م٠
٢	ابن الملقن	٨٠٤هـ٠/١٤٠١م٠
٣	ابن الفرات	٨٠٧هـ٠/١٤٠٥م٠
٤	أبو البقاء الدميرى	٨٠٨هـ٠/ ١٤٠٥م٠
٥	ابن دقماق	٨٠٩هـ٠/ ١٤٠٧م٠
٦	القلقشندى	٨٢١هـ٠/١٤١٨م٠
٧	التقي المقريزى	٨٤٥هـ٠ / ١٤٤١م٠
٨	ابن حجر العسقلاني	٨٥٢هـ٠ / ١٤٤٩م٠
٩	خليل بن شاهين	٨٧٣هـ٠ / ١٤٦٨م٠
١٠	ابن تغرى بردى	٨٧٤هـ٠ / ١٤٧٠م٠
١١	المحيى الكافيجي	٨٧٩هـ٠ / ١٤٧٤م٠
١٢	الشمس السخاوى	٩٠٢ هـ٠ / ١٤٩٧م٠
١٣	الجلال السيوطي	٩١١ هـ٠ / ١٥٠٥م٠
١٤	عبد الباسط ـ الحنفي	٩٢٠ هـ٠ / ١٥١٤م٠
١٥	ابن الطولوني	٩٢٣ هـ٠ / ١٥١٧م٠

أما الباب السابع عشر ، فقد خصص للدراسة المقارنة بين هـؤلاء المؤرخين المتناولين بالدراسة والتعريف ، للتعرف على السمات العامة لمدرسة التاريخ المصرى ، فى هذه الفترة موضع الدراسة .

منهج الدراسة

أولاً – ترجمات المؤرخين :

تفاوتت المادة العلمية المتوفرة لهذه الدراسة كماً وكيفاً من مؤرخ لآخر ، فانعكس ذلك على المساحة والمادة المخصصة لترجمات المؤرخين فى هذه الدراسة ، فالمتاح منها للترجمة لابن حجر العسقلانى ، والشمس السخاوى ، والجلال السيوطى ، لاتدانيه مادة سائر الترجمات الأخرى ، ومع ذلك فقد روعى أن تكون ترجمات المؤرخين متوسطة – قدر الإمكان – وقد درس من خلالها عناصر رئيسة ، تمثلت فى : الاسم ، واللقب ، والكنية ، والنسبة ، واسم الشهرة ، والمذهب ، والتأريخ للمولد والوفاة ، والنشأة والتكوين – وقد عرض من خلالها لأبرز الشيوخ والعلوم المأخوذة عنهم ، وما عرف من رحلات علمية – وأهم ما أُسْنِدَ إلى العلم المترجم له من وظائف أو أعمال ، وما صادفه من صعاب أو نكبات ، وما عرف عنه من النعوت والصفات ، والعلاقة بينه وبين معاصريه ، إذا كانت هناك حاجة ملزمة إلى ذلك .

مع مراعاة إتيان هذه المادة مركزة ومتعاقبة فى المتن ، وقد تُرك للحواشى الإسهاب فى تفصيلاتها ، أو مناقشة ما يثار حول عناصرها من القضايا .

ثانياً — الكشف عن المنهج التاريخي :

دراسة كهذه ، يتسع موضوعها ليشتمل على " التاريخ والمؤرخين " في دولة المماليك الجراكسة ، ليس في مكنتها استيعاب سائر المؤرخين الموجودين — آنذاك — فضلاً عن تناول مؤلفاتهم بالعرض والنقد ، لضياع الكثير من مؤلفاتهم ، أو عدم الكشف — بعد — عن مظان وجودها[1] ، أو الجهل بتفاصيل ترجمات بعضهم .

وقد كان أمام الدارس أحد اختيارين ، إما أن يستوعب المعروف من أسماء المؤرخين — آنذاك — والترجمة لهم ترجمات قصيرة ، لاتتجاوز الفقرة أو الفقرتين ، مع العرض السريع لمؤلفاتهم ، والإشارة من خلال ذلك إلى المنهج التاريخي الصاحب لها إجمالاً ، من خلال دراسة عجلى للمتوفر منها ، أو ما كتب عنها في المصادر ، وإما الاقتصار على طائفة منهم تمثل مؤلفاتهم مجتمعة السمات العامة للمنهج التاريخي المستخدم في الفترة موضع الدراسة .

ووجد أن الاختيار الثاني هو أمثل الاختيارين ، فكان انتقاء المؤرخين الخمسة عشر المشار إليهم سلفاً .

---

(١) من ذلك — مثلاً — " الأوحدي " ، الذي تضاهي شهرته في الكتابة التاريخية شهرة " ابن الفرات " و " ابن دقماق " و " المقريزي " ، ومع ذلك لم يكشف حتى الآن عن مظان وجود مؤلف تاريخي واحد ينتسب إليه ، و " ابن العطار الدوادار " ، وقد أشار ابن تغري بردي (المنهل الصافي ج ٢ ص١٧٦) إلى أنه " ينقل كثيراً من التواريخ على قاعدة الحكوية لا على قاعدة المؤرخين " ، و " أبي الجود ، القطان " ، وقد ذكر السخاوي (الضوء اللامع ج ٨ ص٢٩٤) أن له " مصنفاً " ، سماه : التقاط الجواهر والدرر من معادن التواريخ والسير ، في مجلدين ، معظمه وفيات " ، و " البرهان الدماطي " ، الذي أشار السخاوي — كذلك — (نفسه ج ١ ص١٣٧) إلى أنه " كتب ذيلاً على طبقات الشافعية " أكثر فيه من الاستمداد منه ، " وكبره بكثير من المهملين " ... وغيرهم .

لكن أدرك عند دراستهم أن كلاً منهم يصلح أن يكون بمفرده موضوع أطروحة جامعية ممتازة ، بل ربما صلح مؤلف واحد لأحدهم لهذه الغاية ، وذلك لكثرة وتعدد مجالات الكتابة التاريخية لديهم ، بين خطط ، ومعاجم ـ على اختلاف موضوعاتها ـ وترجمات ذاتية ، أو مفردة ، وحوليات ،وموضوعات خاصة مفردة بالتأليف ، وفلسفة تأريخ ... الخ .

وأدرك ـ كذلك ـ أن استيعاب مؤلفاتهم ، ثم افرادها بالدراسة والتحليل يحتاج إلى ضعف المدة المنقضية فى هذه الدراسة ،وهى ست سنوات ، مع ما يصاحب ذلك بالضرورة من تضخم المساحة ،ولذا كان لا مناص من الاقتصار فى دراسة هؤلاء المؤرخين على بعض من مؤلفاتهم التاريخية دون بعض ، مع الحصر الشامل ـ قدر الإمكان ـ لآثار كل فى هذا المجال، مادام البعض المدروس ـ هنا ـ يغطى جوانب المنهج لديهم ، وكانت تلك مهمة صعبة ، لما يصاحبها من المخاطر ، إذ لا يفيد دائماً ـ الاكتفاء بالعرض والدراسة للمؤلف الواحد فى الكشف عن " المنهج التأريخى " لصاحبه ، لتفاوت أهمية وطبيعة مؤلفات المؤرخ الواحد ، فالمقريزى المؤرخ فى " الطرفة الغريبة " ليس هو فى الخطط ، أو السلوك ، أو درر العقود الفريدة ، وابن تغرى بردى المؤرخ فى " البحر الزاخر فى علم الأول والآخر " ليس هو فى " حوادث الدهور " ، وهكذا .

ولهذا كان التخير الدقيق ـ وبحذر ـ لهذه المصادر الممثل بها للمنهج ، سواء من حيث الموضوع ، أو من حيث الكشف عن الأصالة والتقليد .. مع مراعاة عدم الإسراف فى التمثيل بالمصادر المدروسة ، أو فى استبعادها ، فمن يصلح من المؤرخين للكشف عن منهجه بمؤلف واحد اقتصر فيه عليه دون غيره ، ومن لا يصلح الكشف عن منهجه إلا بأكثر من مؤلف ، لا ضنة عليه بذلك ، فكان هذا سبباً فى اعطاء دراسة نقدية ـ تحليلية للمصادر الآتية :

ـ " عقود الجمان على وفيات الأعيان " للبدر الزركشي .

ـ " طبقات الصوفية " ، و " العقد المذهب في طبقات حملة المذهب " ، و " نزهة النظار في قضاة الأمصار " لابن الملقن .

ـ " تاريخ ابن الفرات " .

ـ " حياة الحيوان (القسم التاريخي) للدميري .

ـ " الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين " لابن دقماق .

ـ " صبح الأعشى في صناعة الإنشا " ، و " مآثر الإنافة في معالم الخلافة " للقلقشندي .

ـ الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام " ، و " الخطط " و " درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة " للمقريزي .

ـ " إنباء الغمر بأنباء العمر " لابن حجر العسقلاني .

ـ " زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك " لخليل بن شاهين .

" البحر الزاخر في علم الأول والآخر " (ج ٣) ، و " حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور " ، و " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " لابن تغري بردي .

ـ " المختصر في علم التأريخ " للكافيجي .

ـ " الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر " ، و " الذيل على رفع الإصر " ، و " الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التأريخ " للسخاوي .

ـ " التحدث بنعمة الله " ، و " رفع شأن الحبشان " ، و " الشماريخ في علم التأريخ " ، و " كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة " ، و " المنجم في المعجم " للسيوطي .

ـ " الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم " ، و " غاية السؤل في سيرة الرسول " ، و " المجمع المفتن بالمعجم المعنون " ، ونزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين " لعبد الباسط الحنفي .

- " النزهة السنية فى أخبار الخلفاء والملوك المصرية " لابن الطولونى .

وسوف ترد هذه المصادر المتناولة بالدراسة والنقد من خلال الفصول المخصصة لها بهذا الترتيب ، وقد درس فيها عناصر رئيسة ، سبق الإفصاح عنها .(١)

ثالثاً - تنظيم الحواشى :

روعى فى هذه الدراسة أن تكون عبارة المتن موجزة مستوعبة لموضوعها ، بأسلوب أدبى سليم - لغة ونحواً - وإن نزلت به بعض العبارات المنقولة عن المصادر ، استدلالاً لفكرة ، أو تمثيلاً لعنصر ، على حين خصصت الحواشى للآتى :

أ - الإسناد إلى المصدر أو المرجع : وفيه ترتب المصادر بحسب سنوات وفاة مؤلفيها ، وترتب المراجع بحسب السبق التأليفى لذويها ، وإلا فأبجدياً ، مع مراعاة أن يثبت المرجع فى الحاشية الواحدة تلو المصدر ، على أنه لن يُشار إلى أىٍ منهما - فى الورود الأول - إشارة تامة ،إلا إذا كان المرجع المستخدم فى عنصر ما غير متكرر فى غيره من العناصر ، اكتفاءً بالقائمة المفصلة للمصادر والمراجع المثبتة تلو هذه الدراسة .

وفى حالة تكرير مصدر فى حاشيتين متعاقبتين فى ذات الصفحة ، سوف يكتفى فى ثانيتهما بالإشارة إليه بالقول : " نفسه " ، أما إذا كان التكرير فى صفحتين متعاقبتين ، فسوف يُشار إليه فى ثانيتهما بالقول : " المصدر السابق " ، فإذا ما فُصِلَ بين متكررين بحاشية تتوسطهما ، فسوف يشار إلى المصدر أو المرجع المتكرر وكأنه ورد فى البحث لأول مرة .

---

(١) راجع ص٧ من هذه المقدمة .

ب ـ التعريف بعلم ، أو بلدة ،أو مصطلح حضاری ورد فی المتن .
جـ ـ توضيح فكرة ، أو تمثيل لعنصر ، أو منـاقشة لقضيـة ، روْى أن إيرادها في مساق عبارة المتن يكون سبباً في تقطيع فكرتها .
د ـ وصف بيلوجرافى لمصدر مخطوط اتخذ محوراً للدراسة .

وهكذا ، فإن ما يرد فى الخواشى مادة مكملة لعبارة المتن ، ومدعمة لها ، وليست ثانوية إلى جانبها ، إذ لا غنى لإحداهما عن الأخرى .

مصـادر الدراسـة

استمدت مادة الباب الأول ـ فى معظمها ـ المعنون " بالحركـة العلمية فى مصر فى دولة المماليك الجراكسة " من مصادر ومراجع متعـددة ، تمثلت فى :

كثير من حجج الوقف الخاصة بالمكاتب (الكتاتيب) والمـدارس والجوامع والخوانق والربط ، فى مصوراتها المأخوذة مباشرة عن أصولهـا المحفوظة فى : دار الوثائق ، أو أرشيف وزارة الأوقاف ،أو أرشيف المحكمـة الشرعية ، وقد يسر لى الاطلاع على أكثرها ـ وتصوير بعضها ـ الأستـاذ " عبد الرحمن عبد التواب " ـ أثابه الله عنى وعن العلم خير الثواب ـ كمـا أمكننى الاطلاع على بعضها فى مظان وجوده ، وكذا ما نشر منها نشـراً علمياً بواسطة كلٍ من : د . عبد اللطيف إبراهيم على فى رسالته للدكتـوراة المعنونة باسم " دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر السلطان الغورى " أو فى مؤلفه " دراسات فى الكتب والمكتبات الإسلامية " ، أو فى عـدة مقالات ، منها : " وثيقة الأمير آخور كبير قراقجا الحسنى " ، و " وثيقـة وقف مسرور بن عبد الله الشبلى " ، و " نصان جديدان من وثيقة الأمـير صرغتمش " ، و د . أحمد عيسى ، حيث نشر وثيقة وقف البيمارستـان المنصورى ، ضمن مادة كتابه " البيمارستانات فى الإسلام " ، وهى هـى الوثيقة التى نشرها د . محمد محمد أمين ملحقة بالجزء الأول من كتـاب

" تذكرة النبيه " لابن حبيب ، ود . أحمد دراج ، حيث نشر " حجة وقف الأشرف برسباى " نشراً مستقلاً ، ود . عبد الغنى محمود عبد المعطى ، وقد نشر الجزء الخاص بأرباب الوظائف فى الجامع المؤيدى ، الوارد فى حجة وقف المؤيد شيخ المحمودى ، ملحقاً بمؤلفه " التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك " .

وقد أفادت هذه الحجج إفادة كبيرة فى التعرف على كثير من المراكز العلمية الموجودة آنذاك ، والتفهم لمناهجها ، والموضوعات المتناولة بالدراسة فيها ، ونظم وطرق الدراسة ، ومدتها ومواعيدها ، والزمن المخصص للعطلات الرسمية ، والشروط الواجب توافرها فى المدرسين والتلاميذ والموظفين وفى عارية الكتب ، وما إلى ذلك .

كما رُجِعَ إلى الكثير من المصادر التأريخية المعاصرة ، كتاريخ ابن الفرات ، والانتصار لواسطة عقد الأمصار ، والجوهر الثمين لابن دقماق ، ومقدمة ابن خلدون ، والخطط ، ودرر العقود الفريدة ، والسلوك للمقريزى ، وصبح الأعشى للقلقشندى ، وإنباء الغمر ، ورفع الإصر ، والمجمع المؤسس لابن حجر ، وعقد الجمان ، والسيف المهند للبدر العينى ، وحوادث الدهور ، والمنهل الصافى ، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، ونزهة النفوس والأبدان للصيرفى ، والتبر المسبوك ، والذيل على رفع الإصر ، والضوء اللامع للسخاوى ، وجواهر العقدين للسمهودى ، وبغية الوعاة ، والتحدث بنعمة الله ، وحسن المحاضرة ، والمنجم فى المعجم للسيوطى ، والروض الباسم ، والمجمع المفنن لعبد الباسط الحنفى ، والفضائل الباهرة لابن ظهيرة .

وبعض الرحلات المعاصرة وغير المعاصرة ، كالزيارات للهروى ، ورحلة ابن جبير ، ورحلة ابن بطوطة ، ورحلة القلصادى .

وبعض الكتب الفقهية والحديثية ، ومنها : الرحلة فى طلب الحديث للخطيب البغدادى ، وأدب الإملاء والاستملاء للسمعانى ، ومقدمة ابن الصلاح ، والترغيب والترهيب للمنذرى ، والرسالة المفصلة للقابسى ، ومعالم

القربة فى أحكام الحسبة لابن الاخوة ، وتذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة ، ومعيد النعم ومبيد النقم للسبكى ،وتدريب الراوى للسيوطى ، والمدخل لابن الحاج ،وتحرير المقال لابن حجر الهيثمى .

وبعض الكتب المعنية بالأدب ، أو المعارف العامة ، كالمزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، وإتمام الدراية لقراء النقاية للسيوطى .

وقد أفادت هذه المصادر ــ كذلك ــ فى التعرف على عوامل ازدهار هذه الحركة ،ومراكزها ، وسماتها ، وأتت بمادة وصفية متممة لما جا فى الحجج السابق الإشارة إليها .

أما المراجع ، فكانت متعددة كذلك ،وإن اقتصر على أكثرها التزاماً بالأسس العلمية ، وأدخلها فى موضوع هذا الباب ، ومنها :

" تاريخ البيمارستانات فى الإسلام " للدكتور أحمد عيسى ــ وترجع أهميته فى البحث إلى احتوائه على نص حجة وقف البيمارستان المنصورى ــ و " دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر السلطان الغورى " ،و "دراسات فى الكتب والمكتبات الإسلامية " للدكتور عبد اللطيف إبراهيم على ،و "المماليك" للدكتور السيد الباز العرينى ، و " المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك " للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، و " تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى " للدكتور عبد الرحيم غنيمة ، و " الأوقاف والحياة الإجتماعية فى مصر " للدكتور محمد محمد أمين ، و " التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك " للدكتور عبد الغنى محمود عبد العاطى ، و " معاهد تزكية النفوس " للدكتورة دولت عبد الله .

وأكثرها أطروحات جامعية ، أفادت فى التعريف بهذه المراكز العلمية ،وسير العمل فيها ، وطبيعة المواد الدراسية المسندة إليها ، كما أرشدت إلى كثير من المصادر .

كما رجعت ــ كذلك ــ إلى " الفن الإسلامى " لأرنست كونل ، و " التأثيرات القبطية فى الفنون الإسلامية " ، و " الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى " للدكتور زكى حسن ،و " التجليد عند المسلمين" لاعتماد القيصرى ، فى التعرف على شكل الكتاب المستخدم آنذاك ووسائل

وأساليب تجليده أو تنميقه .

أما الأبواب من الثاني حتى الخامس والعشرين ، فقد استمدت مادة الفصول الأولى فيها ـ المترجم فيها للمؤرخين موضع الدراسة ـ مما كتبوه عن أنفسهم ،فيما عُرِفَ بالسيرة الذاتية ،على غرار ما أورده ابن حجر العسقلاني في " رفع الإصر " و " المجمع المؤسس " و " المعجم المفهرس " ، وما أورده السخاوي في " الضوء اللامع " ،وما أورده السيوطي في " التحدث بنعمة الله " و " حسن المحاضرة " ؛ أو ما تناثر في مؤلفاتهم التاريخية عن أنفسهم وذوي قرباهم ، أو ما كتبه تلامذتهم عنهم ،على النحو الوارد في " الجواهر والدرر " للسخاوي ، وقد ترجم فيه شيخه " ابن حجر " ،وما ورد في " بهجة العابدين " للشاذلي ، وقد ترجم فيه شيخه " السيوطي " .

وتلك مصادر رئيسة لا غنى عنها في إثبات عناصر ترجماتهم ، لما امتازت به من معاصرة ، وإعطاء تفصيلات دقيقة لا وجود لها في عديد من المصادر اللاحقة ،أو لكونها مصادر أولية لهذه المصادر اللاحقة .

كما اقتضى التعريف بشيوخهم وأساتذتهم الرجوع إلى كثير من كتب التراجم ،ومعاجم الشيوخ ،والحوليات ،للإحالة إلى ترجماتهم ، بعد التعريف الموجز بهم ، وتحديد سنوات وفياتهم ،والعلوم المأخوذة عنهم .

وكان الاعتماد في المقابلة بين السنوات الهجرية ومثيلاتها الميلادية على تلك الجداول التي كتبها المستشرق السوفييتي " يوسف أوربلي " ، وترجمها د . حسين العزيز ، ناشراً لها في مجلة " المورد " العراقية .

وقد تكون الحاجة ملحة في الرجوع إلى كثير من المصادر الفقهية أو الحديثية ، أو الأدبية ، المنسوبة إلى بعض المؤرخين المترجم لهم ، لاستخلاص كثير من جوانب ترجماتهم ،أو التحليل لبعض تصرفاتهم ، على النحو الوارد في موضوع " العلاقة بين السيوطي ومعاصريه " من هذه الدراسة .

كما رُجِعَ في التعريف ببعض المصطلحات العلمية والرسوم والنظم والمصطلحات اللغوية إلى العديد من المصادر والمراجع ، ومنها : الأجزاء

المنشورة من " مسالك الأبصار " و " التعريف بالمصطلح الشريف " لابن فضل الله العمرى ، و " صبح الأعشى " للقلقشندى ، و " زبدة كشف الممالك " لخليل بن شاهين ، و " النجوم الزاهرة " لابن تغرى بردى و " بدائع الزهور " لابن اياس ، و " الصحاح " للجوهرى ، و " لسان العرب " لابن منظور ، و " القاموس المحيط " للفيروزابادى ، و " المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب " لدوزى ، و " الملابس المملوكية " لماير ، و " الألقاب الإسلامية " و " الفنون الإسلامية " للدكتور حسن الباشا ، و " نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر " للدكتور عبد المنعم ماجد ، و " تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل " للدكتور أحمد السعيد سليمان ، و الكشاف الحضارى الوارد فى آخر مؤلف د . سعيد عبد الفتاح عاشور " العصر المماليكى فى مصر والشام " .

لكن كثيراً ما كانت بعض هذه المراجع تقع فى أخطاء علمية ، نتيجة لعدم تتبعها الوظيفة أو الرسوم فى سائر المصادر — تتبعاً تاريخياً — فقد يكون التعريف بأي منهما فى عصر " العمرى " غير مطابق والتعريف به فى عصر " ابن اياس " ، لما يطرأ على الوظيفة أو الرسوم — عادة — من تعديل أو تغاير .

وفى الفصول الثانية من هذه الأبواب ، حصرت مجهوداتهم فى الكتابة التاريخية من خلال ما كتبه هؤلاء المؤرخون — كذلك — عن أنفسهم ،أو من خلال ما كتبه عنهم تلامذتهم ، أو المترجمون لهم ، أو من خلال ما دونته كثير من فهارس المخطوطات ، ومنها فهارس المخطوطات فى دار الكتب المصرية — فى القاهرة — وكوبريلى — فى تركيا — ومعهد المخطوطات العربية فى القاهرة والكويت ،والظاهرية فى دمشق ،والمجمع العلمى والجامعة المستنصرية فى بغداد .

ولم تفد هذه الفهارس فى حصر مؤلفات هؤلاء المؤرخين فى مجال الكتابة التاريخية — فقط — وإنما أفادت إلى جانب ذلك ، فى التعريف بأماكن وجودها — كذلك — تمهيداً للحصول على العديد منها ، والذى غير بدراسته كثيراً مما كان شائعاً قبل ذلك ، بل واهتزت أمامه بعض

النشرات التى طالما كان اعتماد الباحثين عليها .

إذ كان مظنوناً أن نسخة د . الجليلى من " درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة " للمقريزى — وقد حبسها — نسخة فريدة ، فكشفت فهارس المخطوطات المصورة ، المحتفظ بها لدى مكتبة المجمع العلمى العراقى ، وفهارس مكتبات الجامعة المستنصرية فى بغداد عن وجود ثلاث نسخ أخرى غيرها ، أمكن الحصول على مصورة إحداها ، وهى بخط " المقريزى " ، وإن لم تجمع الكتاب كله ، وقد اندس ضمن أوراقها " حرف العين " من " المقفى " — وبخطه كذلك — وقد أشيع — أيضاً — فى الأوساط العلمية أنه قسم مفقود من المقفى لا وجود له .

وكان مظنوناً — كذلك — أن مخطوطة " التبر المسبوك " للسخاوى ، المحتفظ بها لدى دار الكتب المصرية — فى القاهرة — نسخة فريدة ، وهى التى نشرت عنها مطبوعة الكتاب ، لكن أبانت فهارس المخطوطات عن وجود نسخة أخرى — كتبت فى حياة السخاوى وفى بيته — تحتفظ بها مكتبة " أيا صوفيا " — فى تركيا — وعنها مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية — فى القاهرة — وبالمقابلة بينهما ، وجد أن نسخة دار الكتب تفقد القيمة العلمية المنوطة بها لما يشيع فيها من إسقاطات وتحريف .

وفى سبيل التعرف على سمات المنهج التأريخى فى هذه الفترة موضع الدراسة لم يكتف بدراسة وتحليل الستة وخمسين مصدراً السابق الإشارة إليها بعيداً عن مصادرها المتعددة ، بل ومقارنتها بكثير من المصادر المستبعدة من هذا الحصر ، للتعرف على العلاقة فيما بينها وبين هذه المصادر المنتقاة ، وللتفهم لظاهرة " التكرير " لدى هؤلاء المؤرخين ، كما سوف يكشف عنها فى الباب السادس والعشرين من هذه الدراسة .

إذ لم أكن — دائماً — على يقين بأن المصدر المسند إليه لدى مؤرخ ما قد اطلع عليه هذا المؤرخ اطلاعاً مباشراً ، إلا بمقابلة المنقول بأصله ، أو بالمصدر المظنون نقله عنه ، إذا كان المصدر الرئيس مما لم أتمكن من الاطلاع عليه لفقده ، أو تعذر الحصول عليه .

ولعل فى ذلك ما يميز هذه " الدراسة " عن سابقاتها فى موضوعها ، إذ لا يمكن الكشف عن الأصالة أو التقليد فى المصدر موضع الدراسة إلا بهذا .

وكان فى هذا عناء البحث فى كثير من المصادر التاريخية وغير التاريخية ، مما حفلت به الحواشى .

كما عمدت إلى التعريف بهذه المصادر وبمؤلفيها ـ غالباً ـ مما كان سبباً فى الرجوع ـ كذلك ـ إلى العديد من المصادر والمراجع .

أما المصادر المنتقاة للدراسة ، والمقارنة بها ، فإنه لم يكتف ـ فى كثير منها ـ بالاطلاع على " نسخة مخطوطة واحدة " إلا إذا كانت بخط مؤلفها ، وإلا فكل مخطوطات المصدر الواحد سواء ، حتى أتثبت من صحة إحداها ، أو آخذ على عاتقى مهمة تحقيق النص ، ليتوفر لهذه الدراسة نص سليم ، تنبنى عليه خطوات البحث ، فكان هذا سبباً فى تأخر إنجاز هذه " الدراسة " زمنياً ، وإن كان فى ذلك الخير لها وللدارس .

وهذه المصادر المحققة خدمة لهذه الغاية ، هى :

ـ العقد المذهب فى طبقات حملة المذهب لابن الملقن .

ـ الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين لابن دقماق .

ـ ذيل الولى العراقى على ذيل أبيه على العبر .

ـ ذيل الدرر الكامنة لابن حجر العسقلانى .

ـ زبدة كشف الممالك لخليل بن شاهين (إذ المطبوعة ليست سوى زبدة الزبدة) .

ـ حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور (ج ١) لابن تغرى بردى .

ـ مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة لابن تغرى بردى (إذ أن المطبوعة ليست من أصل الكتاب) .

ـ تاج التراجم لابن قطلوبغا .

ـ المختصر فى علم التأريخ للكافيجى .

ـ التبر المسبوك فى ذيل السلوك (ج ١ مج ٢) للسخاوى .

ـ كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة للسيوطى .

ـ تاريخ الأنبياء الأكابر وبيان أولى العزم منهم لعبد الباسط الحنفى .

ـ غاية السؤل فى سيرة الرسول لعبد الباسط الحنفى .

ـ نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين لعبد الباسط الحنفى .

ـ نزهة الأمم فى العجائب والحكم لابن اياس .

ـ النزهة السنية فى أخبار الخلفاء والملوك المصرية لابن الطولونى .

ومن هذه المصادر ما نشر ، ومنه مايزال فى تجارب الطباعة الأولى .

بل كثيراً ما صوبت مادة المصادر المطبوعة ، بمقابلتها على الأصول المخطوطة ، كما حدث مع " السلوك " للمقريزى ، و " إنباء الغمر " لابن حجر العسقلانى ـ فى طبعاته الثلاث(1) ـ والذيل على رفع الإصر للسخاوى ، مكتفياً فى ذلك بالإسناد إلى المطبوعة ، بعد تصويب منقولى عنها .

كما رجعت ـ كذلك ـ فى بناء هذه الدراسة إلى العديد من المراجع الحديثة ، ومنها :

تلك الدراسات التى صدرت أخيراً عن " المقريزى " و " أبى العباس القلقشندى " و " ابن تغرى بردى " و " السيوطى " ، وشارك فيها نخبة ممتازة من الأساتيذ ، هم أستاذتى السيدة الأستاذ الدكتور سيدة إسماعيل كاشف ، ود . محمد مصطفى زيادة ، ود . جمال الدين الشيال ، ود . إبراهيم أحمد رزقانة ، ود . سعيد عبد الفتاح عاشور ، ود . جمال محرز ، ود . حسن حبشى ، و د . عبد القادر طليمات ، ود . جوزيف نسيم ، ود . مصطفى الشكعة ، ود . أحمد دراج ، ود . سعيد عبد الفتاح عاشور ، ود . محمود إسماعيل عبد الرازق ، ود . سعد زغلول

---

(1) راجع : محمد كمال الدين . نشرات إنباء الغمر . الكويت ، مجلة العلوم الإنسانية ، 1984 ، مج 4 ، ص206 ـ 212 .

عبد الحميد ، ود . عبد الرحمن زكى ، ود . عبد اللطيف إبراهيم ، ود . عبد المنعم ماجد ، ود . حسنين ربيع ، ود . إبراهيم أحمد العدوى ، ود . عصام الدين عبد الرؤف ، ود . على حسنى الخربوطلى ، وغيرهم .

وكتاب " المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى ، القرن التاسع الهجرى " للدكتور محمد مصطفى زيادة ، ويعد من أقدم المراجع العربية فى موضوعه ،لكنه خالٍ من الدقة العلمية ، كثير الوهم والخبط فى أكثر جوانبه ، لعدم اعتماد مؤلفه على المصادر الأولية ،رغم تصريحه بالاعتماد عليها ، ولعل مما يوضح ذلك :

إشارته إلى أن " خليل بن شاهين " كان حماً للأشرف برسباى[1]، وليس هذا صحيحاً ، إذ لم يكن سوى زوج لابنة خوند الكبرى ، من غير زوجها برسباى ، وإشارته إلى أن أم " الجمال ابن تغرى بردى " كانت " جارية تركية من جوارى السلطان برقوق "[2] ، وليست تلك سوى أم " شقراء " ـ الأخت غير الشقيقة لمؤرخنا ـ بينما أشار مؤرخنا إلى أمه بأنها " مجهولة الجنس " ، وإشارته إلى وفاة تغرى بردى و " الجمال " فى الثانية من عمره[3] ، وفى ذلك مجازفة ،لعدم تحدد سنة مولد مؤرخنا ، وهو المصرح بأنه ولد " بعد الحادية عشرة وثمانمائة " للهجرة ، وإشارته إلى أن " بيرم " كانت زوجاً لابن العديم[4] ،والصواب " هاجر " ، وإشارته إلى أن " مورد اللطافة " مختصر للدليل الشافى[5] ، والواقع ينفى ذلك ، وتسميته لأبى الجلال السيوطى : محمداً[6] ، والصواب : أبا بكر ، وتأريخه لتعيين السيوطى فى تدريس الفقه بالجامع الشيخونى بسفارة أحد أساتذته بسنة ١٤٦٥ م.[7] ، والصواب سنة (٨٦٧هـ. / ١٤٦٣م.).

---

(١) د . محمد مصطفى زيادة . المؤرخون فى مصر ص ٢٤ .
(٢) نفسه ص ٢٦ .
(٣) نفسه ص ٢٨ .
(٤) نفسه .
(٥) نفسه ص ٣٣ .
(٦) نفسه ص ٥٦ .
(٧) نفسه ص ٥٩ .

وإشارته إلى أن أم عبد الباسط الحنفي هي " الأميرة أصيل ، أخت امـــرأة السلطان برسباى "[1] ، والمصرح به لدى عبد الباسط أن أمه " شكر باى " إحدى عتيقات أبيه ،بينما تزوج أبوه أصيل وهو فى رحلته إلى المغـــرب والأندلس ، وإشارته إلى امتياز عبد الباسط " على سائر أصنائه ومعاصريـــه من أهل القلم بأن ما لدينا من نماذج نظمه خلو من التهانى والمدح "[2]، وهذا مجانب للصواب ــ كذلك ــ إذ أثبت عبد الباسط فى " الروض الباسـم " و " المجمع المفنن " العديد من المقطوعات الشعرية التى مدح بهـــا سلاطين المغرب العربى فى رحلته ، وإشارته إلى أن النزهة السنية لابـــن الطولونى " مختصر يبدأ بتاريخ ظهور الإسلام وينتهى بحوادث السلطـــان طومان باى آخر سلاطين المماليك بمصر "[3] ، وهو قول مجانب للواقـــع ، إذ انتهى الكتاب بترجمة " قايتباى " ، وإشارته إلى عزل " ابن الطولونـى " من وظيفة المعمارية بابنه[4] ، وليس هذا صحيحاً ، إذ لم يعزل بـــه ، ولكن ناب الابن فى الوظيفة عن والده ، إلى غير ذلك مما يصلح أن يكـــون موضوعاً لمؤلف مستقل .

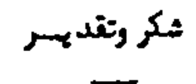
كما رجعت إلى كثير من المؤلفات الحديثة المعتنية بالترجمـــة لبعض المؤرخين المتناولين بالدراسة فى هذا البحث ، أو التعريف بكتاباتهم التاريخية ، مما سوف يرد تفصيلاً فى قائمة المصادر .

ومذهبى فى هذه المراجع الحديثة ، أن لا أتعرض لما شاع فيهـــا من أخطاء ــ وهى كثيرة ــ إلا إذا كانت هناك حاجة ملحة إلى ذلـــك ، إذ العمدة فى هذه الدراسة على " المصادر " ، أما تلك فقد كتبت فـــى ظروف أبعد ما تكون عن " الجو العلمى " ، ثم بحسبهم أنهم كانـــوا رواداً فيما كتبوا فيه .

وبالله التوفيق ، ومنه العون والسداد ..

---

(١) المرجع السابق ص ٦٨ .
(٢) نفسه ص ٧٠ .
(٣) نفسه ص ٧٤ .
(٤) نفسه .



شكر وتقدير

لا يفوتني في هذا المجال أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير والثناء ـ اعترافاً بالفضل والجميل ـ إلى أستاذتي الفضلى ، السيدة الأستاذ الدكتور / سيدة إسماعيل كاشف ، التي كان لي شرف إشراف سيادتها على بحثيّ للماجستير والدكتوراة ، وكذا التتلمذ عليها لسنوات عديدة . ولولا تشجيع سيادتها الدائب والصبور ، وتيسيرها الوقت والجو المناسب للبحث ، لما كان مقدراً إخراج البحث على هذه الصورة . بل إن البحث بصورته الحالية قسمة بيني وبين سيادتها ، يلتقي فيه خبرة الأستاذ الحصيف وتوجيهه الصائب ، بجد الطالب الصبور على التحصيل والدرس والإفادة من هذه الخبرة المديدة ، جزاها الله عني وعن الدارسين خير الجزاء ..

الرمــوز والمختصـرات

أ	مقترن برقم ، يعني : وجه الورقة في الكتاب المخطوط .
ب	مقترن برقم ، يعني : ظهر الورقة في الكتاب المخطوط .
ت	مقترن برقم ، يعني : توفي ، أو مات .
تر	تلو عنوان كتاب ،يعني : الترجمة ، نقلاً إلى العربية من لغة أخرى.
تر	مقترن باسم أو برقم ،يعني : ترجمة علم ما .
ج	جزء من كتاب .
ص	صفحة (للكتاب المطبوع ، أو الدورية ، أو البحث الجامعي غـــير المنشور .
ط	طبع ، فيما تعلق بدار النشر ، أو مكانها ، أو رقم الطبعة .
ق	الورقة من المخطوط .
م	السنة الميلادية .
مج	مجلد .
مخط	الكتاب المخطوط .
هـ	السنة الهجرية .

الباب الأول





الفصل الاول

الفصـــــل الأول

عوامـــل الازدهـــار

توافـرت للحركـة العلميـة فى مصـر ـ فـى ظـل دولـة المماليـك الجراكسة ـ عدة عوامل ، ساعدت مجتمعة على ازدهارها ، يمكن إجمالهـــا فى الآتى :

أ ـ مكانة العلماء فى مجتمعهم :

وطد العلماء لأنفسهم منزلة سامية فى نفوس الحكام والمحكومين فـــى مجتمعهم ـ على حد سواء ـ استناداً إلى ما للعاطفة الدينية من أثر جيـاش فى نفوس هؤلاء وهؤلاء ، فالسمهودى ـ مثلاً ـ ينعت على من لا يقومون بحق العلماء ، شكراناً لنعمة العلم ، منزلاً إياهم منزلة مسفلة عن منزلـة البهائم ، قائـلاً :

" ... وينشأ عن فهم هذا (١) أن بنى آدم أولى بذلك فى حـق علمائهم ، لأنهم أحوج إلى العلم ، ويعود عليهم من فوائده ما لا يعود على غيرهم من الحيوانات ، فيستفاد من ذلك الإشارة إلى حثهـم على الاشتغـال بمثل ذلك ، وأعلى منه فى القيام بحق العلماء ، شكراً لنعمة العلم ، فأقـل رتبتهم أن يتشبهوا بالحيوانات المجاوات فى هديهم ، وإلا فليسوا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً " .(٢)

بل نجده يذهب إلى أبعد من هذا مدى ، مشيراً إلى أن المقصـود " بأولى الأمر " فى قوله تعالى : ((أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولـى الأمر منكم)) (٥٩ : النساء) : " أولوا العلم والفقه " ، استناداً إلـى قوله تعالى : ((ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذيـن

---

(١) إلهام الحيوانات الاستغفار للعلماء ، شكراناً لنعمة العلم ، ولكونهم هم الذين يبينون ما يحل منها وما يحرم ، ويوصون بالإحسان إليها ، ونفى الضرر عنها .

(٢) السمهودى . جواهر العقدين ق ١ ص٨٦ ـ ٨٧ .

يستنبطونه منهم)) (٨٣ : النساء) ، قائلاً :

" ... فالراجح فى هذه اتفاقاً أن المراد بأولى الأمر العلماء ، على أنه لو سُلِمَ أن المراد من أولى الأمر فيهما ولاة الأمور ، فالشرط فيهم العلم ، ولا طاعة لهم إلا فيما وافق العلم ، إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ". (١)

بل إن انعقاد الولاية للحاكمين لا ينافى وجوب طاعة العلماء مطلقاً (٢) ، ولذا " لم يزل ولاة الأمور (كأبى بكر وعمر) وإن كانوا فى العلم بمكانة يرعون العلماء (كعلى بن أبى طالب) ويرجعون إليهم ". (٣)

ولعل فى فحوى هذه الشواهد ومثيلاتها ما جعل ولاة الأمور من سلاطين وأمراء وموظفين يتظاهرون بحماية الإسلام ، وتطبيق تعليماته ، فضلاً عن نشدان ود العلماء وطلاب العلم ، وتقريبهم منهم ، والإغداق عليهم ، والحرص على حضور مجالس العلم والسماع (٤) ، وتحصيل الإجازات فيه ، ناهيك عن إقامة المواكب والزينات ، أو الأمر بإقامتها ، احتفاءً ببعض المناسبات الدينية ، من مقدم عام هجرى جديد ، أو استقبال شهر رمضان ، وإحياء لياليه ، أو إدارة المحمل ، واستقبال مبشر الحاج ، وما واكب ذلك بالضرورة من إقامة المنشآت الدينية والعمائر الإسلامية ، وحبس الأوقاف المغلة عليها ، على النحو الوارد فى كثير من المصادر المعاصرة ، ومنها قول " المقريزى " مترجماً الظاهر برقوق منشىء هذه الدولة :

" ... يجل أهل الخير ومن يُنْسب إلى الصلاح ، وكان يقوم للفقهاء والصلحاء إذا دخل أحد منهم عليه — ولم يكن يعهد ذلك من ملوك مصر قبله — وتنكر للفقهاء فى سلطنته الثانية من أجل أنهم أفتوا بقتله ، فلم يترك إكرامهم — قط — مع شدة حنقه عليهم ، وكان كثير الصدقات ". (٥)

---

(١) المصدر السابق ق ١ ص ١٢٠ — ١٢١ .
(٢) نفسه ق ١ ص ١٢١ .
(٣) نفسه ق ١ ص ١٢٣ .
(٤) إذ كان إسماع " البخارى " فى القلعة فيما بين شهرى شعبان ورمضان عادة متبعة فى هذه الدولة ، وكان السلاطين والأمراء الكبار يحضرون — عادة — هذه المجالس .
(٥) المقريزى . السلوك ج ٣ ص ٩٤٤ .

وقولـه :

" ... وكان يذبح – دائماً – طوال أيام إمارته وسلطنته فى كل يوم من أيام شهر رمضان خمسة وعشرين بقرة ،يتصدق بها بعدما تطبخ ، ومعها آلاف من الأرغفة – الخبز النقى – على أهل الجوامع والمشاهد والخوانك والربط ، وأهل السجون ،لكل انسان رطل لحم مطبوخ وثلاثة أرغفة من نقى البر ، سوى ما كان يفرق فى الزوايا من لحم الضأن ، فيعطى فى كل يوم لكل زاوية خمسون رطلاً وعدة أرغفة خبز ، وفيهم من يعطى أكثر من ذلك بحسب حالهم ،ويفرق كل سنة على نحو عشرين زاوية لكل زاوية ألف درهم فضة ،ويفرق كل سنة فى أهل العلم والصلاح مائتين ألف درهم الواحد ، إلى مائة دينار ذهباً ، ومنهم من له أقل من ذلك ، بحسب حاله ،ويفرق فى فقراء القرافتين لكل فقير من دينارين إلى أكثر وأقل ، ويفرق فى الخوانك وغيرها كل سنة مالاً كثيراً ، وكان يفرق فى كل سنة ثمانية آلاف أردب قمحاً على أهل الخير وأرباب الستر ... وكان يبعث كل قليل بجملة من الذهب تفرق فى الفقراء والفقهاء ، حتى أنه تصدق مرة بخمسين ألف دينارٍ ذهباً على يد الطواشى صندل المنجكى ".(١)

وقول ابن حجر العسقلانى مترجماً المؤيد شيخ :

" ... وكان شهماً ، عالى الهمة ، كثير الرجوع إلى الحق ، محباً فى الشرع وأهله ،صحيح العقيدة ، كثير التعظيم لأهل العلم والإكرام لهم ".(٢)

وقول المقريزى فيه كذلك :

" ... وكان شجاعاً مقداماً ، يحب أهل العلم ويجالسهم ،ويجل الشرع النبوى ، ويذعن له ،ولا ينكر على من طلبه منه إذا تحاكم إليه أن يمضى من بين يديه إلى قضاة الشرع ،بل يعجبه ذلك ،وينكر على أمرائه معارضة القضاة فى أحكامهم ، وكان غير مائل إلى شئ من البدع ، وله قيام فى الليل إلى التهجد أحياناً ".(٣)

---

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٩٤٤ – ٩٤٥ .

(٢) ابن حجر ، إنباء الغمر ج ٣ ص ٢٣٧، ٢٥٧ .

(٣) المقريزى ، السلوك ج ٤ ص ٥٥٠ .

وقول ابن تغرى بردى مترجماً الظاهر جقمق :

" ... كان معظماً للشريعة ، محباً للفقهاء وطلبة العلم ... وكان يقوم لمن دخل عليه من الفقهاء والصلحاء كائناً من كان ، وكان إذا قرأ عنده أحد فاتحة الكتاب نزل عن مدورته وجلس على الأرض تعظيماً لكلام الله تعالى ، وكان كريماً جداً ، مسرفاً مبذراً " .(١)

وقول ابن اياس مترجماً الأشرف قايتباى :

" ... كان له اعتقاد فى الفقراء ، ويعظم العلماء ، عارفاً بمقام الناس ، ينزل كل أحد منزلته " .(٢)

وإذا كان بعض السلاطين قد تظاهروا بحماية الإسلام وتطبيق تعليماته ، أو اندفعوا إلى ذلك بقوة إيمانهم وإخلاصهم لدينهم ، وقد نشد هؤلاء وهؤلاء تعضيد رجال الدين من علماء وصلحاء لسلطانهم ، متخذين إياهم واسطة بينهم وبين عامة الشعب من محكوميهم ، فإن كثيراً من العلماء المحيطين بهم ـ آنذاك ـ قد أدركوا فيهم هذا الشعور الدينى الفياض ، واستثمروا هذه العاطفة الجياشة نحوهم ، ولصالحهم ، على النحو الوارد فى قول " عبد الباسط ـ الحنفى " مترجماً الشهاب الأذرعى :

" ... استعمل مرة فى إغراء السلطان بالأكرم النصرانى ، وكان المؤيد (شيخ) يتعصب معه ، لا يحب من يذكره له بسوء ، مع ما كان فيه الأكرم من الوحاشة ، فتوسل بعض إلى صاحب الترجمة فى أن يحتال بشىء عساه يكون فيه الشر فى ابن الأكرم ـ هذا ـ عند المؤيد ، فقرأ فى بعض الصلوات بجهر منه بسورة : ((إقرأ باسم ربك)) ، فلما انتهى إلى قوله تعالى : ((وربك الأكرم)) بكى ، فسأله السلطان عن ذلك بعد الصلاة ، فقال : أجللت هذا الوصف العظيم أن يسمى به هذا اللعين الشيم ، وأشار إلى النصرانى ، فكان ذلك سبباً لإتلافه من المؤيد ، وعد ذلك من حسن رأى الشهاب هذا وتدبيره " .(٣)

ولم يكتف هؤلاء بالتلاعب بعواطف سلاطينهم ، واستجاشتها تحقيقاً لمصالحهم أو مآربهم ، وإنما استغلوا تواضعهم لهم ـ كذلك ـ للغرض

---

(١) ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ج ٤ ص٢٩٦ .
(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ج ٣ ص٣٢٦ .
(٣) عبد الباسط ـ الحنفى ، المجمع المفنن ق ٨٣ أ .

عينه ، على النحو الوارد فى قول " السخاوى " مترجماً العلم البلقينى :

" ... وطلع إلى الظاهر جقمق فى شفاعة ،ففهم توقفه فيها ، فقال : العلماء يشفعون فى الآخرة عند الله ـ تعالى ـ وتقبل شفاعتهم ، فبالأحرى أنت ـ أو كما قال ـ فأجاب سؤاله " .(١)

ولم يكن مسلك هؤلاء العلماء مع الأمراء وموظفى الإدارة المملوكية بأقل من مسلكهم مع سلاطينهم ،بل ربما زادوا فيه إلى تعمد إحراجهم ، على النحو المدرك من قول " السخاوى " مترجماً ـ كذلك ـ العلم البلقينى :

" ... وقصد بعض الأمراء مرة فى عود بعض الفقهاء لوظيفته المشمولة بنظره ، لكونه كان قد أخرجها عنه ،فلما جلس عنده قال للأمير : أما ترضى أن أكون نائبك فى المكان الفلانى ؟! فاستحيا وخجل ، وقال : نعم ، فقال : قد استخرت الله وأعدت فلاناً إلى وظيفته " .(٢)

وإن تردد فى كثير من المصادر نكب بعضهم على يدى سلطان أو أمير ، فإن مرد ذلك ـ غالباً ـ إلى العلماء أنفسهم ، وقد " كثرت (بينهم) الفقاقع ، والفراقع ،والتشاحن " (٣) ، حسداً من بعضهم على وظيفة أو ولاية ، وتطلعاً إلى معاليها ، فضلاً عن سوء مسلك بعض المنكوبين منهم فى تصريف أمور ما تحت أيديهم من وظائف .

ولقد أدرك " السمهودى " ذلك ، مقراً بأن ارتكاب مثل هؤلاء للمعصية كان سبباً فى إسقاط " مقامهم " وعدم اعتقاد الولاية فيهم ،مخرجاً لهم من حيز العلماء ، إذ العالم فى اعتقاده " من عمل بعلمه ، ووافق علمه عمله "(٤) ، ولذا : " فإعزاز العلم متعين ، وإنما يعز أهله إذا أعزوه " .(٥)

---

(١) السخاوى . الذيل على رفع الإصر ص ١٦٨ .
(٢) نفسه ص ١٦٩ .
(٣) نفسه ص ١٠ .
(٤) السمهودى . جواهر العقدين ق ١ ص ١٥٣ .
(٥) نفسه ق١ ص ٢٤٠ .

كما أدرك عبد الباسط الحنفي ذلك ـ أيضاً ـ على النحو الوارد في قوله مترجماً أزبك الطويل :

" ... وكان خيراً ديناً ، كثير التلاوة للقرآن ، وما يذكر عنه من أنه كان يحط على الفقهاء والعلماء ،وأنه كان سيء العقيدة فيهم ، فليس ذلك إن صح عنه من خبث اعتقاده ، بل من تدينه ، بحيث كان يطلع على أحوال علماء زماننا هذا أو قضاتهم ، وما ينسب إليهم من الأشياء التي السكات عنها أجمل ، ويدعون مع ذلك أن هذا دين الله وشرع رسوله ، فكان هو ـ أيضاً ـ يحط عليهم لأجل ذلك " . (١)

ولم يقتصر تقدير السلاطين والأمراء للعلماء وغيرهم من رجال الدين على حيواتهم ، وإنما تعداه إلى تكريمهم ـ كذلك ـ حال الوفاة ، فكثيراً ما تشير المصادر إلى إتيان جنازة أحدهم إلى " سبيل المؤمني " ليشهد السلطان وكبار الأمراء أو الأعيان الصلاة عليه ، وقد أمهم الخليفة ، ومنه قول " السخاوي " مترجماً الشمس القاياتي :

" ... وأمر السلطان بالمجيء بجنازته إلى سبيل المؤمني ، فحمل تابوته من جوار الجامع الأزهر إلى المكان المذكور ـ وهو تحت القلعة بالرميلة ـ وصلى عليه الخليفة بإذن السلطان وبحضرته ،هو وخلق من القضاة والعلماء والأعيان ، وغيرهم " . (٢)

وقوله مترجماً ابن حجر العسقلاني :

" ... وكان له مشهد لم ير من حضره من الشيوخ فضلاً عمن دونهم مثله ،وشهد السلطان فمن دونه الصلاة عليه بسبيل المؤمني ،وقدم الخليفة لذلك " . (٣)

ب ـ إجلال السلاطين والأمراء للعلم ، ومشاركتهم في تحصيله :

كما لم يكن كثير من السلاطين والأمراء بمعزل عن العلم ، بل كانوا محصلين لطرف لا بأس به منه ، مشاركين فيه .

---

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . المجمع المفنن ق ١٥٩ ب .
(٢) السخاوي . الذيل على رفع الإصر ص ٢٨٧ .
(٣) نفسه ص ٨٨ .

فقد كان " المؤيد شيخ المحمودى " يحدث بصحيح البخارى عن " السراج البلقينى " ، بإجازة كان يصحبها معه فى أسفاره لا يفارقها (١) ، " وربما شارك بلطف وأدب " (٢) فيما يثار فى مجلسه من علوم الشريعة .

وكان " الظاهر ططر " يتكلم فى مسائل من الفقه على مذهب أبى حنيفة ، مع فهم وذوق ، وبراعة فى حفظ الشعر باللغة التركية ، وإلمام بذلك فى الجملة . (٣)

وكان " الظاهر جقمق " سلطاناً " متفقهاً " . (٤)

وكان " الأشرف قايتباى " مشتغلاً بالعلم ، كثير المطالعة فى الكتب متتلى له أوراد وأذكار فى الجوامع . (٥)

وكان " الغورى " صاحب ندوات علمية ، يدير أكثرها بنفسه ويناقش فيها . (٦)

ولم يقل الأمراء فى تحصيلهم للعلم عن سلاطينهم ، بل ربما فاقوهم ، ولذا اقترن اسم بعضهم بلقب " محدث " أو " فقيه " .

ومنهم " تغرى برمش الجلالى " ـ نائب القلعة ـ الذى شارك فى علوم الحديث والفقه والتاريخ والأدب وفنون الفروسية ، وإن كان " أحسن علومه الحديث " لاجتهاده فى سماعه وقراءته على الشيوخ ، كما كان " ينظم القريض باللغة التركية والعربية " . (٧)

و " اياس الفارسى " ، وقد اقتنى الكثير من الكتب المختصرات والكبار ، ما بين شروح وفتاوى ، وصار متميزاً فى الفقه ، يستحضر الكثير من المسائل المحتاج إليها ، وما سئل عن مسألة ـ قط ـ إلا استحضر النقل .

---

(١) السخاوى . الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٠٩ .
(٢) العينى . السيف المهند ص ٢٧٤ .
(٣) السخاوى . الضوء اللامع ج ٤ ص ٨ .
(٤) ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج ٤ ص ٢٩٥ .
(٥) ابن اياس . بدائع الزهور ج ٣ ص ٣٢٦ .
(٦) راجع ص ٨٩ من هذا الجزء .
(٧) ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج ٤ ص ٧١ ـ ٧٤ .

وكان فصيح العبارة ، صحيح القراءة ،وربما رد على من يلحن ، حتى ربما رد على بعض النحاة .(١)

و " بردبك الأشرفى " ــ الخازندار ــ وقد كان " له اعتناء باقتناء الكتب ، وميل لمحبة العلم وأهله " .(٢)

و " ألماس الأشرفى قايتباى " ، وكان " يتفقه ، بل ويتمشيخ ، وينتمى إلى العلم والمعرفة ، ويستحضر المسائل العلمية ، ويقتنى الكتب النفيسة فى كثير من الفنون ، لاسيما الفقه " .(٣)

ولا غرابة فى هذا من هؤلاء وأمثالهم ،فقد كان " المملوك " يتلقى فى الطباق علوماً شرعية إلى جانب ما يحصله من فنون الفروسية .(٤)

جـ ــ الرحلة فى طلب العلم :

كما كان لنهم المصريين بالمعرفة ، وشغفهم بتحصيل العلم ، عدم اكتفاء العلماء والطلاب ــ غالباً ــ بما حصلوه من المعارف فى أوطانهم ، ولذا عرفت للكثيرين منهم رحلات إلى الشام والحجاز والمغرب العربى والأندلس ، وغيرها ، على نحو ما سوف يطالعنا فى ترجمات المؤرخين المتناولين بالدراسة فى الفصول الأولى من الأبواب التالية .

وربما ساعد فى ذلك ــ أيضاً ــ تشجيع ملوك وأمراء هذه الأقطار والنواحى للعلم والعلماء .

ويشير " ابن خلدون " إلى أهمية " الرحلة " فى طلب العلم ، منبهاً إلى ضرورتها ، بقوله :

" ... إن الرحلة فى طلب العلوم ولقاء المشيخة ،زيد كمال فى التعلم ؛ والسبب فى ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم ومايتنحلون

---

(١) عبدالباسط ــ الحنفى . المجمع المفنن ق ١٨٦ أ .
(٢) نفسه ق ٢٠٢ أ .
(٣) نفسه ق ١٨٠ أ .
(٤) راجع : د. السيد الباز العرينى . المماليك . بيروت ،النهضة العربية ، ص٨٤ ــ ١٢٧ ،على سالم النباهين . نظام التربية الإسلامية فى عصر دولة المماليك فى مصر . القاهرة ، الفكر العربى ، ط١ ، ١٩٨١ ، ص١٥٥ ــ ٢٠٢ .

به من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً وإلقاء ، وتارة محاكاةً وتلقينـــــاً بالمباشرة . إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكامـــاً وأقوى رسوخاً . فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخهـــا . والاصطلاحات ـ أيضاً ـ في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم ، حتى لقـــد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ، ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين . فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها ، فيجرد العلم عنها ، ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصيل ، وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام فـــي الملكات ، ويصحح معارفه ويميزها عن سواها ، مع تقوية ملكته بالمباشـــرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم . وهذا لمن يسر اللـــه عليه طريق العلم والهداية .

فالرحلة لابد منها في طلب العلم ، لاكتساب الفوائد والكمال بلقـــاء المشايخ ومباشرة الرجال " .(١)

د ـ كما كانت مصر موطناً لإقامة دائمة لكثير من العلماء الوافديـــن عليها ، كالمحيي الكافيجي والشيخ زادة وغيرهمـــا ، لما تمتعت بـــه من أمن وأمان ـ آنذاك ـ ولما قابلهم به حكامها من تشجيع وإجلال ، فكـــان في ذلك الإثراء للحركة العلمية فيها .

بل لقد قدم كثير من العلماء والمحدثين باستدعـاء بعـــض السلاطين(٢) ، للأخذ عنهم .

كما كان وقوع مصر في طريق الحج عاملاً مساعداً في تجدد اللقـــاء الفكري وإثراء الحركة العلمية فيها ـ آنذاك ـ حيث يلتقي طلاب العلـــم ـ عادة ـ بمن يفد إليها حاجاً من الأساتيذ .(٣)

---

(١) ابن خلدون . المقدمة ج ٣ ص ١٢٥٥ .

(٢) ابن تغري بردي . المنهل الصافي ج ٣ ص ٢١٠ ـ ٢١١ ، السخاوي الضوء اللامع ج ١٢ ص ١١ ـ ١٢ ، ٧٨ ، عبد الباسط الحنفـــي . الروض الباسم ج ١ ق ١٧ .

(٣) عبد الباسط ـ الحنفي . المجمع المفنن ق ٢٠ أ ، ٤٤ أ .

هـ ـ ما جبل عليه كثير من سلاطين وأمراء المماليك من إقامة العديد من المنشآت الدينية ، وحبس الأوقاف المغلة عليها ، مما كان سبباً في الإكثار من " طالب العلم ومعلمه ، بكثرة جراياتهم منها ".(١)

و ـ سقوط " بغداد " ، وما تبعه من إحياء الخلافة العباسية في " القاهرة " ، مما هيأ لها أن " ترث بغداد ، وتصبح مركز النشاط العلمي والديني في العالم الإسلامي ".(٢)

على أنه يجب أن لا يغالي في ذلك ، إذ الحركة العلمية في مصر لم تكن دخيلة عليها ، وإنما كانت حركة راسخة فيها ، تمتد بجذورها إلى الفتح الإسلامي لها(٣) ، كما أن مصر لم تنفرد بادعاء " الخلافة " ، فلقد نُوزعت فيها ـ آنذاك ـ من " تونس " و " اليمن ".(٤) يضاف إلى ذلك أن ارتحال العلماء إلى القاهرة ، أو هجرتهم إليها ،كانا فعلين سابقين ولاحقين على إحياء الخلافة العباسية فيها كذلك ، بل إن أعلام هذه الحركة وإن ذكر فيهم من انتموا بالمولد أو المحتد إلى خارجها " كالكافيجي " و الشيخ " زادة " ، أو رجعوا بأصولهم المعروفة إلى أصول غير مصرية " كالعراقي " و " العجمي " و " العسقلاني " ـ وإن ولدوا فيها ـ فإن منهم من انتموا إلى التراب المصري بأصولهم القريبة وأصولهم البعيدة ، " كالدميري " و " البلقيني " و " السبكي " و " الدمياطي " ... الخ .

تلك هي أبرز العوامل التي كانت سبباً في ازدهار الحركة العلمية في مصر ، زمن سلاطين الجراكسة .

---

(١) ابن خلدون . المقدمة ج ٣ ص ١٠٢٥ .

(٢) د . سعيد عبد الفتاح عاشور . المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك . القاهرة ،النهضة العربية ، ط١ ، ١٩٦٢ ص١٤١ .

(٣) يستفاد ذلك من القوائم المتعددة التي ذكرها السيوطي في مؤلفه " حسن المحاضرة " (ج ١ ص١٦٦ ـ ٥٧٧) مثبتاً فيها أسماء من كان في مصر من الصحابة والتابعين والعلماء والصلحاء ، مع الترجمة لهم .

(٤) عبد الباسط ـ الحنفي . الروض الباسم ج ١ ق ٢ ب .



الفصل الثاني

الفصل الثاني
المراكز العلمية

عرفت مصر – آنذاك – مراكز عدة ، كان لها جميعها حظ وافر في نشر الثقافة والمعرفة ، واستمرارية الحركة العلمية ، وهذه المراكز يمكن تصنيفها إلى : المكاتب (الكتاتيب) ، والمدارس ، والجوامع والمساجد ، والخوانق ، والربط والزوايا ، والبيمارستانات (المصحات) ، وخزائن الكتب (المكتبات) ، ومجالس السلاطين ، وبعض الأمراء ، وبيوت العلماء ، وحوانيت الوراقين .

أولا – المكاتب :

انتشر بناء المكاتب (الكتاتيب) على نطاق واسع زمن المماليك ، وعرف منها نوعان ، هما :

أ – المكاتب الأهلية – أو الخاصة – التي كان يقيمها من وجدوا في أنفسهم القدرة على اتخاذ التعليم حرفة يتقوتون منها ، ويتعلم فيها الصبيان بعوض[1] – أجر معلوم – يدفع لأصحابها .

ب – المكاتب العامة ، التي كان قيامها مرهوناً بأصحاب المناصب والجاه في الدولة ، من سلاطين وأمراء ووجهاء وتجار وعلماء ... ابتغاء " مرضاة الله وثوابه " ، وكان التعليم فيها مكفولاً بدون أجر للأيتام ، والمعدمين[2] (الفقراء) ، وأبناء البطالين من الجند[3] – أحياناً –

---

(١) ابن الحاج . المدخل ج ٢ ص ٣٢١ – ٣٢٢ .

(٢) راجع : حجة وقف " السيفي أزبك " ، رقم : ١٩٨ ، محفظة ٣١ ب – دار الوثائق ، د . عبد اللطيف إبراهيم . نصان جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش . جامعة القاهرة ، مجلة كلية الآداب ، مج ٢٨ ص ١٧٢ – ١٧٣ .

(٣) راجع : حجة وقف " السيفي بهادر السعدى " ، رقم : ٢٩ ، محفظة ٥ ب – دار الوثائق .

مالم يبلغوا حد البلوغ(١) ، أو خمس عشرة سنة فى تقدير بعض الواقفين(٢) ، وقد كفل لهم نظامها معاليم عينية ونقدية ـ أو نقدية فقط ـ تصلح لما يحتاجونه أثناء دراستهم فى المكتب ، من ألواح ومحابر وأقلام ومداد .. فضلاً عن الكساء والفرش ، وما يجرى عليهم من الجوامك ، أو يبذل لهم فى المواسم والأعياد من الكعك والسكر والحلوى والفاكهة والأضحيات .(٣)

---

(١) حيث نصت حجج الوقف الخاصة بالمكاتب وكتب الفقهاء على ذلك ، كما أشارت حجة وقف " السلطان الغورى " ((رقم : ٨٨٣ـ أوقاف)) إلى تعيين طبيب يزور المكتب كل شهر " يكشف من يظن به البلوغ منهم ،فمن وجده بلغ أخبره بحاله ، فيقرر الناظر غيره مكانه " .

(٢) راجع : حجة وقف " نصر بن عبد الله الجراكسى " ، رقم : ٥٣٢ ـ أوقاف .

(٣) يفهم هذا مما جاء فى كثير من حجج الوقف الخاصة بمكاتب الأيتام أو مكاتب السبيل ، وما ورد بشأنها فى كتب الخطط والحوليات ، فلقد أشار المقريزى (الخطط ج ٢ ص ٣٧٩) إلى أن " الظاهر بيبرس " أجرى على أبناء السبيل ـ فى المكتب الذى أقامه إلى جانب مدرسته ـ " الجرايات ، والكسوة ، وأوقف عليهم ربع السلطان خارج باب زويلة " ، كما أشار (السلوك ج ٢ ص ٥٠٤) إلى أنه " بنى بجانبها ـ بجانب مدرسته ـ مكتباً للسبيل ، وقرر لمن فيه من أيتام المسلمين الخبز فى كل يوم والكسوة فى فصلى الشتاء والصيف " .

ونصت حجة وقف " السلطان حسن " (رقم : ٨٨١ ـ أوقاف) على أن يصرف " للأيتام المذكورين ـ مائة يتيم ـ فى نفقتهم وكسوتهم فى كل شهر ثلاثة آلاف درهم نقرة بينهم بالسوية ، لكل منهم ثلاثين درهماً " ، وأشارت حجة وقف الأمير " صرغتمش " (رقم : ٣١٩٥ـ أوقاف) إلى صرف " ثمن ما يحتاج إليه الأيتام المذكورين (فى الحجة) من أقلام ومداد وألواح ودوى وحصر يجلسون عليها " ، وورد فى حجة وقف " نصرالله الجراكسى " (رقم : ٥٣٢ ـ أوقاف) قوله : " ... يصرف لهم فى كل يوم ثمن خبز من خبز البر الناضج السالم من العيوب ، من خبز يومه ،ثلاثة عشر رطلاً بالمصرى ،محمولة إلى المكتب المذكور ،أو ما يقوم مقامها من الأقوات عند تعذرها على اختلاف أنواعها ، مع اختلاف القيمة وانخفاضها " .

ونصت حجة وقف الأمير " صرغتمش " (نشرة د . عبد اللطيف إبراهيم مج ٢٧ ص ١٥٣ ـ ١٥٤) على أن " يصرف لكل واحد من الأيتام المذكورين فيه فى كل يوم رطلان خبز ،وسدس درهم ـ

وكان هذا النوع من المكاتب يعرف " بمكاتب الأسبلة " ـ لإقامتها في علو السبيل ، أو قريباً منه ـ و " مكاتب الأيتام " ـ لأن الأصل في إقامتها هو الاختصاص بهذا النوع ممن تنتظمهم الدراسة فيها .

ويبدو أن الأصل في انشاء المكاتب قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه "(١) ، وقوله : " خير من مشى على الأرض المعلمون ، الذين كلما خلق الدين جددوه "(٢) . وأن الغاية من إقامتها هي " تحفيظ وعرض وكتابة القرآن الكريم " ، فضلاً عن " معرفة الخط "(٣) ، والاستخراج ، والضبط ، والفهم

= نقرة ، ويكسى كل من الأيتام المذكورين في فصل الصيف قميصاً ولباساً وقبعاً ونعلاً في رجليه ، وفي الشتاء مثل ذلك ، ويزاد في الشتاء جبة محشوة بالقطن ... ويصرف ـ أيضاً ـ برسم الأيتام ومؤدبهم والعريف ثمن حلوى في نصف شعبان وفي أول شهر رجب من كل سنة ، مائة درهم واحدة ، وخمسين درهماً نقرة في كل وقت منهما خمسة وسبعين درهماً نقرة ، ويصرف ثمن ما يحتاج إليه الأيتام المذكورين من أقلام ومداد وألواح ودوى وحصر يجلسون عليها ، ويصرف في عيد الفطر من كل سنة مائتا درهم نقرة ، يشترى بها كعكاً وتمراً وبندقاً وخشكاناً ، ويفرق ذلك على الأيتام ومؤدبهم والعريف على ما يراه الناظر في ذلك ... ويصرف ـ أيضاً ـ ثمن أضحية برسم الأيتام ومؤدبهم وعريفهم في عيد الأضحى من كل سنة مائة درهم واحدة ، وخمسون درهماً نقرة ، يذبح ذلك ويفرق عليهم على ما يراه الناظر في ذلك " .

(١) الحديث مروى عن " عثمان بن عفان " ـ رضى الله عنه ـ في البخاري ومسلم وأبى داود والنسائي والترمذي وابن ماجه وغيرهم .
راجع : المنذرى . الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢ ، ابن الاخوة . معالم القربة ص ١٧٠ ، ابن الحاج . المدخل ج ٢ ص ٣١٥ .

(٢) راجع : ابن الاخوة . معالم القربة ص ١٧٠ .

(٣) يشير ابن خلدون (المقدمة ج ٣ ص ١٢٥١) إلى أن المكتب كان يتعلم فيه الصبيان الخط دون تجويد ، لأن تلك وظيفة مفردة في غيره ، قائلاً : " ... ولا يخلطون بتعليم الخط ، بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراده ، كما تتعلم سائر الصنائع ، ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان ، وإذا كتبوا لهم الألواح فبخط قاصر عن الإجادة ، ومن أراد تعلم الخط فعلى قدر ما يسنح له بعد ذلك من الهمة في طلبه ويبتغيه من أهل صنعته " .
=

للمسائل "(١) ، "وبعض متون الأحاديث "(٢) ، و"عقائد السنن" ، وأصـول الحساب ، وما يستحسن من المراسلات "(٣) ... وفى كل هذا ــ لا ريب ــ الإعانة على " إظهار دين الله ــ تعالى ــ ومعرفة أحكامه " .(٤)

ولقد روعى فى انشاء المكاتب ــ أهلية وعامة ، إذا جاز إطلاق مثـل هاتين التسميتين عليها ــ عدة أمور تهدف مجتمعة إلى أن " تكون بداية أمـر الصبيان على المنهج الأقوم والطريق الأرشد "(٥) ، ليكونوا فى مستقبلهـم رجالاً صالحين فى مجتمعهم . وهى أمور ساهمت مساهمة فعالة فى النهضـة الفكرية ــ آنذاك ــ وصبغتها بما صبغت به من صفات .

ومن هذه الأمور والضوابط ما تعلق باختيار موضع الكتاب ، ومنها مـا تعلق بمن يقوم عليه (المؤدب ، أو الفقيه ، أو المعلم) ، ومن يساعده فـى عمله (العريف والسائق) ، ومنها ما تعلق بالطلاب أنفسهم ، وطـرق المحافظة عليهم ، فضلاً عن تنظيم الدراسة وتقنينها ، واختيار المناهج لها .

فقد روعى فى اختيار موضع المكتب أن يكون " فى مواضع شرحة مـن أطراف الأسواق "(٦) ــ إن أمكن ذلك ــ مع ضرورة صرف الباعة من بابه حتى لا يتلهى الصبيان بما فى أيديهم عن الدرس(٧) ، " فإن تعذر فعلـى شوارع المسلمين ، أو فى الدكاكين ، ويكره أن يكون بموضع ليس بمسلـوك

= ويؤيده ما ورد فى حجة وقف السلطان الغورى (رقم : ٨٨٣ ــ أوقاف) من تخصيص : " ثلاثمائة درهم ، تصرف لرجل كاتب دين خبير مأمون ، عالم بعلم الكتابة ، مجازاً بالأقلام السبعة ، يقـرره الناظر فى وظيفة التكتيب ... على أن يتردد للمكتـب ... أو الموضع الذى يعينه له الناظر يومين فى الأسبوع يعلم الناس (وليس الصبيان إذن) فنون كتابته ، وما يرغبون فى تعلمه منه على جـارى عادة أمثاله " .

(١) ابن الحاج . المدخل ج ٢ ص٣١٥ ــ ٣١٦ ، ٣٢٧ .
(٢) ابن خلدون . المقدمة ج ٣ ص١٢٤٩ .
(٣) ابن الاخوة . معالم القربة ص١٧٠ .
(٤) ابن الحاج . المدخل ج ٢ ص٣١٨ .
(٥) نفسه ج ٢ ص٣٢٣ .
(٦) ابن الاخوة . معالم القربة ص١٧٠ .
(٧) ابن الحاج . المدخل ج ٢ ص٣٢٣ .

للناس " ، أو " أن يتخذ الكتاب فى المسجد " .(١)

والعلة فى الكراهة الأولى " أن الصبيان يسرع إليهم القيل والقال ".(٢) ، وفى الثانية قوله صلى الله عليه وسلم : " جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم " ، لما يصاحب الصبيان - غالباً - من الضوضاء والجلبة ، وعدم التحرز من البول وسائر النجاسات " .(٣)

ولذا أقيمت المكاتب - غالباً - ملحقة بالمساجد والمدارس(٤) ، أو فى علو الأسبلة(٥) ، أو إلى جانب الأربطة والخوانق ، أو فى الدكاكين .(٦)

كما لم يكن مسموحاً بتشويه المكاتب ، سواء بدق المسامير فى الحيطان ، أو غيرها .(٧) مراعاة لجمالية المكان وانشراحه ، لما فى ذلك من أثر على نفوس المتعلمين فيه من الصبيان .

أما القائمون عليه من مؤدبين أو معلمين أو فقهاء - والكل تسميات لمسمى واحد - فقد روعى فيهم أن يكونوا مؤهلين لما يقومون به من عمل ، تأهيلاً خلقياً وعلمياً وعملياً ، كما يستدل من كلام الفقهاء والكثير من حجج الوقف ، ومنه قول ابن الحاج فى مدخله :

---

(١) المصدر السابق .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه ، ابن الاخوة . معالم القربة ص ١٧٠ ، القابسى . الرسالة المفصلة ص ١٤٥ .

(٤) راجع : المقريزى . الخطط ج ٢ ص ٣٦٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٤٠٠ .

(٥) راجع : حجة وقف السلطان حسن (رقم : ٨٨١ - أوقاف) ، حجة وقف الأشرف برسباى (رقم : ٨٨٠ - أوقاف) ، حجة وقف الأشرف قايتباى (٨٨٦ - أوقاف) ، حجة وقف جوهر اللالا (رقم : ١٠٢١ - أوقاف) .

(٦) وقد تقع المخالفة فى بعض ذلك - أحياناً - فقد أشار السخاوى (التبر المسبوك ص ١٣١) إلى أن " الشمس النحريرى الضرير " (ت ٨٤٩ هـ) تكسب بتأديب الأطفال فى المسجد ، وانتفع به من لا يحصى كثرة ، واشير إليه بالتقدم فى ذلك . كما انتقد " ابن الحاج " (المدخل ج ٢ ص ٣٣١) إقامة المكاتب ملحقة بالقرافة .

(٧) ابن الحاج . المدخل ج ٢ ص ٣٢٨ .

ينبغى أن يكون المعلم من حاملى القرآن ـ الكريم ـ و " من أكثر الناس فى التعظيم لشعائره ، والمشى على سنن من تقدمه فى تعظيم ذلك وإكرامه ".(١)

و " أن يكون على أكمل الحالات ، ومن ذلك أن يكون متزوجاً ، لأنه إن كان صالحاً فى نفسه فالغالب إسراع سوء الظن فى هذا الزمان بمن كان غير متأهل ... فإذا كان متأهلاً انسد باب الكلام والوقيعة فيه ".(٢)

وقول " ابن الاخوة " فى معالم القربة :

" ... يشترط فى المعلم أن يكون من أهل الصلاح والعفة والأمانة ، حافظاً للكتاب العزيز ، حسن الخط ، ويدرى الحساب ، والأولى أن يكون مزوجاً ، ولا يفسح لعازب أن يفتح مكتباً لتعليم الصبيان إلا أن يكون شيخاً كبيراً وقد اشتهر بالدين والخير ، ومع ذلك لا يؤذن له بالتعليم إلا بتزكية مرضية وثبوت أهلية لذلك ".(٣)

وما ورد فى حجة وقف " جمال الدين الآستادار " من اشتراط أن يكون " رجلاً حافظاً لكتاب الله العزيز ، ذا عقل وعفة وصيانة وأمانة ، متزوجاً زوجة تعفه ، صالحاً لتعليم القرآن والخط والأدب ".(٤)

إذ " أنه كيفما زادت الخصال المحمودة فى المؤدب زاد الصبى به تجملاً ورفعة ".(٥)

كما اشترط فى السائق للصبيان أن " يكون أميناً ، ثقة ، متأهلاً ، فإنه يتسلم الصبيان فى الغدو والرواح ، وينفرد بهم فى الأماكن الخالية ، ويدخل على الصبيان فى بيوتهم ".(٦)

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣١٥ .
(٢) نفسه ج ٢ ص ٣٢٩ .
(٣) ابن الاخوة . معالم القربة ص ١٧٠ .
(٤) انظر : حجة وقف الأمير " جمال الدين ـ الآستادار " (رقم : ١٠٦ ، محفظة ١٧ ـ أرشيف المحكمة الشرعية) .
(٥) ابن الحاج . المدخل ج ٢ ص ٣٣٣ ، ابن حجر الهيثمى . تحرير المقال ق ١٥ ، ١٧ .
(٦) ابن الاخوة . معالم القربة ص ١٧١ .

أما الصبيان أو التلاميذ ، فيبدو أنهم كانوا يلتحقون بالمكاتب القريبة من مساكنهم ، وأنهم كانوا ممن دون سن البلوغ ، حيث شرط عدم استمراريتهم في المكاتب تلاميذ بعد البلوغ إلا في حالات خاصة ـ جلها استكمال حفظ القرآن ـ الكريم ـ وقد قطعوا فيه شوطاً كبيراً من الحفظ يتخوف معه إن قطعوا من المكتب أن لا يختموه(١) ـ مع مراعاة حسن السيرة .(٢)

وبرغم أن السنة في سن المقبولين في المكتب بلوغهم السابعة ، فإن " الغالب في هذا العصر أنهم يدخلون أولادهم المكتب في حال الصغر ، بحيث أنهم يحتاجون إلى من يربيهم ويسوقهم إلى المكتب ويردهم إلى بيوتهم ، بل بعضهم تكون سنه بحيث لا يقدر أن يمسك ضرورة نفسه " .(٣)

ولعل ذلك لم يكن بهدف الإقراء والتعليم ، وإنما " لكي يستريحوا من تعبهم " ، لأن في إرسالهم إلى المكتب على هذه الحال ـ غالباً ـ "عدم الانتفاع بالقراءة " .(٤)

ويبدو من استقراء ترجمات أعلام هذه الفترة موضع الدراسة التحاق

---

(١) راجع : د . عبد اللطيف إبراهيم . دراسات تاريخية أثرية ج ٢ ص ٦٥٦ ، نعمان جديدان مج ٢٨ ص ١٧٣ ، حجة وقف " السلطان حسن " (رقم : ٨٨١ ـ أوقاف) ،حجة وقف " السلطان الغوري " (رقم : ٨٨٦ ـ أوقاف) .
بينما نصت حجة وقف الأمير " جمال الدين ـ الأستادار "(رقم : ١٠٦ ، محفظة ١٧ ـ المحكمة الشرعية) على أن " من مات منهم أو سافر سفر إقامة ،أو تعذر حضوره للاشتغال مدة طويلة لغير ضرورة شرعية يدل بغيره " .

(٢) يشير ابن الحاج (المدخل ج ٢ ص ٣٣١) إلى ذلك قائلاً :
" ... وينبغي أن لا يدع أحداً عنده من الصبيان ممن فيه رائحة ما من الخصال الذميمة ،إذ أن ذلك سبيل للوقيعة في حق بعض من في المكتب عنده ، وقد يفضي ذلك إلى أن يشتهر مكتبه بما لا ينبغي ، فقد ينسب إلى المؤدب ما لا يليق بمنصبه ، وفيه مضرة أخرى ، وهو أنه قد يكون سبباً إلى عدم مجيء الصبيان إليه أو قلتهم ، فيحصل بذلك تمزيق العرض وقلة الرزق " .

(٣) نفسه ج ٢ ص ٣٢٥ .

(٤) نفسه .

بعضهم صبيان بالمكتب في سن مبكرة ، فلقد التحق " العلم البلقيني "(١) و " الشمس السخاوى "(٢) بالمكتب في الرابعة من عمرهما ، بينما التحق " ابن حجر العسقلانى " بالمكتب في سن " الخامسة ".(٣)

كما يلحظ أن ضوابط العمل في المكتب قد حددت عدد التلاميذ ، بحيث لم يكن مسموحاً - في مكاتب السبيل أو مكاتب الأيتام - بحال من الأحوال تجاوز العدد المحدد في شرط الواقف مالم يشر صراحة إلى التجاوز عنه .

والمدرك من استقراء هذه الحجج - كذلك - أن أقل عدد نص على قبوله في هذا النوع من المكاتب كان " خمسة " ، وأن أقصى عدد كان " مائة ".(٤)

---

(١) ابن حجر . رفع الإصر ج ٢ ص ٢٥٦ .

(٢) السخاوى . الضوء اللامع ج ٨ ص ٢ .

(٣) ابن حجر . رفع الإصر ج ١ ص ٨٥ .

(٤) فلقد حددت حجة وقف " نصر بن عبد الله الجراكسي " (رقم : ٥٣٢ - أوقاف) عدد المقبولين بخمسة ، بينما ورد تحديدهم بتسعة في حجة وقف " السيفي أزبك " (رقم : ١٩٨ ، محفظة ٣١ ب - دار الوثائق) وفي حجة وقف كل من قانى باى الرماح (رقم : ١٠١٩ - أوقاف) و السيفي بهادر السعدى (رقم : ٢٩ محفظة ٥ ب - دار الوثائق) بعشرة ، وفي حجة وقف السلطان " فرج بن برقوق " (رقم : ٦٦ - محفظة ١١ - دار الوثائق) بعشرين ، وفي حجة وقف السلطان " الغورى " (د . عبد اللطيف إبراهيم . دراسات تاريخية وأثرية ج ٢ ص ٤٧) بأربعين ، وفي حجة وقف السلطان " حسام الدين لاجين " (رقم : ١٨ ، محفظة ٣ ب - دار الوثائق) بخمسين ، وفي حجة وقف " المؤيد شيخ المحمودى " (رقم : ٩٣٨ - أوقاف - نشرة د . عبد الغنى محمود عبد العاطى) بخمسة وستين .

بينما يشير المقريزى (السلوك ج ٣ ص ٦٠) إلى أنه " في يوم السبت سادس ربيع الآخر (سنة ٧٦٢ هـ) سقطت إحدى منارتي مدرسة السلطان حسن ، فهلك تحتها نحو ثلاثمائة من الأطفال الأيتام الذين كانوا بمكتب السبيل ، وغير الأيتام " . مما يشير إلى كثرة عدد من يلتحقون بمكاتب السبيل - في بعض الأحيان - وإن لم يتحدد عددهم بثلاثمائة كما يفهم البعض مغفلاً قوله : " وغير الأيتام " ، وهو ما يفسر إبهامه قول مصدره (ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ٢٧٧) :

كما أن مدة الدراسة فى المكتب كانت مرهونة بمدى استعداد الصبى وميوله وقابليته للتعليم ، أو بلوغ سن المراهقة وحد البلوغ . على حين حدد المدى الزمنى للدراسة - بكل وضوح - بحيث كان يوماً من طلوع الشمس حتى العصر ، مع استثناء يوم الثلاثاء والخميس أو أيهما ، حيث تكون الدراسة فيهما أو فى أحدهما حتى الظهر ، مع جعل الجمعة عطلة رسمية(١) ، فضلاً عن المسامحة قبل العيد وبعده بيوم أو يومين أو ثلاثة .(٢)

وللترويح عن الصبيان وتنشيطهم ، فإنه قد سمح لهم بالانصراف إلى بيوتهم فى فترات محددة تتخلل ساعات الدراسة اليومية للاستراحة

= " ... فلما سقطت أهلكت خلقاً كثيراً من الصناع بالمدرسة والمارة والصبيان الذين فى مكتب المدرسة ، ولم ينج من الصبيان - فيما ذكر - شئ سوى ستة ،وكان جملة من هلك بسببها نحو ثلاثمائة نفس " .

مما يشير إلى أن كل هذه الفئات داخلة فى عداد الهالكين بسببها .

(١) من ذلك نص حجة وقف السلطان " قايتباى " (٨٨٦ـ أوقاف) على استمرار الصبيان فى أيام " حضورهم بالمكتب من طلوع الشمس إلى وقت العصر ... ما عدا يوم الخميس من كل أسبوع ، فإنهم يستمرون بالمكتب إلى الظهر ، ويوم الجمعة بطالتهم ، وكذلك أيام الأعياد والمواسم والأعذار الشرعية " .

بينما نصت حجة وقف السلطان " الغورى " (رقم :٨٨٣ - أوقاف) على أن يجلس المؤدب فى المكتب " كل يوم من الأيام خلا يوم الجمعة وأيام المواسم والأعياد التى جرت العادة بالبطالة فيها ، ويمكث به لتعليم الأيتام وتأديبهم من أول النهار إلى وقت العصر ، سوى يوم الثلاثاء ويوم الخميس ، فيمكث إلى وقت الظهر " .

وراجع : حجة وقف " قانى باى الرماح " (رقم : ١٠١٩ - أوقاف) ، وحجة وقف " قراجا الحسنى " (رقم : ٩٢ - أوقاف) ، وحجة وقف " جوهر اللالا " (رقم : ٨٦ - المحكمة الشرعية) .

(٢) راجع إلى جانب ما مر آنفا : ابن الحاج . المدخل ج ٢ص٣٢١ .

والغذاء(١) ، لأنه لم يكن من المسموح به للصبيان احضار الأموال أو الأطعمة إلى المكتب ، مراعاة لولد الفقير الذى يرجع – لا محالة – إلى بيته منكسر الخاطر متشوشاً فى نفسه ، غير راضٍ بنفقة والديه أو من يتولى أمره ، لما يرى من نفقة من له اتساع فى الدنيا (٢) ، وهذا مبدأ اجتماعى روعى فيه درء جملة من المفاسد ، منها إلى جانب هذا مراعاة آداب الشريعة فى التحرز من الأكل على الطريق وفى الأسواق بحضرة من يعرف ومن لا يعرف . (٣)

ونظراً لأن المكتب كان يضم " البنين " و " البنات "(٤) ، ممن

---

(١) ابن الحاج . المدخل ج ٢ ص ٣٣٢ .

(٢) نفسه ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٣) نفسه ج ٢ ص ٣٢٤ .

(٤) شاع بين كثير من المؤرخين المحدثين أن الكتاب لم يضم إلا ذكران الصبيان ، استبعاداً للإناث منهم ، وهو ما ينفيه الواقع المتحقق من استقراء المصادر ، ومنها قول ابن الحاج (المدخل ج ٢ ص ٣٣٢) :

" ... وينبغى له إن كان له ولد صغير أن لا يترك أحداً من صبيان مكتبه يحمله ذكراً كان أو أنثى ، والمنع فى الأنثى أشد ".

وفى هذا إشارة صريحة إلى " تعليم البنت " فى المكتب . كما أن عبارة " ابن الاخوة " (معالم القربة ص ١٧١) التى يُستشهد بها لما شاع بينهم لا تنفى تعليم " البنت " فى المكتب ، ذلك أن قوله :

" ... ولا يعلم الخط امرأة ولا جارية ، فقد ورد النهى بذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : لا تعلموا نساءكم الكتابة ولا تسكنوهن الغرف ، ولكن علموهن سورة النور ، وقيل : إن المرأة التى تتعلم الخط كمثل الحية تسقى سماً " .

لا تنفى تعليم " البنت " الحد الأدنى مما أُريد لها أن تتعلمه وهو " سورة النور " ، مما لعله يشير إلى تعلمها ذلك فى المكتب " لحرمانية إتيان المؤدب بيت الجارية للتعليم " ، فضلاً عن أن استقراء ترجمات أعلام فقهاء – هذا العصر – وغيرهم تربنا أنهم قد بذلوا مجهودات جادة ومتوالية فى تعليم من ينتسبن إليهم من البنات والأخوات والزوجات ما تيسر لهن من أنواع المعارف المتداولة ، والخط ، ومنهم " ابن حجر العسقلانى " – وهو إمام فى علمى الحديث والفقه – يفتخر بأخته " ست الركب " مشيراً إلى أنها " تعلمت الخط " ، وحفظت الكثير من القرآن – الكريم – وأكثرت من مطالعة الكتب ، فمهرت فى ذلك جداً ، بحيث كان =

تتفاوت أعمارهم بين الصغر إلى الحد الذى لا يمكن معه " إمساك ضرورة النفس " ، أو المشارفة على سن البلوغ ، فإنه لم يكن مسموحاً لسيء الأخلاق ـ دائماً ـ بالبقاء فى المكتب ، علاوة عن أن مكاناً كهذا يتعلم فيه القرآن ـ الكريم ـ لا يقبله .

كما روعى فى نظام المكتب أن لا يكون فى برنامجه التضييق على التلاميذ ، فقد كان مألوفاً لهم الخروج لقضاء الحاجة (التبول) بصورة أحادية ، بحيث " إذا خرج أحد من الصبيان لقضاء حاجته لا يترك غيره يخرج حتى يأتى الأول ، لأنهم إذا خرجوا جميعاً يخشى عليهم من اللعب بسبب الاجتماع ، وقد يبطئون فى الرجوع إلى المكتب "(١) ، ويشرط أن يكون مكان الحاجة معلوماً ومخصصاً لذلك ، وإلا فقضاء الحاجة فى بيت الصبى أولى ـ صيانة لجدران البيوت من النجاسات ، وتأميناً للصبيان فيه .(٢)

فضلاً عن أن الصبى لم يكن ملزماً بالحضور إلى المكتب أثناء التقلبات الجوية لما فيها من إضرار العواصف والأتربة والمطر والبرد بصحته(٣) ، أو عندما يمرض(٤) ... فقد كانت تلك أعذار تتيح للصبيان التغيب عن

= يظن من يراها تقرأ من الكتاب أنها تحفظه ، لجودة استخراجها .

(راجع : محمد كمال الدين ، التاريخ والمنهج التاريخى لابن حجر ص٦٩ ، ٧٨ ـ ٧٩) .

كما نرى السخاوى (الضوء اللامع ج ١٢ ص ٤ تر١٧ ، ص١٣ تر ٦١ ، ص٣٢ تر١٨٨ ، ص٧٨ تر٤٨٢ ، ص٨٠ تر٤٨٩ ، ص٨٣ تر ٥٠٦ ، ص٨٩ تر٥٥٢ ، ص٩٢ تر٥٧٣) يترجم لنسوة انتمين إلى بعض السلاطين والأمراء والعلماء والأعيان ، مشيراً إلى أنهن تعلمن الخط أو الكتابة ، وكن قارئات كاتبات .

(١) ابن الحاج ، المدخل ج ٢ ص ٣٢٤ .

(٢) نفسه .

(٣) حيث أتاحت حجة وقف الأمير " صرغتمش " (نشرة د . عبد اللطيف إبراهيم مج ٢٨ ص١٧٤) فرصة التغيب بسبب الرياح العاصفة والمطر الشديد " .

(٤) فقد ورد فى حجة وقف " نصر بن عبد الله الجراكسى " (رقم : ٥٣٢ ـ أوقاف) أن " من غاب عن حضور المكتب المذكور لمرض أو لضعف اجيز عليه معلومه إلى حين حضوره " .

المكتب مع عدم قطعهم منه أو إسقاط معلومهم فيه غالباً .

أما القسوة فى تعليم الصبيان ،فإنها لم تكن مقررة فى برامج المكاتب، فلقد روعى مبدأ المرونة فى التعليم والتهذيب ، فلكل ما يليق به من معاملة مؤدبه " فرب صبى يكفيه عبوسة وجهه عليه ، وآخر لا يرتدع إلا بالكلام الغليظ والتهديد "(١) ، وإن كانت القاعدة العامة هى أن " يأخذ معهم بالرفق مهما أمكنه ،إذ انه لا يجب ضربهم فى هذه السن "(٢) ، فإن كان ولابد فى الحالات الشاذة التى لا يجدى معها سوى هذا النوع من العقاب ، فالضرب " غير المبرح "(٣) بحيث " لا يضرب صبياً بعصى غليظة تكسر العظم ،ولا رقيقة لا تؤلم الجسم ،بل تكون وسطاً ، ويتخذ مجلداً عريض السير ، ويعمد بضربه على الألايا والأفخاذ وأسافل الرجلين ، لأن هذه المواضع لا يخشى منها مرض ولا غائلة " .(٤)

وفوق هذا فإنه لا يحل للمعلم أو المؤدب أن " يشتم من استحق الأدب من الصبيان " ، بل حال تغيظه على الصبى لا يؤدبه ،حتى يسكن غيظه ويذهب عنه ما يجده من الحنق ، وحينئذ " يقيم الأدب على الصبى من

= وإن حددت حجة وقف " السيفى بهادر السعدى "(رقم : ٢٩ ، محفظة ٥ ب ـ دار الوثائق) فترة المرض مدفوعة المعلوم بخمسة عشر يوماً ، قائلة : " فإن زادت مدته على خمسة عشر يوماً ، فلا يصرف له شئ بعد ذلك إلى حين حضوره واستمراره فى وظيفته " .

كما يشير ابن الحاج (المدخل ج ٢ ص٣٣٢) إلى أنه : " ينبغى له (للمعلم) إذا اشتكى أحد من الصبيان وهو فى المكتب بوجع عينه أو شئ من بدنه وعلم صدقه فى ذلك أن يصرفه إلى بيته ولا يتركه يقعد فى المكتب " .

(١) ابن الحاج . المدخل ج ٢ ص٣٢٦ .
(٢) نفسه .
(٣) نفسه .
(٤) ابن الاخوة . معالم القربة ص ١٧١ .

ويبدو أن بعض المؤدبين ـ آنذاك ـ كانوا يستخدمون القسوة والشدة فى معاملة الصبيان ، ولذا شدد الفقهاء والقائمون على الأوقاف فى حسن معاملة الصبيان ،إذ يذكر السخاوى (التبر المسبوك ص ١٣٠) أن " الشمس التحريرى الضرير " : " كان من شدة البأس على الأطفال ، حتى أن بعضهم رام أن يدس عليه =

غير أن يتناول عرضه ولا شتم أبويه ، بل يؤدبه كما يؤدبه والداه وهما يرحمانه ويشفقان عليه ويذبان عنه في كل أحواله " .(١)

ويعلل " ابن خلدون " لعدم اتخاذ الشدة على المتعلمين لما فيها من المضرة بهم ، قائلاً :

" ... ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر ، وضيق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ودعاه الى الكسل ، وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه ،وعلمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلقاً ، وفسدت معاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن ، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله ، وصار عيالاً على غيره في ذلك ،بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عن غايتها ومدى انسانيتها ، فارتكس وعاد في أسفل سافلين ... فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبد عليهم في التأديب " .(٢)

وأما ما يختص بتنظيم العمل في المكتب ، فالملاحظ أن مهمة المعلم لم تكن محدودة بتحفيظ القرآن - الكريم - ومتون الأحاديث ، وعقائد السنن ، وأصول الحساب ،والخط ، والأدب - فقط - وإنما اتسعت لتشتمل على الكثير من سلوكيات التقويم والتهذيب ، بحيث " يعلمهم آداب الدين كما يعلمهم آيات القرآن ".(٣) ، ويمنعهم " مما اعتاده بعضهم من أنهم يمسحون

= سماً ، وكاد يتم ، فلطف الله به بحسن مقصده " ، كما يشير " ابن الحاج " (المدخل ج ٢ ص٣٢٧) إلى أن بعض المؤدبين في مجتمعه " يتعاطون آلة اتخذوها لضرب الصبيان مثل عصا اللوز اليابس ، والجريد المشرخ ،والأسواط النوبية ، والفلقة ، وما أشبه ذلك مما أحدثوه ، وهو كثير " ، معقباً بأن ذلك " لا يليق " بمن ينتسب إلى حمل الكتاب العزيز .

(١) ابن الحاج . المدخل ج ٢ ص٣٣٥ .

(٢) ابن خلدون . المقدمة ج ٣ ص١٢٥٣ - ١٢٥٤ .

(٣) ابن الحاج . المدخل ج ٢ ص٣٢٥ .

الألواح أو بعضها ببصاقهم ... لأن البصاق مستقذر وفيه امتهان ".(١)،
" ويأمرهم ببر الوالدين والانقياد لأمرهما بالسمع والطاعة ،والسلام عليهما ،
وتقبيل أياديهما عند الدخول إليهما ، ويضربهم على إساءة الأدب والفحش في
الكلام ،وغير ذلك من الأفعال الخارجة عن قانون الشرع ،مثل اللعب بالكعب
والنرد وجميع أنواع القمار ".(٢)

مع مراعاة الأخذ بالتدرج والتلطف في تعليم الأطفال ، مراعاة
لقدراتهم الخاصة ومدى استعدادهم لما يتقبلونه من العلوم والمعارف ، حيث
نصت حجج الوقف في غالبيتها على تعليم الأطفال " ما يحتملون تعلمه "،
وإقراء الصبيان " ما يطيقون قراءته ".(٣)

ولقد أدرك " ابن الاخوة " ـ كذلك ـ هذا المفهوم ، فأشار إليه
في كتابه " معالم القربة " ، قائلاً :

" ... وينبغي للمؤدب أن يترفق بالصغير ، وأن يعلمه السور
القصار من القرآن بعد حذاقته بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل ، ويدرجه
بذلك حتى يألفه طبعاً ، ثم معرفة عقائد السنن ،ثم أصول الحساب وما
يستحسن من المراسلات ، وفي وقت بطالة العادة يأمرهم بتجويد الخط على
المثال ،ويكلفهم عرض ما أملاه عليهم حفظاً ـ غالباً ـ لا نظراً ".(٤)

و " حتى لا يختل النظام " فإن هذه الأعمال لم تكن متروكة لهوى
المعلم أو التلميذ ، وإنما كانت مقننة موقوتة ، بحيث " يكون وقت كتبهم
الألواح معلوماً ، ووقت تصويبها معلوماً ، ووقت عرضها معلوماً ، وكذا (وقت)
قراءة الأحزاب ".(٥)

وفي كل هذا يتولى " المعلم " تلاميذه بنفسه ، فإن لم يمكنه ذلك
وتعذر عليه ، فليأمر بعضهم أن يقرئ بعضاً بحضرته وبين يديه ، بحيث
لا يخلى نظره عنهم ، ولا يجعل صبياناً معلومين لشخص واحد منهم ،بل

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٢٨ .
(٢) ابن الاخوة . معالم القربة ص ١٧١ .
(٣) راجع : د . عبداللطيف إبراهيم . نصان جديدان مج ٢٨ ص ١٧٤ .
(٤) ابن الاخوة . معالم القربة ص ١٧٠ ـ ١٧١ .
(٥) ابن الحاج . المدخل ج ٢ ص ٣٢٦ .

يبدل الصبيان فى كل وقت على العرفاء ، مرة يعطى صبيان هذا هذا ، وصبيان هذا هذا ، فإن كان الصبيان كلهم صغاراً فلابد من مباشرة ذلك كله بنفسه ، فإن عجز عنه فليأخذ من يستنيبه من الحفاظ المأمونين شرعاً بأجر أو بغيره ـ هذا فى المكاتب الأهلية ـ وفى المكاتب العامة يقوم العريف ـ غالباً ـ بهذه المهمة .(١)

كما لا يحق للمؤدب طوال فترة الدروس أن يغيب عن المكتب أصلاً ما دام فيه الصبيان ، فإن كانت غيبة اضطرارية فلتكن يسيرة يستنيب فيها أكبرهم سناً وعقلاً ، شريطة أن لا يضرب أو ينهر أحداً منهم ، ومن فعل منهم شيئاً كتب اسمه لحين عودة المؤدب .(٢)

ومن غير المسموح به ـ كذلك ـ اكثار المؤدب الكلام مع من يمر عليه من الإخوان ، إذ ما هو فيه آكد عليه من الحديث معه .(٣)

أو " أن يضحك مع الصبيان أو يباسطهم ، لئلا يفضى ذلك إلى الوقوع فى عرضه وعرضهم ، وإلى زوال حرمته عندهم ، إذ أن من شأن المؤدب أن تكون حرمته قائمة على الصبيان " .(٤)

ومع كل هذا يكون الصبيان عنده بمنزلة واحدة ، لا يشرف بعضهم على بعض ، فإن ابن الفقير وابن صاحب الدنيا على حد واحد فى التربية والتعليم ، وكذا من أعطاه ومن منعه ، بل يكون من منعه أرجى عنده ممن يعطيه ـ ما دامت هذه الأعمال طريقاً إلى مرضاة الله تعالى(٥) ـ وليحترز فى نفسه أن يزيد على " أجره المعلوم " شيئاً من جهة الصبى(٦) ، أو أن " يستخدم أحد الصبيان فى حوائجه وأشغاله التى فيها عار على آبائهم ، كنقل التراب والزبل وحمل الحجارة وغير ذلك ، ولا يرسله إلى داره وهى

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥ .
(٢) نفسه ج ٢ ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .
(٣) نفسه ج ٢ ص ٣٣٣ .
(٤) نفسه ج ٢ ص ٣٢٩ .
(٥) نفسه ج ٢ ص ٣١٨ .
(٦) نفسه ج ٢ ص ٣٢٢ .

خالية لئلا تتطرق إليه التهمة ".(١) أما " الأيتام " ، " فـلا موجـب لاستخدامهم فـى أعمال المعلم الشخصية " ـ على الإطلاق ـ وإن سمحت نفوس ذويهم بذلك .(٢)

تلك هى الضوابط التى حددتها لوائح العمل المنوط بالمكاتب ، تريننا إضافة إلى ما يستقرأ من ترجمات أعلام هذا العصر أهمية هذه المرحلة الأولى من مراحل التعليم ، كم كانت توجه التلاميذ إلى مواضع النبوغ فيهم ، وتضعهم على بدايات مشوارهم التعليمى ، ومن ثم تأهيلهم للوظائف والمناصب المرتقبة ،بل لقد كان لها انعكاساتها على شخصية الصبى ،فضلاً عن مهاراته وقدراته ، ومنها : "تجويد الخط " ،و " سرعة الحفظ " ،وقد كانا مطلباً مهما آنذاك .

ولأهمية هذه المرحلة ـ آنذاك ـ جرت العادة إذا أتم الصبى حفظ القرآن ـ الكريم ـ أن يقام له احتفال ، ادخالاً للسرور على الصبيان ، فضلاً عن تنشيط البعض الآخر على الاعتناء بالمواظبة على القراءة انتظاراً لهذا اليوم المرتقب ، الذى يتشوق إليه الصبى وأهله ، فضلاً عن المعلم عينه .

ولقد حفظت كتب التاريخ والفقه صوراً متعددة من المعمول به فى هذه الاحتفالات (الإصرافة) ، سوف يكتفى منها ـ هنا ـ بمثالين اثنين فقط ـ يمثل أولهما الاحتفال بيوم الختم لدى أولياء الصبى المنتمى إلى بيت ثقافة وعلم ،ويمثل ثانيهما الاحتفال بذات اليوم لدى عوام الناس ،مع ما فى احتفال ـ هؤلاء ـ من تناقض مع الغاية السلوكية المرجوة من وجود الصبى فى المكتب .

أما المثال الأول ، فقد أورده السخاوى فى " التبر المسبوك" مخبراً عن ختم " النجمى يحيى ابن القاضى بهاء الدين ابن حجى " ،قائلاً:

" ... وصلى النجمى يحيى ابن القاضى بهاء الدين ابن حجى بالناس التراويح بالمدرسة الباسطية ... جرياً على عادة كثير ممن يختم القرآن من الأطفال ، فكان ختماً حافلاً ، حضر فيه جميع القضاة ومقدمى

---

(١) ابن الاخوة . معالم القربة ص ١٧١ .
(٢) ابن الحاج . المدخل ج ٢ ص ٣٢٨ .

الألوف والمباشرون وسائر المتعممين ، ومد لهم سماط حلوى بالدوار . وقرأ شيخنا (ابن حجر العسقلانى) حديثاً أورده عنه فى خطبته " .(١)

وأما المثال الثانى ، فقد أورده " ابن الحاج " فى مدخله ، مشيراً إلى أنهم كانوا يزينون المكتب " بالحرير وغيره أرضاً وحيطاناً وسقفاً " ،ويعلقون فيه " الصور " و " يجعلون لوح الإصرافة مكفتاً بالفضة فى خرقة من حرير " ، ويزينون الصبى الذى له الإصرافة " كما يزينون النساء ، فيحففونه ويخططونه ويلبسونه الحرير ، ويحلونه بالقلائد من الذهب وغيره ، مع قلائد العنبر ، كأنه عروس تجلى ، ويركبونه على فرس أو بغلة مزينة باللباس من الحرير والذهب وغيرهما ، فيجعلون عليها كنبوشاً من الحرير الزركش بالذهب ، ويلبسون وجهها وجهاً من ذهب ... ويحملون أمامه أطباقاً فيها ثياب من حرير وعمائم معممة على صفة ، ثم هم يختلفون فيما يفعلون بين يديه ، فمنهم من يُمْشِى بين يديه صبيان المكتب وينشدون فى طريقه إلى أن يوصلوه إلى بيته . ومنهم من يضيف إلى ذلك القراء يقرؤون كتاب الله — عز وجل — بين يديه ... ثم يضيفون إليه المكبرين والمؤذنين ... ومنهم من يضرب بين يديه بالطبل والبوق ، وبعضهم يمشون الفيل والزرافة بين يديه مع رمى النفط ، وبعضهم يُمْشِى بين يديه المغنية وطائفتها مكشوفة على ما يُعْهد من حالها ، مع ضرب الطار والشبابة والغناء " .(٢)

ثانياً — المدارس :

أعقب سقوط الخلافة الفاطمية فى مصر على أيدى الأيوبيين قيام " الناصر صلاح الدين يوسف " وخلفاؤه فى السلطنة بمحاولة القضاء على آثار المذهب الشيعى فى مصر ، فكان من وسائلهم فى ذلك انشاء العديد

(١) السخاوى . التبر المسبوك ص ٩٨ .

(٢) ابن الحاج . المدخل ج ٢ ص ٢٤٢ — ٢٤٣ .

من المدارس[1] السنية[2] فى العاصمة وفى الأقاليم ، إلى جانب ما كـان فى بعضها ـ من قبل[3] ـ لتكون مراكز للتعليم ، يُنشر من خلالها المذهب

---

(1) المِدْراسُ والمِدْرَسُ : الموضع الذى يُدْرَسُ فيه ، والمِدْرَسُ الكتاب ، والمدارس الذى يقرأ الكتب ويُدْرِسُها ، ودَرَسَ الكِتابَ ، يَدْرُسُهُ دَرْساً ودِراسةً ودارَسَهُ ، انقاد لحِفْظِهِ ، ومنه قوله تعالى : ((وكذلك نصرفُ الآياتِ وليقولوا دَرَسْتَ)) (١٠٥ : الأنعام) ، بمعنى : تَعَلَّمْتَ وعلمت أو أقرأت ، وفى الحديث : " تدارَسُوا القرآن " ، أى : إقرءوه وتعهدوه لئلا تنسَوْهُ .

راجع : الجوهرى ، الصحاح ج ٣ ص٩٢٧ ، ابن منظـور ، لسان العرب ج ٢ ص١٣٦٠ ، الفيروزابادى ، القاموس المحيـط ص٧٠٢ (مادة : درس) .

(2) حيث بنى " صلاح الدين الأيوبى " سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠م ، وهو مايزال وزيراً للعاضد مدرستين ، هما : "الناصرية" للشافعية ، و " القمحية " للمالكية (المقريزى ، الخطط ج ٢ ص٣٤٣ ، ٣٦٣ـ ٣٦٤) ، وفى أثناء سلطنته بُنِيَت " السيوفية " للحنفية (نفسـه ج ٢ ص٣٤٣ ، ٣٦٥ـ ٣٦٦) وغيرها ، وقلده فى ذلك خلفاؤه فـى دولته من السلاطين ، فضلاً عن الأمراء والتجار وغيرهم ، فكان مـن جملة هذه المدارس المستحدثة فى مصر ـ آنذاك ـ التقوية (نفسـه ج ٢ ص٣٦٤ ـ ٣٦٥) والفاضلية (نفسه ج ٢ ص٣٦٦ ـ٣٦٧) والعادلية (نفسه ج ٢ ص٣٦٥) والأزكشية (نفسه ج ٢ ص٣٦٧) والغزنوية (نفسه ج ٢ ص٣٩٠) والقطبية (نفسه ج ٢ ص ٣٦٥) والشريفية (نفسه ج ٢ ص٣٧٣ ـ ٣٧٤) والفائزية (نفسـه ج ٢ ص٣٦٥) والصاحبية (نفسه ج ٢ ص٣٧١ ـ ٣٧٣) والكامليـة (نفسه ج ٢ ص٣٧٥ ـ ٣٧٨) والفخرية (نفسه ج ٢ ص ٣٦٧) والسيفية (نفسه ج ٢ ص٣٦٨) والعاشورية (نفسه ج ٢ ص٣٦٨) والمسرورية (نفسه ج ٢ ص٣٧٨) والصيرمية (نفسه ج ٢ ص٣٧٨) والصالحية (نفسه ج ٢ ص٣٧٤ ـ ٣٧٥) ، ومدرستى ابـن الأرسوفى (نفسه ج ٢ ص٣٦٤) وابن رشيق (نفسه ج ٢ ص٣٦٥)

وراجع : د . أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها (العصر الأيوبى) ج ٢ ص٥٥ ـ ٧٥ .

(3) من ذلك الإسكندرية التى لم تتأثر كثيراً الحركة الفكرية فيهـا بالتشيع ، على نحو ما عُرِفَ فى القاهرة ـ مركز الخلافة الفاطميـة وعاصمتها ـ لطبيعتها الساحلية التى جعلتها معبراً للتجـارة ، وحجيج المغاربة المجتازين لها فى طريقهم إلى الحجاز ، فضـلاً عن أن السلطة الفاطمية لم تكن فيها بالقوة المعهودة فى العاصمة =

السنى .(١)

وورث سلاطين المماليك - فيما ورثوه عن الأيوبيين - نظامهم التعليمى ، فخطت المدارس فى عهدهم خطوات واسعة نحو التقدم ، وتعددت اهتماماتها وتنوعت ، وساعد على ذلك عدة عوامل ، منها : رعاية هؤلاء السلاطين لتلك المدارس ، بالإضافة إلى مساهمتهم(٢) وكبار

= فقامت فيها مدارس سنية فى ظل الحكم الفاطمى ، منها : حلقات " الطرشوشى " ، ومدرستا " أبى طاهر ابن عوف " و " الحافظ السلفى " .

راجع : د . جمال الدين الشيال . تاريخ مدينة الإسكندرية فى العصر الإسلامى ص٤٧ - ٤٩ ، د . السيد عبد العزيز سالم . تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ص ٢١٨ - ٢١٩ ، د . عبد الغنى محمود . التعليم فى مصر ص ١٧١ - ١٧٩ .

(١) القلقشندى . صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٦٣ ، المقريزى . الخطط ج ٢ ص ٣٦٣ .

(٢) من ذلك بناء " الظاهر بيبرس " للظاهرية (ابن عبد الظاهر . الروض الزاهر ص ٩٠ ، ابن أيبك الدوادارى . كنز الدرر ج٨ ص١٠٣ ، المقريزى . الخطط ج ٢ ص ٣٧٨ - ٣٧٩ ، السلوك ج ١ ص ٥٠٤ ، ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٢٠ ، عبد الباسط الحنفى . نزهة الأساطين ق ٥٨ ب) ، و " المنصور قلاوون " لمدرستى تربة أم الصالح (المقريزى . الخطط ج ٢ ص ٣٩٤) ، والمنصورية (نفسه ج ٢ ص ٣٧٩ - ٣٨١) ، و " الأشرف خليل " للأشرفية العتيقة (ابن دقماق . الانتصار ج ٤ ص ١٢٤ ، ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٢٥ ، عبد الباسط الحنفى . نزهة الأساطين ق ٦٠ ب) ، والناصر حسن لمدرسته (المقريزى . الخطط ج ٢ ص ٣١٦ - ٣٢٠ ، ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣٠٦ ، عبد الباسط الحنفى . نزهة الأساطين ق ٦٥ أ) ، والأشرف شعبان لمدرسته (المقريزى . السلوك ج ٢ ص ٢٥١ ، ابن حجر . إنباء الغمر ج ١ ص ١٠٣ - ١٠٤ ، ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٦٧ ، عبد الباسط الحنفى . نزهة الأساطين ق ٦٦ ب ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ١ ق ٢ ص ١٥٣ .

كما بنى - فى الفترة موضع البحث - " الظاهر برقوق " الظاهرية (ابن دقماق . الجوهر الثمين ج ٢ ص ٢٦٥ ، المقريزى . السلوك ج ٣ ص ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٩٤٦ ، ابن قاضى شهبة . التاريخ ج ٣ ص ١٨٣ ، ١٨٥ ، ابن حجر . إنباء الغمر =

الشخصيات(١) فى مجتمعهم فى انشاء وتمويل غيرها ، فضلاً عن نباهة

= ج ١ ص ٣١٣ ـ ٣١٤ ، ج ٢ ص ٦٨ ، ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ج ٣ ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ ، النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٢٤٠ ، ج ١٢ ص ١١٣ ، السخاوى ، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٢) و " المؤيد شيخ " المؤيدية (المقريزى ، الخطط ج ٢ ص ٣٢٨ ـ ٣٣٠ ، ابن حجر ، إنباء الغمر ج ٣ ص ٩٠ ، ١٠٢ ، العينى ، السيف المهند ص ٢٧٢ ، عقد الجمان (ط . الزهراء) ص ١٠٨ ، السخاوى ، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٠ ، عبد الباسط الحنفى ، نزهة الأساطين ق ٧٠ أ) ، و " الأشرف برسباى " الأشرفية (المقريزى ، الخطط ج ٢ ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ ، ابن حجر ، إنباء الغمر ج ٣ ص ٣٤٣ ، ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ج ٣ ص ٢٧٦ ، عبد الباسط الحنفى ، نزهة الأساطين ق ٧١ أ) ، و " الأشرف قايتباى " لمدرسته (السخاوى ، الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٠٦ ـ ٢١٠ ، عبد الباسط الحنفى ، نزهة الأساطين ق ٧٤ أ ، القرمانى ، أخبار الدول ص ٢١٧) ، و " الأشرف قانصوه الغورى " لمدرسته (عبد الباسط الحنفى ، نزهة الأساطين ق ٧٧ أ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ج ٤ ص ٥٢ ـ ٥٣ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ج ٥ ص ٨٧) .

(١) من ذلك بناء بعض الأمراء للمدارس ، كالفارقانية (المقريزى ، ج ٢ ص ٣٦٩) والصاحبية البهائية (نفسه ج ٢ ص ٣٧٠ ـ ٣٧١) والصاحبية (نفسه ج ٢ ص ٣٧٠ ـ ٣٧١) و الناصرية (نفسه ج ٢ ص ٣٨٢) والطيبرسية (نفسه ج ٢ ص ٣٨٣) والآقبغاوية (نفسه ج ٢ ص ٣٨٣ ـ ٣٨٦) والحسامية (نفسه ج ٢ ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧) والمنكوتمرية (نفسه ج ٢ ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨) والقرا سنقرية (نفسه ج ٢ ص ٣٨٨ ـ ٣٩٠) والبوبكرية (نفسه ج ٢ ص ٣٩٠ ـ ٣٩١) والبقرية (نفسه ج ٢ ص ٣٩١) والبدرية (نفسه) والبديرية (نفسه ج ٢ ص ٣٩٢) والمالكية (نفسه) والجمالية (نفسه ج ٢ ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣) والفارقية (نفسه ج ٢ ص ٣٩٣) والسابقية (نفسه ج ٢ ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤) والقيسرانية (نفسه ج ٢ ص ٣٩٤) والسعدية (نفسه ج ٢ ص ٣٩٧) والطفجية (نفسه ج ٢ ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨) والجاولية (نفسه ج ٢ ص ٣٩٨) والفارقانية (نفسه ج ٢ ص ٣٩٩) والبشيرية والمهمندارية ومدرسة الجاى (نفسه) ، والمجدية الخليلية (نفسه ج ٢ ص ٤٠٠) والصرغتمشية (نفسه ج ٢ ص ٤٠٣ ـ ٤٠٥) .

ومن مدارس الأمراء فى الفترة موضع الدراسة ، مدرسة =

المصريين – أنفسهم – وإقبالهم على العلم ، على النحو المدرك من قول ابن خلدون :

" ... وأما المشرق ، فلم ينقطع سند التعليم فيه ، بل أسواقه نافقة ،وبحوره زاخرة ، لاتصال العمران الموفور ، واتصال السند فيه ، وإن كانت الأمصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت ، مثل بغداد والبصرة والكوفة ، إلا أن الله – تعالى – قد أدال منها بأمصار أعظم من تلك وانتقل العلم منها إلى عراق العجم بخراسان وما وراء النهر من المشرق ، ثم

= إينال اليوسفي (المقريزي . الخطط ج ٢ ص ٤٠١)،وجمال الدين الآستادار (نفسه ج ٢ ص ٤٠١ – ٤٠٣) ، والزين مقبل الرومي (نفسه ج ٢ ص ٣٩٤) ،وابن عرام (نفسه ج ٢ ص ٣٩٤ – ٣٩٥) ،والسيف أيتمش البجاسي (نفسه ج ٢ ص ٤٠٠) ،وجانبك الصوفي (العيني . عقد الجمان (ط. الزهراء) ص ٣٤٤) ،وصفي الدين جوهر اللالا (نفسه ص ٥٦٦) ، وتغري برمش البكلمشي (نفسه ص ٥٨٨) .

ومن المدارس التي أنشأتها الخوندات (كريمات أو أزواج بعض السلاطين أو أمهاتهم) والأميرات : مدرسة خوند تتر ابنة الناصر محمد بن قلاوون ، وزوج بكتمر الحجازي ،المعروفة بالحجازية (المقريزي . الخطط ج ٢ ص ٣٨٢) ، ومدرسة خوند بركة ، أم الأشرف شعبان ، المعروفة بمدرسة أم السلطان (نفسه ج ٢ ص ٣٩٩ – ٤٠٠) ، ومدرسة أيدكين ، زوج السيفي بكجا الناصري، المعروفة بالمدرسة الصغيرة (نفسه ج ٢ ص ٣٩٤) .

ومن مدارسهن في الفترة موضع الدراسة مدرسة خوند مغل ، زوج الظاهر جقمق (الصيرفي . إنباء الهصر ص ٤٦٥ – ٤٦٦) ومدرسة فاطمة ابنة قانباي العمري (السخاوي . الضوء اللامع ج ١٢ ص ٦٢١).

ومن المدارس التي أقامها التجار : مدرسة البدر الخروبي (المقريزي . الخطط ج ٢ ص ٣٦٩ – ٣٧٠) ، وفي الفترة موضع الدراسة : مدرسة التاج الخروبي (نفسه ج ٢ ص ٣٦٨) والعز الخروبي (نفسه ج ٢ ص ٣٧٠) ، وناصر الدين محمد بن مسلم البالسي (نفسه ج ٢ ص ٤٠١) .

ومن المدارس التي أقامها العلماء : المهذبية (نفسه ج ٢ ص ٣٩٧) ومدرسة بني السويدي (العيني . عقد الجمان (ط الزهراء) ص ٥٦٧) .

وفي الفترة موضع الدراسة ، مدرسة السراج البلقيني (ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٢٤٧ ، الصيرفي . نزهة النفوس ج ٢ ص ١٧١) ، ومدرسة البدر العيني (راجع ترجمته من هذا البحث) .

إلى القاهرة وما إليها من المغرب ، فلم تزل موفورة وعمرانها متصلاً ، وسند التعليم بها قائماً .

فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعلم العلم ، بل وفي سائر الصنائع ، حتى ليظن كثير من رحالة أهل المغرب إلى المشرق في طلب العلم أن عقولهم على الجملة أكمل من عقول أهل المغرب ، وأنهم أشد نباهة وأعظم كيساً بفطرتهم الأولى " .(١)

ونعت " ابن ظهيرة " لهم بحسن الفهم في العلوم الشرعية وغيرها من سائر العلوم ، وسرعة التصور ، والاقتدار على الفصاحة بطباعهم وعذوبة ألفاظهم ولطافة شمائلهم وحسن وسائلهم ، مشيراً إلى أن ذلك " أمر محسوس ، غير منكور ، تشهد لهم بذلك الناس حتى إن كل من عرفهم وخالطهم اكتسب من فصاحتهم ، واختلس من لطافتهم ، وإن كان أعجمياً قحاً أو فلاحاً جلفاً " .(٢)

وكذا ما كان مخصصاً لهذه المدارس ولغيرها من الأوقاف المغلة (٣) التي كانت سبباً في عمارتها (٤) ، وعاملاً ـ رئيساً ـ في اجتذاب طالب العلم ومعلمه وغيرهما (٥) إليها ، على حد قول ابن خلدون :

---

(١) ابن خلدون . المقدمة ج ٣ ص ١٠٢٢ .

(٢) ابن ظهيرة . الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ص ٢٠٤ .

(٣) راجع : د . محمد محمد أمين . الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ص ٢٤٠ ـ ٢٥٩ .

(٤) يفهم ذلك من قول المقريزي (الخطط ج ٢ ص ٣٦٤) في مجال حديثه عن المدرسة الناصرية (الشريفية) : " ... ولولا ما يتناوله الفقهاء من المعلوم بها لخربت ، فإن الكيمان ملاصقة لها بعد ما كان حولها أعمر موضع في الدنيا " .

وقوله (نفسه) في معرض حديثه عن المدرسة القمحية : " ... وقد أحاط بها الخراب ، ولولا ما يتحصل منها للفقهاء لدثرت " .

(٥) إذ كانت المدرسة ـ آنذاك ـ محلاً لوظيفة أو أكثر من الوظائف الإدارية ، كالناظر على الوقف ، والمباشر ، والجابي ، والصيرفي ، والشاد ، وكاتب الغيبة ، أو الفنية ، كالمعمار والمرخم ، والسباك ، والنجار ، أو الخدمات ، كالطباخ ، والساقي، وسائق الساقية ، والمزملاتي ، أو من يقومون على نظافتها أو حراستها ، كالفراش ، والبواب ، والقيم ، أو من يقومون ـ

" ... ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعلم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر ، لما أن عمرانها مستبحر ، وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين ، فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ، ومن جملتها تعليم العلم ، وأكد ذلك فيها وحفظه ما وقع لهذه العصور بها منذ مائتين من السنين في دولة الترك من أيام صلاح الدين أيوب وهلم جرا ، وذلك أن أمراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يتخلفونه من ذريتهم لما له عليهم من الرق والولاء ، ولما يخشى من معاطب الملك ونكباته ، فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ، ووقفوا عليها الأوقاف المغلة ... مع ما فيهم — غالباً — من الجنوح إلى الخير والتماس الأجور في المقاصد والأفعال فكثرت الأوقاف لذلك ، وعظمت الغلات والفوائد ، وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جرايتهم منها ، وارتحل إليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ، ونفقت بها أسواق العلوم وزخرت بحارها ".(١)

ولعل في هذا ما يفسر قول " ابن بطوطة " : " ... وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها ".(٢) ، وما ذهب إليه " القلقشندي " من أن " من المدارس ما ملأ الأخطاط وشحنها ".(٣)

وتتفاوت هذه المدارس من حيث التأنق في البناء أو التقشف فيه ، وإن بزت المدارس المنسوبة إلى السلاطين مثيلاتها في ضخامة البناء وسعته وزخرفه ، مع غلبة تصميم معماري واحد — تقريباً — عليها ، تمثل في صحن مكشوف أو مغطى ، وحوله ايوانين أو أربعة أواوين متعامدة ذات شكل صليبي أكبرها ايوان القبلة ".(٤) ، مما جعلها لا تفترق — من حيث التصميم

= بالرعاية الطبية ، كالجرائحي والكحال والمجبر والطبيب ، فضلاً عن هيئة التدريس ، والممثلة في المدرس ، والمعيد ، والمفيد ، ثم الطلبة ، ومن بينهم المبتدئ والمنتهي .

راجع : السبكي . معيد النعم ومبيد النقم ص ١٠٥ — ١١٠ ، القلقشندي . صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٤ ، د . عبد الغني محمود . التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ص ١٩٥ — ٢٠٦ .

(١) ابن خلدون . المقدمة ج ٣ ص ١٠٢٥ .

(٢) ابن بطوطة . الرحلة ص ٣٧ .

(٣) القلقشندي . صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٦٤ .

(٤) د . عبد الغني محمود . التعليم في مصر ص ١٧٩ ، د . محمد محمد أمين . الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ص ٢٣٨ .

المعمارى – عن المسجد إلا بما يكون ملحقاً بها من مساكن للطلبة والمدرسين وغيرهم ، وبعض القاعات والحواصل .(١)

ولعل فى النقل التالى ، وقد أورده " الصيرفى " عن المدرسة المؤيدية ما يدلل على ضخامة وأناقة المدارس المنسوبة إلى السلاطين :

" ... وفى يوم الخميس ، الرابع من جمادى الآخرة (٨١٩ هـ ./ ١٤١٦م.) حفروا أساس الجامع ،فجاء جامعاً عظيم البنيان ،عالى الأركان ، مشتملاً على أعمدة من الرخام الملون الخالص ، واللازورد المعدنى ، والذهبى المصرى ، بحيث يحار الناظر فيه من عظم ما اشتمل عليه من الترتيب والتنظيم والمنبر المطعم وسدة المؤذنين من الرخام الأبيض كلون البللور ، بل أنقى ، منقوشة بالذهب واللازورد ، وجميع الجامع مفروش بالرخام السماقى والفستقى والأحمر والأسود ، وما صنع لها من الحصر العبدانى والبسط الحريرى الملونة ، وفى وسط الجامع فسقية على أعمدة من رخام عليها قبة عظيمة مزخرفة ، ولها بوابة فى غاية الارتفاع والعلو والصناعة ، وأبواب من النحاس الأصفر ، ملمعة بالذهب والفضة ،وبنى للجامع ثلاث منارات ، احداها على الجهة البحرية فى غاية التنميق والترصيع ، ليس لها نظير ، والثانيتان على برجى باب زويلة ، على كل برج مئذنة من الحجر الأبيض المنقوش بالذهب واللازورد ".(٢)

وعادة ما يحرص منشىء المدرسة على الصرف فى عمارتها من خالص ماله ، مع التورع عن غبن القائمين على عمارتها أجورهم ، على النحو الوارد فى انشاء " الظاهر بيبرس " لمدرسته ، وقد امتلك موضعها بالشراء ، وكتب إلى شاد عمارتها بأن " لا يستعمل فيها أحداً بغير أجرة ، ولا ينقص من أجرته شيئاً ".(٣) لكن قد تقع المخالفة فى ذلك من أحدهم – بما لا يتمشى مع الغاية التى بنيت المدرسة من أجلها ، وهى البر والتقرب إلى الله – حيث يشير " السخاوى " إلى أن الزين يحيى الأستادار بنى ثلاثة مدارس من

---

(١) د . عبد الغنى محمود . التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك ص ١٧٩ .
(٢) الصيرفى . نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص٣٦٦ .
(٣) المقريزى . الخطط ج ٢ ص ٣٧٨ – ٣٧٩ .

فائض ما كان يحصله ـ ظلماً وعسفاً ـ من " الأقاطيع والرزق " المرصـــــدة للمساجد ، ومصادرة ذوى الأموال من الفلاحين والمشايخ وغيرهم .(١)

وكثيراً ما صاحب الانتهاء من عمارة المدرسة حفل افتتــاح لائـــق بالمناسبة ، يحضره المنشئ ـ الواقف لها وغيره من المدعوين ،وتفرق فيـــه الحلوى وبعض المشروبات ـ التى غالباً ما تكون سكراً وليموناً ـ وتتقرر فيــه ـ كذلك ـ أحوالها .

ومن هذه الاحتفالات التى حفلت بوصفها المصادر ، الاحتفـــال بافتتاح " المدرسة المؤيدية " ، والذى أشار إليه " المقريزى " قائلاً :

" ... وفى يوم الجمعة حادى عشرينه (شوال ٨٢٢ هـ./١٤١٩م) نزل السلطان إلى جامعه ، وقــد هيئت المطاعم والمشارب ، فمد سمــاط عظيم ، وملئت البركة التى بصحنه سكراً قد أذيب بالماء ، وأحضرت الحلاوات، لإجلاس قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى الحنفى على سجادة مشيخة الصوفية ، وتدريس الحنفية ، وخطابة القاضى ناصر الدين محمد بـــن البارزى كاتب السر . فعرض السلطان الفقهاء ، وقرر منهم عند المدرسين السبعة من اختار ، ثم أكل على السماط ، وتناهبه الناس ، وشربوا السكــر المذاب ، وأكلوا الحلــوى ، ثم استدعى الديرى وألبس خلعة ، واستقر فــى المشيخة وتدريس الحنفية ، وجلس بالمحراب ، والسلطان وولده عن يساره ، والقضاة عن يمينه ، ويليهم مشايخ العلم وأمراء الدولة ، فألقى درساً تجاذب فيه أهل العلم أذيال المناظرة ، حتى قرب وقت الصلاة ، ثم انفضوا . فلمــا حان وقت الصلاة صعد ابن البارزى المنبر ، وخطب خطبة من انشائـــه ، بلغ فيها الغاية من البلاغة ، ثم نزل فصلى . فلما انقضت الصلاة خلع عليـــه ، واستقر فى الخطابة ، وخزانة الكتب . ثم ركب السلطان وعدى النيل إلـــى الجيزة ، فأقام إلى يوم الأحد ثالث عشرينه ، وعاد إلى القلعة ".(٢)

والاحتفال بافتتاح " المدرسة الظاهرية المستجدة " ، والـــذى أشار إليه " ابن دقماق " بقوله :

---

(١) السخاوى . الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٣٤ .

(٢) المقريزى . السلوك ج ٤ ص ٥٠٨ ـ ٥٠٩ .

" ... وفيها (٧٨٨ هـ / ١٣٨٦م .) كملت المدرسة الظاهرية المستجدة بين القصرين ، وجاءت فى غاية الحسن والبناء ، وفرشت فى ثالث رجب ، ونزل السلطان إليها ، ومد بها سماطاً عظيماً ، وملأ الفسقية سكراً وليموناً ، وقرر بها المدرسين والطلبة ، وولى مشيختها الشيخ علاء الدين السيرامى ، وخلع خلعاً كثيرة ، ورتب أحوالها .

وفى ذلك يقول الأديب شهاب الدين ابن العطار المصرى :

قد أنشأ الظاهر السلطان مدرسة
فاقت على إرم مع سرعة العمل

يكفى الخليلى بأن جاءت لخدمته
شم الجبال لها تسعى على عجل ".(١)

(البسيط)

وكانت الدراسة فى مثل هذه المدارس حرة ، بمعنى اختيار التلاميذ للشيوخ الذين يتحلقون حولهم ويدرسون عليهم ، لكن - عادة - ما تسبق فترة التلمذة عليهم حفظهم القرآن - الكريم - وبعض المختصرات فى أى من فنون المعرفة المتعارف عليها - آنذاك - ثم عرضها على الأساتيذ الذين يختبرون حفظهم لها ، ويجيزونهم بعراضتها ، على النحو المستخلص من قول السخاوى مترجماً ابن البرجى : " ... حفظ القرآن والتنبيه وألفية النحو وغيرها ، وعرض ، ثم تشاغل عنها إلى أن مضى الكثير من عمره ، فعاد إلى درسها فحفظها ، ولازم ابن أسد فى تفهمها ، واشتد حرصه على ذلك ، ولم ينفك عنه ".(٢) ، وقوله مترجماً البدر ابن المخلطة : " ... فحفظ القرآن ومختصر ابن الحاجب الفرعى وألفية ابن مالك وغيرها ، وعرض على جماعة ، ثم أقبل على العلم ".(٣) ، وقول عبد الباسط الحنفى مترجماً البرهان التروجى : " ... فحفظ القرآن - العظم - ثم حفظ المنهاج والعمدة والألفية ، وقدم القاهرة ، فعرض على جماعة من أعيان علماء ذلك العصر ، واشتغل ، وحضر دروس جماعة من الأكابر كالمناوى والبلقينى والقاياتى

---

(١) ابن دقماق . الجوهر الثمين ج ٢ ص ٢٦٥ .
(٢) السخاوى . الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢ .
(٣) نفسه ج ١٠ ص ٨ .

والونائى والعلاء القلقشندى وغيرهم ،وسمع الحديث على البدر الزركشي وغيره ".(١)

ويصف " القلقشندى " هذا الاختبار ، وشكل الإجازة بالعراضة ومضمونها ، قائلاً :

" وأما الإجازة بعراضة الكتب ،فقد جرت العادة أن بعض الطلبة إذا حفظ كتاباً فى الفقه ، أو أصول الفقه ،أو النحو ، أو غير ذلك من الفنون، يعرضه على مشايخ العصر ، فيقطع الشيخ المعروض عليه ذلك الكتاب ،ويفتح منه أبواباً ومواضع ، يستقرئه إياها من أى مكان اتفق ، فإن مضى فيها من غير توقف ولا تلعثم استدل بحفظه تلك المواضع على حفظه جميع الكتاب ، وكتب له بذلك كل من عرض عليه ، فى ورق مربع صغير ، يأتى كل منهم بقدر ما عنده من الملكة فى الإنشاء ، وما يناسب ذلك المقام من براعة الاستهلال ".(٢)

كما كان مباحاً للتلاميذ الانتقال من مدرسة إلى أخرى ، والدراسة فى عدد من المدارس أو الجوامع على جمع من الأساتيذ فى آن واحد ، على النحو المدرك من قول " السيوطى " :

" ... وكنت أذهب فى الفجر إلى دروس البلقينى ، فأحضر مجلسه إلى قرب الظهر ، ثم أرجع إلى الشمنى فأحضر مجلسه إلى قرب العصر ، هكذا ثلاثة أيام فى الجمعة : السبت والاثنين والخميس .

وكنت أحضر الأحد والثلاثاء عند الشيخ سيف الدين بكرة ، ومن بعد الظهر فى هذين اليومين ويوم الأربعاء عند الشيخ محيى الدين الكافيجى ".(٣)

لكن ليس صحيحاً ما ذهب إليه بعض الباحثين المحدثين (٤) من

---

(١) عبد الباسط ـ الحنفى . المجمع المفنن ق ٤ ب .
(٢) القلقشندى . صبح الأعشى ج ١٤ ص٣٢٧ .
(٣) السيوطى . التحدث بنعمة الله ص٢٤٠ ـ ٢٤١ .
(٤) محمد عبد الرحيم غنيمة . تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى . المغرب، ١٩٥٣ ، ص٢٧١ ، د. محمد عادل عبد العزيز . التربية الإسلامية فى المغرب (أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية) . القاهرة ،الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٧ ، ص٢٧ .

بساطة الالتحاق ـ آنذاك ـ بالمدارس والأخذ عن الشيوخ ، بحيث " لا يتطلب الأمر غير ذهاب الطالب إلى المدرسة أو المسجد ، حيث يجلس إلى الأستاذ الذى يريده " ، إذ لم يكن مباحاً ـ دائماً ـ للغرباء الصعود إلى المدارس (١) ، كما أن التلمذة على الشيخ كانت تتطلب ـ كذلك ـ في أحوال كثيرة وساطة ، يتبعها تحرى من الشيخ عن تلميذه (٢) ، وامتحانه له (٣) ، وربما نزل " الواقف " إلى مدرسته لعرض المرشحين للتتلمذ فيها ، منتقياً من بينهم من يراهم أهلاً للالتحاق بها . (٤) وإن لم

---

(١) حيث أشار " المقريزى " (الخطط ج ٢ ص ٣٨٢) إلى جلوس عدد من الطواشية فى دهليز المدرسة " الناصرية " بحيث " لا يُمكن غريبٌ أن يصعد إليها " .

(٢) من ذلك إشارة " عبد الباسط ـ الحنفى " (المجمع المفنن ق ١ ب) إلى توسل أحد العدول ـ وكان من أهل الفضل فى القاهرة ، وله رغبة فى طلب العلم ـ بالبدر ابن الغرس ـ أحد أعيان طلبة البرهان الهندى ، شيخ القانبانية ـ ليكون وسيلته إلى شيخه فى أخذ شئ من العلم عنه ، واتيانه به إلى الشيخ ، ومفاتحته فى أمره ، التماساً لإجابة سؤاله ، وإجابة الشيخ إلى ذلك ، فما قام التلميذ إلى حال سبيله حتى سأل الشيخ " عنه ، وعن حرفته ، وجهة معيشته " .

كما جعل " ابن جماعة " (تذكرة السامع والمتكلم ص ٦٠) وتبعه فى ذلك " السمهودى " (جواهر العقدين ق١ ص٣٠٧) من آداب العالم مع طلبته مطلقاً فى حلقته " أن يستعلم أسماءهم ، وأنسابهم ، ومواطنهم ، وأحوالهم " .

(٣) إذ يشير " السخاوى " (الذيل على رفع الإصر ص ١٤) إلى أن " العز الحنبلى " رام قراءة الألفية على " المجد ، أبى البركات الحنبلى " فلم يمكنه من ذلك إلا بشرطين ، وهما : قراءة صفحة عليه يختبر فيها جودة اعرابه ، واستظهاره جميع " الملحة " ، وكان سلف منه حفظ نصفها الأول ، فاهتم ـ ليلتئذ ـ بحفظ باقيها ، ووفى له بما شرطه .

(٤) من ذلك نزول " المؤيد شيخ المحمودى " إلى المؤيدية ، وعرضه لطلبتها ، حيث " قرر من شاء ، وصرف من لم يصلح فى نظره " .

راجع : المقريزى ، السلوك ج ٤ ص ٥٠٨ ، ابن حجر ، إنباء الغمر ج ٣ ص ٢٠١ .

تكن هناك سن معينة لقبولهم فى المدارس ، أو استمراريتهم فيها (١) ، إذ الاستمرار فى الدراسة كان موقوفاً ـ غالباً ـ على رغبة التلميذ فى ملازمة الشيخ والأخذ عنه ، فضلاً عن المواظبة على حضور دروسه ، وعدم الانقطاع عنها إلا بعذر مقبول .(٢)

ويتفاوت عدد تلاميذ المدارس تبعاً لضخامة بنيانها وسعته ، أو بساطتها وضيقها ، وكذا بحسب ريع أوقافها ، فمدرسة " الناصر حسن بن قلاوون " بلغ عدد تلامذتها ـ آنذاك ـ فى المذاهب الفقهية الأربعة ـ خلا الحديث والتفسير ـ أربعمائة تلميذ (٣) ، وقد كانت مدرسة هائلة البناء ، " ما عمر مثلها فى الإسلام ، ولا نظير لها فى الدنيا "(٤) ـ حسب زعمهم ـ بينما لم يزد تلاميذ المدرسة " البديرية " عن ثلاثة فقط (٥) ، وهى مدرسة صغيرة لا يكاد يصعد إليها أحد .(٦)

كما لم تكن السن مرعية ـ كذلك ـ فى تعيين المدرسين إلا فى يسير من المدارس ، حيث اشترط " واقف " المدرسة " المسلمية " أن تكون سن مدرسها فى حدود الأربعين (٧) ، بينما وجد أن " البرهان ابن الديرى " قد درس فى " الفخرية " قبل استكمال خمس عشرة سنة من عمره (٨)

---

(١) السبكى . معيد النعم ومبيد النقم ص ١٠٨ .

(٢) إذ نصت حجة وقف الأمير " صرغتمش " (راجع : نشرة د . عبد اللطيف إبراهيم . مج ٢٧ ص ١٤٨) على أن " من انقطع منهم ثلاثة أيام من كل أسبوع بغير عذر قطِعَ ، ونُزِلَ مكانه " .

(٣) راجع : حجة وقف السلطان حسن بن قلاوون (رقم : ٨٨١ ـ أوقاف) .

(٤) عبد الباسط الحنفى . نزهة الأساطين ق ٦٥ أ .
وراجع : المقريزى . الخطط ج ٢ ص ٣١٦ ـ ٣٢٠ ، ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣٠٦ ، السيوطى . حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

(٥) راجع : حجة وقف " محمد بن بدير " (رقم : ٤٣ ، محفظة ٧ ـ دار الوثائق) .

(٦) المقريزى . الخطط ج ٢ ص ٣٩٢ .

(٧) السخاوى . الذيل على رفع الإصر ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ .

(٨) نفسه ص ٥ .

كما سوف نجد من خلال دراسة ترجمات المؤرخين في الأبواب التالية ، أن بعضهم اشتغل بالتدريس وقد بلغ سناً عالية ،وأنه ظل على وظيفته تلك إلى حين وفاته .

وكان بوسع هؤلاء المدرسين أن يدرسوا علومهم في أكثر من مدرسة ـ وقد عينوا فيها من قبل بعض السلاطين ، أو الواقفين ، أو نظار الوقف ـ فقد أشار " ابن الفرات " إلى أن " الزين العراقي " أُسْنِدَ إليه في يوم واحد ، وهو يوم الاثنين ، الثامن عشر من المحرم (٧٩٣ هـ . / ١٣٩١م.) تدريس الظاهرية العتيقة والفاضلية .(١) كما أشار " السخاوي " إلى أن " العز الحنبلي " كان بيده حال الوفاة (ت ٨٧٦ هـ. / ١٤٧١م.) تدريس " المؤيدية " ، و " الأشرفية " ، و " الجمالية " ، و " الحسنية " ،و "أم السلطان " ، فضلاً عن " الشيخونية " ، والتصدير في " الجامع الأزهر " .(٢) وأن " العلم البُلقيني " كان بيده حال الوفاة (ت ٨٦٨هـ / ١٤٦٤م.) تدريس التفسير في " البرقوقية " ، والحديث في "القانبيهية " ، والفقه في " الخشابية " و " الشريفية " ، فضلاً عن مدرستهم .(٣)

وقد يُسْنَدُ تدريس مادتين في مدرسة واحدة إلى مدرس بعينه ، كنحو اسناد " الظاهر برقوق " إلى المحب البغدادي (ت ٨٤٤ هـ . / ١٤٤٠م.) تدريس " الحديث " و " الفقه الحنبلي " في مدرسته .(٤)

أما أيام الدراسة ، فقد تراوحت بين ثلاثة أيام وخمسة من كل أسبوع ، حسب شروط " الواقف ".(٥) ، ألقيت فيها الدروس فيما بين طلوع الشمس وآذان العصر ـ مع مراعاة عدم التطويل(٦) ـ وإن تفاوتت ـ كذلك ـ

---

(١) ابن الفرات . التاريخ ج ٩ ص٢٤٦ .
(٢) السخاوي . الذيل على رفع الإصر ص ٤١ ،الضوء اللامع ج ١ص٢٠٧ .
(٣) السخاوي . الذيل على رفع الإصر ص ١٨٠ .
(٤) نفسه ص١١٤ ـ ١١٥ .
(٥) د . محمد محمد أمين . الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .
(٦) ابن جماعة . تذكرة السامع والمتكلم ص ٣٨ ، السمهودي . جواهر العقدين ق ١ ص ٢٨٧ .

مدة الدراسة السنوية ، تبعاً للتفاوت فى العطلات المسموح بها ، وهـــى عطلات (أجازات) مرتبطة بالمناسبات الدينية .(١)

ويشير " السخاوى " إلى حنق " ابن خلدون " لكون طلبته عطلـوا الحضور للدرس عنده ، التماسا لرؤية " الظاهر برقوق " مقائلاً :

" ... هؤلاء قدموا رؤية بنى الدنيا على الآخرة ، فواللـه لاأقربهم أبـداً " .(٢)

على أن السمة الغالبة على الدراسة فى مثـل هذه المدارس هـــى تدريس " العلوم الشرعية ، من التفسير ، والحديث ، والفقـه ، والنحـــو ، والتصريف ، ونحو ذلك ".(٣) ، أى علوم " الدين " و " اللغة " ، وإن دُرِسَ إلى جانبها علوم أخرى ــ لم يحددها الواقف(٤) ــ فقد كان " ابن المجدى " يدرس فى " علم الهيئـة ، والهندسة ، والميقات ، والفرائض ، والحساب ، والجبر ، والمقابلة ، وغيرها ".(٥) ، كما كان " العز ابن جمـاعة " متفننـاً فى علوم كثيرة ، " بحيث إنه كان يقول : أنا أقرىء فــى خمسة عشر علمـــاً ، لا يعرف علماء عصرى أسماءها " .(٦)

---

(١) راجع : د . عبد اللطيف إبراهيم . نصان جديدان من وثيقـــة الأمير صرغتمش ج ٢٧ ص ١٤٨ ، د . محمد محمد أمين . الأوقـاف والحياة الاجتماعية فى مصر ص ٢٥٠ ــ ٢٥١ .

(٢) السخاوى . الذيل على رفع الإصر ص ٢٢٢ .

(٣) القلقشندى . صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٤ .

(٤) أشار إلى ذلك السبكى (معيد النعم ومبيد النقم ص ١٠٧) ، قائلاً :

" ... وعندى أن الذمة لا تبرأ فى المدرسة الموقوفة علـــى الفقهاء إلا بإلقاء الفقه ، فإن كان هذا المدرس لا يلقى الفقـــه رأساً فهو آكل حرام . وكذا نقول فى مدرسة التفسير إذا ألقـــى مدرسها غير تفسير ، ومدرسة النحو إذا ألقى مدرسها غير النحـو . والأحوط فى هذا كله الإلقاء من الفن الذى بُنِيت له المدرســـة ، فإن الواقف لو أراد غير ذلك لسمى ذلك الفن " .

(٥) السخاوى . الذيل على رفع الإصر ص ١٤٢ .

(٦) ابن حجر . المجمع المؤسس ق ١٢٥ أ ، السخاوى . الجواهـــر والدرر ج ١ ص ٨٠ ، الذيل على رفع الإصر ص ٧٩ ، الضـــوء اللامع ج ٢ ص ٣٧ ، السيوطى . بغية الوعاة ج ١ ص ٢٣٠ .

إذ كثيراً ما كان المدرس أو مصنف الكتاب يستطرد في موضوعه إلى فوائد علمية متنوعة ، يضمنها الدرس أو الكتاب ـ بحسب إلمامه وطاقته ـ على نحو ما سوف يُشارُ إليه من خلال دراسة تراثهم التاريخي في الأبواب التالية .

كما أن شروط الواقف ـ في بعض الأحيان ـ لم تكن صارمة ، " فالظاهر برقوق " ، وقد وقف مدرسته ـ الظاهرية المستجدة ـ على تدريس " العلوم الشرعية " يستدرك على ذلك ، قائلاً :

" ... ويشغل (المدرس) كل واحد من الطلبة المذكورين فيه فيما يختاروه من فقه مذهبه وأصوله وتفسير ونحو وأصول دين ، وغير ذلك " .(1)

والمستخلص من كتب التراجم والفقه ، أن تلاميذ المدارس كانوا يسبقون إليها صحبة معيديهم (2) ونقيبهم (3) ، فيسلم بعضهم على بعض (4) ، ويمكثون ـ هناك ـ انتظاراً لمقدم شيخهم (مدرسهم) ، الذي يدخل إليهم طلق الوجه (5) ـ وقد " تطهر من الحدث والخبث ، وتنظف وتطيب ،ولبس أحسن ثيابه اللائقة به بين أهل زمانه ،(6) ـ مسلماً ، مرحباً ، ثم يصلي ركعتين ، داعياً الله ـ تعالى ـ بالتوفيق والإعانة

---

(1) راجع : حجة وقف " الظاهر برقوق " (رقم : 51 ، محفظة 9 ـ دار الوثائق) .

(2) عَرَفَ القلقشندي (صبح الأعشى ج 5 ص464) المعيد ، بأنه ثاني رتبة المدرس ،وأصل موضوعه أنه إذا ألقى المدرس الدرس وانصرف ، أعاد للطلبة ما ألقاه إليهم ليفهموه ويحسنوه .
وراجع : السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ص108 ،د . عبد اللطيف إبراهيم ، نصان جديدان مج 27 ص147 .

(3) أشار السمهودي (جواهر المقدين ق 1 ص290) إلى أن " النقيب " كان يرتب الحاضرين ، وينظم دخولهم ، ويوقظ النائم ،ويأمر بسماع الدروس والإنصات لها .

(4) نفسه ق 1 ص365 .

(5) ابن فضل الله العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف ص135 .

(6) ابن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم ص30 ـ 31 ، السمهودي ، جواهر المقدين ق 1 ص277 .

والعصة(١) ،يجلس بعدهما جلسة غير مستنكرة(٢) ، مستقبلاً القبلة أو مستدبراً لها ، بارزاً لجميع حاضري مجلسه(٣) ،وقد تحلق من حوله تلامذته ،في أنصاف دوائر ، متأدبين في جلستهم بين يديه (٤) ،مقبلين بكليتهم عليه(٥) ـ وقد روعي أن يكون المتميزون منهم قبالته ،والمعيدون أو الزائرون على يمينه ويساره ـ فإذا ما اكتمل جلوسهم ،وضُبِطَ حُضُورهم ، بدأ بقراءة شيء من القرآن ـ الكريم ـ تبركاً وتيمناً ، داعياً لنفسه وللحاضرين ولسائر المسلمين ، مستعيذاً بالله ،حامداً له ،مصلياً على نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ داعياً للواقف .(٦) ثم يشرع في درسه شروعاً أُخْتُلِفَ في تقريره من مدرس لآخر ، فبعضهم كان يعين تلميذاً أو معيداً للقراءة عليه من كتاب فإذا ما قطع في قراءته قدر ورقة أو مسألة أو فصل ، تعقبه بشرحه ، على نحو ما فعل " أبو الفضل الزواوي " وقد درس " في عدة فنون ، فبهر العقول ، وأدهش الألباب ، فكان يقرأ القارئ بين يديه ورقة أو أكثر ، ثم يسرد ما تتضمنه من تصوير المسائل ،ويستوفي كلام أهل المذهب إن كان فقهياً ، وكلام الشارحين إن كان غير ذلك ،ثم يتبع ذلك بأبحاث تتعلق بتلك المسائل ، كل ذلك في أسلوب غريب ، ونمط عجيب ،بعبارة جزلة ، وطلاقة ،كأنها السيل ،وتحرز بديع ، بحيث يكون جهد الفاضل الباحث عند غيره أن يفهم ما يلقيه ،ويدرك بعض إدراك ما يجليه "(٧) ،مما جعل طلبته يقولون له :

---

(١) ابن جماعة . تذكرة السامع والمتكلم ص٣٢ ،السمهودي . جواهر العقدين ق ١ ص ٢٨١ .

(٢) نفسيهما ص٣٢ ، ق ١ ص٢٨٤ ، على التوالي .

(٣) السمهودي . جواهر العقدين ق ١ ص٢٨٢ ـ ٢٨٤ .

(٤) نفسه ق ١ ص٣٤٣ ـ ٣٤٨ .

وفيه : " أن يجلس بين يدي الشيخ جلسة الأدب ،كما يجلس الصبي بين يدي المقرئ ، أو متربعاً بتواضع وسكون وخشوع .... لا يضطرب لصيحة يسمعها أو يلتفت إليها ... ولا ينفض كمه ، ولا يحسر عن ذراعه ، ولا يعبث بيديه أو رجليه أو غيرهما من أعضائه ... الخ ".

(٥) نفسه ق١ ص٣٤٤ .

(٦) ابن جماعة . تذكرة السامع والمتكلم ص٣٤ـ٣٥ ،السمهودي . جواهر العقدين ق١ ص٢٨٥ .

(٧) السخاوي . الضوء اللامع ج ٩ ص١٨٣ تر ٤٦٦ .

" تنزل لنا فى العبارة ،فإنا لا نفهم جميع ما تقول " ، فيجيبهم قائلاً :
" لا تنزلونى إليكم ،ودعونى أرقيكم " .(١)

كما أن " التاج البُلقينى " " لما استقر فى الخشابية والشريفية صار يكتب على الروضة من محل الدرسين على جارى عادة أهل بيته ، ولاتخلو دروسه من عنديات وأبحاث مبتكرة " .(٢)

أما " البرهان ابن جماعة " ، فكانت " طريقته أنه يلقى الآية أو المسألة ، فيتجاذب الطلبة القول فى ذلك والبحث ، وهو مصغٍ إليهم ، إلى أن يتناهى ما عندهم ، فيبتدئ فيقرر ما ذكروه ، ثم يستدركُ مالم يتعرضوا له ،فيفيد غرائب وفوائد " .(٣)

وفى كل هذا يكون صوت المدرس مناسباً ، بحيث لا يرفعه زائداً عن قدر الحاجة ،ولا يخفضه خفضاً لا يحصل معه كمال الفائدة ، بل " الأولى أن لا يجاوز صوته مجلسه "(٤) .

فإذا ما فرغ من تقرير مسألة ،أو فصل ، سكت قليلاً حتى يتكلم من فى نفسه من تلامذته كلام عليه(٥) ــ من غير لغط من الحاضرين ، أو تجاوز من السائل ، أو سوء أدب ،وإلا فهناك الزجر والعقوبة(٦) ــ وقد التفت المدرس إلى سائله أو مباحثه وأقبل عليه وسمع سؤاله على وجهه(٧) ، منصفاً له فى بحثه(٨) ، غير مستنكف من عدم الاستفادة من طالب مباحثته مالم

---

(١) المصدر السابق ج ٩ ص١٨٣ .
(٢) السخاوى . الذيل على رفع الإصر ص٣٤١ .
(٣) ابن حجر . رفع الإصرج ١ ص٣٣ .
(٤) ابن جماعة . تذكرة السامع والمتكلم ص٣٩ ، السمهودى . جواهر العقدين ق ١ ص٢٨٧ .
(٥) إذ لم يكن جائزاً للتلاميذ قطع كلام شيوخهم أو مسابقتهم فيه ، فضلاً عن مساوقتهم (السمهودى . جواهر العقدين ق١ص٣٥٣) .
(٦) ابن جماعة . تذكرة السامع والمتكلم ص٤٠ ، السمهودى . جواهر العقدين ق ١ ص٢٨٨ .
(٧) السمهودى . جواهر العقدين ق ١ ص٢٨٥ ، ٢٩٠ .
(٨) ابن جماعة . تذكرة السامع والمتكلم ص٢٨ ، السمهودى . جواهر العقدين ق ١ ص٢٧٢ .

عنده ، أو التصريح بعدم معرفته بما قد لا يعرفه .(١)

ومن طريف ما يُروى في ذلك ، ما أشار " السخاوي " إليه من أن " الشمس البرماوي " حضر درس " العلاء ابن المغلي " ـ وكان أولهما شافعياً ، وثانيهما حنبلياً ـ فسأل المدرس عن حكم في "مذهب الشافعي" ، فأجاب " البرماوي " بأن قال : " فيه قولان ، أو وجهان " ، فقال " ابن المغلي " : " بل ثلاثة " ، وسرد ما قال ، فما انتهى المجلس حتى نقل المدرس في مسألة عن إمامه (أحمد بن حنبل) روايتين ، فاتفق أن " البرماوي " كان استحضر لهما ثالثة ، فقال : " بل ثلاثة " ، فكانت من غرائب الاتفاقيات .(٢)

ولا يكاد الدرس يفرغ ، حتى يمتحن المدرس تلامذته ، مراعياً في توجيه سؤاله إليهم مخاطبتهم بالكنى ، أو بأحب الأسماء إليهم ، تعظيماً لهم ؛ مصرحاً بعد ذلك بانتهاء درسه ، وبألفاظ واضحة ، كأن يقول : " هذا آخره ، والله أعلم " ، أو " ما بعده يأتي إن شاء الله تعالى " . . . وهكذا .(٣)

هذا عن مجالس العلم التي تُنْشَد فيها المعرفة ، وتكون محلاً للبحث والتفهيم والمناظرة .

وهناك نوع آخر ، وهو " مجالس الإملاء " ، وكانت ـ آنذاك ـ أعلى مراتب الرواية والسماع ، إذ فيها أحسن وجوه تحمل الحديث النبوي وأقواها ، وكان لا يتصدى لها إلا المحدث العارف(٤) ، ولا تقع إلا في يوم واحد من الأسبوع(٥) ، وقد تعين لها مستمل محصل يُبلغ عن المملي إذا كثر الجمع على عادة الحفاظ .(٦)

---

(١) السمهودي ، جواهر العقدين ق ١ ص ٢٩٠ .
(٢) السخاوي ، الذيل على رفع الإصر ص ١٧ ـ ١٨ .
(٣) السمهودي ، جواهر العقدين ق ١ ص ٢٩٠ ، ٢٩٣ .
(٤) السيوطي ، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ج ٢ ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .
(٥) نفسه ج ٢ ص ١٣٩ .
(٦) نفسه ج ٢ ص ١٣٣ ، السخاوي ، الجواهر والدرر ق ١٥١ ب .

وقد يكون محل عقد مجلس الإملاء في بيت المملي ، أو في غيره من المدارس والقاعات[1] ، وقد يكون الإملاء من كتاب يقرأ المملي فيه ، أو من حفظه .[2] وهذه وتلك تكون كثيرة النفع ، لاحتوائها على الكثير من الفوائد الحديثية ، من أبحاث وفوائد مهمة ، ونكت نفيسة ، مع تحري علو السند ، وقصر المتن ، والتعريف بالمروي عنهم من الشيوخ وغيرهم ، والمستفاد من الحديث ، والتنبيه على صحته ، وما فيه من علو وفائدة ، وضبط مشكل ، ومراعاة لما يحتمله العقل والفهم من حاضر مجالسه .[3]

وكانت هذه المجالس ـ غالباً ـ تُستفتح بقراءة قارئ حسن الصوت لسورة الأعلى[4] ، والصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والدعاء له وللحاضرين وللأئمة الماضين[5] ، وتختم ـ في المجالس المطلقة ـ بنوادر ، القصد منها ترويح القلوب ابتغاء لطرف الحكمة[6] ، فإذا ما نجز مجلس الإملاء وقد تحرر في كراسة قوبلت على الأصل الذي حرره المملي ، قصداً للغاية في الاتقان .[7]

فإذا ما انتهى تلاميذ هذه المدارس مما هم بصدد تعلمه أو سماعه ، أُجيزوا من المدرس بصورة شخصية ، وليس من إدارة المدرسة

---

(1) راجع : ترجمة " ابن حجر العسقلاني " من هذا البحث .

(2) ابن الصلاح . المقدمة ص ٢٤٥ ، ابن حجر . تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٢٨٤ ، السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٥١ ب ، الذيل على رفع الإصر ص ٤٦ ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٩ ، السيوطي . تدريب الراوي ج ٢ ص ١٣٩ .

(3) السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٥١ ب ، السيوطي . تدريب الراوي ج ٢ ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

(4) علل " ابن حجر " ـ فيما نقله السخاوي (الجواهر والدرر ق ١٥١ ب) عنه ـ لذلك بما فيها من المناسبة ، لقوله تعالى: " سنقرئك فلا تنسى " ، و " فذكر " ، و " صحف إبراهيم وموسى " .

(5) السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٥١ ب ، السيوطي . تدريب الراوي ج ٢ ص ١٣٥ .

(6) السيوطي . تدريب الراوي ج ٢ ص ١٣٨ .

(7) نفسه ج ٢ ص ١٣٩ ، السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٥١ ب .

بإجازة يتحدد فيها نوع المجاز ، سواء كان تدريساً أو فتيا ، أو غيرهما ، وقد تكون الإجازة متوسطة الحجم[1] ، وقد يطول المجيز فى الإجازة ، بحيث تكون فى كراسة[2] ، يذكر فيها ـ عادة ـ منزلة العلم وفضله ، واسم وألقاب المجاز له ، وسلسلة نسبه ، والإشادة بمنزلته وخلقه ، وإبداء بعض النصح له ، مع تحديد نوع المجاز به ، وتأريخ الإجازة .

وتتفاوت أهمية الإجازة ، بنسبتها إلى المجيز ، ونوع المُجاز به ، وتأريخ حصوله عليها . ويُبرز ذلك قول " عبد الباسط ـ الحنفى " مترجماً " البرهان ابن الكركى " وقد راسل " المحيى الكافيجى " فى إجازته بالفتيا والتدريس ـ بتاريخ سابق على المراسلة ـ ليشرف بذلك على معارضيه فى وظائفه :

" ... ومن غرائبه ، أنه بعث مرة لشيخنا العلامة الكافيجى يسأله فى كتابة إجازة له ، يأذن له فيها بالإفتاء والتدريس ، وأن لا يكتب بأنه إمام السلطان ، وأن يقدم التاريخ على سلطنة أستاذه قايتباى ، فأطلعنى شيخنا على ذلك ، ثم قال : انظر لقلة دين هذا التعيس وتمويهه ، والله لو قال لى السلطان بنفسه وإمامته العظمى : قدم تأريخ قضية لا يضر تقديم تاريخها لما فعلت ، وما هذا إلا وقح فى بعثه إلىّ بذلك ، بل هو شيطان ، كيف إذا لم يستحى منى ما يستحى فى الله . ثم قال لى شيخنا : قد عرفت مقصده من ذلك بالحدس والتخمين ، وأنا أضاد ما قصده . فكتب له بالإذن بالشرط ، ثم قال لى : لا يشمله إذنى ، إذ هو موقوف على ما اشترطه ، وأنا أعلم بعدم وجود الشرط ، فكذا المشروط ، وذكر فى كتابته أنه إمام الإمام ، وتوريات صريحة فى أنه إنما كتب له لكونه إمام السلطان " .[3] فما وسعه إبرازها .

---

(1) راجع : القلقشندى . صبح الأعشى ج ١٤ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٧ ، (حيث إجازته بالفتيا والتدريس من ابن الملقن) ، الصيرفى . نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ١٢١ ـ ١٢٣ ، (حيث إجازة الجمال الملطى ـ البدر العينى بالفتيا والتدريس كذلك) .

(2) السخاوى . الضوء اللامع ج ١٠ ص ٦ .

(3) عبد الباسط ـ الحنفى . المجمع المفنن ق ١١ ب .

ثالثاً ــ الجوامع والمساجد :

اتخذ التعليم فى الإسلام " المسجد " مركزاً له منذ إنشائه ، فكان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يجلس فى المسجد ، ويتحلق المسلمون من حوله متلقين العلم عنه (١) ، ونهج الصحابة والتابعون نهجه ، فعقدوا فى المساجد مجالس العلم ، سواء فى المدينة أم فى سائر الأمصار التى فتحوها ، وأقاموا فيها الجوامع والمساجد ، (٢) فكان المسجد بذلك أسبق المراكز العلمية ، حيث أدى هذه الوظيفة قبل ظهور المدرسة .

ولقد عرفت مصر هذا النوع من المراكز العلمية منذ إنشاء " عمرو بن العاص " لجامعه فيها ، وأخذت حركة بنيان المساجد والجوامع وعمارتها تضطرد بعده ، بحيث كان منها ــ فى الفترة موضع الدراسة ــ وفى القاهرة وحدها " ما لا يكاد يحصى كثرة " (٣) ، فضلاً عن سائر مدنها وقراها . وظلت الجوامع والمساجد فيها تؤدى وظيفتها التعليمية إلى جانب ما كان يؤدى فيها من شعائر العبادة ــ مع وجود المدرسة ــ بل لعلها تفوقت ــ آنذاك ــ على المدرسة بما اختصت به من ميزات ، أجملها " ابن الحاج " فى مدخله ، قائلاً :

" ... وأفضل مواضع التدريس المسجد ، لأن الجلوس للتدريس إنما فائدته أن تظهر به سنة ، أو تخمد به بدعة ، أو يتعلم به حكم من أحكام الله ــ تعالى ــ علينا ، يحصل فيه هذا الغرض متوفراً ، لأنه موضع مجتمع الناس ، رفيعهم ووضيعهم ، عالمهم وجاهلهم " .(٤)

إذ " المدرسة لا يدخلها فى الغالب إلا آحاد الناس بالنسبة إلى المسجد ، لأنه ليس كل الناس يقصد المدرسة ، وإنما يقصد أعمهم المساجد ، وليس كل الناس ــ أيضاً ــ له رغبة فى طلب العلم ، وإذا كان التدريس ــ أيضاً ــ فى المدرسة امتنع توصيل العلم على من لا رغبة له فيه . والمقصود

---

(١) راجع : البخارى . الصحيح (كتاب العلم) ج ١ ص ٣٩ ــ ٧٥ .
(٢) ابن الحاج . المدخل ج ١ ص ٨١ .
(٣) القلقشندى . صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٦٢ .
(٤) ابن الحاج . المدخل ج ١ ص ٨٠ ــ ٨١ .

بالتدريس ـ كما تقدم ـ هو التبيين للأمة ، وإرشاد الضال ، وتعليمه ، ودلالة الخيرات ، وذلك موجود في المسجد أكثر من المدرسة ضرورة ".(١)

ثم إنه " المجلس المشهود خيره ، المعروف بركته ، المستفيض بين العلماء بره واحترامه ، الشائع الذائع ، الذي وردت به الأحاديث الصحيحة الصريحة ".(٢) ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ـ تعالى ـ يتلون كتاب الله ـ تعالى ـ بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ".(٣)

وبمعنى آخر ، فإن الجوامع والمساجد أعم نفعاً للمسلمين ، لما تمتعت به ـ آنذاك ـ من حرية مطلقة في الإفادة ـ مالم تكن مقيدة بوقف ـ حيث يرتادها من وجد في نفسه مقدرة علمية ، ورغبة في التطوع للتدريس فيها(٤) ، فضلاً عن سواد الناس وعامتهم ، الذين يقبلون عليها ، تحصيلاً للرحمة ، واستجلاباً للفائدة ، فهم بارتيادهم هذا النوع من المراكز العلمية ذيوع " السنة " ، و " إخماد البدعة " ، و " إرشاد الضال " .

---

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٨١ .
(٢) نفسه .
(٣) نفسه ج ١ ص ٨٢ .
(٤) حيث تشير بعض المصادر إلى علماء تنزلوا في الجامع الأزهر ـ آنذاك ـ تبرعاً ، وانتفع بهم جمع غفير من الطلبة وغيرهم ، ومنهم :
" الزين قاسم النويري " (ت ٧٩٩ هـ . / ١٣٩٦م .) ، وكانت له حلقة برواق المغاربة من الأزهر ، يدرس فيها الفقه المالكي .
(ابن الفرات . التاريخ ج ٩ ص ٤٧٤ ، ابن حجر . إنباء الغمر ج ١ ص ٥٣٨) .
و " الشمس الشطنوفي " (ت ٨٣٢ هـ . / ١٤٢٨م .) ، وكان يدرس في الأزهر العربية تبرعاً ، كما كان يتصدر للقراءات في الجامع الطولوني .
(ابن حجر . إنباء الغمر ج ٣ ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٥٦ تر ٨٨٩) .
و " الشهاب الصنهاجي " (ت ٨٢٧ هـ . / ١٤٢٣م .) ، و " كان ماهراً في العربية والقراءات والفقه ، منتصباً لإقراء الناس جميع نهاره وأكثر ليله ، لا يمل من ذلك ، وانتفع به بشر كثير " .
(ابن حجر . إنباء الغمر ج ٣ ص ٨٢٧ تر ٣) .

يضاف إلى ذلك ما كان لوظيفة الخطابة فيها من خطرها ووقعها فى النفوس ،لاتصالها المباشر بسائر طبقات المجتمع ،إذ لم تكن وظيفة دينية بحتة ،وإنما كان لها إلى جانب ذلك أبعاد حيزها دائرة مجتمع الخطيب بأكملها .(١)

ولذا حظيت كثير من الجوامع والمساجد - آنذاك - بنشاط فكرى ملحوظ ، فكان بجامع عمرو زوايا يدرس فيها أعيان الفقهاء وجلة العلماء ، منها :الخشابية ، والمجدية ، والصاحبية ، والكمالية ،والتاجية ،والمعينية ، والعلائية ،والزينية .(٢) كما كان بالجامع الطولونى دروس فقهية على المذاهب الأربعة ، إلى جانب ثلاثة أخرى للتفسير والحديث والطب.(٣) وكانت تحظى بعض الجوامع الأخرى ، كجامع الخطيرى (٤) ، وجامع سودون من زادة(٥) بدروس فقهية .

بينما بلغ عدد المجاورين فى الجامع الأزهر سنة(٨٢٨هـ/١٤٢٥م) " سبعمائة وخمسين رجلاً ، مابين عجم وزيالعة ، ومن أهل ريف مصر ،ومغاربة، ولكل طائفة رواق(٦) يُعرف بهم ،فلايزال الجامع عامراً بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه ، والاشتغال بأنواع العلوم : الفقه ، والحديث ، والتفسير ، والنحو ، ومجالس الوعظ ، وحلق الذكر ، فيجد الإنسان إذا دخل هذا الجامع من الأنس بالله ، والارتياح ما لا يجده فى غيره ، وصار أرباب الأموال

---

(١) راجع : محمد كمال الدين . ابن حجر العسقلانى مؤرخاً ، بيروت ،عالم الكتب ، ١٩٨٧ ، ص٧٤ - ٧٦ .

(٢) ابن دقماق . الانتصار ج ٤ ص ١٢٤ ،المقريزى . الخطط ج ٢ ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٣) نفسيهما ج ٤ ص ١٢٤ ، ج ٢ ص ٢٦٨ ، على التوالى .

(٤) ابن حجر . إنباء الغمر ج ٢ ص ٦٢ .

(٥) نفسه ج ٢ ص٢٦٧ .

(٦) فقد كانت هذه الأروقة تحظى بالمكتبات الموقوفة عليها ، وبحلقات العلم ، والذكر ، فضلاً عن إيواء المجاورين ،واستضافة الوافدين عليهم من أهل جنسهم .
راجع : القلصادى . الرحلة . تونس ،١٩٨٥ ،ص١٢٦ ،د . سعاد ماهر . الأزهر أثر وثقافة . القاهرة ،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٦٢ ،ص٧٣ - ٨٠ .

يقصدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفلوس ، إعانة للمجاورين فيه على عبادة الله – تعالى – وكل قليل تحمل إليهم أنواع الأطعمة والخبز والحلاوات ، لاسيما في المواسم " .(١)

رابعاً – الخوانق :

عرفت مصر " الخانقاة ".(٢) في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ،عندما عدل " الناصر ، صلاح الدين ، الأيوبي " الكيان المعماري لدار سعيد السعداء(٣) ، مفتتحاً لها سنة (٥٦٩ هـ . / ٣ – ١١٧٤م.) لتكون مأوى للفقراء (الصوفية) الواردين عليها ، تحبس عليها الأوقاف المغلة ،ويرتب لقاطنيها ما يكفيهم من الطعام ، والحلوى ،والملبس، والصابون . فكانت بذلك أول خانقاه تقام في مصر ، وولي مشيختها " الأكابر والأعيان " ، الذين اطلق عليهم تسمية : " شيوخ الشيوخ " ، وعلى دارهم : " دويرة الصوفية " .(٤) " وكان لهم في يوم الجمعة هيئة فاضلة ، وذلك أنه يخرج شيخ الخانقاه منها وبين يديه خدام الربعة الشريفة وقد حملت على رأس أكبرهم ، والصوفية مشاة بسكون وخفر إلى باب الجامع الحاكمي الذي يلي المنبر ، فيدخلون إلى مقصورة كانت هناك ، على يسرة الداخل من الباب المذكور ، تعرف بمقصورة البسملة – فإنه بها إلى اليوم بسملة قد كتبت بحروف كبار – فيصلي الشيخ تحية المسجد تحت سحابة منصوبة له دائماً ، وتصلي الجماعة ، ثم يجلسون ، وتفرق عليهم أجزاء الربعة فيقرؤن القرآن حتى يؤذن المؤذنون ، فتؤخذ الأجزاء منهم ، ويشتغلون بالتركع واستماع الخطبة ، وهم منصتون خاشعون ، فإذا قضيت الصلاة والدعاء بعدها ، قام قارئ من قراء الخانقاه ، ورفع صوته بقراءة ما تيسر من القرآن ودعا للسلطان صلاح الدين ، ولواقف الجامع ، ولسائر المسلمين ، فإذا

---

(١) المقريزي . الخطط ج ٢ ص٢٧٦ – ٢٧٧ .

(٢) الخوانق (أو الخوانك) : جمع خانقاه (أو خانكاه) ، وهي كلمة فارسية معناها بيت .
(نفسه ج ٢ ص٤١٤) .

(٣) د . دولت عبد الله . معاهد تزكية النفوس في مصر . القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص٢٣ .

(٤) المقريزي . الخطط ج ٢ ص٤١٥ .

فرغ قام الشيوخ من مصلاه وسار من الجامع إلى الخانقاه والصوفية معه كما كان توجههم إلى الجامع ، فيكون هذا من أجل عوائد القاهرة " . (١)

وما برح الأمر على ذلك ، إلى أن ولى الأمير " يلبغا السالمى " نظر هذه الخانقاه سنة (٧٩٧ هـ / ١٣٩٥م) ، فألزم " شيخ الشيوخ " والصوفية بأن يصلوا الجمعة فى " الجامع الأقمر " ـ وقد جدده ـ فلما زالت دولته لم يعودوا إلى ما كانوا عليه من الاجتماع فى الجامع الحاكمى ، اكتفاء بما جددوه فى الخانقاه من " وظيفة التصوف " . (٢)

فكان شيخ الخانقاه يجلس فى صدر المكان المخصص لذلك (٣) فى خانقاته ، ويوضع أمامه المصحف على كرسيه ، والصوفية جلوس حوله على هيئة حلقة ، توزع عليهم الربعات الشريفة ، ويبدأ الشيخ بقراءة القرآن ، ويتبعه الصوفية ، ثم يقرأ بعدهم ـ ختاماً للمجلس ـ جماعة منهم ـ عرفوا بأهل الصفة ـ وبأصوات مرتفعة أذكاراً خاصة ، يعقبهم مادح ينشد بعض القصائد المشهورة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم . (٤)

وكنتيجة لذيوع وانتشار الطرق الصوفية فى مصر (٥) ـ زمن سلاطين المماليك ـ انتشر بناء الخوانق فيها انتشاراً واسعاً ، سواء فى القاهرة ، أم فى غيرها من مدن مصر وقراها ، حيث بنيت فيها قبل دولة "سلاطين المماليك الجراكسة " الخوانق الركنية البيبرسية ، والشرابيشية ، والمهمندارية ، والبشتاكية ، والبندقدارية ، والشيخونية ، والجاولية ، والجمالية(مغلباى)،

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٤١٥ ـ ٤١٦ .

(٢) نفسه ج ٢ ص ٤١٦ .

(٣) اختلف المكان تبعاً لاختلاف شروط الواقف ، فكان إما إيوان أو رواق القبلة ، وإما الإيوان الشمالى الغربى ، أو صحن الخانقاه والإيوانات الثلاثة : الغربية والبحرية والقبلية .

كما اختلف عدد مرات الحضور اليومى ـ تبعاً لشروط الواقف كذلك ـ بين مرة واحدة وخمس مرات .

راجع : د . دولت عبد الله . معاهد تزكية النفوس ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

(٤) نفسه ص ٢٧٤ .

(٥) راجع : د . عامر النجار . الطرق الصوفية فى مصر نشأتها ونظمها وروادها . القاهرة ، المعارف ، ١٩٨٣م .

والجيغاوية ، والأرسلانية ، والبكتمرية ، والقوصونية ،واليونسية ، والنوروزية ، والطبرستانية ، والآقبغاوية ، وخانقاه طغاى النجمى ،وأم أنوك (الخاتون طغاى) ، وخانقاه سرياقوس ، والخانقاه المحسنية فى الإسكندرية .

كما شارك السلاطين والأمراء وبعض كبار التجار فى مصر – فى دولة سلاطين المماليك الجراكسة – فى إنشاء الخوانق ،فكان من الخوانق المنسوبة إلى السلاطين : البرقوقية ، والناصرية (فرج بن برقوق) ، والأشرفية (برسباى) ، والإينالية ، وخانقاه قايتباى ، والغورية ، ومن الخوانق المنسوبة إلى الأمراء : الجمالية (جمال الدين الآستادار) والزينية، ومن الخوانق المنسوبة إلى كبار التجار : الخروبية .(١)

وغدت هذه الخوانق متسعاً لإيواء الصوفية المرتبين فيها ، بما يؤدونه فيها من " وظيفة التصوف " ، ومكاناً للعبادة ، حيث أقيمت فى أكثرها صلاة الجمعة ، فضلاً عن الصلوات الخمس اليومية ، كما كانت مراكز علمية ، تحتوى على مكتبات تضم كتباً تراثية متنوعة ، وتلقى فيها دروس الفقه والحديث والتفسير والقراءات ، ويتدارس فى خلواتها غيرها من العلوم ، كالتصوف ،والطب ، والنحو ، والصرف ، وغيره ، كل بحسب جهده وطاقته والمامه بأطراف هذه العلوم .(٢)

ولاريب ، فقد أثرى الكثيرون ممن انتسبوا إلى هذه الخوانق الحركة الفكرية فى مصر – آنذاك – فكان منهم المؤرخون ، كابن خلدون ،وابن حجر العسقلانى ، وقد كان بيد أولهما مشيخة البيبرسية ، بينما جمع الثانى بين نظرها ومشيختها ومجالس الإملاء فيها ، فضلاً عن تدريس الفقه والحديث فى الشيخونية ، و المحيى الكافيجى ، الذى تولى مشيخة الشيخونية ، وانتفع بعلومه العديدة جمع جم من الطلبة ، والجلال السيوطى وقد كان شيخاً للخانقاه البيبرسية ، وللتصوف فى تربة الأمير " برقوق "، كما

---

(١) راجع : المقريزى . الخطط ج ٢ ص ٤١٥ – ٤٢٧ ، د . دولت عبد الله . معاهد تزكية النفوس فى مصر ص ٧٥ – ٢٣١ .

(٢) راجع : د . عبد الغنى محمود . التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك ص ٢٣٩ – ٢٤٤ ، د . دولت عبد الله . معاهد تزكية النفوس ص ٢٧٦ – ٢٧٨ ، ٢٨٦ – ٢٩٠ .

كان مدرساً للحديث فى الشيخونية ، وكان البدر العينى أحد صوفية البرقوقية ، وعبد الباسط ـ الحنفى أحد صوفية الشيخونية كذلك .

كما أن " البدر البشتكى "[1] (ت ٨٣٠ هـ / ١٤٢٧م) ، و " الشهاب المنصورى "[2] (ت ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢ م) ، وهما من معدودى أعلام الأدب والشعر فى مصر ـ آنذاك ـ من صوفية هذه الخوانق ، إذ انتسب أولهما إلى خانقاه " بشتاك "[3] ، وتنزل ثانيهما صوفياً فى الشيخونية ، وكان " العلاء الصفدى "[4] (ت ٨٧٠ هـ / ١٤٢٧ م) أحد صوفية الخانقاه الأشرفية (برسباى) ، يعرف اثنى عشر علماً ، من بينها الطب .

خامساً ـ الربط والزوايا :

كما كانت الربط[5] ، وقد انتشرت[6] ـ آنذاك ـ فى مصر تؤدى وظائف تعليمية واصلاحية ، إلى جانب كونها أماكن للإنقطاع للعبادة ، إذ يشير " المقريزى " إلى أن " رباط البغدادية " كانت " له ـ دائماً ـ

---

(١) ابن حجر ، إنباء الغمر ج ٣ ص ٣٩٢ ـ ٣٩٤ تر ١٤ ، المجمع المؤسس ق ٢٥٩ ب ـ ٢٦٠ أ ، السخاوى ، الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩ تر ٩٣٢ .

(٢) السيوطى ، المنجم فى المعجم ق ١٧ أ ، عبد الباسط ـ الحنفى ، المجمع المفنن ق ١٢٥ ب ـ ١٢٨ أ .

(٣) المقريزى ، الخطط ج ٢ ص ٤١٩ .

(٤) السخاوى ، الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ تر ٩٤٤ .

(٥) الربط : جمع رباط ، وهو دار كان يسكنها ـ آنذاك ـ أهل التصوف ، واسمها مأخوذ من قوله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)) (٢٠٠ : آل عمران) .

والأصل فيها : ما يربط فيه الخيول ، ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم ، فالمجاهد المرابط يدفع عمن وراءه ، والمقيم فى الرباط على طاعة الله يُدْفَعُ به وبدعائِهِ البلاء عن العباد والبلاد .

راجع : السهروردى ، عوارف المعارف ج ١ ص ٢٦٢ ، المقريزى ، الخطط ج ٢ ص ٤٢٧ .

(٦) المقريزى ، الخطط ج ٢ ص ٤٢٧ ـ ٤٣٠ .

شيخة تعظ النساء وتذكرهن وتفقههن "(١) ، حيث " تودع فيه النساء اللاتى طلقن أو هجرن ، حتى يتزوجن أو يرجعن إلى أزواجهن ، صيانة لهن ، لما كان فيه من شدة الضبط وغاية الاحتراز والمواظبة على وظائف العبادة "(٢) ، كما كان رباط الآثار " بهجة ، وللناس فيه اجتماعات، ولسكانه عدة منافع ممن يتردد إليه "(٣) ، وكان به خزانة كتب ، ودرس لعشرة من الفقهاء الشافعية ، و " لهم جار فى كل شهر من وقف وقف عليهم "(٤) ، وكان رباط العلائى " يحضره الفقهاء يوماً فى الأسبوع ، وهم عشرة ، وشيخهم منهم ، ومنهم قارئ ميعاد ، وقراء ".(٥)

ولم يقل دور الزوايا(٦) عن الربط فى إثراء الحركة الفكرية فى مصر ـ آنذاك ـ إذ لم تكن أماكن للعبادة ـ فقط ـ وإنما كان لها الى جانب ذلك دورها فى إثراء هذه الحركة ، على النحو المدرك من قول المقريزى مشيراً إلى زاوية الركراكى : " ... عرفت بالشيخ المعتقد أبى عبد الله المغربى ، المالكى ، لإقامته بها ، وكان فقيهاً مالكياً ، متصدياً لإشغال المغاربة ، يتبرك الناس به "(٧) ، وقول السخاوى مترجماً "البرهان الأنباسى " : " ... اتخذ بظاهر القاهرة ـ فى المقس ـ زاوية ، فأقام بها يحسن إلى الطلبة ، ويجمعهم على التفقه ، ويرتب لهم ما يأكلون ، ويسعى لهم فى الأرزاق ، حتى كان أكثر فضلاء الطلبة بالقاهرة من تلامذته ، ووقف بها كتباً جليلة ، ورتب فيها درساً وطلبة ، وحبس عليها

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٢٨ .
(٢) نفسه .
(٣) نفسه ج ٢ ص ٤٢٩ .
(٤) نفسه .
(٥) نفسه ج ٢ ص ٤٣٠ .
(٦) الزوايا : جمع زاوية ، والزاوية من البيت ركنه ، وتزوى ، وزوى وانزوى : صار فيها ، وزواه : نحاه فانزوى .
(الفيروزابادى . القاموس المحيط ص ١٦٦٧ ، مادة : زوا) .
وقد سبق الإشارة إلى أنها نشأت أول الأمر ملحقة بالمساجد . لكن تطورت إلى أبنية صغيرة للعبادة ، وسكن أحد الصوفية .
(٧) المقريزى . الخطط ج ٢ ص ٤٣٣ .

رزقة ،ونحو ذلك ، وممن أخذ عنه الولى العراقى والجمال ابن ظهيرة وابن الجزرى وشيخنا ".(١)

سادساً- البيمارستانات :

أما البيمارستانات(٢) ، فقد كانت إلى جانب كونها مصحات لعلاج المرضى ، مراكز لتعليم الطب وممارسته ،على النحو الوارد فى وثيقة وقف " البيمارستان المنصورى ".(٣) :

" ... ويصرف الناظر فى هذا الوقف لمن ينصبه شيخاً للإشتغال عليه بعلم الطب على اختلافه ،يجلس بالمصطبة الكبرى المعينة له فى كتاب الوقف المشار إليه ، للإشتغال بعلم الطب على اختلاف أوضاعه ، فى الأوقات التى يعينها له الناظر ، ما يرى صرفه إليه ،وليكن من جملة أطباء هذا البيمارستان المبارك من غير زيادة على العدد ".(٤)

---

(١) السخاوى . الضوء اللامع ج ١ ص ١٧٣ ، وراجع : المقريزى . درر العقود الفريدة ق ٧ ب ، السلوك ج ٣ ص ١٠٢٤ ،ابن حجر . إنباء الغمر ج ٢ ص ١١٢ تر ٥ ،ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج ١ ص ١٧٨ ـ ١٨٠ تر ٨٥ .

(٢) البيمارستان : كلمة فارسية مركبة من كلمتين : " بيمار " بمعنى مريض أو عليل أو مصاب ، و " ستان " بمعنى مكان أو دار ، وعلى ذلك ، فالمعنى : دار المرضى ،أو المصحة .
راجع : د . أحمد عيسى . تاريخ البيمارستانات فى الإسلام . بيروت ،الرائد العربى ،ط٢ ، ١٩٨١ ،ص٤ .

(٣) عن البيمارستان المنصورى يمكن مراجعة : ابن جبير . الرحلة ص٢٦ ،البلوى . تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق ج ١ ص ٢١٨ ـ ٢٢٠ ، ابن الفرات . التاريخ ج ٧ ص ٢٧٨ ، المقريزى . الخطط ج ٢ ص ٤٠٦ ـ ٤٠٨ ،السلوك ج ١ ص ٧٢٥ ،جومار . وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل . تر . د . أيمن فؤاد سيد . القاهرة ، الخانجى ،ط١ ، ١٩٨٨ ، ص ١٩٥ ـ ١٩٨ ،د . أحمد عيسى . تاريخ البيمارستانات فى الإسلام ص ٨٣ ـ ١٧١ .

(٤) راجع : د . أحمد عيسى . تاريخ البيمارستانات فى الإسلام ص ١٤٥ ، د . محمد محمد أمين . وثائق وقف السلطان قلاوون على البيمارستان المنصورى (ملحق بكتاب تذكرة النبيه لابن حبيب) ، القاهرة ،دار الكتب ، ١٩٧٦ ،ج ١ ص ٣٦٦ .

سابعاً ـ خزائن الكتب :

عرفت مصر ـ آنذاك ـ كثرة المكتبات ، سواء الخاصة أو العامة ، حيث حظى الكثيرون من العلماء والأمراء ـ على حد سواء ـ بمكتبات عامرة ، محتوية على فروع من المعرفة متعددة ، كما كانت هناك بعض المكتبات الملحقة بالمكاتب ، والمدارس ،والجوامع والمساجد ، والخوانق ، والزوايا ، وقد حُبِسَت عليها ، وتولى أمورها الخزان والنظار .

أما المكتبات الخاصة ، فيبرز نفاستها قول " ابن حجر " مترجماً " البرهان ابن جماعة " :

" ... وخلف من الكتب النفيسة ما يعز اجتماع مثله ،لأنه كان مغرماً بها ، فكان يشترى النسخة من الكتاب التى إليها المنتهى فى الحسن ، ثم يقع له ذلك الكتاب بخط مصنفه ، فيشتريه ولا يترك الأولى ، إلى أن اقتنى بخطوط المصنفين ما لا يُعبر عنه كثرة ، ثم صار أكثرها إلى جمال الدين محمود ـ الآستادار ، فوقفها بمدرسته بالموازنين ، وانتفع بها الطلبة إلى هذا الوقت " .(1)

وقول " تغرى برمش الجلالى " ـ فيما نقله عبد الباسط الحنفى عنه ـ وقد كان نائباً لقلعة الجبل : " إذا مات شيخ الإسلام ابن حجر ، تكثر ديونى " ؛ إشارة إلى أنه سيشترى الكثير من كتبه ، فيكون فى ذلك إثقاله بالديون ، مما لعله يكشف عن نفاسة وضخامة مكتبة ابن حجر ، فضلاً عن ولع " الجلالى " بتحصيل نفائس الكتب .(2) .

وقول " البدر العينى " مترجماً " العلاء ابن المغلى " :

" ... أوصى من كتبه ،وكان كثيراً ، مبلغ خمسين كتاباً ، لخزانة مدرسة السلطان الملك الأشرف برسباى " .(3)

وقوله مترجماً " السراج ، قارئ الهداية " :

" ... كان له اشتغال كثير ومطالعات فى الكتب طول عمره ...

---

(1) ابن حجر ، إنباء الغمر ج 1 ص 355 .

(2) راجع : عبد الباسط الحنفى ، المجمع المفنن ق 235 ب .

(3) العينى ، عقد الجمان (ط. الزهراء) ص 290 .

ولما مات خلف كتباً كثيرة " .(١)

ومن طريف ما يُذْكر في ذلك أمنية " الولي العراقي " بأن تكون له أربع زوجات ، في أربعة مساكن ، وفي كل مسكن من الكتب التي يحتاجها نظير ما في بقية المساكن .(٢)

ومن الطريف ـ كذلك ـ ما يذكر عن ولع " المحب ابن الشحنة " ـ وقد ولي منصب القضاء الأكبر في مصر ـ بتحصيل الكتب النفيسة ، جحداً لما يستعيره من مكتبات الغير ، على حد قول السخاوي فيه :

" ... عظيم العناية في تحصيل كتب العلوم ، بحيث اجتمع عنده من نفائس كل فن ، ما قل أن يجتمع لغيره ، وربما اغتصبها ممن هي عنده ، كان يستعيرها ، ثم لا يعيدها ... ونسب إليه أخذ تفسير الفخر الرازي ـ وهو في مجلد ـ من أوقاف المؤيدية وجحده ... ولقد تكرر طلبي منه لكلٍ من الضعفاء للعقيلي ، وتاريخ قزوين للرافعي ، وهو يسوف ويخلف ، ويعتذر ويحلف ، إلى أن أحضر إليّ أحدهما وهو في مجلد ، ولكنه لم يسمح بجميعه ، بل قطع من أوله ثلاثة كراريس فأقل ، وتألمت حين فعله ذلك ، ولولا مزيد ضرورتي إليه ما أخذت منه شيئاً ، فكان من المقدور أنني في هذا اليوم بعينه وجدت منه في بعض المدارس نسخ موقوفة ، فأخذتها ورجعت إليه بكراريسه " .(٣)

أما المكتبات الملحقة بسائر المراكز العلمية ـ السابق الإشارة إليها ـ فقد كانت متفاوتة الأحجام والمحتوى ، اشتملت في معظمها على كتب نفيسة ونادرة ، ومتنوعة ، بصرف النظر عن العلوم المنصوص في حجج وقفها على تدريسها فيها ، إذ لم يكن علم " التاريخ " ـ مثلاً ـ من العلوم المقرر تدريسها في كل من " جامع الحاكم " ، والمدارس " الباسطية " و " الجمالية " و " المحمودية " و " الصرغتمشية " ، لكن يشير السخاوي إلى أنه كان يوجد في مكتبة " جامع الحاكم " نسخة غير مكتملة من " تاريخ

---

(١) المصدر السابق ص ٣٠٥ .

(٢) السمهودي . جواهر العقدين ق ١ ص ١٦٢ .

(٣) السخاوي . الذيل على رفع الإصر ص ٣٨٤ .

بغداد " للخطيب البغدادي ، كما كانت توجد في " الباسطية " نسخة من " تاريخ ابن خلدون " ، وأخرى من " بغية الطلب " لابن العديم ، وفي " الجمالية " بعض أجزاء من " تاريخ بغداد " مكملة لسابقتها ، وفي " المحمودية " نسخة من "تاريخ الإسلام " للذهبي ، و " تاريخ دمشق " لابن عساكر ، و " مرآة الزمان " لسبط ابن الجوزي ، و " المعجم الكبير " للذهبي ، و " معجم التاج السبكي " ، وفي " الصرغتمشية " نسخة من " معجم الدمياطي " .(١)

كما يشير " المقريزي " إلى هذا التنوع ، عند الحديث عن المدرسة " الظاهرية القديمة " ، قائلاً :

" ... جُعِلَ بها خزانة كتب تشتمل على أمهات الكتب في سائر العلوم " .(٢)

وعند الحديث عن المدرسة " المحمودية " ، منبهاً إلى أن بها خزانة " كتب لا يُعْرف بديار مصر والشام مثلها ، وهي باقية إلى اليوم ، لا يخرج لأحد منها كتاب إلا أن يكون في المدرسة ، وبهذه الخزانة كتب الإسلام من كل فن " .(٣)

كما أن المدرسة " البشيرية " - على لطافتها - " جُعِلَ بها خزانة كتب " .(٤)

وكان في مكتبة " المدرسة الجمالية " (جمال الدين الآستادار) " من المصاحف والكتب في الحديث والفقه وغيره من أنواع العلوم جملة ... وكان مما فيها عشرة مصاحف ، طول كل مصحف منها أربعة أشبار إلى خمسة في عرض بقرب من ذلك ، أحدها بخط ياقوت ، وآخر بخط ابن البواب ، وباقيها بخطوط منسوبة ، ولها جلود في غاية الحسن ، معمولة

---

(١) السخاوي . الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ (ط. الرسالة) ص٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٤١ ، ٢٥١ ، ٢٨٨ ، ٢٩٥ ، الجواهر والدرر ق ٢٧٦ أ .

(٢) المقريزي . الخطط ج ٢ ص ٣٧٩ .

(٣) نفسه ج ٢ ص ٣٩٥ .

(٤) نفسه ج ٢ ص ٣٩٩ .

فى أكياس الحرير الأطلس ، ومن الكتب النفيسة عشرة أحمال " .(١)

ويشير عبد الباسط ـ الحنفى إلى عرض " برسباى المحمدى " ـ وكان ناظراً على الشيخونية ـ لخزانة كتبها ، وأخذه منها عدة كتب للمطالعة ، من بينها مصحف بخط " ياقوت " .(٢)

ومع كون هذه المكتبات ملحقة بهذه المراكز العلمية ، وغير مستقلة عنها ، فإن خدماتها لم تقتصر على أهلها ـ فقط ـ وإنما كانت عوناً ـ كذلك ـ للباحثين والعلماء من هم خارجها ، حيث سمح فيها بعارية الكتب للاطلاع أو النسخ ،ومن ذلك ما جاء فى حجة وقف " قانى باى الرماح " ، وقد اقتصر فيها على الإعارة الداخلية :

" ... وكل من حضر إليه (الخازن) من طلبة العلم الشريف يمكنه من الانتفاع بما يحتاج إليه من الكتب المذكورة فى نسخ أو مقابلة أو مطالعة ، إلى أن ينهى حاجته ،ثم يرد الكتاب إلى محله ".(٣)

وما جاء فى حجة وقف " السيفى أزبك " ـ وقد حرمت الاطلاع الخارجى كذلك ـ من قوله :

" ... ومناولتها لمن يريد المطالعة فيها ، والكتابة منها ، بحيث يكون ذلك بالجامع المذكور " .(٤)

وحجة وقف " الخانقاه الجمالية " :

" ... وإن كان المستعير من غير أهل الخانقاه ـ المذكوره ـ سلم إليه ما يريد استعارته ، فيطالع فيه نهاراً بالخانقاه ـ المذكورة ـ ثم يبقيها عند الخادم ، ثم يستعيدها منه نهاراً " .(٥)

بينما جوزت حجة وقف الخانقاه " الناصرية فرج بن برقوق " العارية الخارجية ، قائلة :

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٠١ .

(٢) عبد الباسط ـ الحنفى . المجمع المفنن ق ٢١٤ أ .

(٣) حجة وقف قانى باى الرماح (رقم : ١٠١٩ ـ أوقاف) .

(٤) حجة وقف السيفى أزبك (رقم : ١٩٨ ـ محفظة ٣١ ب ، دار الوثائق) .

(٥) حجة وقف جمال الدين الآستادار(رقم :١٠٦ ـ محفظة ١٧ أ ، دار الوثائق) .

" ... على أنه من حضر إليه (إلى الخازن) يطلب شيئاً من ذلك ، فإن كان أهلاً لمطالعة ذلك والاشتغال به ، وكان من أهل المكان وممن يوثق به دفعه إليه ، وأخذ خطه منه[1] ، فإذا أعاده إليه دفع إليه خطه ، ولا يمكنه من التأخير مدة يخشى منها حصول النسيان"[2]

ولعل في اختيار " ابن حجر العسقلاني " لمهمة خزن الكتب في المدرسة المحمودية ، وقبوله ذلك ، وممارسته لمهنته[3] ، ما يشير إلى أن هذه المهنة كانت محترمة ، يتخير لها من هم أهل لتقدير الكتب ، والاعتراف بفضلها ، فيعملون على تصنيفها ، والمحافظة عليها ، وترميم شعثها ، وحبكها عند احتياجها للحبك ، والضنة بها على من ليس من أهلها ، وبذلها للمحتاج إليها[4] ، مع تقديم من يصعب عليهم تحصيلها على الأغنياء[5] في العارية ، والالتزام بشرط الواقف في تناولها برهن أو بدونه[6].

ثامناً ـ مجالس السلاطين والأمراء :

كما كانت مجالس بعض السلاطين حافلة ـ غالباً ـ بالعلم والعلماء ، باعثة على المشاركة والمناقشة ، ومن ذلك ما أشار إليه " العيني " من

---

(1) جوز ذلك الفقهاء ، بل وأخذ رهن مقابل عارية الكتب ـ راجع : السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ص ١١١ .

(2) حجة وقف السلطان فرج بن برقوق (رقم : ٦٦ ـ محفظة ١١ أ ، دار الوثائق) .

(3) السخاوي ، الجواهر والدرر ق ١٩٥ ب .

(4) فيما تعلق بآداب عارية الكتب للاطلاع أو النسخ ، راجع : ابن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم ص ١٦٧ ـ ١٩٢ ، السمهودي ، جواهر العقدين ق ١ ص ٣٧٧ ـ ٣٨٨ .

(5) قدم ابن جماعة (تذكرة السامع والمتكلم ص ١٦٤ ـ ١٦٥) تحصيل الكتب بالشراء أو الاستنساخ على العارية ، ما لم يتعذر ذلك لعدم ثمنه أو أجرة استنساخه .

(6) السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ص ١١١ .

اجتماع " المؤيد شيخ المحمودى " فى يومى الأحد والأربعاء من كل أسبوع بجماعة من العلماء ، وطائفة من الصلحاء – قبل العصر بساعة ، وحتى يقترب المغرب – حيث " يتباحثون بالعلوم الشريفة ، ويتذاكرون من المسائل العويصة ، وهو يسمعهم ، وربما يشاركهم بلطف وأدب ، ثم إذا فرغوا يأمر بأن يسقوا من السكر المكرر المعد لنفسه فى سلطانيات كبار ، فى كل سلطانية قطعة كبيرة من الثلج فى أيام الصيف والهواجر ".(١)

كما كان " يجتمع عنده فى غالب ليالى الجمع جماعة من الفقهاء وطائفة من القراء والوعاظ ، فيقعد معهم إلى أنصاف الليالى ، فالقراء يتلون كتاب الله ، والعلماء يتباحثون بالعلوم ، والوعاظ ينشدون القصائد والموشحات ، ويمضى كل وقت لا يوجد له نظير ، وأعد لهم من الأطعمة المختلفة ، والمواكل الطيبة ، والمشارب الرائقة ، والفواكه البديعة ؛ بحيث إنهم يأكلون من ذلك ويحملون ، ... ومع هذا يحسن إلى كل واحد منهم بحسب ما يليق بحاله ".(٢)

ويشير " عبد الباسط – الحنفى " إلى اجتماع أبيه بالظاهر " خشقدم " فى مطالع الشهور الهجرية ، وبعض أيام الأسبوع ، متحفاً إياه بما صادف من العجائب والنوادر ، وربما سأله السلطان عن بعض المسائل العلمية فيجيبة ، مما جعل "الظاهر خشقدم " يهش به ، عاتباً عليه تأخره عنه .(٣)

والمطلع على كتابى " الكوكب الدرى فى مسائل الغورى " و "نفائس المجالس السلطانية فى حقائق الأسرار القرآنية " ،وما كتبه " ابن اياس " عن الغورى ، يلمس بكل جلاء أنه "كان ذا حظ من العلوم الدينية : التوحيد ، والفقه ،والتفسير ، مشاركاً فى علوم العربية : النحو والبلاغة وغيرها ، وأنه كان مولعاً بقراءة كتب التاريخ والسير والقصص ،وأنه كان ذا ملكة يتفهم بها الأدب ،وتزين له أن يشارك فى النظم أحياناً ، وأنه

---

(١) العينى ، السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد ص ٢٧٤ .

(٢) نفسه .

(٣) عبد الباسط – الحنفى ، الروض الباسم ج ٢ ق ١١ أ ، ٥١ ب ، ج ٣ ق ٩٢ أ ، ٩٦ أ .

كان مولعاً بالموسيقا والغناء ، وكان له نظم وألحان يتغنى بها ، وأنه كان يعرف لغات عدة " .(١)

فقد كانت "للأشرف قانصوة الغورى " مجالس تجتمع كل أسبوع مرة أو اثنتين أو ثلاثاً ، يبدأ السلطان فيها ـ غالباً ـ بسؤال يجيب عنه أحد الحاضرين ، فيرتضى السلطان جوابه ، أو يناقشه فيه ، وأحياناً يبدأ أحد الحاضرين الكلام(٢) ، وأحياناً يحضر السلطان مماليكه إلى المجلس ممتحنا لهم .(٣)

ومما يبرز افتتانه بالطبيعة ، وما فيها من الجمال ، قول " ابن اياس " فى حوادث حولية خمس عشرة وتسعمائة للهجرة :

" ... وفى هذه السنة أينعت الأشجار التى غرسها السلطان بالميدان ، وأخرجت ما شتله به من الأزهار ، ما بين ورد وياسمين وبان وزنبق وسوسن وغير ذلك من الأزهار الغريبة ... فكان السلطان يضع له دكة كبيرة مطعمة بالعاج والأبنوس ، ويفرش فوقها مقعداً مخمل بنطع ويجلس عليه ، وتظله فروع الياسمين ،وتقف حوله المماليك الحسان ،بأيديهم المذبات ينشون عليه ، ويعلق فى الأشجار أقفاص فيها طيور مسموع ، ما بين هزارات ومطوق وبلابل وشحارير وقمارى وفواخت وغير ذلك من طيور المسموع ، ويطلق بين الأشجار دجاج حبش وبط صينى وحجل ، وغير ذلك من الطيور المختلفة ،وتارة يجلس على البحرة التى طولها أربعون ذراعاً ، وتمتلئ كل يوم من ماء النيل بسواقى نقالة من المجراة تجرى ليلاً ونهاراً ، فيجلس على سرير هناك فى غالب أيام الجمعة ، ولا يدخل عليه من الأمراء أحد إلا من يختاره " .(٤)

ومما يبرز افتتانه بالغناء والرقص ، قول " ابن اياس " ـ كذلك ـ فى حوادث حولية خمس عشرة وتسعمائة للهجرة :

---

(١) د . عبد الوهاب عزام . مجالس السلطان الغورى ، صفحات من تاريخ مصر فى القرن العاشر الهجرى . القاهرة ، اللجنة ، ١٩٤١ ص ٥١ .

(٢) نفسه ص ٥٠ .

(٣) نفسه ص ٣٨ ـ ٣٩ .

(٤) ابن اياس . بدائع الزهور ج ٤ ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .

" ... فانشرح هناك ، ومد أسمطة حافلة ، وحضر عنده جماعة من المغانى وأرباب الآلات ، ورسم لبعض الأمراء العشرات بأن يرقص ، فقام ورقص بين يدى السلطان ، فرسم له بمائة دينار ". (١)

وقوله فى حوادث حولية ثمان عشرة وتسعمائة للهجرة ، وقد احتفل " الغورى " بيوم عاشوراء :

" ... فيه نزل السلطان وتوجه إلى نحو المقياس ، وجلس فى القصر الذى أنشاه هناك ،وكان معه جماعة من الأمراء ، فأقام هناك إلى قريب المغرب ،وانشرح فى ذلك اليوم إلى الغاية ، ومد هناك أسمطة حافلة ، وأحضر بين يديه مغانى وأرباب والآلات ، ثم إن شخصاً مضحكاً يقال له : على باى – الذى يعمل عفريتاً فى المحمل – قام رقص ، ثم سحب الوالى كرتباى فرقصه ،ثم سحب أمير آخور ثانى أقباى الطويل فرقصه ، ثم سحب بركات بن موسى المحتسب فرقصه ،ثم سحب عبد العظيم الصيرفى فرقصه – وكان جسيماً – فضحك عليه السلطان ، ونثروا بين يديه أشياء من أنواع الورد والزهر والفاكهة ومجامع الحلوى ، فتخاطف ذلك المماليك ، وابتهج فى ذلك اليوم ". (٢)

كما يشير " ابن اياس " – كذلك – فى حوادث حولية ثمان عشرة وتسعمائة للهجرة إلى اصطحاب " الغورى " فى تنقله فيما بين الجيزة والفيوم لفرقة من المغانى وأرباب الآلات ، منهم " محمد بن عوينة العواد " ، و " جلال السنطيرى " ، و " البوالقة " ، و " ابن الليمونى ". (٣) مما ينم عن ولع بالفن ، مصاحب لولعه بالفكر المستمد من كتب العلوم .

ولم تكن مجالس الأمراء – آنذاك – أقل احتفالاً بالعلم والعلماء من مجالس السلاطين ، على النحو المفهوم من قول " عبد الباسط الحنفى " مترجماً " تنبك من شاد بك الأشرفى " :

" ... ولم يزل مجلسه مشحوناً بالعلماء وأعيان الطلبة ، وهم

---

(١) المصدر السابق ج ٤ ص ١٧١ .

(٢) نفسه ج ٤ ص ٢٥٤ – ٢٥٥ .

(٣) نفسه ج ٤ ص ٢٩٠ .

يترددون إليه ، ويعولون فى كثير من مهماتهم عليه ، وهو يسعى فى مصالحهم ويرقيهم إلى الوظائف " .(١)

وقول " السخاوى " ـ فيما نقل عن " الشمس البساطى " ـ أنه سأل بحضرة الظاهر ططر ـ وهو حينئذ أمير ـ عن قول يعقوب ـ عليه السلام ـ لأولاده لما رجعوا من عند يوسف ـ عليه السلام ـ وقالوا له : ((إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين . واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها ،وإنا لصادقون . قال : بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل)) (٨١ ـ ٨٣ : يوسف) ، ما هو الذى سولت أنفسهم لهم ،مع أنهم لم يكن فى القضية تصنع ولا تسبب فى أخذ أخيهم منهم ، بل جهدوا على أن يؤخذ بدله فلم يجابوا إلى ذلك؟ قال : وكان فى المجلس جمع جم من الفضلاء ،فأكثروا الخبط ، فما تحصلت من جوابهم على شئ ، وانفض المجلس على ذلك ... " .(٢)

وقول " عبد الباسط ـ الحنفى " مترجماً " إينال اليحياوى " :

" ... ومما وقع لى معه أن شيخنا توجه إليه لداره مرة وأنا معه ، فقال له شيخنا ـ أعنى العلامة الكافيجى ـ رحمه الله : أتعرف هذا ؟ يشير إلىّ ، وقال : عرفنى به ، فقال : هو ولد صاحبك فلان ، فلما سمع بذلك أنس بى ،وأخذ يحادثنى ،ثم قال لشيخنا : هذا ابن ملك ، ماله وللفقهاء ! أنت أفسدته علينا وجعلته من حزبك ـ كل ذلك على طريقة الممازحة ـ ثم قال لى : أين كنت لما أن كان الوالد أميراً على الحاج الشامى فى سنة ست وخمسين (وثمانمائة) ؟ فقلت : كنت معه ، ورأيتك لما أن جئت إليه للسلام عليه ، فقال لى : صدقت ، ... ثم التفت إلى شيخنا وقال له : أريد أسأل من تلميذك سؤال بشرط أن لا تجيب عنه . فضحك الشيخ ـ رحمه الله ـ وقال له : هو يحتاج فى سؤال مثلك إلى جوابى ؟! سله ما بدا لك ، فالتفت إلىّ وقال : لم أزل أتعجب من قوله تعالى : ((رب المشرقين ورب المغربين)) (١٧ : الرحمن) إذ المشرق

---

(١) عبد الباسط ـ الحنفى . المجمع المفنن ق ٢٥٤ ب .
(٢) السخاوى . الذيل على رفع الإصر ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

واحد وكذلك المغرب ، فمن أين الثانى ؟ وكيف ذلك ؟

فقلت له : فى القرآن ما هو أعجب من ذلك ،وهو قوله تعالى : ((فلا أقسم برب المشارق والمغارب)) (٤٠ : المعارج) ، وأنت عجبت من اثنين ،والعجب من فوقهما أكثر . فبهت فى ذلك ، ثم قلت : أجيبك عن سؤالك وأفيدك ، فألقى باله إلىّ ، فقلت : المشرقين والمغربين : مشرقى الشتاء والصيف ومغربيهما ، كذا قاله بعض المفسرين ، وقال بعضهم : مشرق الشمس ومشرق القمر ، وكذا مغرب الشمس ومغرب القمر . فأعجبه كلامى إلى الغاية ، ثم سألنى عن المشارق والمغارب أن أفيده ذلك . فقلت : قالوا : مشرق الشمس فى كل يوم ومغربها كذلك فى أيام السنة ، وذلك سبب زيادة النهار ونقصانه ، ومن المفسرين من قال : مشارق المغارب وكواكبها الكواكب ومغاربها ، وفى المفسرين من قال : المشارق ظهور دعوة كل نبى ، والمغارب موت كل نبى ، فمن ذلك بيانه . وانخفض لى ، وأحضر إليه بعض ما يؤكل ، فى أوانى صينى ، فرفع من محلى إلى تكرمة ، فبقى شيخنا صدراً ، وأنا وإياه متوازيان فى الجلوس ، ثم قال فى أثناء أكله ذكر الآنية الصينى التى فيها المأكول ، وأنه أهداها له الخواجا محمد بن كاوان ، وذكر له ثمناً غالياً جداً ، فقلت له : قد سألتنى شيئاً يتعلق بالفقهاء ، وأنا فقد أجبتك عن ذلك ،وأنا أسألك عن شئ يتعلق بالأمراء ، أمثالك ، فقال : ما هو ذلك ؟ فقلت له : لم كانت هذه الأوانى الصينى غالية هذا الغلاء ، لاسيما هذه الذى ذكرت ثمنها ، مع أنها فخار مطلى ، والحال أن فى القيشانى ما هو أكثر رونقاً منها ونضارة ؟ فتفكر ساعة ،ثم قال : لأنها تجلب من الهند . فضحك شيخنا منه ، وأخذ يمازحه ، ويقول له : قد غلبك تلميذى فى شئ يتعلق بكم ، ثم أخذ هو يسأل عن ذلك ، حتى أوضحت له بعبارة وصلت إلى ذهنه ، وانفض المجلس بعد أن أكد علىّ ألا أنقطع عنه فى كل قليل ، فلم أعد إليه بعدها ، إذ لم أتوجه إليه باختيار منى ،بل لأجل شيخنا رحمه الله تعالى " .(١)

---

(١) عبد الباسط ـ الحنفى . المجمع المفنن ق ١٩٧ ب ـ ١٩٨ أ .

ولعل في هذا ما يشير إلى غنى مجالس مثل هؤلاء الأمراء بالفوائد العلمية ، وارتياد العلماء والمتفقهين لها ، لما يجدونه فيها من تشجيع وتقدير ، ولما يجده فيهم الأمراء من مقدرة على التفهيم والإفادة .

تاسعاً ــ بيوت العلماء :

كما كانت بيوت كثير من العلماء ــ آنذاك ــ مراكز علمية ، يجتمع فيها التلاميذ للأخذ عن الشيوخ ، حيث يلازم الشيخ بيته لاستعفاء من وظائفه ، أو لمرضه ، أو مداراة من مضايقة بعض الحكام ، ونحوه ، ولذا كثيراً ما تترجم المصادر بعضهم ، مشيرة إلى انقطاعه في بيته للتأليف والإفادة ؛ ومن ذلك توجه البرهان ابن الكركي " للإقراء في بيته لفنون العلم "(1) ، ولزوم البرهان ابن الديري " منزله بالمؤيدية يدرس ويفتي ، مع الانجماع والتقنع باليسير بالنسبة لما ألفه قبل "(2) ، وتزاحم الفضلاء على الولي السفطي " في حضور درسه ببيته وغيره "(3) ، ومكث " ابن حجر العسقلاني " في مرض موته مدة ،وهو لا يعلم به بعض من يقرأ عليه ليلاً ، مراعاة لخاطره ، مع تحمله لكبير مشقة في ذلك ، إلى أن أعيا فأعلمه بلطف.(4)

عاشراً ــ حوانيت الوراقين :

حظيت مصر ــ آنذاك ــ بسوق عامرة بحوانيت الوراقين(5) ،المعتنين بتوفير الكتب ، وكانت سوقاً مزدهرة ، نتيجة إقبال الأمراء والعلماء والتلاميذ وطلاب العلم عليها ، على اختلافهم ،وتعدد مشاربهم ، بحيث ارتفعت أثمان بعض الكتب ، وتغالى الناس فيها ، وصارت مصدر ربح كبير لطائفة

---

(1) السخاوي . الضوء اللامع ج 1 ص 63 .

(2) نفسه ج 1 ص 151 ، الذيل على رفع الإصر ص 11 .

(3) السخاوي . التبر المسبوك ص 327 ، الذيل على رفع الإصر ص 255 ، الضوء اللامع ج 7 ص 120 .

(4) السخاوي . الجواهر والدرر ق 278 أ .

(5) المقريزي . الخطط ج 2 ص 102 .

من التجار ، كالبدر الهوريني[١] والسهروردي[٢] والنور البطراوي[٣] والعز التكروري[٤] المجد الحريري[٥] ، وغيرهم .

إذ يشير " عبد الباسط ـ الحنفي " إلى أن السهروردي " كان يقصده الكثير من الأمراء والأمناء ، وحصل له من ذلك نفع وثروة ، وعرفه الكثير من الأعيان ، وخالط وعاشر ،وكان يتغالى في أثمان ما يبيعه للأتراك ، بل ولغيرهم " .[٦]

كما يشير " السخاوي " إلى أن المجد الحريري كان " تعانى التجارة في الكتب ، وصار ذا براعة تامة في معرفتها ، وخبرة زائدة بخطوط العلماء والمصنفين ، بحيث أنه يشتري الكتاب بالثمن اليسير ممن لا يعلمه ، ثم يكتب عليه بخطه أنه خط فلان ، فيروج ، وقد يكون ذلك غلطاً لمشابهته له ،بل وربما يتعمد لأنه لم يكن بعمدة ، حتى أنه ربما يقع له الكتاب المخروم ، فيوالي بين أوراقه أو كراريسه بكلام يزيده من عنده ، أو بتكرير تلك الكلمة ، بحيث يتوهمه الواقف عليه قبل التأمل تاماً ، وقد يكون الخرم من آخر الكتاب ، فيلحق ما يوهم به تمامه " .[٧]

ولم يكن ارتياد هذه السوق للبيع أو الشراء فقط ، إذ كانت منوطة بأمور أخرى ، كالنساخة ، أو الإجارة ، أو الاطلاع .

أما النساخة ، فقد أشار إليها " عبد الباسط " مترجماً " ابن الصائغ الحنفي " ـ وكان أحد أعلام الخط المنسوب في مصر ـ قائلاً :

" ... ويحكى عنه في سرعة الكتابة أمراً عجيباً ، منه[٨] قضية

(١) السخاوي . الضوء اللامع ج ٥ ص ٣٠١ .
(٢) نفسه ج ١ ص ٣٢ ، عبد الباسط ـ الحنفي . المجمع المفنن ق ٥ أ .
(٣) السخاوي . الضوء اللامع ج ٥ ص ٣٠١ .
(٤) نفسه ج ٧ ص ٢ ـ ٣ .
(٥) نفسه ج ٩ ص ١٤٨ ـ ١٤٩ .
(٦) عبد الباسط ـ الحنفي . المجمع المفنن ق ٥ أ .
(٧) السخاوي . الضوء اللامع ج ٩ ص ١٤٨ .
(٨) في الأصل : " منها " .

اتفقت له بسوق الكتبيين ،كتب فيها ثلاثة كراريس وهو مستند لبعض الحوانيت ، واقف على قدم واحدة ، وفرغها من ابتداء السوق أو بعده ، إلى بعد انقضائه . "(١)

وأما الإجارة ، فقد أشار إليها " السخاوى " مترجماً " المجد الحريرى " بقوله :

" ... ومن العجب أنه كان يتفق الاحتياج لبعض الكتب ، فأذكر له ذلك ، فيجئ به إلىّ موهماً أنه من عند غيره ، ولا يمكن منه إلا بإجارة يومية أو نحوها ، وربما تكون الأجرة موازية للثمن أو أكثر " .(٢)

وأما الاطلاع ،فقد أشار إليه " ابن حجر " مترجماً " البدر الزركشى " بقوله :

" ... وكان منقطعاً فى منزله ، لا يتردد إلى أحد إلا إلى سوق الكتب ، وإذا حضره لا يشترى شيئاً ، وإنما يطالع فى حانوت الكتبى طول نهاره ،ومعه ظهور أوراق يعلق فيها ما يعجبه ، ثم يرجع فينقله إلى تصانيفه " .(٣)

ولم يكن الحصول على الكتاب موقوفاً على السوق وحدها ، إذ كثيراً ما كان طلبة العلم أو النساخ ، وقد شهروا بكتاب بعينه ، أو صار الانتساخ حرفة لهم ، يوفرونه لمن يريده ، ومن هؤلاء :

" البرهان الختنى " ، وكان ينسخ " نسخاً من البخارى ، وربما باع النسخة منه بخمسين ديناراً " .(٤)

و " الشمس السخاوى " ، وقد كان ينسخ كتب شيخه " ابن حجر " ويبيعها لمن يطلبها .(٥)

كما كان " ابن نصير " ينسخ للناس بالأجرة ، بباب الصالحية النجمية .(٦)

---

(١) عبد الباسط ـ الحنفى . الروض الباسم ج ١ ق ٥٧ أ .
(٢) السخاوى . الضوء اللامع ج ٩ ص ١٤٨ .
(٣) ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٩٨ .
(٤) السخاوى . الضوء اللامع ج ١ ص ٨٢ .
(٥) السخاوى . الذيل على رفع الإصر ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤ .
(٦) نفسه ص ١٩٦ .

تجليد الكتب

كان شكل الكتاب ـ غالباً ـ مستطيلاً قائماً ، يضم أوراقـه ـ عادة ـ غلاف سميك[(١)] ، حفاظاً عليها من الضياع أو التلف .

وكان تجليد الكتب في مصر ـ آنذاك ـ حرفة زاهرة ، متقنة ومتوارثة ، ترجع في نشأتها ـ فيما يرجح ـ إلى العصر القبطي [(٢)] ، بحيث فاقت " القاهرة " فيها سائر حواضر العالم الإسلامي [(٣)] ، ولعل فيما تبقى من أغلفة المصاحف والمؤلفات المخطوطة ـ المحتفظ بها في مكتبات العالم ومتاحفه ـ ما يشير إلى أن هذه الفترة موضع البحث كانت بمثابة العصر الذهبي لفن التجليد الإسلامي ، بكل ما بلغه من مهارة ودقة وإتقان ، نتيجة لتوفر السلاطين والأمراء والأعيان على تجليد الكتب ،وتوفيرهم للقائمين عليه ما يحتاجونه من مواد أولية أو أجور عالية .[(٤)]

وتشير بعض المراجع الحديثة إلى امتياز أغلفة الكتب ـ في هذه الفترة موضع الدراسة ـ بتنوع الزخارف الهندسية والنباتية ، وتوزيعها على أغلفتها كلها ، مع مباينة طراز الزخرفة المثبت على الجانبين في القرنين السابع والثامن الهجريين لمثيله في القرنين التاليين لهما .

حيث توسط المتن ـ في القرنين السابع والثامن ـ سرة دائرية[(٥)] ، أو لوزية[(٦)] الشكل ، تدلت من جانبيها العلوي والسفلي دلايتان ، مع رسم أرباع لها في أركان المتن الأربعة ، وتكسيتها وأرباعها بزخارف عربية ، ثم إحاطة هذا المتن بإطار موزع إلى عدة حشوات مستطيلة الشكل ، تمـثلاً

---

(١) راجع ملحق رقم : " ٢ " من هذا البحث .

(٢) د . زكي محمد حسن . التأثيرات القبطية في الفنون الإسلامية . القاهرة ، مجلة جمعية محبي الفن القبطي ، ١٩٣٧ ، مج ٣ ص١٧ .

(٣) د . زكي محمد حسن . الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي . القاهرة ، دار الكتب ، ١٩٤٦ ، ط٢ ، ١٤٣ .

(٤) اعتماد يوسف القصيري . فن التجليد عند المسلمين . بغداد ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، ١٩٧٩ ، ص٤٧ .

(٥) راجع ملحق رقم : " ٣ " من هذا البحث .

(٦) راجع ملحق رقم : " ٤ " من هذا البحث .

بخطوط دقيقة مضفورة ، أو بما يشبه الصلبان المعكوفة .

بينما اجتمعت في المتن ـ في القرنين التاسع والعاشر ـ أشكال هندسية متعددة الأضلاع ، على هيئة أطباق نجمية أو أجزاء لها ، وقد احيطت بأشرطة يتوسطها شريط عريض ازدان بخطوط دقيقة مضفورة .(١)

وقد تتوسط المتن ـ بدلاً منها ـ حشوة مستطيلة الشكل ، تملأ أرضيتها بزخارف عربية دقيقة ، مع إحاطة هذه الحشوة بأشرطة مزدانة بزخارف هندسية ، يتوسطها شريط عريض ازدان بكتابات عربية.(٢)

وكانت الزخارف ـ في القرون الأربعة ـ تنفذ بطرق منها : الضغط على السطحين الداخلي والخارجي ـ أو أحدهما ـ أو باستخدام أختام صغيرة الحجم ،تضم في صفوف متتالية ، بغية الحصول على تصميم مستطيل ،أو برسم الزخارف المطلوبة على أغلفة مبطنة بالحرير ، ثم قطعها لتضئ من تحتها ، وعادة ما تلون هذه الزخارف باللون الذهبي ، والأزرق ، والأحمر ، والأبيض ـ إفراداً أو جمعاً ـ وإن ساد اللونان الأزرق والذهبي على ما سواهما .(٣)

---

(١) راجع ملحق رقم : "٥" من هذا البحث .

(٢) راجع ملحق رقم : "٦" من هذا البحث .

(٣) أرنست كونل ، الفن الإسلامي ، تر. د. أحمد موسى ، بيروت ، صادر ، ١٩٦٦ ،اعتماد يوسف القصيري ، فن التجليد عند المسلمين ص٤٧ ـ ٥٠ ، ٧٤ ـ ٧٧ .



الفصل الثالث

الفصل الثالث

السمات العامة

اتسمت الحركة الفكرية فى مصر ـ فى ظل دولة المماليك الجراكسة ـ بسمات عامة ، طبعت بها ، وصارت علماً عليها ، يمكن إجمالها فى الآتى :

أ ـ الاختصاص بالعلم ، وليس التخصص فيه :

إذ وجد أن كثيراً من أعلام هذه الحركة كانوا متعددى الفنون والمعارف ، سواء كان ذلك تحصيلاً أو تأليفاً ، فابن الملقن ـ مثلاً ـ عدد له ثلاثمائة مؤلف ، كتبت فى مجالات : التاريخ ، والأدب ، والشعر ، والفقه ، والأصول ، والحديث ... ودخل بكتاباته هذه فى مجال المؤرخين ، والأدباء ، والشعراء ، والفقهاء ، والأصوليين ، والمحدثين ، وغيرهم . وما يقال عنه ينسحب ـ كذلك ـ على " ابن حجر " و " السيوطى " .

كما أن العز الحنبلى " أكثر من الجمع والتأليف ، والإنتقاء والتصنيف حتى إنه قل فن من الفنون إلا وصنف فيه " .(1)

ب ـ غلبة الاتجاه الصوفى ، وتغلغله فى سائر فنون المعرفة ، على نحو ما سوف يشار إليه فى الأبواب التالية .

جـ ـ تعدد فنون المعرفة ، وإن غلبت عليها المعارف الدينية واللغوية ، وكذا تعدد الفنون التأليفية ، بين موسوعات جامعة كصبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى ، و شروح ومختصرات سواء لكتابات الغير كتلك الشروح والمختصرات المتعددة التى حظيت بها المكتبة العربية ومنها " الأرج بعد الفرج " للجلال السيوطى ، وهو تلخيص للفرج بعد الشدة لأبى بكر ابن أبى الدنيا ، و " عين الحياة " لمحمد بن أبى بكر الدماميني (ت ٨٢٧ هـ . / ١٤٢٤ م .) ، وهو مختصر لحياة الحيوان للدميرى ، و " الدرر المنظومة من النكت والإشارات المفهومة " للشهاب

---

(1) السخاوى . الذيل على رفع الإصر ص ٢٨ .

الحجازى (ت ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م) ، وهو شرح للنكت والإشارات فى شرح المقامات لابن سلامة الضرير ، أو ما كان منها من تأليف مختصريها أو شارحيها ، حيث تناول خليل بن شاهين مؤلفه " كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك " بالاختصار فى " الزبدة " ، ثم اختصر الزبدة بمؤلف أخصر منه ، هو " زبدة الزبدة " ، كما اختصر ابن تغرى بردى مؤلفه " المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى " بمؤلفه " الدليل الشافى على المنهل الصافى " ، كما شرح السيوطى مؤلفه " النقاية " بمؤلف أبسط منه هو " إتمام الدراية لقراء النقاية " ، وذيول على مؤلفات سابقة ، سواء منها ما كان للمؤلف عينه ، كتذييل ابن حجر على مؤلفه " الدرر الكامنة " أو من مؤلفات الغير كتذييل السخاوى على مؤلف شيخه ـ رفع الإصر ـ فى قضاة مصر ، أو الحواشى المقيدة على متون بعض المصادر أو المفردة بالتأليف كحاشية الليثى (ت ٨٨٨ هـ / ١٤٨٣ م) على تفسير البيضاوى ، فضلاً عن الشعر التعليمى ، الذى نظم به كثير من الكتب والقواعد ، والمعارف المنثورة ، بهدف الحفظ والاستيعاب ، لما يتمتع به هذا الفن من سهولة ويسر ، ومنه مؤلف السيوطى " الاقتباس فى محاسن الاقتباس " ، كما كانت هناك العديد من الموضوعات المبتكرة ، المفردة بالتأليف .

د ـ تغلغل المرأة فى الحركة العلمية ومشاركتها فيها :

إذ لم تكن هذه الحركة العلمية الزاهرة من فعل الرجال فقط ، وإنما شاركت فيها المرأة كذلك بقسط وافر ، سواء بالتحديث أو الإسناد (١) أو بالتدريس (٢) ، أو بعقد المجالس العلمية فى بيوتهن . (٣) بل إن أكثر مؤرخى هذه الفترة موضع الدراسة ممن ارتحلوا إلى نساء شهرن بحفظ الحديث النبوى والعلو فى إسناده ، وأخذوا عنهن .

---

(١) السخاوى ، الضوء اللامع ج ١٢ ص ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٠٦ ، ٥٢ .
(٢) نفسه ج ١٢ ص ٤٥ تر ٢٦٢ .
(٣) نفسه ج ١٢ ص ٧ ـ ٨ تر ٣٩ .

ولعل مما يبرز دورهن فى إثراء هذه الحركة العلمية ، والتغلغل فيها قول السخاوى مترجماً " سارة بنت جماعة " :

" ... ونزل أهل مصر بموتها فى الرواية درجة " .(١)

وتلك المراسلات المدونة فى الضوء اللامع ، والتى كانت متبادلة بين مؤلفه و " فاطمة ابنة محمود الحنفية " ، بما احتوت عليه من المطارحات الأدبية شعراً ونثراً .(٢)

هـ ـ كما كان من سمات هذه الحركة إنجاب الأسرات العلمية ، التى شارك الكثيرون من أفرادها فى الإثراء الفكرى ، تأليفاً وتلقيناً ، واسندت إليهم الكثير من الوظائف والولايات الدينية ، كأسرات " السبكى "(٣) ، و " البلقينى "(٤) ، و " القسطلانى " ،و " القرافى " ... وغيرها .

ولعل مما يبرز دور هذه الأسرات العلمية فى إثراء الحركة العلمية فى مصر ـ آنذاك ـ ما أشار إليه " السخاوى " من مباشرة " السراج البلقينى " تدريس " الخشابية " نحو أربعين سنة ، ثم انتقلت من بعده لولده " الجلال " ، فباشر تدريسها بضع عشرة سنة ، ثم انتقلت من بعده لأخيه " العلم " ، فباشر تدريسا بضعاً وعشرين سنة ، " فلها بأيديهم نحو مائة سنة منذ استقل بها ابن عقيل " .(٥)

وإن برز إلى جانبها شخصيات استمدت وجودها العلمى من مقدرتها على الجمع والتحصيل ، والإفادة بالتأليف وغيره ، ممن لا ينتمون إلى أيٍ من الأسرات العلمية المعروفة ـ آنذاك ـ كابن تغرى بردى ، وعبد الباسط الحنفى، ووالده خليل بن شاهين ، وابن اياس ، وقد انتظمتهم طائفة أولاد الناس .

---

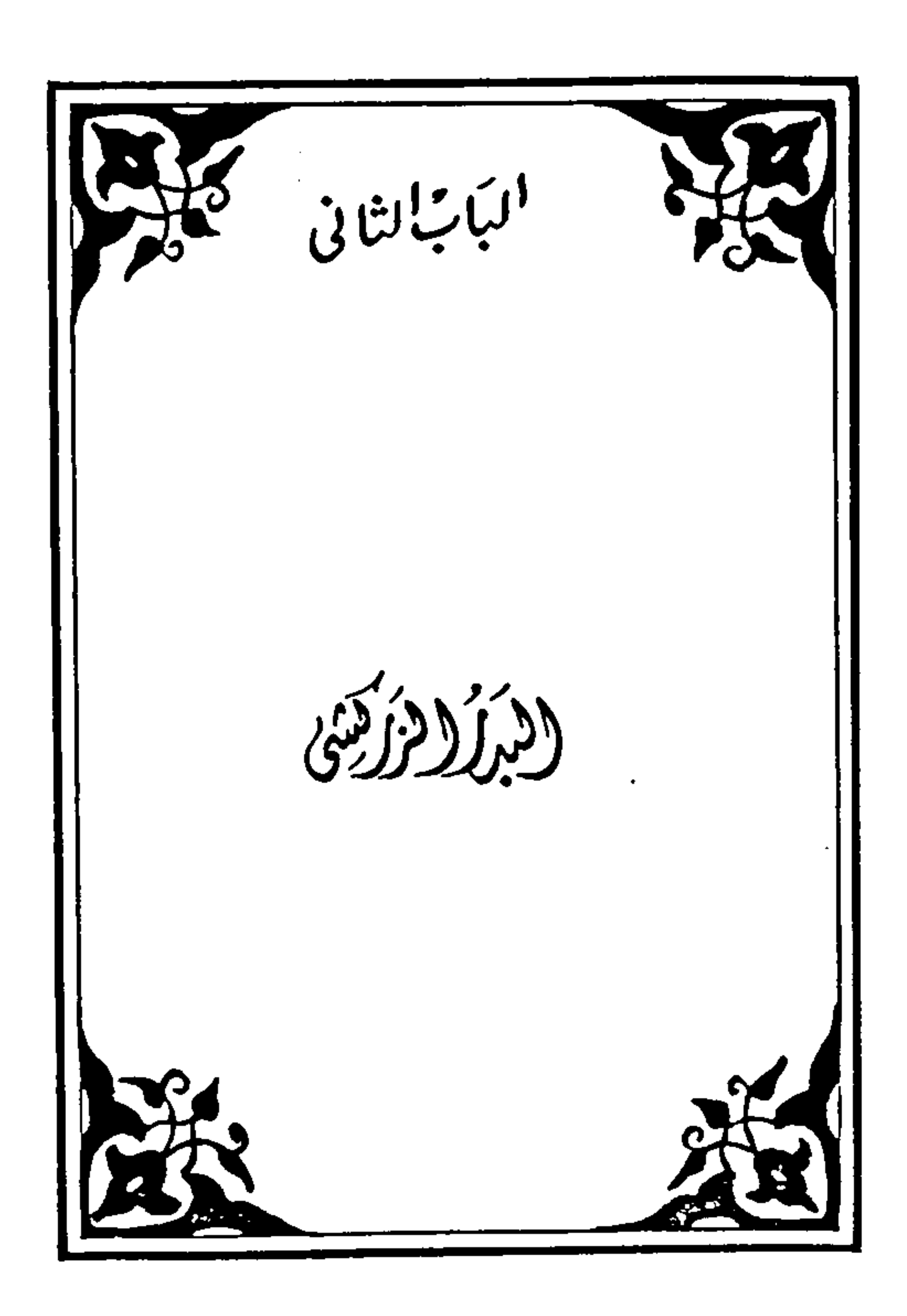
(١) المصدر السابق ج ١٢ ص٢٥ تر ٣٠٧ .
(٢) نفسه ج ١٢ ص١٠٧ ـ ١١٢ .
(٣) راجع : محمد الصادق حسين ، البيت السبكى ، القاهرة ،الكاتب المصرى ،١٩٤٨ .
(٤) السخاوى ، الذيل على رفع الإصر ص١٦٢ .
(٥) نفسه .

على أن هذه الحركة قد شابها ما شاب غيرها من الحركات العلمية في الشام والحجاز وغيرهما من جنوح نحو التنافس المفضي بالعلماء إلى الإسفاف والإخراق ، على النحو الوارد لدى " ابن حجر " في " الإنباء " ضمن حوادث حولية أربع وثمانين وسبعمائة للهجرة ، من الوقيعة بين كل من " السراج البلقيني " و " البدر ابن الصاحب " أثر مناظرة علمية دارت بينهما ، ألزم فيها " البلقيني " صاحبه بالكفر ، وأخذ يجهر بصوته قائلاً : " يامعشر المسلمين ، هذا كفر " ، ويجيبه ابن الصاحب بقوله : " يا معشر المسلمين ، هذا فشر ".(١) وكذا ما دار بين " السراج البلقيني " و " البرهان البيجوري " - فيما أشار السخاوي إليه - من مناظرة علمية ، غوش فيها البلقيني على صاحبه - وإن كان الحق فيها مع البيجوري - وقد وضع يديه على رأسه كالقرنين ، قائلاً : " وما عليّ إذا لم تفهم البقر! " ، وقد آل الأمر إلى إخراج " البيجوري " من المجلس " شحطاً برجله " ، ثم استرضاه .(٢) وما أشار إليه عبد الباسط الحنفي من مبادرة " حميد الدين النعماني " - " الشهاب الكوراني " ، في مجلس كاتب السر " الكمال ابن البارزي " القول بتسفيهه ، قائلاً : " أنت حمار ما تفهم " ، وتغيظ " الكوراني " عليه ، ومبادلته السباب بمثله ، قائلاً : " الحمار أنت وأبوك وأجدادك وأسلافك " ، وما تبع ذلك من عقد المجالس بالعلماء والمفتين في حضرة السلطان وغيره للإخراق بالكوراني ، لانجرار السب إلى الإمام الأعظم " أبي حنيفة " ، وقد ادعى " حميد الدين " الانتساب إليه .(٣)

ولقد انجرت هذه الخصومات المسفة - كذلك - إلى تلامذتهم ، فورثوها للأجيال التالية ، على نحو ما سوف يدرس في العلاقة بين كل من ابن حجر العسقلاني والسيوطي و أقرانهما في موضعه .

---

(١) ابن حجر . إنباء الغمر ج ١ ص ٢٦٢ .
(٢) السخاوي . الضوء اللامع ج ١ ص ١٩ .
(٣) عبد الباسط - الحنفي . الروض الباسم ج ١ ق ١٢ .



الباب الثاني

البدر الزركشي

البدر الزركشي

(٧٤٥ ـ ٧٩٤هـ٠ / ١٣٤٤ ـ ١٣٩٢م٠)

" دراسة حياة "

ولد " بدر الدين ، أبو عبد الله (١) ، محمد (٢) بن عبد الله ابن بهادر (٣) ، الزركشي ، الشافعي "، سنة خمس وأربعين وسبعمائة

---

(١) أثبتت هذه الكنية لدى كل من : ابن قاضي شهبة (طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٢٧) ، والداودي (طبقات المفسرين ج ٢ ص ١٥٨) ، على حين أُهمِلَ تدوينها لدى غيرهما ممن ترجم له .

(٢) ترجمته ـ هنا ـ مأخوذة عن : المقريزي . السلوك ج ٣ ص ٧٧٩ ، ابن قاضي شهبة . التاريخ ج ١ ص ٤٥١ ـ ٤٥٢ ، طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٢٧ ـ ٢٢٩ تر ٧٠٠ ، ابن حجر العسقلاني . إنباء الغمر ج ١ ص ٤٤٦ ـ ٤٤٧ تر ٢٩ ، الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ ، ابن الغزي . بهجة الناظرين (مخط . الأحمدية بحلب) ق ٣٩ ، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٠٩ تر ٢٠٩١ ، المنهل الصافي (مخط . عارف حكمت) مج ٣ ق ٩٠ ب ، النجوم الزاهرة ج ١٢ ص ١٣٤ ، الخطيب الجوهري . نزهة النفوس والأبدان ج ١ ص ٣٥٤ تر ١٧٣ ، السيوطي . حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٣٧ تر ١٨٢ ، الداودي . طبقات المفسرين ج ٢ ص ١٥٧ ـ ١٥٨ تر ٥٠٤ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٦ ص ٣٣٥ .

(٣) سماه ابن حجر العسقلاني (الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٩٧) " محمد ابن بهادر بن عبد الله " ، وصرح ابن تغري بردي (الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٠٩ ، والمنهل الصافي مج ٣ ق ٩٠ ب) بأن " بهادر " هو أبوه ، قائلاً : " كان أبوه بهادر مملوكاً لبعض الأعيان " .

وهو وهم ، يدفعه ما دُوِّن بخط مؤرخنا في نهاية المجلد الأول من مؤلفه " عقود الجمان " (مخط . الفاتح بتركيا) ق ٢١١ ب من قوله : " تم المجلد الأول من الذيل على ابن خلكان على يد مؤلفه ـ العبد الفقير إلى رحمة ربه الغني ـ محمد بن عبد الله الزركشي " ، وقوله مستهلاً المجلد الثاني منه (ق ٢١٣ ب) : " ... جمع العبد الفقير إلى رحمة ربه الغني ، محمد بن عبد الله الزركشي " .

فضلاً عن تسميته بـ " محمد بن عبد الله بن بهادر " لدى كل من الخطيب الجوهري (نزهة النفوس والأبدان ج ١ ص ٣٥٤) ، السيوطي (حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٣٧) ، الداودي (طبقات المفسرين ج ٢ ص ١٥٧) .

للهجرة (١) ،وشغف صغيراً بالعلم (٢) ،إلى جانب اشتغاله بصنعة "الزركش" (٣) المنسوب إليها (٤) ــ فحفظ القرآن الكريم ــ فيما يبدو (٥) ــ وبعض مختصرات علوم عصره ،كالتنبيه (٦) " للشيرازي . (٧)

---

(١) لم تشأ مصادر ترجمته أن تفصح عن محل مولده ،أو أن تؤرخ له تاريخاً مكتملاً ،ويبدو أنه ولد في مصر ونشأ فيها ،واتخذها موطناً له ، وهو ما يفهم من قول ابن حجر العسقلاني (الدرر الكامنة ج ٣ص٣٩٧) مترجماً له : " ... التركي الأصل ،المصري " ،إذ أن النسبة الأولى (التركي) لجنس أبيه ، والثانية (المصري) للمولد والمنشأ ، وإلا لتوسطتهما نسبة أو نسب أخرى ،كما هو معروف من منهج ابن حجر في إثبات عناصر ترجماته .
راجع : محمد كمال الدين عزالدين . ابن حجر العسقلاني مؤرخاً ص ١٦٢ .

(٢) ابن حجر العسقلاني . الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٩٧ .

(٣) زركش الثوب : رقشه ووشاه ــ دوزي . تكملة المعاجم العربية ج ٥ ص ٣١٥ .
وعلى ذلك ،فإن المشتغل بهذه الصنعة ،هو من يعالج القماش رقشاً وتوشية (أي زخرفة ونقشاً ونمنمة) تحسيناً له .
راجع : الفيروآبادي . القاموس المحيط (ط. مؤسسة الرسالة) ص ٧٦٧ ،١٧٣٠ ،في مادتي : " رقش " و " وشي " .

(٤) ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٠٩ ،المنهل الصافي ج ٣ ق ٠٩ ب .
ويبدو أنه أخذ هذه الصنعة عن أبيه ،وهو ما يُشتَمُّ من قول ابن قاضي شهبة (التاريخ ج ١ ص ٤٥) : " ... المعروف بابن الزركشي " .

(٥) لم تشر مصادر ترجمته إلى ذلك ،ويبدو من ثقافته القرآنية الواسعة ، المتبدية في مؤلفه " البرهان في علوم القرآن " ،فضلاً عن نظام التعليم في عصره ،أنه حفظ القرآن ــ الكريم ــ إلى جانب حفظه للمؤلفين المشار إليهما في المتن .

(٦) هو " التنبيه في فروع الفقه الشافعي " ،شرع الشيرازي في تصنيفه أوائل رمضان سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة للهجرة ،وراج بعده ، بحيث كان أكثر كتب الشافعية تداولاً ،وحظي بعدد وافر من الشروح والمختصرات .
راجع : حاجي خليفة . كشف الظنون ج ١ ص ٤٨٩ ــ ٤٩٣ .

(٧) هو " أبو إسحاق ،إبراهيم بن علي بن يوسف بن عبد الله " ، له =

(ت ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م) ، و المنهاج (١) " للنووى " (٢)
(ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨م) ، وتتلمذ فى الفقه والأصول على " الجمال
الإسنوى " (٣) (ت ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م) ، و " البهاء السبكى " (٤)

= ترجمة فى : ابن الجوزى ، المنتظم ج ٩ ص ٧ ـ ٨ تر ٥ ، النووى ، تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ص ١٧٢ـ١٧٤ تر ٢٧٤ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٩ـ٣١ تر ٥ ، الذهبى ، العبر ج ٣ ص ٢٨٣ـ ٢٨٤ ، اليافعى ، مرآة الجنان ج ٣ ص ١١٠ ـ ١١٩ ، السبكى ، طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٨٨ ـ ١١١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٢٤ ـ ١٢٥ ، ابن قاضى شهبة ، طبقات الشافعية ج ١ ص ٢٥١ ـ ٢٥٤ تر ٢٠٠ .

(١) هو كتاب " منهاج الطالبين " ، اختصر به " النووى " المحرر فى فروع الشافعية " للرافعى " .
راجع : حاجى خليفة ، كشف الظنون ص ١٨٧٣ .
ويبدو أن مورخنا قد اتقنه حفظاً وتدريساً ، ولذا نُسِبَ إليه ، فقيل له : " المنهاجى " .

(٢) هو " محيى الدين ، أبو زكريا ، يحيى بن شرف بن مرى بن حسن ابن حسين بن حزام " . له ترجمة فى : الذهبى ، تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٧٠ ـ ١٤٧٤ تر ١١٦٢ ، العبر ج ٥ ص ٣١٢ ـ ٣١٣ ، السبكى ، طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ١٦٥ـ١٦٨ ، الإسنوى ، طبقات الشافعية ج ٢ ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧ تر ١١٦٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ، ابن الفرات ، التاريخ ج ٧ ص ١٠٨ ـ ١١١ ، ابن قاضى شهبة ، طبقات الشافعية ج ٢ ص ١٩٤ ـ ٢٠٠ تر ٤٥٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٧٨ ، النعيمى ، الدارس فى تاريخ المدارس ج ١ ص ٢٤ ـ ٢٥ .

(٣) هو " جمال الدين ، أبو محمد ، عبد الرحيم بن الحسن بن على بن عمر بن على بن إبراهيم ، الأموى ، الإسنوى ، الشافعى " ـ له ترجمة فى : ابن رافع السلامى ، الوفيات ج ٢ ص ٣٧٠ ـ ٣٧٢ تر ٩١٢ ، المقريزى ، السلوك ج ٣ ص ١٩٣ ، ابن قاضى شهبة ، طبقات الشافعية ج ٣ ص ١٣٢ ـ ١٣٥ تر ٦٤٦ ، ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٥٤ ـ ٣٥٦ تر ٢٣٨٦ ، ابن فهد المكى ، لحظ الألحاظ ص ١٥٥ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ١١ ص ١١٤ ـ ١١٥ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٢٩ ـ ٤٣٤ تر ١٧٥ .

(٤) هو " بهاء الدين ، أبو البقاء ، محمد بن عبد البر بن يحيى بن على ابن يوسف بن موسى بن تمام الخزرجى ، السبكى ، الشافعى " ـ له ترجمة فى : الصفدى ، الوافى بالوفيات ج ٣ ص ٢١٠ ـ ٢١٤ تر ١١٩٩ =

(ت٧٧٢هـ٠ /١٣٧٥م٠) ،و "السراج البلقيني" (١) (ت٨٠٥هـ٠ /١٤٠٣م٠)،
وفي الحديث النبوي وعلومه على "العلاء مغلطاى" (٢) (ت٧٦٢هـ٠ /١٣٦١م٠)،

= ،ابن قاضي شهبة ٠ طبقات الشافعية ج ٣ ص ١٧١-١٧٤ تر ٦٦٨ ،
ابن حجر العسقلاني ٠ إنباء الغمر ج ١ ص ١٢١-١٢٣ تر ٦٠ ،الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٩٠ - ٤٩١ تر ١٣١٦ ،السيوطي ٠ بغية الوعاة ج ١ ص ١٥٢-١٥٣ تر ٢٥٤ ،النعيمي ٠ الدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ٣٨ - ٣٩ ،ابن طولون ٠ قضاة دمشق ص ١٠٦ - ١٠٧ تر ١١٣ ،القلائد الجوهرية ج ١ ص ١٧٢ - ١٧٣ ٠

(١) هو " سراج الدين ،أبو حفص ،عمر بن رسلان بن نصير بن صالح ابن شهاب بن عبد الخالق بن عبد الحق ،الكناني ،العسقلاني ، الشافعي " - له ترجمة في : المقريزي ٠ السلوك ج ٣ ص ١١٠٨ ،ابن قاضي شهبة ٠ طبقات الشافعية ج ٤ ص ٤٢ - ٥٢ تر ٧٣٧ ،ابن حجر العسقلاني ٠ إنباء الغمر ج ٢ ص ٢٤٥ - ٢٤٧ تر ٢١ ، المجمع المؤسس (مخط ٠ دار الكتب المصرية - ٧٥ مصطلح) ق ٢١٦أ - ٢٢٤ب ،ابن فهد المكي ٠ لحظ الألحاظ ص ٢٠٦ - ٢١٧ ،ابن الغزي ٠ بهجة الناظرين ق ٣أ - ١٦ ب ،ابن تغري بردي ٠ الدليل الشافي ج ١ ص ٤٩٧ تر ١٧٢٧ ،المنهل الصافي مج ٢ ق ٤٧٣ ،النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ٢٩-٣٠ ،الخطيب الجوهري ٠ نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ١٧١ - ١٧٢ تر ٣٨٦ ،السخاوي ٠ الضوء اللامع ج ٦ ص ٨٥ - ٩٠ تر ٢٨٦ ،السيوطي ٠ حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢٩ - ٣٣٥ تر ٧٦ ،ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٦٩ - ٣٧٠ ،الداودي ٠ طبقات المفسرين ج ٢ ص ٣-٤ تر ٣٨٥ ،ابن طولون ٠ قضاة دمشق ص ١٠٩-١١١ تر ١١٥ ٠

(٢) هو " علاء الدين ،أبو عبد الله ،مغلطاي بن عبد الله البكجري ، الحنفي ،الحكري " - له ترجمة في : ابن رافع السلامي ٠ الوفيات ج ٢ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ تر ٧٥٩ ،ابن كثير ٠ البداية والنهاية ج ١٤ ص ٢٨٢ ،الولي العراقي ٠ الذيل على ذيل أبيه على العبر (مخط ٠ كوبريلي) ق ٣ ب ،المقريزي ٠ السلوك ج ٣ ص ٧١ ،ابن حجر العسقلاني ٠ الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٥٢ - ٣٥٣ تر ٩٦٣ ،ابن فهد المكي ٠ لحظ الألحاظ ص ١٣٣ - ١٤٢ ،ابن تغري بردي ٠ الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٣٧ - ٧٣٨ تر ٢٥١٨ ،المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٤٧ ،النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٩ ،ابن قطلوبغا ٠ تاج التراجم ص ٧٧ تر ٢٣٦ ، السيوطي ٠ حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٥٩ تر ٩٢ ، ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٦٥ - ٣٦٦ ، ابن اياس ٠ بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٥٨٦ ٠

وفى اللغة والأدب على "الجمال ابن هشام" (١) (ت٧٦١هـ/١٣٦٠م) ، وارتحل إلى دمشق (٢) ، وحلب (٣) ، متتلمذاً فى الأولى على " الصلاح

---

(١) هو " جمال الدين ، أبو محمد ، عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن هشام " .

ترجمه الزركشى فى عقود الجمان ق ١٥٨ أ ـ ١٥٩ أ ، مشيراً إلى أنه حضر جنازته وارتجل فيه شعراً ، رثاءً له .

كما ترجمه كل من : المقريزى . السلوك ج ٣ ص ٥٥ ، ابن حجر العسقلانى . الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٠٨ ـ ٣١٠ تر ٢٢٤٨ ، ابن تغرى بردى . الدليل الشافى ج ١ ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣ تر ١٣٥١ ، المنهل الصافى ج ٢ ص ١٩٠ ب ـ ١٩١ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣٣٦ ، السيوطى . بغية الوعاة ج ٢ ص ٦٨ ـ ٧٠ تر ١٤٥٧ .

(٢) لم تؤرخ المصادر لرحلات " البدر الزركشى " تأريخاً دقيقاً ، كما لم تستوعبها ، فمؤرخنا يشير فى صدر كتابه " عقود الجمان " ـ ق ٢ ب ـ إلى أنه كان كثير " الأسفار " .

ويبدو أنه كانت له عدة رحلات إلى الشام ، وإلى غيرها ، وأنه دخل دمشق غير مرة ، إذ يشير الداودى (طبقات المفسرين ج ٢ ص ١٥٨) إلى أن مؤرخنا كان قد " سمع الحديث بدمشق سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة من الصلاح ابن أبى عمر ، وابن أميلة ، ومن غيرهما " ، أى وهو فى نحو السابعة من عمره ـ ربما بصحبة أبيه ـ إذ لا يتأتى له ذلك إلا بمرافقة غيره .

كما يشير ابن حجر العسقلانى (الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٩٧) إلى أن مورخنا لازم السراج البلقينى ، " ولما ولى (البلقينى) قضاء الشام استعار منه نسخته من الروضة مجلداً بعد مجلدٍ ، فعلق ما على الهوامش من الفوائد ، فهو أول من جمع حواشى الروضة للبلقينى ، وذلك فى سنة تسع وستين " .

ويبدو أن هذا التأريخ ليس تأريخاً لجمعه حواشى الروضة فقط ، وإنما كان تأريخاً للإستعارة كذلك .

فلقد أشار ابن حجر (إنباء الغمر ج ٢ ص ٢٤٦) ـ كذلك ـ إلى أن " السراج البلقينى " ولي قضاء الشام دون السنة بعد صرف " التاج السبكى " ، وأن ذلك كان سنة تسع وتسعين وسبعمائة للهجرة .

وعلى ذلك تكون هذه الرحلة ومورخنا فى نحو الرابعة والعشرين من عمره .

(٣) كان ذلك فى أثناء سنة ثلاث وستين وسبعمائة للهجرة ، كما هو مدرك من قول الزركشى (عقود الجمان ق ١٠١ أ) مترجماً للحسن بن حبيب : " ... اجتمعت به بحلب المحروسة فى سنة ثلاث وستين وسبعمائة " . أى ومورخنا فى نحو الثامنة عشرة من عمره .

الصفدى "(١) (ت ٧٦٤ هـ٠ / ١٣٦٣م٠) فى التاريخ والأدب (٢) ،و" العماد ابن كثير "(٣) (ت ٧٧٤ هـ٠ / ١٣٧٣م٠) فى الحديث

---

(١) هو " صلاح الدين ،أبو الصفا ،خليل بن أيبك بن عبد الله ، الصفدى " ـ له ترجمة فى : الحسينى ٠ ذيل العبر ص٣٦٤ ،السبكى ٠ طبقات الشافعية الكبرى ج ٦ ص ٩٤ـ١٠٣ ،ابن رافع السلامى ٠الوفيات ج ٢ ص ٢٦٨ ـ ٢٧٠ تر ٧٨٩ ،ابن كثير ٠ البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٠٣ ،الزركشى ٠ عقود الجمان ق ١١١ب ـ ١١٢أ ،الولى العراقى ٠ الذيل ق ٩أ ،المقريزى ٠ السلوك ج ٣ ص ٨٧ ،ابن قاضى شهبة ٠ طبقات الشافعية ج ٣ ص ١١٩ ـ ١٢١ تر ٦٤١ ،ابن حجر العسقلانى ٠ الدرر الكامنة ج ٢ ص ٨٧ ـ ٨٨ تر ١٦٥٤ ،ابن تغرى بردى ٠ الدليل الشافى ج ١ ص ٢٩٠ ـ ٢٩١ تر ٩٩٥ ،المنهل الصافى مج ٢ ق ٤٥ ب ـ ٤٩أ ،النجوم الزاهرة ج ١١ ص ١٩ـ٢١٠

(٢) صرح مؤرخنا (عقود الجمان ق ١١١ ب) بأخذه عن " الصفدى" بعض المقاطيع الشعرية ،ولم يشر إلى أخذه " علم التاريخ " عنه ، بل لم يشأ ـ فى ترجمته له ـ أن يسمى لنا مؤلفاته ، مكتفياً فيها بقوله : " ٠٠٠ وصنف التصانيف المفيدة ،والتواريخ الغريبة ،وله الشعر الرائق ،والوصف الفائق ،والتوليد العجيب ،والمعنى الغريب، ومصنفاته تنيف على مائتى مصنف ،وسارت فى البلدان ،وانتفع الناس بكلامه ،فالله يسدده " ٠ وهو ما يفهم منه أن هذه الترجمة كتبت والصفدى حياً ٠

لكن الدراسة المقارنة تشير إلى اعتماد "الزركشى " اعتماداً كبيراً فى " عقود الجمان " على" الوافى بالوفيات " للصفدى ،ناسباً ما أخذه عنه إلى مصادر مصدره ،متعمداً إغفال نسبتها إلى المصدر القريب المأخوذ لديه عنه ،مما يعد إجحافاً بحق شيخه ،ما كان يُظن بمثله أن يقترفه ٠

(٣) هو " أبو الفداء ،عماد الدين ،إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء ابن كثير بن زرع ،القرشى ،الشافعى " ـ له ترجمة فى : الحسينى ٠ ذيل طبقات الحفاظ ص٥٧ ـ ٥٩ ،المقريزى ٠ السلوك ج ٣ ص ٢٠٨ ، ابن قاضى شهبة ٠ طبقات الشافعية ج ٣ ص ١١٣ ـ ١١٥ تر ٦٣٨ ، ابن حجر العسقلانى ٠ إنباء الغمر ج ١ ص ٣٩ـ٤٠ تر ١١ ،الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤ تر ٩٤٤ ،ابن فهد المكى ٠ لحظ الألحاظ ص ٥٧ ـ ٥٩ ،ابن تغرى بردى ٠ الدليل الشافى ج ١ ص١٢٧ تر ٤٤٣ ،المنهل الصافى ج ٢ ص ٤١٤ ـ ٤١٦ تر ٤٤٤ ،النجوم الزاهرة ج ١١ ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ،النعيمى ٠ الدارس فى تاريخ المدارس ج ١ ص٣٦ـ٣٧ ،السيوطى ٠ ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ ،الداودى ٠ طبقات المفسرين ج ١ص ١١٠ـ١١٢ تر ١٠٣ ٠

وعلومه (١) ،كما كان له سماع (٢) فيها على "ابن أميلة" (٣) (ت ٧٧٨هـ٠
/١٣٧٣م٠) ،وتتلمذاً في الثانية على "الحسن بن حبيب" (٤) (ت٧٧٩هـ ٠
/ ١٣٧٧م٠) ،و "الشرف ابن ريان" (٥) (ت ٧٧٠هـ٠ /٦٨ـ١٣٦٩م٠)
في الأدب (٦) ، و"الشهاب الأذرعي" (٧) (ت٧٨٣هـ٠/١٣٨١م٠) في

---

(١) ابن حجر العسقلاني ٠ إنباء الغمر ج ١ ص ٤٤٦ ،الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٩٧ ،السيوطي ٠ حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٣٧ ،الداودي ٠ طبقات المفسرين ج ٢ ص ١٥٨ ٠

(٢) ابن قاضي شهبة ٠ التاريخ ج ١ ص ٤٥٢ ،ابن تغري بردي ٠ المنهل الصافي ج ٣ ق ٩٠ ب ،الداودي ٠ طبقات المفسرين ج ٢ ص ١٥٨ ٠

(٣) هو " صلاح الدين ،أبو حفص ،عمر بن الحسن بن مزيد بن أميلة ابن جمعة ،المراغي ،الحلبي " ـ له ترجمة في : الولي العراقي ٠ الذيل ق ٢٩ ب ،المقريزي ٠ السلوك ج ٣ ص ٢٩٧ ، ابن حجر العسقلاني ٠ إنباء الغمر ج ١ ص ١٤٢ ـ ١٤٣ تر ٥٥ ،الدرر الكامنة ج ٣ ص ١٥٩ ـ ١٦٠ تر ٣٧٧ ،ابن تغري بردي ٠ الدليل الشافي ج ١ ص ٤٩٧ تر ١٧٢٥ ،المنهل الصافي مج ٢ ق ٣٢٠ أ ٠

(٤) هو " بدر الدين ،أبو محمد ،الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر ابن حبيب بن شويخ بن عمر ،الدمشقي ،الحلبي " ـ له ترجمة في : الزركشي ٠ عقود الجمان ق ١٠١ أ ـ ١٠٤ أ ،الولي العراقي ٠ الذيل ق ٣٥ ب ،المقريزي ٠ السلوك ج ٣ ص ٣٣٦ ،ابن حجر العسقلاني ٠ إنباء الغمر ج ١ ص ١٦٢ ـ ١٦٣ تر ١٦ ،الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٩ ـ ٣٠ تر ١٥٤٣ ،ابن تغري بردي ٠ الدليل الشافي ج ١ ص ٢٦٧ تر ٩٢٠ ،المنهل الصافي مج ٢ ق ٢١ ب ـ ٢٢ ب ،النجوم الزاهرة ج ١١ ص ١٨٩ ـ ١٩٠ ٠

(٥) هو " شرف الدين ،أبو عبد الله ،الحسين بن سليمان بن أبي الحسن بن سليمان بن ريان ،الطائي ،الحلبي " ـ له ترجمة في : الصفدي ٠ الوافي بالوفيات ج ١٢ ص ٣٦٩ ـ ٣٧٧ تر ٣٥٦ ،الزركشي ٠ عقود الجمان ق ١٠٤ ب ـ ١٠٦ أ ، ابن حجر ٠ الدرر الكامنة ج ٢ ص ٥٥ ـ ٥٦ تر ١٥٨٩ ،ابن تغري بردي ٠ الدليل الشافي ج ١ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ تر ٩٤٢ ،المنهل الصافي مج ٢ ق ٣٠ ٠

(٦) الزركشي ٠ عقود الجمان ق ١١ أ ،١٠٤ ب ـ ١٠٦ أ ٠

(٧) هو " شهاب الدين ،أبو العباس ،أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الغني بن محمد بن أحمد بن سالم بن داود بن يوسف بن جابر ،الأذرعي ،الحلبي " ـ له ترجمة في : الولي العراقي ٠ الذيل ق ٤٠ أ ،ابن خطيب الناصرية ٠ الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب (مخط ٠ الأحمدية بحلب) ج ١ ق ٦٦ أ ـ ٦٨ أ ،ابن قاضي =

الفقه والأصول (١) ، وعاد إلى القاهرة ليمكث فيها شغوفاً بالتفسير ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، والتاريخ ، والأدب : شعره (٢) ونثره ، مطالعةً وتصنيفاً ، وقد تفرغ لما شغف به ومهر فيه (٣) ، بحيث انقطع أكثر وقته في بيته " لا يتردد إلى أحد ، إلا إلى سوق الكتب " التي لم يكن يبتاع (٤) منها

= شهبة . طبقات الشافعية ج ٣ ص ١٩٠ ــ ١٩٤ تر ٦٧٨ ، ابن حجر العسقلاني . إنباء الغمر ج ١ ص ٢٤١ــ٢٤٢ ، الدرر الكامنة ج ١ ص ١٢٥ــ١٢٨ تر ٣٥٤ ، ابن تغرى بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ٤٦ تر ١٥٣ ، المنهل الصافي ج ١ ص ٢٩١ ــ ٢٩٤ تر ١٥٥ ، النعيمي . الدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ٥٦ ــ ٥٨ .

(١) ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ج ٣ ص ١٩٣ ، ٢٢٨ ، ابن حجر العسقلاني . إنباء الغمر ج ١ ص ٤٤٦ ، الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٩٧ ، السيوطي . حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٣٧ .

(٢) أشار ابن حجر العسقلاني (إنباء الغمر ج ١ ص ٤٤٧) إلى أن مؤرخنا " كان يقول الشعر الوسط " .
كما صرح هو (عقود الجمان ق ١٥٨ ب) بأنه ارتجل الشعر في بعض المناسبات .

(٣) ابن قاضي شهبة . التاريخ ج ١ ص ٤٥٢ ، طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٢٨ ، ابن الغزى . بهجة الناظرين ق ١٣٩ أ .

(٤) يبدو أن عزوف مؤرخنا عن تحصيل الكتب بالشراء ، والاكتفاء بمطالعتها في حوانيت الوراقين ، لا يرجع لديه إلى عدم إدراك لقيمتها ــ خاصة إذا كانت بخطوط مؤلفيها ، أو حاوية لتعليقات وتحقيقات بعض العلماء على متونها ــ وإنما هو راجع لضيق ذات اليد ، وإلا فهو مدرك لقيمتها ، عارف بأن تحصيلها يفيد في تقويم محصليها لدى المترجمين لهم ، وهو ما يفهم من قوله (عقود الجمان ق ١١٣ أ) مترجماً لداود بن عيسى : " ... وكان متعيناً لتحصيل الكتب النفيسة " ، وقوله (نفسه ق ١٣٠ ب) مترجماً لشافع بن علي ، المعروف بسبط ابن عبد الظاهر : " ... وكان جماعاً للكتب ، خلف ثمان عشرة خزانة مملوءة كتباً نفيسة " ، وقوله (نفسه ق ٣٠٢ أ) مترجماً لمحمد بن عمر ابن شاهنشاه : " ... وجمع من الكتب ما لا مزيد عليه " ، وقوله (نفسه ق ٣٢٨ أ) مترجماً لموسى بن أسامة بن منقذ : " ... وجمع من الكتب شيئاً كثيراً " .
وعلى كل حال ، فإن هذا المسلك قد مكنه من الاطلاع على الكثير من المصادر النادرة ، سواء لكونها بخطوط مؤلفيها ، أو لأنها مما اصطلح على تسميته بالتعاليق (أي ما يعلقه العلماء على متونها من حواشي وملحوظات) ، على النحو الذي سوف يعرض له عند التعريف بمصادر " عقود الجمان " .

شيئاً – غالباً – وإنما " يطالع في حانوت الكتبي طوال نهاره ، ومعه ظهور أوراق يعلق فيها ما يعجبه " ، ثم يمضي بها إلى داره لينقل عنها في تصانيفه ما شاء (١) ، وقد كفاه بعض أقاربه أمر دنياه (٢) بما كان يتحصل له من معاليم (رواتب) بعض المدارس (٣) التي أُسْنِدَ إليه التدريس فيها ، وخانقاة " كريم الدين " (٤) (ت ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م) التي ظلت مشيختها – فيما يبدو – بيده (٥) إلى حين وفاته في القاهرة ، يوم الأحد ،

---

(١) ابن حجر العسقلاني . الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٩٨ .

(٢) ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٢٩ ، الداودي . طبقات المفسرين ج ٢ ص ١٥٨ .

(٣) أشارت مصادر ترجمته إلى أنه " أفتى ودرس " ، و " تخرج به جماعة " . كما نبه ابن الغزي (بهجة الناظرين ق ٣٦أ) إلى أنه " درس بالقاهرة بعدة مدارس " ، " فتخرج عليه جماعة من الفضلاء ، ومن أخصهم به شمس الدين البرماوي " .
لكن لم تتعين تلك الدروس التي كان يلقيها ، ولا أسماء المدارس التي كانت محلاً لتداريسه ، كما لم تتحدد مدة شغله لها .

(٤) هو " عبد الكريم بن هبة الله بن السديد ، المعروف بكريم الدين ، أبي الفضائل " ، ناظر الخواص الشريفة على عهد " الناصر محمد بن قلاوون " .
(راجع : الدواداري . كنز الدرر ج ٩ ص ٣١٠ – ٣١١ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٠٥ ، ابن حبيب . تذكرة النبيه ج ٢ ص ١٣٣ ، ابن دقماق . الجوهر الثمين ج ٢ ص ١٥٩ (ط. بيروت) ، المقريزي . السلوك ج ٢ ص ٢٤٣ – ٢٤٥ ، ابن حجر العسقلاني . الدرر الكامنة ج ٢ ص ٤٠١ – ٤٠٤ تر ٢٤٩١ ، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٤٢٦ تر ١٤٦٩ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ٢٣٦ب – ٢٣٨أ) .
والخانقاة المذكورة كان قد أنشأها بالقرافة الصغرى (جبانة الإمام الشافعي – الآن) ، وأوقف عليها عدة جهات ، وهي مما اندثر .
(راجع : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٨٤ ، حاشية رقم : ٣ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٤٥٤ .)

(٥) ابن قاضي شهبة . التاريخ ج ١ ص ٤٥٢ ، طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٢٨ ، ابن حجر العسقلاني . إنباء الغمر ج ١ ص ٤٤٧ ، ابن الغزي . بهجة الناظرين ق ٣٩ ب ، الداودي . طبقات المفسرين ج ٢ ص ١٥٨ .

الثالث من رجب سنة أربع وتسعين وسبعمائة للهجرة (١) ، خالفاً وراءه أولاداً خمسة ، هم : عائشة ، وفاطمة ، ومحمد ، وعلى ، وأحمد (٢) ، وسيرة حسنة ، نُعِتَ فيها بالانجماع عن الناس ، والإقبال على شأنه ، وملازمة ما يعنيه ، واطراح التعاظم ، والعزوف عن مزاحمة الآخرين على الرياسة ، والتواضع المفضي إلى امتهان النفس — على طريق صوفية عصره — بارتداء الخلق من الثياب ، والحضور بها في المجامع والأسواق . (٣)

---

(١) لا خلاف بين مصادر ترجمته على ذلك ، وإن تفاوت التأريخ للوفاة فيما بينها بين تام وناقص .

(٢) أُسْتُفِيد ذلك من نص صورة السماع الذى ألحقه ولده " محمد " آخر مؤلف أبيه " الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة " (ص١٧٥) ، والوارد لديه على النحو التالي :

" ... بلغ السماع لجميع هذا الكتاب على مؤلفه ، شيخي ووالدي ، الفقير إلى الله — تعالى — بدر الدين ، أبى عبد الله ، محمد ، ابن الفقير إلى ربه جمال الدين ، عبد الله ، الشهير بالزركشي ، الشافعي ، عامله الله — تعالى — بلطفه . فسمعته ابنته عائشة ، وفاطمة ، وسمع من باب الاستدراكات العامة ولده أبو الحسن على ، وحضر المجلس المذكور — ولده أحمد — ويدعى : عبد الوهاب — في الثانية من عمره ، وذلك بقراءة مُثْبِته ، فقير رحمة ربه ، محمد بن محمد بن عبد الله الزركشي ، الشافعي — عامله الله بلطفه — وصح ذلك ، ومدته عشرة مجالس ، آخرها يوم الأحد لثمان خلون من صفر ، عام أربعة (في الأصل : أربع) وتسعين وسبعمائة ، وأجاز لنا جميع مؤلفاته متلفظاً بذلك بسؤالي له " .

وهو ما يستفاد منه : اعتناء مؤرخنا بإسماع أولاده ، وتثقيفهم ، وأن هؤلاء الأولاد كانوا هم المعروفين لديه إلى قبيل وفاته ، وإن لم تذكر صورة السماع سماعاً لزوجه ، أو إشارة إليها .

(٣) ابن حجر . إنباء الغمر ج١ ص٤٤٧ ، الدرر الكامنة ج٣ ص٣٩٨ ، ابن تغرى بردى . المنهل الصافي مج ٣ ق ٩٠ ب .



الفصل الثاني

ترك " البدر الزركشى " — رحمه الله — مؤلفات كثيرة فى مجالات : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، والأدب. (١) ولم يترك فى مجال الكتابة التأريخية — فيما يبدو — إلا مؤلفاً واحداً ، وهو " عقود الجمان على وفيات الأعيان ". (٢) وإن انتثرت له بعض فوائد أو فصول تأريخية

---

(١) راجع مصادر ترجمته بشأن ذلك .

(٢) اعتمدت هذه الدراسة على مخطوط بخط مؤلفه ، تحتفظ به مكتبة " الفاتح — بتركيا " تحت رقم : ٤٤٣٥ ، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة ، ذات الرقم : ٣٣٨ — تاريخ .
ويقع فى مجلدين ضما (٣٦٢) ورقة ، مقاسها : ١٨,٥×١٣,٥ سم ، كتب على وجهيها كتابات يشيع فيها الكثير من الطمس والشطب ، والاحالات إلى تتمات فى الجوانب ، والتنبيه على إعادة الترتيب فى بعض مواضع (منها قوله — ق ٢٣٣أ — قرين ترجمة موسى بن أبى بكر ، وقد ترجم له فى حرف العين : " تنقل هذه الترجمة لآخر باب الميم ")
فضلاً عن كثير من الحواشى والتعليقات التى وضعها أحد المطلعين على هذه النسخة من الكتاب (راجع ق ١١٢أ ، ب ، ق ٢٣ ب ، ق ١٤٨أ ، ق ١٦٣أ) .
مع مساعدة نسخة أخرى منه ، تحتفظ بها مكتبة " شيخ الإسلام عارف حكمت — بالمدينة المنورة " تحت رقم : ٤٥٩ — تاريخ ، وعنها مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة ، ذات الرقم : ١١٤١ — تاريخ .
نسخها " ظهير الدين بن محمد بن إبراهيم ، المصرى ، الحلبى ، الحنفى " عن مخطوط المؤلف ، فجاءت فى مجلدين ، تم نسخ أولهما فى شوال سنة ٩٠٣ هـ . فى (١٦٤) ورقة ، بينما نسخ ثانيهما فى رجب من السنة التالية فى (١٧١) ورقة ، وبذلك تكون هذه النسخة قد اشتملت على (٣٣٥) ورقة ، مقاسها : ٢٠×٢٥ سم ، كتب على وجهيها بمسطرة متوسطها (٢٢) سطراً فى الصفحة الواحدة .
وهذه النسخة يشيع فيها الكثير من التصحيف والتحريف والإسقاطات التى أفقدتها الكثير من عناصر الترجمات ، فضلاً عن ثلاث ترجمات أثبتت فى المخط . الرئيس ، وأهمل تدوينها فيها ، وهى :

* تر . إبراهيم بن عبد الله بن يوسف ، الأرمنى (ق ٢٨أ) .
* تر . أحمد بن عبد العزيز بن محمد المقدسى (ق ٤٣أ) .
* تر . طراد بن على بن عبد العزيز الملاح (ق ١٢٩ب) .

فى كثير من المؤلفات الأخرى ، الداخلة فى مجالى : الحديث والفقه ، على النحو الوارد لديه فى مؤلفه " إعلام الساجد بأحكام المساجد " ، حيث أرخ من خلاله للحرمين الشريفين ، ومسجديهما ، والمسجد الأقصى ، ومسجد قباء ، والجامعين : الأزهر ، والحاكمى ، مشيراً من خلال ذلك إلى ما اقترن ببعض المساجد من تعدد الأسماء ، أو التجديد المعمارى ، اجمالاً لا تفصيلاً . (١) ومؤلفه " الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة " ، وقد ترجمها فى الباب الأول منه ترجمة وسطاً ، أبان فيها عن كنيتها - رضى الله عنها - واسمها - حقيقة وتدليلاً - ونسبها من جهة الأم - عازفاً عن تتبع نسبها من جهة الأب ، ربما لاشتهاره - والتأريخ لزواجها ووفاتها ، مع تقدير سنها حال : الزواج ، ووفاة النبى - صلى الله عليه وسلم - ووفاتها ، وحصر المروى عنها من حديثه - عليه السلام - عدداً ، " ... رُوىَ لها عن النبى - صلى الله عليه وسلم - ألفا حديث ومائتا حديث وعشرة أحاديث ، اتفق البخارى ومسلم منها على مائة وأربعة وسبعين حديثاً ، وانفرد البخارى بأربعة وخمسين ، ومسلم بثمانية وستين " ، والرواة له عنها اجمالاً ، والتعريف بمواليها ، وما اشتهر من خصائصها ، وقد حُصِرَت لديه فى أربعين . (٢) ومؤلفه " المعتبر فى تخريج أحاديث المنهاج والمختصر " ، وقد خصص القسم الثانى منه - من عداد أقسام ثلاثة - المعنون بـ " التعريف بالرجال الواقعين فى الكتابين " للتعريف الموجز بالرجال والفرق المذكورين فى كتابى " منتهى السؤل والأمل فى علمى الأصول والجدل " لابن الحاجب " (ت ٦٤٦ هـ . / ١٢٤٩م .) و " منهاج الوصول إلى علم الأصول " للبيضاوى (ت ٦٨٥ هـ . / ١٢٨٦م .) ، مترجماً من خلاله لأربعة ومائة من الصحابة والتابعين - رضوان الله عليهم - ومن أتى بعدهم من أئمة الحديث ، والفقه ، والتفسير ، والنحو ، واللغة ، والفلسفة ، فضلاً عن التعريف المقتضب بأربع عشرة فرقة وطائفة إسلامية وغير إسلامية ، هى على التتابع : الظاهرية ، والمعتزلة ، والبراهمة ،

---

(١) راجع : الزركشى . إعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٢٩-٣٥ ، ٤٣ - ٥٨ ، ٧٨ - ٨٣ ، ٢٢٣-٢٢٥ ، ٢٣٢-٢٣٦ ، ٢٧٥-٢٨٥ .

(٢) راجع : الزركشى . الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص ٣١ - ٧٠ .

والبهشمية ، والجبرية ، والحشوية ، والخطابية ، والزيدية ، والسمنيـــــة ، والسوفسطائية ، والشيعة ، والقدرية ، والكرامية ، والمرجئة .(١)

وسوف يقتصر في هذا البحث على الدراسة المنهجية لعقود الجمـــان على وفيات الأعيان دون غيره ، لكونه الأثر الوحيد " للزركشي " المقتصر علـــى الكتابة التأريخية دون سواها .

(١) الزركشي . المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر ص٢٥٣ ـ ٣٠٢ .

عنوان الكتاب

انخرمت النسخة الرئيسة (مخط • المؤلف) للكتاب في أولها ، ممـــا أفقده صفحة الغلاف ، وقدراً من ديباجته (مقدمته) ، وإن تبقى في آخـر المجلـد الأول منها ما يشير إلى أن الكتاب " ذيل " على وفيـات الأعيـان " لابن خلكان " (١) (ت ٦٨١ هـ • / ١٢٨٢م •) ، كما يوضحـه قولـه : " • • • تم المجلد الأول من الذيل على ابن خلكان " (٢) ، وفي أول المجلـد الثاني منها ــ كذلك ــ عنوانه ، على النحو الوارد في قوله : " المجلد الثاني من عقود الجمان على وفيات الأعيان " . (٣)

ويبدو أن النسخة الثانية منه ، المحفوظة في مكتبة " عارف حكمت " قد نقلت عن نسخة الأصل (مخط • المؤلف) بعد انخرامها ، مما جعل ناسخها يستهلها بالبسملة والدعاء ، قائلاً : " بسم الله الرحمن الرحيم ، وبالـلـــه

(١) هو " أبو العباس ، شمس الدين ، أحمد بن محمد بن إبراهيم بـن أبي بكر بن خلكان " •
له ترجمة في : اليونيني • ذيل مرآة الزمان ج ٤ ص ١٤٩ ــ ١٦٥ ، أبي الفدا • المختصر في أخبار البشر ج ٤ ص ١٦ ــ ١٧ ، الذهبي • العبر ج ٥ ص ٣٣٤ ، ابن شاكر الكتبي • عيون التواريخ ج ١ ص ٣٠٨ ــ ٣١٤ ، فوات الوفيات ج ١ ص ١١٠ ــ ١١٨ ، الصفدي • الوافـي بالوفيات ج ٧ ص ٣٠٨ ــ ٣١٦ تر ٣٣٠٠ ، السبكي • طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ١٤ ــ ١٥ ، الاسنوي • طبقات الشافعية ج ١ ص ٤٩٦ تر ٤٥٣ ، ابن كثير • البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٠١ ، ابن قاضـي شهبة • طبقات الشافعية ج ٢ ص ٢١٢ ــ ٢١٥ تر ٤٦٣ ، ابن تغـري بردي • الدليل الشافي ج ١ ص ٧٤ ــ ٧٥ تر ٢٦٠ ، المنهل الصافـي ج ٢ ص ٨٩ ــ ٩٤ تر ٢٦٢ ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٥٣ ــ ٣٥٥ ، النعيمي • الدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ١٩١ ــ ١٩٣ ، ابـن طولون • قضاة دمشق ص ٧٦ تر ٩٨ ، القلائد الجوهرية ج ٢ ص ٥٧٧ ــ ٥٨٠ ، ابن القاضي • درة الحجال ج ١ ص ٧ تر ١ •

(٢) الزركشي • عقود الجمان (مخط • الفاتح) ق ٢١١ ب •

(٣) نفسه ق ٢١٣ ب •

التوفيق ". (١) مبيضاً لديباجة الكتاب فيما بين الاستهلال وحرف الألف الحاوي لأوائل ترجمات الكتاب، واضعاً لنسخته عنواناً، أتى في موضعين، هما على التتابع :

* صفحة الغلاف من الجزء الأول، وقد جاء فيها قوله : " كتاب عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان للشيخ الزركشي، نفعنا الله ببركته والمسلمين، آمين، آمين ". (٢)

* خاتمة الجزء الثاني من الكتاب، وقد جاء فيها قوله : " ... نجز (المجلد الثاني) من كتاب عقود الجمان، الذيل على وفيات الأعيان للإمام الزركشي، وبتمامه تم الكتاب ". (٣)

وبالمقابلة بين النسختين يتضح أن الناسخ - هنا - قد تصرف في العنوان في موضعيه، محافظاً في الشطر الأول منه على تسمية مؤلفه له بـ " عقود الجمان "، متصرفاً في الشطر الثاني، على اختلاف فيه بين " وتذييل وفيات الأعيان " و " الذيل على وفيات الأعيان "، مما يجعل تسمية مؤلفه له بـ " عقود الجمان على وفيات الأعيان " أولى التسميات به.

لكن هذا العنوان - وإن أُثبِتَ بخط مؤلفه - يثير إشكالاً إذا ما قوبل بما تبقى من ديباجة الكتاب ومحتواه.

ذلك أن مؤرخنا قد أشار إلى تسميته بـ " عقود الجواهر " - فيما تبقى من ديباجته - قائلاً :

" ... ولما جمع (الكتاب) من النادر والبارد (٤)، واستمد ديوانه الصادر والوارد، سميته عقود الجواهر، وعند ذلك يتحقق بديع تأليفه، والإصابة في تمييزه بهذا الاسم وتعريفه ". (٥)

كما أن مادة الكتاب - وقد أُشير إلى أنها تذييل على وفيات الأعيان لابن خلكان - تتضمن الكثير من الترجمات المترجم لذويها في الكتاب المذيل عليه، مع تنبه إلى ذلك لدى مؤرخنا. (٦)

---

(١) المصدر السابق (مخط. عارف حكمت) ج ١ ق ١ أ.
(٢) نفسه ج ١ ق ٢ أ.
(٣) نفسه ج ٢ ق ١٧١ ب.
(٤) البارد : الهني. - الفيروزابادي. القاموس المحيط ص ٣٤١.
(٥) الزركشي. عقود الجمان (مخط. الفاتح) ق ٣ أ.
(٦) سوف يُشار إلى ذلك تفصيلاً عند الحديث عن مصادر مادة الكتاب.

على أنه يمكن التعليل لذلك ،بأن مؤرخنا — فيما يرجح — قد عدل عنوان الكتاب بعد إنشاء ديباجته — التي كانت قد عُدِّلَت قبل هذا التعديل كذلك[1] — وأن التعديل في العنوان لم يتبعه تعديل ثانٍ في المقدمة سهواً ، وأن الغاية من تعديل العنوان — على النحو آنف الذكر — هي مراعاة السجعة ،إذ أن " الراء " آخر لفظة " الجواهر " لا تتناسب و " النون " آخر لفظة " الأعيان " ،مما حتم إحلال لفظة " الجمان " محل الأولى منهما .

كما أن " الذيل " وإن حمل مفهوم إكمال مادة المذيل عليه ووصله ، فإنه — بمفهوم عصر مؤرخنا — قد حمل معنى " الاستدراك " على مادته — كذلك — ولذا ربما داخل الكتاب المذيل عليه في مادته ،بما قد يتضمنه من إضافات لمادة المترجمين فيه ،وهو ما يفهم من قول " عبد الباسط بن خليل — الحنفى "[2] (ت ٩٢٠هـ / ١٥١٤م.) في صدر كتابه " الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم " :

" ... وقد يحسن ويصلح أن يكون تاريخنا هذا ذيلاً على عدة من التواريخ المعتبرة المشهورة للسادة الأئمة المهرة ،كتاريخ قاضي القضاة البدر العيني — طيب الله ثراه ، وجعل الجنة مأواه وقراه — وتاريخ شيخ الإسلام ،حافظ العصر ،ابن حجر — تغمده الله برحمته ،ولضريحه نور — وتاريخ التقي المقريزي — رحمه الله برحمة نماها — وغير ذلك من التواريخ التي بمعناها ،وإن داخلها في بعض السنين الماضية ،فيحسن ذيلاً من حيث السنين الآتية عقب سني التواريخ المذكورة بعد التداخل ، على أن بها من الزيادة ما يصلح أن يكون ذيلاً لتلك السنين المتداخلة ،فتم التداخل ".[3]

---

(١) حيث عدل قوله (عقود الجمان — مخط. الفاتح ق ٣ أ) : "... ولما انتظم في عقد النجوم الجواهر ،وسما على اللآلى الخوافر " ، بقوله : " ... ولما جمع من النادر والبارد ،واستمد ديوانه الصادر والوارد ، سميته عقود الجواهر " ، وقد ضرب (شطب) على القول الأول .

(٢) سوف يترجم له تفصيلاً في هذا البحث

(٣) عبد الباسط — الحنفى . الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم . مخط . التيمورية رقم : ٢٤٠٣ (عن مخط. فينا) ج ١ ق ٢ أ .

وعلى ذلك فإنه يمكن الاطمئنان إلى أن الصفة التى استقر "الزركشى" — مؤرخنا — عليها بآخره لتكون عنواناً لمؤلفه هذا ، هى "عقود الجمان على وفيات الأعيان" ، وأن كتابه هذا قد هدف إلى "التذييل" على "وفيات الأعيان" لابن خلكان ، وإن ذكر فيه الكثير ممن ترجموا لديه .

محتـــواه وتنظيمـه

احتوى الكتاب على مقدمة ، أتبعت باثنتين وتسعين وأربعمائة (٤٩٢) ترجمة وزعت على حروف المعجم "ليسهل تناولها".(١) وإن اختل الترتيب داخل كثير من الحروف .(٢)

أما المقدمة ، فقد أشير فيما تبقى منها إلى أن مؤرخنا لم يصنف كتابه هذا لأحد ، وإنما صنفه لنفسه ، ليكون لهمه مسلياً ، ومن غمه منجياً ، وأنه كان قد تُرِكَ لفترة طويلة فى المسودات التى "صارت ودائع المجامع" ، معللاً لذلك بضيق أوقاته ، وسعة مشقاته ، وكثرة أسفاره ، وقلة أسحاره ، فما هى إلا أن سنحت "فرصة من الزمان" حتى بادر إلى استدراك ما فرط ، وأخذ فى إثبات ما تهيأ له جمعه فى تلك المسودات ، المحتوية على "المذاكرات المرضية ، والمراجعات السنية ، والمفاخرات الجوهرية ، وما حفظه عن شيوخه ، والتقطه من ديوان استيفاء مجالسه ، وما اختاره من التواريخ العزيزة ، والدواوين الشعرية" ، مشيراً إلى أن هذه المسودات قد خضعت للانتقاء — كذلك — عند تدوينها فى هذا المؤلف ، قائلاً :

" ... فاخترت من مختار كل مختار ، ومن بديع كل بديع ، كل بديع فاخر ، من ألفاظ الأوائل والأواخر ، من محاسن الأخبار ، وفنون الآثار ،

---

(١) الزركشى . عقود الجمان (مخطـ . الفاتح) ج ١ ق ٣ أ .

(٢) إذ نجد أن ترجمة "إبراهيم بن نصر بن عسكر" (نفسه ق ٧ أ) قد سبقت ترجمة "إبراهيم بن أونبا بن عبدالله" (نفسه ق ٧ ب) ، وأن ترجمة "إبراهيم بن هلال الصابى" (نفسه ق ٨ أ) قد سبقت ترجمة "إبراهيم بن على" (نفسه ق ٩ أ) ، وأن ترجمة "إبراهيم بن محمد بن جعفر" (نفسه ق ٩ أ) قد سبقت ترجمة "إبراهيم بن لقمان" (نفسه ق ١٩ ب) ، وأن ترجمة "أسعد الخطيرى" (نفسه ق ٤٨ أ ، ب) قد سبقت ترجمة "أحمد بن محمد ابن أحمد" (نفسه ق ٥٠ أ) ... وهكذا .

وبديع الأشعار ،أشرفهم جوهراً ونظماً ،وأعذبهم رونقاً ،وألطفهم معنى " .(١)

محتاطاً لنفسه فيما أثبته في مؤلفه ،ذاكراً أن مادته مما لا انفراد له بها ، إذ ليس له فيها إلا فضل الانتقاء ،والجمع غير المغرض " عين الانصاف" ، والصياغة ،ومنهج الترتيب ،فضلاً عن ترجمته لشيوخه ،على النحو الوارد في قوله :

" ... ولا أدعي فيما جمعته درجة الانفراد ،بل هو مما تناقلته الأيدي ،وتداورته الأسماع ، غير أن له فضل إخراجه في هذا المخرج ، ونظمه في هذا المنهج " .(٢)

وقوله :

" ... وليس لي فيه من الإشهار غير جمعه على هذا الأسلوب ،وفضل الاختيار ،واقتناص الشارد ،وإشهار النادر والبارد ،واستخراج الدرر من وجوه الأصداف ،والنظر إليها بعين الإنصاف ،وجمعه على هذا الأسلوب البديع ،وتراجم الشيخ ،التي (٣) لم أر أحداً نبه على شيء من هذا الشرف الرفيع .

وليس يعرف لي فضلي ولا أدبي إلا امرؤ كان ذا فضل وذا أدب " .(٤)

ثم تطرق إلى تسمية الكتاب ،والعلة فيها ،ومنهجه في تنظيم مادته ، على النحو المذكور آنفاً .

أما الترجمات ،فإنها أتت متتابعة ،وقد نُظِمت على حروف المعجم ،في الاسم العلم ،وليس على اسم الشهرة ، أو اللقب ،أو الكنية ، معنوناً لكل مجموعة منها بالحرف المستفتح به اسم المترجمين فيها ،معتبراً كل حرف منها باباً مستقلاً بذاته (٥) ،وإن لم يعن بالموازنة بين الحروف من حيث الكم

---

(١) المصدر السابق ق ٢ ب .

(٢) نفسه ق ٣ أ .

(٣) في الأصل : " الذي " .

(٤) نفسه ق ٣ أ .

(٥) نفسه ق ٢٣٣ أ ،حيث صرح " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ بذلك قرين ترجمة " موسى بن أبي بكر بن محمد " قائلاً : " ... تنقل هذه الترجمة لآخر باب الميم " .

المترجم فيها ، كما يوضحه الجدول الآتي :

م	الحرف	عدد الترجمات	النسبة ٪	م	الحرف	عدد الترجمات	النسبة ٪
١	أ	٩٠	١٨,٢٩	١٥	ض	١	٠٠,٢٠
٢	ب	٢	٠٠,٤٠	١٦	ط	٦	١,٢٢
٣	ت	١	٠٠,٢٠	١٧	ظ	١	٠٠,٢٠
٤	ث	١	٠٠,٢٠	١٨	ع	١٣٢	٢٦,٨٣
٥	ج	١١	٢,٣٤	١٩	غ	١	٠٠,٢٠
٦	ح	٢٣	٤,٦٧	٢٠	ف	٤	٠٠,٨١
٧	خ	٥	١,٠١	٢١	ق	٥	١,٠١
٨	د	٢	٠٠,٤٠	٢٢	ك	٣	٠٠,٦٠
٩	ذ	—	—	٢٣	ل	١	٠٠,٢٠
١٠	ر	٣	٠٠,٦٠	٢٤	م	١٢٠	٢٤,٣٩
١١	ز	٣	٠٠,٦٠	٢٥	ن	١٢	٢,٤٤
١٢	س	١٦	٣,٢٥	٢٦	هـ	٤	٠٠,٨١
١٣	ش	٧	١,٤٢	٢٧	و	٢	٠٠,٤٠
١٤	ص	٢	٠٠,٤٠	٢٨	ى	٣٤	٦,٩١
المجموع						٤٩٢	٪ ١٠٠

وهو ما يستنتج منه :

أولاً – أن عدد ترجمات الكتاب قد بلغ اثنتين وتسعين وأربعمائة (٤٩٢) ترجمة .

ثانياً – أن مؤرخنا لم يعن بالموازنة بين الحروف المنتظمة لترجمات كتابه من حيث الكم ، إذ نجده قد خص حرف " العين " بنسبة (٢٦,٨٣ ٪) من المجموع الكلي لترجمات الكتاب ، بينما خص حرفاً آخر ، كالتاء ، أو الثاء ، أو الصاد ، أو الظاء ، أو الغين ، أو اللام بنسبة (٠,٢٠ ٪) فقط ،

وأن هذا التفاوت في " الكم " لم يخضع لديه لتسلسل تصاعدي أو تنازلي مرتبط بالترتيب المعجمي للحروف التي ترجموا فيها ،وإنما هو خاضع بالدرجة الأولى " للعشوائية المطلقة " ،على نحو ما يوضحه الجدول الآتي :

م	الحرف	عدد التراجم	م	الحرف	عدد التراجم
١	ت ،ث ،ص ، ظ ، غ ،ل	١	٨	ج	١١
			٩	ن	١٢
٢	ب ،د ،ض ،و	٢	١٠	س	١٦
٣	ر ،ز،ك	٣	١١	ح	٢٣
٤	هـ ، ف	٤	١٢	ى	٢٤
٥	خ ، ق	٥	١٣	أ	٩٠
٦	ط	٦	١٤	م	١٢٠
٧	ش	٧	١٥	ع	١٣٢

ثالثاً ـ أن مؤرخنا لم يرد بترجمات كتابه تغطية سائر حروف المعجم ، وإلا لما أسقط من حسبانه حرف " الذال " ـ مثلاً ـ .

رابعاً ـ وبطبيعة الحال ،فإنه لا تتحقق الموازنة بين الحروف من حيث المساحة الشاغلة لها ،إذ ليس بمكنته وقد أنهت في حرف " ترجمة واحدة " ،وفي آخر " اثنتين وثلاثين ومائة " ترجمة تحقيق ذلك دون اخلال فاحش بمنهج الكتاب .

بل إن الترجمات في الحرف الواحد لا تخضع ـ كذلك ـ للتوازن من حيث المساحة الشاغلة لها ،فقد تأتي فيه ترجمة طويلة (١) ، وأخرى

---

(١) من نماذج ذلك ترجمة " أحمد بن محمد بن سليمان بن حمائل " ـ راجع : المصدر السابق ج ١ ق ٣٦ ب ـ ١٣٨ أ .

مقتضبة (١) ، وثالثة رحة (٢) ، لا هي بالطويلة ولا بالقصيرة .

ويلحق بذلك العزوف عن الموازنة بين الترجمات من حيث " نوع الجنس " ، بحيث يمكن الإشارة إلى أن " النسوة " المترجم لهن في الكتاب قد بلغن ستاً (٣) فقط ، بنسبة (١,٢٢ ٠/٠) مقابل ست وثمانين وأربعمائة (٤٨٦) ترجمة للرجال ، بنسبة (٩٨,٨٨ ٠/٠) من ترجمات الكتاب .

وفضلاً عن ذلك ، فإنه لا توجد موازنة زمنية بين ترجمات الكتاب ، كما يوضحه الجدول الآتي ، بعد إسقاط (٣٧) سبع وثلاثين ترجمة ، بنسبة (٧,٥٢ ٠/٠) من ترجمات الكتاب ، لم تتحدد لدى مؤرخنا سنوات وفاة ذويها جزماً أو تقريباً .

القرن	ترجماته	النسبة	القرن	ترجماته	النسبة
١	٧	١,٥٤ ٠/٠	٥	٤٦	١٠,١١ ٠/٠
٢	١٣	٢,٨٦ ٠/٠	٦	٨٠	١٧,٥٨ ٠/٠
٣	٢٦	٥,٧١ ٠/٠	٧	١٩١	٤١,٩٨ ٠/٠
٤	٢٨	٦,١٥ ٠/٠	٨	٦٤	١٤,٠٧ ٠/٠
المجموع				٤٥٥ (*)	١٠٠ ٠/٠

(١) من نماذج ذلك ترجمة " أحمد بن صالح بن أبي معشر " ، حيث ترجِمَ بنحو ستة سطور فقط ــ المصدر السابق ج ١ ق ٢٨ ب .

(٢) من نماذ ترجمة " أحمد بن عبد الدائم بن يوسف " ، حيث ترجِمَ في نحو صفحة ــ نفسه ج ١ ق ٣٠ أ .

(٣) هن : * " حمدة بنت زياد بن تقي العوفي " .
* " علية بنت المهدي العباسية ، أخت هارون الرشيد " .
* " عائشة الإسكندرانية ، المعروفة بزهرة الآداب " .
* " فضل ، جارية المتوكل " .
* " ليلى بنت عبد الله الأخيلية " .
* " ولادة بنت محمد المستكفي بالله العباسية " .

وكان قد أشار في أثناء ترجمة " حمدة " (نفسه ج ١ ق ١٠٨ أ) إلى أنه سوف يترجم لـ " نزهون " الغرناطية ــ المعاصرة لها ، لكنه لم يف بذلك .

(*) يدخل في هذا العدد (٧٣) ترجمة أرخ لوفيات ذويها تأريخاً =

وهو ما يستفاد منه أن القرن " السابع " قد تفوق على سائر القرون المترجم لذويها في الكتاب ،يليه القرن "السادس" ،حيث وجد أن مجموع ترجمات هذين القرنين (السادس والسابع) قد بلغ إحدى وسبعين ومائتي (٢٧١) ترجمة ،بنسبة (٥٩,٦ ٠/٠) من مجموع ترجمات الكتاب ،بينما خص القرن " الثامن " الذي عاش فيه مؤرخنا بأربع وستين (٦٤) ترجمة فقط ، بنسبة (١٤,٠٦ ٠/٠) من مجموع ترجمات الكتاب .

وربما يعود ذلك إلى اعتماد " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ في تدوين ترجمات كتابه اعتماداً رئيساً على " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبي (١) (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣م) ،فضلاً عن تأليفه له وهو في مقتبل عمره ، إذ أُشير في خاتمة الجزء الأول منه إلى فراغه من " تعليقه " يوم الجمعة ، الحادي عشر من ربيع الآخر سنة أربع وستين وسبعمائة للهجرة (٢) ،أي وهو

= تقريبياً ،و(١٠) عشر ترجمات لم يؤرخ عنصر الوفاة فيها ،خص ق ١ منها (٧) ،ق٢ (١٠) ،ق٣ (١٣) ، ق ٤ (٦) ،ق٥ (٨) ، ق٦ (٦) ،ق٧ (٢٣) ،ق ٨ (١٢) .

(١) هو " أبو عبدالله ، صلاح الدين ،محمد بن شاكر بن عبدالله بن عبدالرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الداراني ،الدمشقي ،الكتبي ". اشتغل بالوراقة والنسخ ،وحصّل عن طريق النسخ أكثر معارفه ، فكانت له مؤلفات ،عدّ من ترجموه منها : " روضة الأزهار وحديقة الأشعار " ،و " عيون التواريخ " ـ يبتدئ بالسيرة ، وينتهي بآخر حولية ٧٦٠ هـ . ـ و " فوات الوفيات " ، الذي ذيله على " وفيات الأعيان " لابن خلكان ،وإن داخله في بعض تراجمه ، منتزعاً أكثر مادته من " الوافي بالوفيات " للصفدي .
راجع في ترجمته : الحسيني . ذيل العبر ص ٣٦٩ ،ابن رافع . الوفيات ج ٢ ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ تر ٧٨٣ ،ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٠٣ ،الولي العراقي . الذيل على ذيل أبيه ق ٨ ب ،ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٥١ ـ ٤٥٢ تر ١٢١٨ ،السخاوي . الإعلان بالتوبيخ ص ٢٩٤ ،ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٠٣ ،حاجي خليفة . كشف الظنون ج ٢ ص ١١٨٥ ـ ١١٨٦ ، البغدادي . هدية العارفين ج ٢ ص ١٦٢ ـ ١٦٣ .

(٢) الزركشي . عقود الجمان ج ١ ق ٢١١ ب .

فى نحو " التاسعة عشرة " من عمره .

ومن المشكوك فيه أن يكون قد أثبت ما زيد فى جوانب الصفحات فى الثلاثين سنة الباقية من عمره ، وإلا لكان أولى المواضع بالزيادة عنصر الوفاة ، الذى لم يؤرخ فيه لبعض معاصريه وشيوخه ، الذين قدرت وفاتهم بعد " تعليق الكتاب " . كما أن أقرب تأريخ أثبت فى الكتاب يرجع إلى سنة ثلاث وستين وسبعمائة للهجرة (١) ، وهو تأريخ سابق لفراغه من "تعليقه" .

النسق التعبيرى للكتاب

أسلوب " الزركشى " أسلوب أدبى راق ، يميل بعبارته إلى السجع غير المتكلف ، وينقله عن مصادره ، على النحو الوارد فى المتبقى من ديباجة الكتاب ، وتلك العبارات الأدبية المقومة للنتاج الأدبى للمترجمين لديه ، أو المقدرة لمكانتهم الأدبية فى وقتهم ، ومنها قوله مترجماً لإبراهيم بن سهل الإسرائيلى :

" ... شعره رائق ، ومعناه فائق ، يدل على جوهر فكره ، واستنباط المحاسن من خدره ، وما ذاك إلا أنه ذاق طعم العشق فباح ، وعرف سر الهوى فناح ، فجاء بكل نظم عجيب وتوليد غريب " . (٢)

وقوله مترجماً للشرف المقدسى :

" ... بلغ الطبقة العليا فى الكتابة ، وأركز قلمه فى فلك الإصابة " . (٣)

لكن هبطت به كثرة الأغلاط النحوية المنتشرة فى عباراته ، ومنها قوله : " ... قال : إن أبو (= أبا) جلنبك لازمنا مدة " (٤) ، وقوله : " ... فمات وهو أبا (= أبو) العبر " (٥) ، وقوله : " ... وهو ابن عم الفقيه

---

(١) المصدر السابق ق ١٠١أ ، حيث أشار فى ترجمته لابن حبيب إلى أنه اجتمع به فى حلب " سنة ثلاث وستين وسبعمائة " للهجرة .

(٢) نفسه ق ١٢ ب .

(٣) نفسه ق ٢٤ ب .

(٤) نفسه ق ٢٥أ .

(٥) نفسه ق ٢٦٦أ .

أبو (= أبي) محمد ابن حزم " (1)، وقوله : " ... من يحمل شيء (= شيئاً) منه " (2)، وقوله : " ... أُفْرِدَ لها باباً (= بابٌ) في كتاب نثر الدر " (3)، وقوله : " ... لم يلي (= يل) الخلافة قبله أصغر منه ، بويع له ... وهو ابن تسع عشر (= تسع عشرة) سنة ، وكانت خلافته ثلاث سنين وستة أشهر وأربع عشرة (= وأربعة عشر) يوماً " . (4)

بالإضافة إلى اتخاذه " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبي مصدراً رئيساً في بناء أكثر ترجمات كتابه ، وقد حافظ ـ في الغالب الأعم ـ على النسق التعبيري المصاحب لمنقوله عنه ، وإن ابتذلت لغته ، أو انتشرت فيه أخطاء النحو واللغة .

---

(1) المصدر السابق ق ١٣١٠أ .
(2) نفسه ق ١٣١ ب .
(3) نفسه ق ٢٦٦ ب .
(4) نفسه ق ٢٧١أ .

طبيعة الكتاب وأسس انتقاء مادته

الشمول النوعي

لم يقصر " الزركشي " ترجمات كتابه على نوع واحد من الأعلام المشاهير ، سواء في الجنس ، أو في الأصل ،أو في الديانة ، أو في المذهب ،أو في المنصب ، أو في الوظيفة ، أو في الحرفة ، أو في العلم والمعرفة .. ولذا وجد يترجم للرجال والنساء ،للمسلمين ولغيرهم ، للمشتركين معه في المذهب " الشافعي " وللمتمذهبين بغيره .

بل لقد ترجم لكل فئات الناس – تقريباً – من خلفاء ،وسلاطين ، وأمراء ، وأرباب وظائف مختلفة في إدارة بلدانهم ، وفقهاء ،وقضاة ، ومحدثين ، ومعتقدين (صوفية) ،وأدباء ،وشعراء ،وأطباء ، وإن غلبت عليهم – جميعاً – صفة عدت قاسماً مشتركاً لترجمات الكتاب ،وهي التذوق الأدبي .

الشمول المكاني

كما لم يقصر ترجمات الكتاب على جنس بعينه ، وإنما ترجم فيه للكثيرين ممن انتموا إلى المشرق والمغرب الإسلاميين ، مادام قد اطلع على مادة ترجماتهم ، ووجد فيها بغيته المتبدية في المشاركة الأدبية ،بقرض الشعر أو إنشاده ، أو حتى المشاركة بالنادرة الأدبية ، أو الطرفة العلمية .

ولذا وُجِدَ يترجم للأربلي ، والأرجاني ، والأسكندري ،والأشبيلي ، والأندلسي ، والبصري ، والجعبري ،والحراني ، والحلبي ،والحموي ، والدمشقي ... وغيرهم .

عناصر الترجمـات

تتباين ترجمات الكتاب بين الطول والقصر ، وبين الاقتضـاب والإسهاب ،مما أدى إلى الاختلاف والتباين فى مادتها . لكن مع ذلـك فإنه يمكن التعرف على السمات العامة المقدرة لدى " الزركشى " فى بنـاء مادتها من خلال دراسة الكتاب ككل ، للوقوف على عناصرها . مع ملاحظـة أن تلك العناصر لا تجتمع ـ غالباً ـ فى موضع واحد ، وإنما ترد أكثرهـا فى ترجمة ،وبعضها فى أخرى ، كما أنها لا ترد بالضرورة مرتبة فى ترجمـات الكتاب بهذا الترتيب الوارد هنا .

فإذا ما تقرر هذا ، فإنه يمكن الإشارة إلى أن أهم عناصر الترجمات لديه هـى :

أ ـ الاسم

وهو ـ غالباً ـ ما يتصدر الترجمة وقد تسلسل ، ليشمل اسـم المترجم له ، فوالده ،فأجداده ، كنحو قوله : " هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب "(١) ،وقوله : " سعيد بن هاشم بن وعلة بن عرام بن يزيد بن عبدالله ، ينتهـى إلـى عبد القيس ".(٢) أو يرد ثلاثياً وقد ذُكِرَ فيه اسم المترجم له فوالده فجده ، كنحو قوله : " إبراهيم بن على بن تميم "(٣) ، وقوله : " إسماعيل بـن إبراهيم بن حمدويه "(٤) ، وقد يرد ثنائياً ، ليحتوى على اسم المترجـم له فوالده ،كنحو قوله : " إبراهيم بن هلال "(٥) ، وقوله : " منصور بـن الحسين ".(٦)

---

(١) المصدر السابق ق ٢٤٠أ .
(٢) نفسه ق ١٢٣ ب .
(٣) نفسه ق ٩أ .
(٤) نفسه ق ٦٩ ب .
(٥) نفسه ق ٨أ .
(٦) نفسه ق ٢٣٣أ .

ب ـ اللقـــب

كما كان " الزركشي " حريصاً على إيراد ألقاب المترجم لهم مـــع ما يضاف إليها ، كنحو قوله : " فخرالدين "(١) ، و " ضياء الدين "(٢)، و " المعتز بالله "(٣) ... وليس : " الفخر " و " الضياء " و "المعتز ".

وهو ـ غالباً ـ ما يقتصر على لقب المترجم له فحسب ،وإن تسلسلـت الألقاب في بعض مواضع ، كنحو قوله : " الرشيد ، ابن المهدي ، ابـــن المنصور ".(٤) ونادراً ما يكون .

وهو حريص مع ذلك في كثير من المواضع على النص على الألقـــــاب باصطلاحات ، منها قوله : " الملقب : ... " ، أو " الملقب بـ ... " ، كنحو قوله : " ... الملقب : ظهير الدين "(٥) ، وقوله : " ... الملقب بالظاهر ".(٦)

جـ ـ الكنيــة

وترد الكنية ، وقد اقتصر فيها على المترجم له فحسب ،كنحو قولـه : " أبو علي "(٧) ، و : " أبو عثمان ".(٨)

وهو حريص مع ذلك على ذكر ما يطرأ على الكنية من تغيير ، كنحـــو قوله : " ... كنيته أبو العباس ، ثم غيرها : أبا العبر ، ثم كان يزيدهـــا كل سنة حرفاً ، فمات وهو أبو العبر طرد طيك طلهاري بك بك بك ".(٩) بل والتنبيه ـ كذلك ـ على الاختلاف فيها لدى مصادره ، كنحو قوله : " ... أبو الحسن ، وقيل : أبو بكر ".(١٠)

---

(١) المصدر السابق ق ١٩ ب .
(٢) نفسه ق ١٣٤ ب .
(٣) نفسه ق ٢٧١ أ .
(٤) نفسه ق ٣٤٠ أ .
(٥) نفسه ق ٧ أ .
(٦) نفسه ق ١٢١ أ .
(٧) نفسه ق ٦٩ ب .
(٨) نفسه ق ١٢٣ أ .
(٩) نفسه ق ٢٦٦ أ .
(١٠) نفسه ق ٦٥ أ .

د ـ اسم الشهرة

قد يشتهر المترجم له بغير اسمه العلم ، وقد تكون شهرته بغير لقبه أو كنيته ، وهنا نجد " الزركشي " يورد اسم الشهرة مسبوقاً بقوله : " المعروف بـ ... " ، أو " يدعى ... " ، كنحو قوله : " ... المعروف بابن مكنسة "(1) ، و " ... المعروف بابن أبي الربيع "(2) ، و " ... يدعى القاسم ".(3)

هـ ـ النسبة

وتكون بنسبة المترجم له إلى القبيلة ، كنحو قوله : "الشيباني "(4) ، أو المحلة ، كنحو قوله : " الحصري "(5) ، و " المنبجي "(6) ، أو إلى الديانة ، كنحو قوله : " الصابئ المشرك "(7) ، أو إلى المذهب ، كنحو قوله : " الشافعي "(8) ، و " المالكي "(9) ، أو إلى الصنعة ، كنحو قوله : " التوزي "(10) ، أو إلى التخصص العلمي ، كنحو قوله : " النحوي ، اللغوي ، العروضي ".(11)

و ـ الموطن

كما كان " الزركشي " معنياً بذكر الموضع الذي نزله المترجم له أو استقر فيه ، كنحو قوله : " الأفريقي "(12) و "الأسكندري ".(13)

---

(1) الصدر السابق ق ٧٤ ب .
(2) نفسه ق ٢٨٠ أ .
(3) نفسه ق ٦٣ ب .
(4) نفسه ق ١٩ب .
(5) نفسه ق ٩أ .
(6) نفسه ق ٣٤٤ ب .
(7) نفسه ق ٨أ .
(8) نفسه ق ٧ أ .
(9) نفسه ق ٢٨٠أ .
(10) نفسه ق ٨٦ب .
(11) نفسه ق ١٣٤ ب .
(12) نفسه ق ٦٢ ب .
(13) نفسه ق ٧٤ ب .

ز ـ الألقاب العلمية

وقد تتبع هذه العناصر أو تتخللها بعض الألقاب العلمية ، أو الصفات الدالة على أصالة المترجمين لديه ، كنحو قوله : " الأديب "(١) ، و " الكاتب "(٢) ، و " المجود الكاتب "(٣) ، و " الأستاذ "(٤) ، و " الشاعر "(٥) ، و " أمير المؤمنين "(٦) .

ح ـ المولد

ويأتي في أوائل الترجمات أو في أواخرها على حد سواء ، متبعاً فيه طرقاً منها : التأريخ له بالشهر والسنة ، كنحو قوله : " ... في المحرم سنة ست وثمانين وأربعمائة "(٧) ، أو التأريخ بالسنة ـ فقط ـ كنحو قوله : " ... ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين " .(٨)

ط ـ تقدير عمر المترجم له

فإذا ما خفي على " الزركشي " تحديد تأريخ ميلاد المترجم له ، فإنه يجتهد في تقدير عمره حال الوفاة ، كنحو قوله : " ... مات عن أربع وعشرين سنة "(٩) ، وقوله : " ... توفي بناحية بلخ وله ثلاث وثمانون سنة ، وذلك سنة أربع وعشرين وخمسمائة " .(١٠)

وقد يقدر عمر المترجم له مع إثباته لتاريخ مولده ، كنحو قوله : " ... مولده سنة سبع وأربعين ومائة ـ يوم موت الهادي ـ وتوفي بطوس

---

(١) المصدر السابق ق ٩١أ .
(٢) نفسه ق ٨٥أ .
(٣) نفسه ق ١١ب .
(٤) نفسه ق ٣٣٣أ .
(٥) نفسه ق ٩١أ .
(٦) نفسه ق ٢٧١أ .
(٧) نفسه ق ٣٤٤ب .
(٨) نفسه ق ٢٧١أ .
(٩) نفسه .
(١٠) نفسه ق ٣ب .

فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وله ست وأربعون سنة ".(١)

ى ـ الوفـــــاة

وتتفاوت درجات تأريخها لديه بين التأريخ لها على سبيل الاكتمال ، باليوم من الأسبوع ومن الشهر فالشهر فالسنة ، كنحو قوله : " ... توفـــى يوم السبت ، لست خلون من رمضان سنة خمس وخمسين ومائتـــين ".(٢)، أو بالشهر فالسنة ، كنحو قوله : " ... توفى فى صفر سنة ست عشـــرة وخمسمائة ".(٣) ، أو بالسنة فقط ، كنحو قوله : " ... توفى سنة تســـع وتسعين وثلاثمائة ".(٤) ، أو التأريخ لها على وجه تقريبى ، كنحـو قولـــه : " ... كانت وفاته بعد الأربعين ومائة ".(٥) ، وقوله : " ... توفـــى فى حدود الثمانين وستمائة ".(٦) ، وقوله : " ... مات فـــى أيـــام المعتضد ".(٧)

وقد يذكر موضع الوفاة ، كنحو قوله : " ... توفى بالقيروان ".(٨)، وقوله : " ... خرج آخر عمره إلى مصر فمات بها ".(٩) والعلة المتسببة فيها ، كنحو قوله : " ... وكان سبب موته أنه وجد فى أذنه ثقـــلاً ، فاستدعى أناساً من الطرقية ، فامتص أذنه ، فخرج شئ من مخه ، فكـــان سبب وفاته ".(١٠) ، وقوله : " ... خرج إلى خراسان ومعه غلمان لـــه ترك فقتلوه بجرجان ، وأخذوا ماله وهربوا ، وراح دمه هـدراً ".(١١) ، وقوله : " ... مات فجأة ".(١٢) وحاله عند الوفاة ، كنحـو قولـــه :

---

(١) المصدر السابق ق ٢٤٠ أ .
(٢) نفسه ق ٢٧١ أ .
(٣) نفسه ق ٨١ ب .
(٤) نفسه ق ٥١ أ .
(٥) نفسه ق ٢٦٦ ب .
(٦) نفسه ق ٨٦ ب .
(٧) نفسه ق ٦٥ أ .
(٨) نفسه ق ٩ أ .
(٩) نفسه ق ٢٠٢ ب .
(١٠) نفسه ق ٣٤٤ ب .
(١١) نفسه ق ٢٣٤ أ .
(١٢) نفسه ق ١٨٦ أ .

" ... كانت وفاته ... بعدما أضر ".(١) وما يتبع الوفاة ـ عادة ـ من تجهيز أو دفن ، كنحو قوله : " ... دُفِنَ عند الأشمرى ".(٢)

ك ـ النشأة والتكوين

ويذكر " الزركشى " فى هذا العنصر المكونات الأولى للمترجمين لديه ،موجزاً دون تفصيل ، كنحو قوله : " ... سمع بدمشق هشام بن عمار ، وأبا حفص ابن عمر بن سعيد ، وبحمص محمد بن مصفى ،وبالعراق عفان بن مسلم وعبد الأعلى وعبدالله بن صالح العجلى ومصعباً الزبيرى والقاسم بن سلامة وعثمان بن أبى شيبة ".(٣)

وتختلف بالضرورة المادة المكونة لهذا العنصر تبعاً للاختلاف فى نوعية المترجمين لديه .

ل ـ منزلة المترجم له ومكانته

وتتحدد هذه المنزلة للمترجمين لديه بعبارات ناعتة ، نقلها عن مصادره ،كنحو قوله : " ... وهو من أفاضل القراء ".(٤) ، وقوله : " ... كان أديباً فاضلاً شاعراً ".(٥)

م ـ وظائفه أو صنائعه

كما كان " الزركشى " معنياً فى كثير من الترجمات بتتبع وظائف المترجمين لديه ،وتنقلهم فيها ، مثبتاً لما عرف منها ، كنحو قوله : " ... ولى وزارة الصحبة للملك السعيد ، ثم وزر مرتين للملك المنصور قلاوون ... ثم إنه خدم فى ديوان الإنشاء فى الدولة العالية وهلم جرا إلى أوائل الدولة الظاهرية ".(٦) ، وقوله : " ... وولى بالرى استيفاء الأموال سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ".(٧) ، وقوله : " ... كان يتطبب وينجم ،

---

(١) المصدر السابق ق ١٣٤ ب .
(٢) نفسه ق ٢٩٤ أ .
(٣) نفسه ق ٦٥ أ .
(٤) نفسه ق ١٨٦ أ .
(٥) نفسه ق ٨١ ب .
(٦) نفسه ق ٩١ ب .
(٧) نفسه ق ٣٢٣ أ .

فأما صناعته التى يعتمد عليها فالشعر "(١) ، وقوله : " ... كان يصنع القفاعات التى للطيور ".(٢)

ن ـ أعماله ومهاراته

ويقتصر " الزركشى " فى هذا العنصر على إثبات أهم الأعمال أو ما عُرِفَ للمترجمين لديه من مهارات ،كنحو قوله : " ... ديوانه مشهور ، وله كتاب الشعراء الندماء ، وكتاب الانتصار المنبى" عن فضل المتنبى "(٣) ، وقوله : " ... له كتاب نثر الدر ، لم يُجْمع مثله ، فى سبع مجلدات ، كل مجلد بخطه ،وفيه أبواب . وله كتاب نزهة الأدب ، والأنس والعرس "(٤) ، وقوله : " ... لم يكن يعرف الخط ولا النحو ، وكانت كتابته من جهة التتويز فى غاية القوة ، بحيث انه استعار من القاضى عماد الدين ابن الشيرازى درجاً بخط ابن البواب ، ونقل ما فيه إلى درج بورق التوز ،ألزق التوز على خشب وأوقف عليه ابن الشيرازى فأعجبه ،وشهد له أن فى بعض ذلك أشياء أقوى من خط ابن البواب ، واشتهر بذلك فى دمشق ، وبقى الناس يقصدونه يتفرجون عليه ".(٥)

وكثيراً ما يمثل لأدب المترجمين لديه بالعديد من المقطوعات النثرية أو الشعرية ، التى شغلت حيزاً كبيراً من مساحة الكتاب ،وربما فاقت مساحة سائر العناصر فيه مجتمعة .

س ـ السجايا والصفات

كما كان " الزركشى " حريصاً على ذكر ما التبس بالمترجمين لديه من سجايا ،أو عُرِفَ لهم من صفات ،كنحو قوله : " ... كان مليح الشكل ،

---

(١) المصدر السابق ق ٦٢ ب .
(٢) نفسه ق ١٥٣ ب .
(٣) نفسه ق ٦٢ ب .
(٤) نفسه ق ٣٣٣ أ .
(٥) نفسه ق ٨٦ ب .

لطيف الشمائل ، يركب البغلة "(١) ، وقوله : " ... شيخاً رث الهيئة ، تلوح عليه سيما الحرفة "(٢) ، وقوله : " ... في غاية البرد والغثاثة "(٣) ، وقوله : " ... كان جواداً بالمال ، ديناً ، عفيفاً "(٤) ، وقوله : " ... كان صلباً في الاعتقاد "(٥) ، وقوله : " ... وسوس في آخر عمره بشربه البلاذر ، وكان كثير الهجاء "(٦) ، وقوله : " ... كان له ذهن خارق "(٧) ، وقوله : " ... كان ثقة "(٨) ، وقوله : "... كان قليل الظلم ".(٩)

ع ـ علاقة المترجمين لديه ببعضهم

كما كان " الزركشي " معنياً بالتنبيه على صلات القرابة أو المعاصرة لدى مترجميه ، كنحو قوله مترجماً للموفق ابن أبي الحديد : " ... وهو أخو عزالدين عبدالحميد المعتزلي ، الآتي ذكره في حرف العين "(١٠)، وقوله مترجماً لحمدة بنت زياد بن بقي العوفي : " ... وعاصرت حمدة هذه نزهون بنت القليعي الغرناطية ، الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى ".(١١)

ف ـ علاقة " الزركشي " بالمترجمين لديه

كما لم يغفل مؤرخنا إثبات علاقاته بالمترجمين المعاصرين له ، مبيناً رأيه فيهم ، على نحو ما سوف يُدرس في العنصر الخاص بالمشاهدة والمشاركة من القسم المعقود للمصادر من هذا الفصل .

---

(١) المصدر السابق ق ٣٥ أ .
(٢) نفسه ق ٦٢ ب .
(٣) نفسه ق ٨٥ أ .
(٤) نفسه ق ٢٤٠ أ .
(٥) نفسه ق ٢٩٤ أ .
(٦) نفسه ق ٦٥ أ .
(٧) نفسه ق ٨٦ ب .
(٨) نفسه ق ٢٠٢ ب .
(٩) نفسه ق ١٩ .
(١٠) نفسه ق ٦٣ ب .
(١١) نفسه ق ١٠٨ أ .

مصادر مادة الكتاب

أولا ـ أنواع المصادر :

اعتمد " الزركشي " في بناء مادة كتابه على خمسة أنواع من المصادر، وهي :

أ ـ المشاركة :

وينحصر مداها في موضعين من ترجمات شيوخه، هما قوله مترجماً للحسن، ابن حبيب : " ... اجتمعت به بحلب المحروسة في سنة ثلاث وستين وسبعمائة ".(١)، وقوله مترجماً للجمال ابن هشام : " ... حضرته وشيعت جنازته، وارتجلت في تلك الحال ... ".(٢)

ب ـ المشافهة عن شيوخه :

وينحصر مداها في خمسة مواضع من ترجمات الكتاب، وهي :

ـ قوله مترجماً لأبي جلنبك : " ... حكى لي شيخنا شرف الدين ابن ريان الحلبي عن والده القاضي جمال الدين ابن ريان قال : إن أبا(٣) جلنبك لازمنا مدة، فكان ينتبه نصف الليل فيكرر عليّ محافيظه، منها مختصر ابن الحاجب، ثم يشبب ويزمزم، فإذا أصبح توضأ وصلى الصبح ".(٤)

ـ قوله مترجماً للشرف ابن ريان : " ... قال لي رضي الله عنه : مولدي في ثالث عشر شوال سنة اثنتين وسبعمائة بحلب المحروسة ... وأنشدني ـ أيده الله تعالى ـ لنفسه ... ".(٥)

ـ قوله مترجماً للصلاح الصفدي : " ... أنشدني لنفسه بدمشق المحروسة ... ".(٦)

---

(١) الزركشي . عقود الجمان ق ١٠١ أ .
(٢) نفسه ق ١٥٨ ب .
(٣) في الأصل: " أبو " .
(٤) نفسه ق ٢٥ أ ، وهي رواية مثبتة عن " الجمال ، ابن ريان " كذلك في " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبي ج ١ ص ٦٠ .
(٥) نفسه ق ١٠٤ ب .
(٦) نفسه ق ١١١ ب .

ـ قوله مترجماً للجمال ابن هشام : " ... قال لي رضي الله عنه : مولدي في ذي القعدة سنة ثمان وسبعمائة ... وأنشدني لنفسه الكريمة رحمه الله ... " (١)

ـ قوله مترجماً للشرف الأوسي : " ... وفي هذا المعنى أنشدني شيخنا شهاب الدين ـ أمتع الله ببقائه ـ بحلب المحروسة لنفسه من أبيات ... " (٢)

جـ ـ التعاليق والخطوط :

وتعد من المصادر ذات القيمة العالية في الكتاب ،لكونها " تعقيبات " و " ملحوظات " دونت في حواشي بعض النسخ ،أو في وريقات مستقلة ، ضاع أكثرها باعتبارها أصولاً غير متكررة ، ويمثلها قوله مترجماً لابن محيي الدين الإسكندري : " ... ولم أقف له على ديوان مجموع إلى الآن ،إلا أنني وقفت على كثير من شعره في التعاليق ،وهو يكثر من التجنيس ولكن بعذوبة ، ومن لطائفه قوله : ... " (٣) ، وقوله مترجماً لمهذب الدين ابن الخيمي : " ... نقلت من خط شيخ أهل الأدب وترجمان الأرب ،شهاب الدين محمود الحلبي ـ رحمه الله ـ قال : نقلت من خط القاضي شمس الدين ابن خلكان قال : كتب مهذب الدين الخيمي إلى الشيخ تاج الدين الكندي عند الحادثة التي حصلت للوزير صفي الدين ابن عبد الله بن شكر ،وكان من خواصه ... " (٤) ، وقوله مترجماً للتاج الصرخدي : " ... ووقفت على المفصل للزمخشري ، وعليه خط الإمام زين الدين ابن معط النحوي ، وذكر أن الصرخدي ـ هذا ـ قرأه عليه قراءة بحث وإتقان ، وعظمه وأجازه بإقرائه " (٥) ، وقوله مترجماً للنجم المنجنيقي : " ... نقلت من خط قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان ـ رحمه الله ـ في بعض تعاليقه ،

---

(١) المصدر السابق ق ١٥٨ ب .
(٢) نفسه ق ١٨٣ ب .
(٣) نفسه ق ١٧١ أ .
(٤) نفسه ق ٢٩٧ ب .
(٥) نفسه ق ٣٠٨ ب .

قال : ... " (١) ،وقوله مترجماً لجعفر العلوى : " ... قلت : رأيت وريقات على هذين البيتين تلحّنه فيهما ، وتحط عليه بوجه صحيح ،وذكرت وجهتها فى الوشاح " . (٢)

وقد يكون بعض التعاليق علمياً غير ذى جدوى ،لشيوع روح الخرافة فيه ،كنحو قوله من خلال ترجمة سبط ابن عبد الظاهر : " ... ووقفت على كتاب خواص الحيوان ، وفيه مكتوب : ذكر الضبع من خواص شعرها أنه من يحمل شيئا (٣) منه حدث له البغاء ، وقد كتب ابن البغدادى على الهامش : أخبرنى الثقة شرف الدين ابن الوحيد أنه جرب ذلك فصح معه ، أو كما قال " . (٤) لكنه مع ذلك يبقى مهماً فى بابه ،باعتباره سمة على عصر وفكر مورده ومردده .

د ـ الآثار التأليفية للمترجمين لديه :

وتتمثل فى قدر لا بأس به من المؤلفات الشعرية والنثرية التى تركها مؤلفوها ممن ترجم لهم فى الكتاب ،وقد قُدِّرَ " للزركشى " الاطلاع عليها سواء بخطوطهم ،أو بخطوط سواهم ـ فعمد إلى وصفها من خلال ترجمات ذويها ، أو الاقتباس منها ، تمثيلاً لأدبهم ،ويمثلها قوله مترجماً للجمال اليغمرى : " ... وله مجاميع بخطه حسبما يتفق من جزازات وأجزاء ، من غير تلفت إلى تساوى الأوراق ،وقع لى منها كثير بخطه ،رحمه الله " (٥) ، وقوله مترجماً للنجم ابن صصرى : " ... وقفت له على كتاب سماه : الروض المنمق فى مدح جلق بخطه ، وأورد فيه جملة من شعره ونثره " (٦) ،وقوله مترجماً لمعين الدين ابن تولوا : " ... وقفت على ديوانه بخطه ، واخترت

---

(١) المصدر السابق ق ٣٤٩ أ .
(٢) نفسه ق ٨٢ أ .
(٣) فى الأصل : " شئ " .
(٤) نفسه ق ١٣١ ب .
(٥) نفسه ق ٣٥٠ ب .
(٦) نفسه ق ٥١ ب .

منه مقاطيع عدّة " (١) ، وقوله مترجماً لابن قادوس الفهري : " ... وقع لي ديوانه في مجلدين لطيفين ، واخترت منه قوله : ... " (٢) ، وقوله مترجماً لابن فطيس : " ... وقفت على ديوان شعره ، وهو كالنسيم لطافة ورقة ، وكالدر ظرافة ودقة " (٣) ، وقوله مترجماً للفخر الجويني : " ... وقع لي من مصنفاته تقويم النديم ، مجلد نثر بديع ، وضمنه نثر كثير عجيب للناس ، وطرازه نثره ، وأتى فيه بأنواع غريبة " . (٤)

هـ ـ المؤلفات السابقة :

وتُعَد البُنْية الأساسية للكتاب ، والمورد الرئيس لمادته ، وتنحصر في نحو " ثلاثة وخمسين " مصدراً تأريخياً وغير تأريخي ، تردد اسناد الكثير من عناصر الترجمات إليها ، تردداً يوهم باطلاع " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ على مادتها اطلاعاً مباشراً .

ولكي يكون تقويم مادة الكتاب تقويماً موضوعياً ، فإنه سوف تُناقش في الصفحات التالية " أنماذج " مما أُسْند إلى هذه المصادر ، للتعرف على مدى اطلاع مؤرخنا على مادتها ، والتثبت من كونها مصادر مباشرة له أم غير مباشرة ، مع ملاحظة أن تلك المصادر لن ترد ـ هنا ـ بحسب توارد ها في مادة الكتاب ، وإنما بحسب الترتيب " التأريخي ـ التصاعدي " لوفاة مؤلفيها .

---

(١) المصدر السابق ق ٢٠٦ ب .
(٢) نفسه ق ٣٢١ ب .
(٣) نفسه ق ٣٢٩ أ .
(٤) نفسه ق ٣٥٦ أ .

* الزبير بن بكار (1) (ت ٢٥٦ هـ . / ٨٧٠م .) :

أسند إليه " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ في موضع واحد من " عقود " ، وهو ترجمة " المعتز بالله العباسي " ، المثبتة لديه على النحو التالي :

" محمد بن جعفر ، أمير المؤمنين المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم .

---

(١) هو " أبو عبد الله ، الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت ابن عبد الله بن الزبير بن العوام ، القرشي ، الأسدي " .

إخباري ، نسابة ، عدّ له من ترجموه نحو خمسة وثلاثين مؤلفاً ، لم يطبع منها ـ فيما أعلم ـ سوى ثلاثة فقط ، وهي " الأخبار الموفقيات " (نشرة د . مكي العاني) ، والجزء الأول من " جمهرة قريش وأخبارها " (نشرة محمود شاكر) ، و " المنتخب من كتاب أزواج النبي " (نشرتا : د . أكرم ضياء العمري ، وسكينة الشهابي) توفي في مكة وهو قاض عليها ، ودفن فيها ليلة الأحد ، لتسع بقين من ذي القعدة سنة ست وخمسين ومائتين للهجرة .

راجع في ترجمته : ابن أبي حاتم . الجرح والتعديل ج ٣ ص ٥٨٥ تر ٢٦٦٠ ، النديم . الفهرست ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ، الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد ج ٨ ص ٤٦٧ ـ ٤٧١ تر ٤٥٨٥ ، ياقوت . معجم الأدباء ج ١١ ص ١٦١ ـ ١٦٥ تر ٤٤ ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣١١ ـ ٣١٢ تر ٢٤٠ ، الذهبي . تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٢٨ تر ٥٤٦ ، سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٣١١ ـ ٣١٧ تر ١٢٠ ، العبر ج ٢ ص ١٢ ، ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦٦ تر ٢٨٣٠ ، الصفدي . الوافي بالوفيات ج ١٤ ص ١٨٧ ـ ١٨٨ تر ٢٥٦ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٢ ص ١٦٧ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٤ ، ابن فرحون . العقد المذهب ج ١ ص ٣٧١ تر ٣ ، التقي الفاسي . العقد الثمين ج ٤ ص ٤٢٧ ـ ٤٢٩ تر ١٢٠١ ، ابن حجر . تقريب التهذيب ج ١ ص ٢٥٧ تر ١٦ ، تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣١٢ ـ ٣١٣ تر ١٥٨٠ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥ ، السخاوي . التحفة اللطيفة ج ٢ ص ٨٥ ـ ٨٦ تر ١٣٠٠ ، السيوطي . طبقات الحفاظ ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ تر ٥٢٥ .

ولم يترجح لدى المؤلف المنقول عنه الخبر المسند إلى " ابن بكار " لدى " الزركشي " لاعتماد نشرتي " الموفقيات " و " الجمهرة " على نسخ مخط " ناقصة ، سقطت منها عدة روايات منسوبة إلى الكتابين في المصادر ، كما لم تصرح المصادر المثبتة لهذا الخبر بالكتاب المنقول عنه ، مكتفية في ذلك بنسبته إلى " ابن بكار " .

ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، ولم يل (١) الخلافة قبله أصغر منه .
بويع له عند عزل المستعين بالله وهو ابن تسع عشرة (٢) سنة ، وكانت خلافته ثلاث سنين وستة أشهر وأربعة عشر (٣) يوماً ، ومات عن أربع وعشرين سنة ، وكان مستضعفاً بين الأتراك ، فاقتضى لهم حال طلب مال منه ، فطلب من أمه ، فأبت ، فأخذوه وجردوه عن الخلافة ، ونوعوا له أنواع العذاب ، ولم يعذب خليفة ما عذب على صغر سنه ، وتوفى يوم السبت ، لست خلون من رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين ، ودفن من الغد إلى جانب أخيه المنتصر بالله .

قال الزبير بن بكار : دخلت على المعتز فقال لى : يا أبا عبد الله ، قد قلت أبياتاً فى مرضى هذا ، وقد أعيا علىّ إجازة بعضها ، وأنشدنى :

إنى عرفتُ عِلاجَ القلبِ من وجعى ... وما عرفتُ علاجَ الحبِ والهَلَعِ
جزعتُ للحبِّ والحُمّى صبرتُ لها ... فليس يشغلنى عن حُبِّكم وجعى

قال الزبير : فقلت :

وما أملُّ ببيتى ليلتى أبداً ... مع الحبيب ويا ليت الحبيب معى " (٤)

ويقابلها لدى ابن شاكر الكتبى فى " الفوات " قوله :

" محمد بن جعفر ، أمير المؤمنين المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم ؛ ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، ولم يل الخلافة قبله أصغر منه ، بويع له بالخلافة عند عزل المستعين بالله ، وهو ابن تسع عشرة سنة ، وكانت خلافته ثلاث سنين وستة أشهر وأربعة عشر يوماً ، ومات عن أربع وعشرين سنة .

وكان مستضعفاً مع الأتراك ، اجتمع إليه الأتراك وقالوا له : أعطنا أرزاقنا لنقتل صالح بن وصيف ، وكان يخافه ، فطلب من أمه مالاً لنفقة الأتراك فأبت ، ولم يكن فى بيوت الأموال شئ ، فاجتمعوا هم وصالح واتفقوا على خلعه ، وجروه برجله وضربوه بالدبابيس ، وأقاموه فى الشمس فى يوم صائف ، فبقى

(١) فى الأصل : " لم يلى " .
(٢) فى الأصل : " تسع عشر " .
(٣) فى الأصل : " وأربع عشرة " .
(٤) الزركشى . عقود الجمان ق ٢٧١أ .

يرفع قدماً ويضع أخرى وهم يلطمون وجهه ... ولم يعذب خليفة بمثل ما عذب على صغر سنّه ؛ وتوفى يوم السبت ،لست خلون من رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين ،ودفن إلى جانب أخيه المنتصر .

... وقال الزبير بن بكار : دخلت على المعتز فقال لى : يا أبا عبد الله ،قد قلت أبياتاً فى مرضى هذا ، وقد أعيا علىّ إجازة بعضها ، وأنشدنى :

إنى عرفتُ علاجَ القلبِ من وجعى ....

.... فليس يشغلنى عن حبكم وجعى

قال الزبير : فقلت :

وما أملُّ بيتى أبداً مع الحبيب ،ويا ليت الحبيبَ معى ". (١)

وبالمقابلة بين النصين نستنتج الآتى :

أولاً ـ أن " الزركشى " قد أخذ ترجمة " المعتز " انتقاء من مادة ترجمته فى " الفوات " ؛ يكشف عن ذلك :

أ ـ التشابه إلى حد التطابق فى الألفاظ والتراكيب التعبيرية الواردة لديهما .

ب ـ تقليده للخطأ التأريخى الوارد فى " الفوات " مصاحباً لعنصر الوفاة ،إذ الوارد لدى الصفدى فى " الوافى " ، وهو المصدر المنقول عنه فى " الفوات " ـ مسنداً لسبط ابن الجوزى فى المرآة ـ أن المترجم له " توفى يوم السبت ، لست خلون من (شعبان ،وقيل : لليلتين ، وقيل فى اليوم الثانى من) رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين " .(٢) بينما أسقطَ لديهما ما حُصِرَ بين القوسين ،حيث لخص الأول تلخيصاً مخلاً ،ونقل الثانى عنه .

ثانياً ـ أن ترجمة " ابن المعتز " فى العقود ترجمة ثانوية لا يستغنى بها عن ترجمة " الفوات " له ، إذ ما أورده " الزركشى " فيها ليس سوى اقتضاب لمادة " الفوات " دون إضافة أو نقد .

---

(١) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٣ ص ٣١٩ ـ ٣٢١ تر ٤٣٧ .
(٢) الصفدى . الوافى بالوفيات ج ٢ ص ٢٩٢ .

ثالثاً ـ أن ما نُسِبَ في " العقود " إلى " الزبير بن بكار " لم يطلـــع " الزركشي " على مادته اطلاعاً مباشراً ، وإنما هو ناقل له عن " الفوات " ، مغفـــلاً التصريح بالمصدر القريب المأخوذ لديه عنه ، مكتفياً في ذلك بالانتساب إلى المصـــدر الرئيس .

* الصولي [1] (ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٧م) صاحب كتاب " الأوراق " [2] :

وهو من المصادر التي لم يطلع " الزركشي " - مؤرخنا - على مادتها

---

(١) هو " أبو بكر ، محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين (ملك جرجان) ، البغدادي ، الشطرنجي " .
له ترجمة في : المرزباني . معجم الشعراء ص ٤٦٥ - ٤٦٦ ، النديم . الفهرست ص ١٦٧ - ١٦٨ ، الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد ج ٣ ص ٤٢٧ - ٤٣٢ تر ١٥٦٦ ، السمعاني . الأنساب ج ٨ ص ١١٠ - ١١١ ، ابن الأنباري . نزهة الألباء ص ٣٧٣ - ٣٧٤ تر ١٠١ ، ابن الجوزي . المنتظم ج ٦ ص ٣٥٩ - ٣٦١ تر ٥٨٢ ، ياقوت . معجم الأدباء ج ١٩ ص ١٠٩ - ١١١ تر ٣٣ ، ابن الأثير . الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٤٦٨ ، اللباب ج ٢ ص ٢٥١ ، القفطي . إنباه الرواة ج ٣ ص ٢٣٣ - ٢٣٦ تر ٧٣٢ ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٥٦ - ٣٦٠ تر ٦٤٨ ، الذهبي . سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٣٠١ - ٣٠٣ تر ١٤٢ ، العبر ج ٢ ص ٢٤١ - ٢٤٢ ، الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٥ ص ١٩٠ - ١٩٢ تر ٢٢٤٣ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٢ ص ٣١٩ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١١ ص ٢١٨ ، ٢١٩ - ٢٢٠ ، ابن حجر . لسان الميزان ج ٥ ص ٤٢٧ - ٤٢٨ تر ١٣٩٨ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩٦ ، د . أحمد جمال العمري . أبو بكر الصولي . القاهرة ، المعارف ، ١٩٨٤م .

(٢) أشار إليه النديم (الفهرست ص ١٦٧ - ١٦٨) بقوله :
" ... وله من الكتب كتاب الأوراق في أخبار الخلفاء والشعراء ، ولم يتمه ، والذي خرج منه : أخبار الخلفاء بأسرها ، وأشعار أولاد الخلفاء وأيامهم من السفاح إلى أيام ابن المعتز ، (و) أشعار من بقي من بني العباس ممن ليس بخليفة ولا ابن خليفة لصلبه ؛ وأول ذلك شعر عبد الله ابن علي ، وآخره شعر أبي أحمد محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن عيسى بن المنصور ، ويتلو ذلك أشعار الطالبيين ولد الحسن والحسين ، وولد العباس بن علي ، وولد عمر بن علي ، وولد جعفر بن أبي طالب . ثم يلي ذلك أشعار ولد الحارث بن عبد المطلب ، وبعده أخبار ابن هرمة ومختار شعره ، (و) أخبار السيد الحميري ومختار شعره ، (و) أخبار أحمد بن يوسف ومختار شعره ، (و) أخبار إسحاق بن إبراهيم ومختار شعره ، (و) أخبار سديف ومختار شعره .
وهذا الكتاب عول في تأليفه على كتاب المرثدي في الشعر والشعراء ، بل نقله نقلاً وانتحله ، وقد رأيت دستور الرجل خرج من خزانة =

اطلاعاً مباشراً ، وإن أسند إليه فى موضع واحد من " عقوده " ،وهو ترجمة " أحمد بن يحيى البلاذرى "،(١) ، ناقلاً ما نُسِبَ إلى الصولى عن " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبى ، على نحو ما سوف يُنَبه إليه .(٢)

= الصولى ، فافتضح ذلك " .

وهو من الكتب الداخلة فى نطاقى التأريخ والأدب ، لعدم اعتناء " الصولى " فيه بالترجمة البحتة ،بقدر عنايته برصد النماذج الأدبية المُمثل بها لأدب المذكورين فيه .

ولم يطبع من الكتاب ـ فيما أعلم ـ سوى : " أخبار الراضى والمتقى " ، و " أشعار أولاد الخلفاء " ، ويبتدئ بأبى عبد الله محمد بن أبى العباس السفاح ، وينتهى بأبى موسى عيسى بن موسى ، و " أخبار الشعراء المحدثين " ، ويبتدئ بأبان بن عبد الله اللاحقى ، وينتهى بمحمد بن عبد الله بن أحمد بن يوسف ، متضمناً بذلك أخبار ثلاث عائلات أدبية ، كان لها تأثيرها فى مجريات الحياة الأدبية والفكرية ـ آنذاك ـ وهى أسرات : اللاحقى ،والسلمى ، وابن صبيح .

راجع : الصولى . كتاب الأوراق . ت . ج . هيورث دن . بيروت ، المسيرة ،ط٣ ، ٢ ، ٨٢ ـ ١٩٨٣م .

كما توجد قطعتنان مخط . منه ، وزعتا بين مكتبتى لننجراد والأستانة .

(١) راجع : الزركشى . عقود الجمان ق ٦٥ .

(٢) راجع : ص ٢٠٩ من هذا البحث .

* أبو الفرج الأصفهاني (١) (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٧م) صاحب كتاب

" الأغاني " :

تردد ذكره في أربعة مواضع من ترجمات " العقود " ، حيث أُحيل إليه في بعضها (٢) ، ونُسِبَ إليه في البعض الآخر (٣) ، وقد نُقِلَت مادة الترجمات الأربع عن " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبي .

وتُظْهِر المقابلة بين " العقود " و " الأغاني " وهم " الزركشي " في ثلاثة منها ، ذلك أن " الأصفهاني " لم يترجم لأبي الجعد ، المعروف بشعر

---

(١) هو " أبو الفرج ، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي " . إخباري ، نسابة ـ مشهور ؛ له ترجمة في :
الثعالبي . يتيمة الدهر ج ٣ ص ١٢٧ ـ ١٣٢ تر ٥ ، النديم . الفهرست ص ١٢٧ ـ ١٢٨ ، الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٩٨ ـ ٤٠٠ تر ٦٢٧٨ ، ابن الجوزي . المنتظم ج ٧ ص ٤٠ ـ ٤١ تر ٤٤ ، ياقوت . معجم الأدباء ج ١٣ ص ٩٤ ـ ١٣٦ تر ١٧ ، ابن الأثير . الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٥٨١ ـ ٥٨٢ ، القفطي . إنباه الرواة ج ٢ ص ٢٥١ ـ ٢٥٣ تر ٤٥٢ ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٠٧ ـ ٣٠٩ تر ٤٤٠ ، الذهبي . دول الإسلام ج ١ ص ٢٢١ ، سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٢٠١ ـ ٢٠٣ تر ١٤٠ ، العبر ج ٢ ص ٣٠٥ ، ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٢٣ ـ ١٢٤ تر ٥٨٢٥ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٢ ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٦٣ ، ابن حجر . لسان الميزان ج ٤ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ تر ٥٨٤ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٥ ـ ١٦ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٣ ص ١٩ ـ ٢٠ ، د . محمد أحمد خلف الله . صاحب الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني الراوية . القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٨م .

(٢) من ذلك قوله (ق ١٨٢ أ) من خلال ترجمة " أبي الجعد " المعروف بشعر الزنج : " ... وقصته في الأغاني مشهورة " ، وقوله (ق ٢٤٨ ب) من خلال ترجمة " قيس بن ذريح " : " ... وحكايتهما طويلة في الأغاني " .

(٣) ورد ذلك في ترجمات كلٍ من :
* " علي بن موسى بن سعيد المغربي " ق ٢٢٩ ب .
* " قيس بن ذريح الكناني ، صاحب لبنى " ق ٢٤٨ .
* " محمد بن القاسم ، المعروف بماني الموسوس " ق ٣٠٦ .

الزنج (١) ،ولم ينسب إلى ابن سعيد المغربي ،المولود سنة (٦١٠هـ/١٢١٣م) ـ أي بعد وفاته بنحو أربع وخمسين ومائتي سنة ـ شيئاً من الشعر ،خلافاً لقول مؤرخنا : " ... هكذا أورد هذين البيتين له أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني ". (٢)

كما أن ما أُسْنِدَ إلى الأغاني ـ من خلال ترجمة " مانى الموسوس " ـ في قوله : " ... قال صاحب الأغاني : قدم بغداد أيام المتوكل ،وكان من أظرف الناس وألطفهم ؛ توفى سنة خمس وأربعين ومائتين ، ومن شعره :

زعموا أنّ مَنْ تشاغل بالـلـذاتِ عمن يحبه يتسلّى
كذبوا والذى تُقاد له البُدْ نُ ومن عاذ بالطوافِ وصلّى
إن نار الهوى أحرُّ من الجمـ ـرِ على قلبِ عاشقٍ يتقلّى

وقال :

دعا طرفُه طرفى فأقبلَ مسرعاً وأثّر فى خديهِ فاقتصَّ من قلبى
شكوتُ إليه ما لقيتُ من الهوى فقال على رسلٍ فمتُّ فما ذنبى ". (٣) ،

قد وهم فيه كذلك ،لأن " الأصفهاني " لم يؤرخ لوفاة " مانى " ، ولم يورد الشاهدين الشعريين الممثل بهما لأدبه فى " العقود " ، كما لم يَنْسب إليه " ابن شاكر الكتبى " (٤) ذلك ، وإنما نَسَب إلى الأغاني ما تلى ذلك من العناصر المستغنى عنها فى " العقود " بقول " الزركشى " : " ... وله أخبار طويلة لطيفة فى الأغاني مذكورة ". (٥) ظناً أن سائر عناصر الترجمة مما نُقِلَ فى " الفوات " عن الأغاني " ، فاندفع ينسب إليه ما ليس فيه .

---

(١) تأكد لدى ذلك بعد مراجعة طبعات : الساسى ،ودار الكتب المصرية ، ودار الشعب بالقاهرة ،والثقافة ـ بيروت ،بالإضافة إلى " تجريد الأغاني " لابن واصل الحموى .

(٢) الزركشى . عقود الجمان ق ٢٢٩ ب ،هامش أيسر .

(٣) نفسه ق ٣٠٦ .

(٤) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٤ ص ٣٢ .

(٥) الزركشى . عقود الجمان ق ٣٠٦ ب ،وانظر : أبا الفرج الأصفهانى . الأغاني ج ٢٣ ص ١٨١ ـ ١٨٧ (ط. القاهرة ، الهيئة العامة) .

* الطبراني [1] (ت ٣٦٠ هـ ٠ / ٩٧١م ٠) صاحب كتاب " غزل التابعين " :

أسند إليه " الزركشي " - مؤرخنا - في موضع واحد من " عقوده " ، وهو ترجمة " أبي البشر البندنيجي " ، قائلاً :

" ... قال الطبراني في كتابه المسمى بغزل التابعين ، بسنده إلى

---

(١) هو " أبو القاسم ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير ، اللخمي ، الطبراني " .

ولد سنة ستين ومائتين بطبرية الشام ، ورحل في طلب الحديث إلى العراق والحجاز واليمن ومصر وبلاد الجزيرة الفراتية ، مقيماً في الرحلة ثلاثاً وثلاثين سنة ، فبلغ عدد شيوخه ألف شيخ ، ثم سكن أصبهان إلى أن توفي فيها .

ألف في كثير من الفنون ، كالتفسير والدلائل والفرق والفقه والحديث والأدب ، ولعل أشهر مؤلفاته على الإطلاق معاجمه الثلاثة : الكبير والأوسط والصغير .

له ترجمة في : السمعاني ٠ الأنساب ج ٨ ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، ابن الجوزي ٠ المنتظم ج ٧ ص ٥٤ تر ٧٣ ، ياقوت ٠ معجم البلدان ج ٤ ص ١٨ - ١٩ ، ابن نقطة ٠ التقييد ج ٢ ص ١١ - ١٦ تر ٣٤٤ ، ابن الأثير ٠ الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٦١٧ ، اللباب ج ٢ ص ٢٧٣ ، ابن خلكان ٠ وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٠٧ تر ٢٧٤ ، الذهبي ٠ تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٩١٢ - ٩١٧ تر ٨٧٥ ، دول الإسلام ج ١ ص ٢٢٣ ، سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ١١٩ - ١٣٠ تر ٨٦ ، العبر ج ٢ ص ٣١٥ ، ميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٩٥ تر ٣٤٢٣ ، الصفدي ٠ الوافي بالوفيات ج ١٥ ص ٣٤٤ - ٣٤٦ تر ٤٩٢ ، اليافعي ٠ مرآة الجنان ج ٢ ص ٣٧٢ ، ابن كثير ٠ البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٧٠ ، ابن رجب ٠ طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٤٩ - ٥١ تر ٥٩٤ ، ابن الجزري ٠ غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٣١١ تر ١٣١١ ، ابن حجر ٠ لسان الميزان ج ٣ ص ٧٣ - ٧٥ تر ٢٧٥ ، ابن تغري بردي ٠ النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٥٩ - ٦٠ ، السيوطي ٠ طبقات الحفاظ ص ٣٧٢ - ٣٧٣ تر ٨٤٦ ، الداودي ٠ طبقات المفسرين ج ١ ص ١٩٨ - ٢٠١ تر ١٩٥ ، ابن العماد الحنبلي ٠ شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٠ ، عبد القادر بدران ٠ تهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢٤٢ - ٢٤٤ .

نفطويه ،قال : مرّ البندنيجي يوماً بباب الطاق ،فسمع صوت قمرية من حانوت خباز ، فبكى بكاءً شديداً ،وقال لقائده : مل بي إليه ، فأماله إليه ،فقال : ياخباز ، أتبيع هذه ؟ قال : نعم ،قال : بكم ؟ قال : بعشرة دراهم ،ففتح منديله ، فعدّ له الدراهم ، ثم أخذ الحمامة وأطلقها ، وأنشأ يقول :

ناحت مطوقةٌ ببابِ الطاقِ فجرت سوابقُ دمعيَ المُهراقِ

.... " (١)

والمرّجح أن ما أُسْنِدَ إلى الطبراني في هذا الموضع لم يكن للزركشي اطلاع مباشر عليه في " غزل التابعين " ، وإنما هو ما نُقِلَ لديه عن " الوافي " للصلاح الصفدي . (٢)

---

(١) الزركشي . عقود الجمان ق ٣٥٠أ .

(٢) يترجح لدّي ذلك ،لاثبات " ابن شاكر الكتبي " في " الفوات " (ج ٤ ص٣٣٧) لهذه القصة وما صاحبها من شعر بعبارة مطابقية ــ تقريباً ــ وعبارة " الزركشي " المثبتة هنا ، دون نسبة إلى المصدر الرئيس (غزل التابعين) ، ولما كان " الوافي " هو المصدر الرئيس لسائر ترجمات " الفوات " ، فالمتبادر إلى الذهن أن النص المنقول عنه فيه قد أثبته " الصفدي " قرين مصدره ؛ وإن لم أهتد إلى ذلك لضياع ترجمة " أبي البشر البندنيجي " من مخطوطتي دار الكتب المصرية ، رقمي : " ١٠٩٤ " و " ١٢٩١ " ــ تاريخ ،وعدم تيسر اطلاعي على نسخة أخرى من " الوافي " محتوية على ترجمات حرف " الباء " .

* ابن عدى (١) (ت ٣٦٥ هـ. / ٩٧٦م.) صاحب كتاب " الكامل فى الجرح والتعديل " :

أسند إليه " الزركشى " — مؤرخنا — فى موضع واحد من " عقوده " ، وهو ترجمة " صالح بن عبدالقدوس " ، على النحو الوارد فى قوله :

" ... وقال ابن عدى فى حق المذكور : إنه كان يعظ الناس بالبصرة ويقص عليهم ، وله كلام حسن فى الحكمة ، وأما الحديث فليس بشىء كما قال ابن معين ، ولا أعرف له من الحديث إلا الشىء اليسير " . (٢)

ويقابله لدى ابن عدى فى " الكامل " قوله :

" ... وصالح بن عبدالقدوس — هذا — ممن كان يعظ الناس فى البصرة ويقص عليهم ، وله كلام حسن فى الحكمة ، فأما فى الحديث فليس بشىء كما قال ابن معين ، ولا أعرف له فى الحديث إلا الشىء اليسير " . (٣)

ومع هذا التشابه المفضى بالنصين إلى حد التطابق ، فإنه يمكن القول بأن " الزركشى " لم يطلع اطلاعاً مباشراً على مادة " الكامل " لابن عدى فى هذا الموضع ، وإنما هو ناقل لما أُسْنِدَ إليه عن " الفوات " (٤) لابن شاكر الكتبى ، المتخذ لديه مصدراً رئيساً لسائر عناصر هذه الترجمة ، وقرينته :

أولاً — الاشتراك معاً فى التلاعب بحروف الجر ، حيث أبدلا قولى ابن عدى : " فى البصرة " بـ " بالبصرة " ، و " فى الحديث " بـ " من الحديث " .

---

(١) هو " أبو أحمد ، عبدالله بن عدى بن عبدالله بن محمد بن المبارك ، الجرجانى ، المعروف بابن عدى وبابن القطان " .
له ترجمة فى : السهمى . تاريخ جرجان ص ٢٦٦ — ٢٦٨ تر ٤٤٣ ، ابن الأثير . الكامل فى التاريخ ج ٨ ص ٦٦٨ ، الذهبى . تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٩٤١ — ٩٤٢ تر ٧٩٣ ، العبر ج ٢ ص ٣٣٧ — ٣٣٨ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٨٣ ، السيوطى . طبقات الحفاظ ص ٣٨٠ تر ٨٦٣ ، ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب ج ٣ ص ٥١ .

(٢) الزركشى . عقود الجمان ق ١٣٦ أ .

(٣) ابن عدى . الكامل فى ضعفاء الرجال ج ٤ ص ١٣٩٠ .

(٤) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٢ ص ١١٦ — ١١٧ تر ١٩٧ .

ثانياً – اقتصار " الزركشي " في ترجمته " لابن عبد القدوس " علـــــى ما جاء في " الفوات " ، سواء في مادة العناصر : محتوىً ، ولغةً ، وتتابعـــاً ، أم في الإسناد إلى المصادر . (١)

---

(١) حيث أسند عناصر هذه الترجمة إلى ثلاثة مصادر ، وهـــــــي : " المرزباني " و " ابن عدي " و " أحمد بن عبدالرحمن " ، وبالتتابـــع الوارد في " الفوات " ، غير مزيد عليه .

* المرزبانـي (1) (ت ٣٨٤ هـ. / ٩٩٤م.) صاحب كتاب " معجم الشعراء " (٢) :

وهو من المصادر التى لم يطلع " الزركشى " ـ مؤرخنا ـ على مادتهـا اطلاعاً مباشراً ، وإن أسند إليه فى خمسة مواضع من ترجمـات (٣) " عقود " .

(١) هو " أبو عبدالله ، محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبيـد الله ، المرزباني ، الخراساني ، البغدادى " .
له ترجمة فى : النديم . الفهرست ص١٤٦ ـ ١٤٩ ، الخطيـب البغدادى . تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٣٥ ـ ١٣٦ تر ١١٥٩ ، السمعانى . الأنساب (نشرة مرجليوث) ص ٥٢١ ، ابن الجوزى . المنتظم ج ٧ ص ١٧٧ تر ٢٨٤ ، ياقوت . معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٦٨ ـ ٢٧٢ تـر ٨٤ ، ابن الأثير . الكامل فى التاريخ ج ٩ ص ١٠٦ ، اللباب ج ٣ ص ١٩٥ ، القفطى . إنباه الرواة ج ٣ ص ١٨٠ ـ ١٨٤ تر ٦٨٢ ، ابن خلكـان . وفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٥٤ ـ ٣٥٦ تر ٦٤٧ ، الذهبى . سير أعـلا م النبلاء ج ١٦ ص ٤٤٧ ـ ٤٤٩ تر ٣٣١ ، العبر ج ٣ ص ٢٧ ، مـيزا ن الاعتدال ج ٣ ص ٦٧٢ ـ ٦٧٣ تر ٨٠١٣ ، الصفدى . الوافى بالوفيات ج ٤ ص ٢٣٥ ـ ٢٣٧ تر ١٧٦٥ ، اليافعى . مرآة الجنان ج ٢ ص ٤١٨ ـ ٤١٩ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١١ ص ٣١٤ ، ابن حجر . لسان الميزان ج ٥ ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧ تر ١٠٧٧ ، ابن تغرى بردى . النجـوم الزاهرة ج ٤ ص ١٦٨ ، ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب ج ٣ ص ١١١ ـ ١١٢ .

(٢) هو من المصادر الداخلة فى نطاقى التأريخ والأدب ، لعدم اعتنـاء مؤلفه بالترجمة البحتة للمذكورين فيه ، قدر اعتنائه بذكر الشواهد الشعرية الممثل بها لأدبهم .
وتشير المصادر (راجع مصادر الحاشية السابقة) إلى أن الأصـل المخط . كان يقع فى أكثر من ألف ورقة ، رُتِّبَ فيها الشعراء المترجمـين على حروف المعجم ، لكن لم يُعثَر حتى الآن ـ فيما أعلم ـ إلا على قطعة يسيرة منه ، المظنون أنها آخر الأجزاء ، نشرها د . سالم الكرنكـوى ، وتبتدئ بذكر من اسمه عمرو ، وتنتهى بذكر من غلبت كنيته على اسمـه . وبالتالى لا وجود فيها للترجمات المسند فى بعض عناصرها إلى المرزبانى لدى مؤرخنا .

(٣) هى ترجمات كل من :
* أحمد بن جعفر ، المعتمد على الله العباسى (ق ٢٧ أ ـ ٢٨ أ) .

ناقلاً ما أسند إلى المرزباني عن " الفوات " لابن شاكر الكتبي .

ومن الأمثلة الموضحة لذلك ، قوله مترجماً " لأبي علي الحمدوني " :

" إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه ، أبو علي الحمدوني ، وجده حمدويه صاحب الزنادقة على عهد الرشيد .

قال المرزباني : بصري ، مليح الشعر ، حسن التضمين ، اشتهر قوله في طيلسان ابن حرب ، ابن أخي يزيد المهلبي ، وشاة سعيد ، وكان يقول : أنا ابن قولي :

يا ابنَ حربٍ كسوتني طَيلساناً ... ملَّ من صحبةِ الزمان وصدّا

طالَ تَردادُه إلى الرَّفْوِ حتى ... لو بَعثناهُ وحدَهُ لَتَهَدّى

وقال فيه :

يا ابن حربٍ كسوتني طيلساناً ... أنحلتهُ الأزمانُ فهو (1) سقيم

فإذا ما رفوته قال سبحا ... نك محيي العظام وهي رميم

وبالجملة ، يقال : إنه عمل في هذا الطيلسان مائتي مقطوع .

ولقد طرف ناصرالدين ابن النقيب لما كتب إلى السراج الوراق :

لو فرَّ بغلي من اصطبلي لقلت لمن ... يجري وراه تمهَّل أيها الساري

ففي زقاق سراج الدين موقفه ... أو ذلك الخطّ أو في حومة الدار

وطيلسان ابن حرب قد سمعت به ... من طول بعث وترداد وتكرار

فأجابه السراج الوراق :

أفدي خُطاكَ ولو كانت على بصري ... لكانَ في ذاكَ تشريفٌ بمقداري

وإن داركَ صانَ اللهُ مالكها ... أعز عنديَ من أهلي ومن داري

وطيلسان ابن حرب في تردّده ... قلبي إليك من الأشواق في نار

إذا تمزق ألفاك الشرى له ... في رفوِ بالٍ وفي حوكٍ لأشعار " . (2)

---

* إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه (ق ٦٩ ب) .
* راشد بن إسحاق بن راشد (ق ١١٧) .
* السائب ، أبو العباس الأعمى (ق ١٢٠ ب ـ ١٢١ أ) .
* صالح بن عبدالقدوس (ق ١٣٦ ب ـ ١٣٧ أ) .

(١) في الأصل : " فيه " ، والتصويب عن " الوافي " و " الفوات " .
(٢) الزركشي . عقود الجمان ق ٦٩ ب .

ويقابله لدى ابن شاكر الكتبي في " الفوات " قوله :

" إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه ،أبو علي الحمدوني ،وجدّه حمدويه صاحب الزنادقة على عهد الرشيد .

قال المرزباني : بصريّ مليح الشعر حسن التضمين ،اشتهر بقوله في طَيلسان ابن حرب ،ابن أخي يزيد المهلبي ، وشاة سعيد ، وكان يقول : أنا ابنُ قولي :

يا ابنَ حربٍ كَسَوْتَنِي طَيلساناً ....

.... لو بَعثتَاهُ وحْدَهُ لَتَهَدّى

وله ...(1)

وقال فيه :

يا ابنَ حربٍ كَسَوْتَنِي طَيلساناً ....

.... سمحا نك محيي العظام وهي رميم

وقال فيه : ...(2)

وقيل : إنه عمل في هذا الطيلسان مائتي مقطوع ...(3)

وذكرت ها هنا ما كتبه ناصرالدين ابن النقيب إلى السراج الوراق :

لو فرّ بغلي من اصطبلي لقلت لمن ....

.... من طول بحث وترداد وتكرار

فأجابه السراج :

أفدي خُطاكَ ولو كانت على بصري ....

.... في رفْوِ بالٍ وفي حوكٍ لأشعار ". (4)

وهكذا فإن " الزركشي " قد اقتصر في بناء ترجمته تلك على مادة الفوات ، التي انتُقِيَت ترجمة " الحمدوني " منها انتقاءً ، محافظاً ـ قدر

---

(1) موضع النقط سبع مقطوعات شعرية أسقطها " الزركشي " من ترجمته .
(2) نفسه .
(3) موضع النقط شاهد شعري أسقطه " الزركشي " من ترجمته .
(4) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج 1 ص 173 ـ 177 تر 67 .

استطاعته ـ على النسقين الترتيبي والتعبيري لمصدره ، وإن أسقط الكثير من الشواهد الشعرية الممثل بها لأدب المترجم له ، أو تصرف في اليسير من الألفاظ ، مستنداً بعض عناصرها إلى المصدر عينه المسند إليه في الفوات ، دون تصريح بالمصدر القريب المأخوذ لديه عنه .

* المسبحى (١) (ت ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩م) صاحب كتاب " أخبار مصر " . (٢)

أسند إليه " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ في موضعين من ترجمات " عقوده " ، أتى أولهما في أثناء ترجمة " أبي الرقعمق ـ الشاعر " على النحو التالي :

" ... قال المسبحى في تاريخ مصر : كان يذهب مذهب ابن مهران الشاعر المصرى ، ومذهب ابن حجاج البغدادى ؛ توفى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، ومن شعره ... " (٣)

ويترجح لدى اطلاع " الزركشي " على مادة ترجمته تلك في " أخبار مصر " للمسبحى ، وأخذها مباشرة عنه ، لانفراده عن سائر المصادر المترجمة لمترجمه

---

(١) هو " الأمير المختار ، عزالملك ، أبو عبدالله ، محمد بن عبيد الله ابن أحمد بن إسماعيل بن عبدالعزيز الحرانى المصرى " .
مؤرخ مشارك في الأدب ، والفقه ، والتنجيم ... له ترجمة في :
السمعانى . الأنساب ص ٥٢٨ ، ابن الأثير . اللباب ج ٣ ص ٢٠٧ ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨ تر ٦٥٣ ، ابن سعيد المغربى . المغرب (مصر) ص ٢٦٤ ـ ٢٦٧ ، الذهبى . سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ تر ٢٢٩ ، العبر ج ٣ ص ١٣٩ ، الصفدى . الوافى بالوفيات ج ٤ ص ٧ـ٨ تر ١٤٦٣ ، اليافعى . مرآة الجنان ج ٣ ص ٣٦ ، ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٧١ ، السيوطى . حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٥٤ تر ١٠ ، ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب ج ٣ ص ٢١٦ .

(٢) جعله " المسبحى " في " أخبار مصر ، ومن حلها من الولاة والأمراء والأئمة والخلفاء ، وما بها من العجائب والأبنية ، واختلاف أصناف الأطعمة ، وذكر نيلها ، وأحوال من حل بها ، وأشعار الشعراء ، وأخبار المغنين ، ومجالس القضاة والحكام والمعدلين والأدباء والمتغزلين وغيرهم " ، مرتباً له على السنين المتعاقبة ، الحاوية للحوادث وترجمات المتوفين .
(راجع : ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٧٧)
ولا يُعرف لنا منه ـ حتى الآن ـ سوى الجزء الأربعين ، المحتوى على نذر يسير من حوليتى ٤١٤ و ٤١٥ هـ ، وهو الذى نشره في القاهرة سنة ١٩٨٠م . " وليم ج . ميلورد " عن مخط . الاسكوريال في مدريد .
ولا تدخل مادة ما أسنده " الزركشي " ـ هنا ـ إلى المسبحى فيه .

(٣) الزركشي . عقود الجمان ق ١٥١ أ ، هامش أيسر .

ـ المعروفة لى [1] ـ بالإشارة إلى أن " المسبحى " قال فيه : إنه " كـــان يذهب مذهب ابن مهـران الشاعر المصرى " ، وبالشاهدين الشعريين الممثـل بهما لأدبه ، والمثبتين فى ذيـل ترجمته ، وإن أخطأ الرسم الصحيح لكنيته ، فهى لديه : " أبو الرقمعـق " .

بينما أتى ثانيهما فى أثنـاء ترجمة " الحسين بن على بن الحسين بـن محمد بن بحر بن بهرام " على النحو التالى :

" ... ذكره المسبحى فى تاريخ مصر فى سنة أربعمائة ، وعظمه ، قـال : ومن تصانيفه كتاب فى الإماء الشاعرات ، بديع فى بابه ، ومقامات الزهاد فى نحـو سبعين [2] جزء ، بديع أيضاً " . [3]

---

(1) الثعالبى . يتيمة الدهر ج 1 ص 379 ـ 408 تر 25 ، ابن خلكـــان . وفيات الأعيان ج 1 ص 131 ـ 132 تر 54 ، الذهبى . العبر ج 3 ص 70 ، الصفدى . الوافى بالوفيات ج 8 ص 143 ـ 144 تر 3564 ، ابن العمـاد الحنبلى . شذرات الذهب ج 3 ص 155 ـ 156 .

(2) فى الأصل : " سبعون " .

(3) الزركشى . عقود الجمان ق 107 أ .

* أبو سعد الآبى (١) (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠م) صاحب كتاب " نثر الدر " (٢) :

ترجمه (٣) " الزركشى " ـ مؤرخنا فى " عقوده " ، مصرحاً بمؤلفه فى موضع واحد منه ، على النحو الوارد فى قوله مترجماً " لأبى العبر " :

" محمد بن أحمد الهاشمى ، كنيته أبو العباس ، ثم غيرها : أبا العبر ، ثم كان يزيد ها كل سنة حرفاً ، فمات وهو أبو (٤) العبر طرد طيبك طلياري بك بك بك . وكان شاعراً ترك الجد وعدل إلى الهزل ، حبسه المأمون وقال : هذا عار على بنى هاشم ، ثم أخرجه بسبب ضحكة له اتفقت ، وذاك أنه صاح فى الحبس : نصيحة لأمير المؤمنين ، فأُحْضِرَ ، فقال : أصلحك الله ، الكشكية لا تطيب إلا بكشك ، فضحك منه وقال : مجنون . فقال أبو العبر : إنما امتخط حوت . فقال : ويحك! ما هذا ؟ قال : زعمت أننى مجنون ، فقلت : إنما امتخطت حوت ، فأطلقه وقال : أظننى فى حبسك مأثوم ، (قال) : بل ماء بصل ، فأطلقه ، وأُخْرِجَ من بغداد .

ونوادره وحكاياته عجيبة ، أُفْرِدَ لها باب (٥) فى كتاب نثر الدر .

---

(١) هو " أبو سعد ، منصور بن الحسين الآبى " . كان شاعراً ناثراً عالماً بالأخبار ، وزر لمجد الدولة البويهى ، وولى استيفاء الأموال لمحمود بن سبكتكين الغزنوى .
له ترجمة فى : الثعالبى . تتمة اليتيمة ص ١١٩ ـ ١٢٦ تر ٨٤ ، ياقوت . معجم البلدان ج ١ ص ٥١ ، ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٤ ص ١٦٠ ـ ١٦١ تر ٥٣١ .

(٢) هو كتاب جامع للتاريخ والطرائف والخطب والأحاديث والتفسير والنوادر ، اختلط فيه الجد بالهزل تعمداً (ليكون ذلك استراحة للقارئ ، تنفى عنه الملل والسآمة ...) جُعِلَ فى سبعة أبواب ، كل باب فى كتاب مستقل ، وقد انقسم إلى عدة فصول .. طبع منه الثلاثة الأولى بتحقيق " محمد على قرنة " فى القاهرة فيما بين سنتى ١٩٨٠ و ١٩٨٣م .

(٣) الزركشى . عقود الجمان ق ٣٣٣أ .

(٤) فى الأصل : " أبا " .

(٥) فى الأصل : " بابا " .

وكانت وفاته بعد الأربعين ومائتين ... " . (١)

ويقابله لدى ابن شاكر الكتبي في " الفوات " قوله :

" محمد بن أحمد الهاشمي ، كنيته أبو العباس ، فصيرها : أبا العبر ، ثم إنه كان يزيد ها كل سنة حرفاً ، فمات وهو أبو العبر طرد طبك طلياري بك بك بك . وكان شاعراً ترك الجد وعدل إلى الهزل ، حبسه المأمون وقال : هذا عار على بني هاشم ، فصاح في الحبس : نصيحة لأمير المؤمنين ، فأخبروه ، فاستحضره وقال : هات نصيحتك ، فقال : الكشكية - أصلحك الله - لا تطيب إلا بكشك ، فضحك منه ، وقال : أرى أنه مجنون ، فقال أبو العبر : إنما امتخطت حوت ، فقال : ويحك ! ما معنى قولك ؟ فقال : أصلحك الله ، زعمت أنني مججت نون ، وإنما امتخطت حوت ، فأطلقه وقال : أظنني في حبسك مأثوم ، قال : بل ماء بصل ، فقال : أخرجوه عني ، ولا تُقِم في بغداد ، فهذا عار علينا ... وفي كتاب نثر الدر باقي نوادره ، وكانت وفاته بعد الأربعين ومائتين ، رحمه الله تعالى وعفا عنه " . (٢)

وبالمقابلة بين النصين يتضح الآتي :

أولاً - الاشتراك معاً في التصريح بأن صاحب الحبس هو " المأمون " ، والمصرح به لدى الصفدي في " الوافي " ، وهو المصدر المباشر لابن شاكر الكتبي في هذه الترجمة أن الحابس لأبي العبر هو " الأمير إسحاق بن إبراهيم الطاهري ، أمير بغداد " . (٣) وهو كذلك في الأغاني (٤) ، المصدر المباشر للصفدي في هذا الموضع .

ثانياً - اتفاقهما في رسم الكنية المزيدة للمترجم له حال وفاته ، بينما ورد في " الوافي " رسم آخر لها ، وهو : " أبو العبر طزد طبك طبلري بك بك بك " . (٥)

---

(١) الزركشي . عقود الجمان ق ٢٦٦ .
(٢) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٣ ص ٢٩٨ - ٣٠١ تر ٤٣١ .
(٣) الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٢ ص ٤٢ .
(٤) الأصفهاني . الأغاني ج ٢٣ ص ٢٠١ .
(٥) الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٢ ص ٤١ .

ثالثاً ـ التشابه الكبير فيما بينهما فى العبارات والتراكيب ،مما يشير إلى انتقاء " الزركشى " لترجمته فى هذا الموضع " عن " الفوات " وليس عن "نثر الدر " ، الذى لم يكن له اطلاع مباشر على مادته .

ولعل مما يؤكد ذلك قول " الصفدى " مذيلاً على ترجمته : " ... وقد عقد له الآبى فى الكتاب السابع من نثر الدر باباً فى نوادره ،ليس فيها ما سقته له هاهنا " . (١)

وهو ما يفهم منه أن مادة ترجمته فى الكتب الثلاثة : " الوافـــــى " و " الفوات " و " المفقود " لا تدخل فى نطاق ما جاء فى " نثر الـــدر " المصرح به فى ترجمة " أبى العبر " فيها .

---

(١) الصفدى ، الوافى بالوفيات ج ٢ ص ٤٤ .

* الثعالبي [1] (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨م) صاحب كتابي " يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر " و " تتمته " :

وهما من المصادر التي لم يطلع " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ على مادتهما اطلاعاً مباشراً ، وإنما هو مطلع على ما نُقِلَ عنهما في " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبي ، وإن لم يصرح هو بذلك ، مكتفياً في ثلاث ترجمات مما استفاده عن " الفوات " بالإسناد في بعض عناصرها إلى " الثعالبي " .

وأولى هذه الترجمات ، ترجمة " المتيم ـ الأفريقي " ، الواردة لديه على النحو التالي :

" أحمد بن محمد الأفريقي ، أبو الحسن ، المعروف بالمتيم ، أحد الأدباء الشعراء الفضلاء .

ديوانه مشهور ، وله كتاب الشعراء الندماء ، وكتاب الانتصار المنبي عن

---

(١) هو " أبو منصور ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (نسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها) ، النيسابوري " .
(له ترجمة في : الحصري . زهر الآداب ج ١ ص ١٦٨ ، ابن بسام . الذخيرة ج ٨ ص ٥٦٠ ـ ٥٨٣ ، ابن الأنباري . نزهة الألباء ص ٣٦٥ تر ١٥٦ ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٧٨ ـ ١٨٠ تر ٣٨١ ، ابن شاكر الكتبي . عيون التواريخ ج ١٣ ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٣ ص ٥٣ ـ ٥٤ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٢ ص ٤٤ ، العباسي . معاهد التنصيص ج ٢ ص ٩١ ـ ٩٢ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧) .
ألف في اللغة والأدب والتاريخ نحو ثلاثة وتسعين مؤلفاً ، لعل أشهرها في التاريخ والأدب " يتيمة الدهر " و " تتمته " ، وفيهما يترجم للكثير من الشعراء المعاصرين له أو السابقين لزمنه بقليل (رجال القرن الرابع وصدر القرن الخامس الهجريين) ، غير مقتصر في ذلك على الترجمة المحضة ، وإنما هو مسترسل في الاستشهاد بالنصوص الشعرية والنثرية الممثلة لأدب المترجمين لديه ، مازج بينها وبين ما بثه فيهما من آراء نقدية ، عامد إلى الموازنة ـ غالباً ـ بين المترجمين لديه وبين غيرهم في " فن الشعر " ، موزع لهم على أقسام رئيسة أربعة ، روعي فيها " الدول " و " الأقاليم " .

راجع : الثعالبي . يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٥ ـ ٣١ .

فضل المتنبى .

قال الثعالبى : رأيته ببخارى شيخاً رث الهيئة ، تلوح عليه سيما الحرفة ، وكان يتطبب وينجم ، فأما صناعته التى يعتمد عليها فالشعر . أنشدنى لنفسه :

تلوم على ترك الصلاة حليلتى ... فقلت : اغربى عن ناظرى أنت طالقُ
فوالله لا صليتُ لله مفلساً ... يُصلى له الشيخ الجليل وفائقُ
ولا عجباً إنْ كان نوحٌ مصلياً ... لأنَّ له قسراً تديهنُ الخلائقُ
لماذا أصلى ؟ أين حالى ومنزلى ؟ ... وأينَ خيولى والحُلى والمناطقُ ؟
أصلى ولا فترٌ من الأرض تحتوى ... عليه يمينى ؟ إننى لمنافقُ
بلى إنْ علىّ اللهُ وسّعَ لم أزلْ ... أصلى لَهُ ما لاح فى الجوِّ بارقُ

وقال فى مليح تركى :

قلبى أسيرٌ فى يدَىْ مقلةٍ ... تركية ضاق لها صدرى
كأنها من ضيقها عروة ... ليس لها زر سوى الشَّعْرِ . (١)

ويقابلها لدى " ابن شاكر الكتبى " قوله فى " الفوات " :

" أحمد بن محمد الأفريقى ، أبو الحسن المعروف بالمتيم ، أحد الأدباء الشعراء الفضلاء ، له من التصانيف كتاب الشعراء الندماء (و) كتاب الانتصار المنبى عن فضل المتنبى ، وله ديوان شعر .

قال الثعالبى : رأيته ببخارى شيخاً رث الهيئة ، تلوح عليه سيما الحرفة ، وكان يتطبب وينجم ، فأما صناعته التى يعتمد عليها فالشعر . أنشدنى لنفسه :

وفتية أدباء ما علمتهمُ ... شبهتهم بنجوم الليل إذ نجموا
فروا إلى الراح من خطب يلم بهم ... فما درت نوبُ الأيامِ أين همُ

وأنشدنى لنفسه :

تلوم علـى ترك الصلاة حليلتى ... .
.... أصلى له ما لاح فى الجو بارق

وقال فى مليح تركى :

---

(١) الزركشى . عقود الجمان ق ٦٢ ب .

قلبي أسيرٌ في يدَيْ مقلـــــــةٍ   تركيةٍ ضاق لها صـــــدري
كأنهـا من ضيقهـا عـــــــروة   ليس لهـا زر سوى الشَّعْرِ". (١)

ومع ما تظهره المقابلة من تشابه يصل إلى حد التطابق فيما بـــــين النسقين الترتيبي والتعبيري للنصين ، فإن المقابلة بينهما وبين " اليتيمــة " تؤكد على عدم اطلاع مؤرخنا على مادتها في هذا الموضع ، ونقله محتـــوى ترجمته تلك عن " الفوات " . فاليتيمة لم تسم المترجم له " أحمد " ، ولكــن " محمداً " . (٢) والشاهد الشعري الثاني ـ المثبت لدى مؤرخنا ـ فيمـا نقل عن " الفوات " غير مطابق وما أثبته " الثعالبي " في " اليتيمـــة "، إذ هو مختصر عنها ، باسقاط خمسة أبيات متخللة لمادة ما أُثبِتَ في "الفوات " و " العقود " ، وهو مروي في " اليتيمة " على النحو التالي :

"تلوم علـيَّ ترك الصـــلاة حليلـتي   فقلت: اغربي عن ناظـري أنت طالقُ
فوالله لا صلَّيتُ للـه مفلســـــــاً   يصلي له الشيخ الجليل وفائـــقُ
وتاشٍ وبكتـاشٍ وكمـاشٌ بعـــده   ونصر بن مالكٌ والشيخ البطـارقُ
وصاحب جيشِ المشرقـين الذي لـه   سرادِيبُ مالٍ حشوها متضايـــقُ
ولا عجبـا إن كان نوحٌ مصلّيـــاً   لأنّ له قسراً تدين المشــارقُ
لماذا أصلي ؟ أين باعي ومنزلـــي   وأين خيولي والحلـى والمناطـقُ ؟
وأين عبيدي كالبـدور وجوههـــم   وأين جواريَّ الحسان العواتـقُ ؟
أصلّي ولا فِترٌ من الأرض يحتـــوني   عليه يميني ؟ إنّني لمنافـــقُ
تركت صلاتـي للذيـــن ذكرتُهُـمْ   فمن عاب فعلي فهو أحمق مائـــقُ
بلى ، إن عليّ الله وسّـع لـم أزل   أصلّي له ما لاح في الجـوّ بـارقُ
فإن صلاة السيِّءِ الحالِ كلّهـــا   مخارق ليست تحتهن حقائـقُ" .(٣)

كما أن لفظة " باعـي " الواردة في البيت السادس قد تحرفت فـــي " الفوات " وعنه " العقود " ، لتصير " خالي " . (٤)

---

(١) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ١ ص ١٥٠ ـ ١٥١ تر ٥٦ .
(٢) الثعالبي . يتيمة الدهر ج ٤ ص ١٧٨ ، حيث ترجمه تحت اسم : "محمد ابن أحمد الأفريقي " .
(٣) نفسه ج ١ ص ١٧٨ ـ ١٧٩ .
(٤) يؤكد على أن اللفظة محرفة لديهما ، وليست رواية شعرية أن المصدر المنقول عنه لدى ابن شاكر الكتبي ، وهو " الصفدي " (الوافي ج ٨ ص ١٥٧) قد أثبتَت فيه : " باعي " كما أوردها الثعالبي .

أما الترجمة الثانية ، فقد تُرجِمَ فيها " لأبى سعد الآبى " ، وهى مُثبتة لدى " الزركشى " ــ مؤرخنا ــ على النحو التالى :

" منصور بن الحسين ، الأستاذ أبو سعد الآبى ، تقلد الوزارة بالرى ، وكان يلقب بالوزير الكبير ذى المعالى ، زين الكفاة .

ذكره الثعالبى فى اليتيمة وأثنى عليه ،وله كتاب نثر الدرّ ،لم يُجمع مثله ، سبع مجلدات ،كل مجلد بخطه ،وفيه أبواب . وله كتاب نزهة الأدب ، والأنس والعرس .

وكان فيه تشيع ،وولى بالرىّ استيفاء الأموال سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ، ومن شعره :

على التلعات البيض من أبرق اللوى تلالا بريقٌ مثلما ابتسمت سعدى
وأتلع إن ماس الأراكة لم يدع لها فننا سبطاً ولا ورقاً جعدا
إذا وردت ماء العُذَيب ركائبى فقد أعشبت مرعىً وقد أعذبت وردا
يرف عليها الأقحوان غُدَيّة وقد علّه طلٌّ كدمعٍ أو اندى
هنالك قومٌ كلما زرتُ حيّهم لقيت أبا سعد به الطائر السعدا
عقائله يفرشن بالورد طُرْقَه ليوطئه إن جئته الفرس الوردا " . (١)

ويقابلها لدى " ابن شاكر الكتبى " فى " الفوات " قوله :

" منصور بن الحسين ، الأستاذ أبو سعد الآبى ، تقلد الوزارة بالرىّ ، وكان يُلقب بالوزير الكبير ذى المعالى زين الكفاة ، كان أديباً ماهراً ناظماً عالى الهمة شريف النفس ، ذكره الثعالبى فى كتاب اليتيمة وأثنى عليه ،وله كتاب نثر الدرّ لم يُجمع مثله ، سبع مجلدات ، كل مجلد بخطه ، وكل مجلد فيه أبواب ،لم يَجمع أحد فى المنثور مثله . وله كتاب نزهة الأدب ،وله كتاب الأنس والعُرس ،وكان يتشيع . ولما ورد السلطان إلى الرىّ سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ولاه القيام باستيفاء الأموال .

ومن شعره :

على التلعات البيض من أبرق اللوى ....
.... ليوطئه إن جئته الفرس الوردا

---

(١) الزركشى . عقود الجمان ق ٢٣٣أ .

وقال : ...... " . (١)

وبالإضافة إلى التشابه الكبير بين النصين في النسقين الترتيبي والتعبيري ، فإن مما يؤكد على عدم اطلاع مؤرخنا على " اليتيمة " في هذا الموضع أن الثعالبي لم يترجم " للآبي " في اليتيمة ، كما جاء في " الفوات" وعنه " العقود " ، وإنما هو مُترَجَمٌ لديه في " تتمة اليتيمة " . كما أن العنصر الخاص بآثار المترجم له قد ورد في " التتمة " على النحو التالي :

" ... وله من المصنفات كتاب التاريخ الذي لم يُسبق إلى تصنيف مثله ، وكتاب نثر الدر ، وله بلاغة بالغة ، وشعر بارع " . (٢)

مما يجعل عبارة " ابن شاكر الكتبي " في هذا المجال أوسع وأخصب من عبارة المصدر الرئيس .

كما أن نسبة " التشيع " إلى " الآبي " مما لم يرد لدى الثعالبي كذلك .

على حين ترجم في الثالثة " لأبي سعد الدينوري " قائلاً :

" نصر بن يعقوب ، أبو سعد الدينوري ، مصنف كتاب التعبير المعروف بالقادري . ذكره الثعالبي في من ورد (من) نيسابور وقال : تعقد عليه الخناصر بخراسان في الكتابة والصناعة والبراعة . وشهد له الصاحب ابن عباد بالفضل الغزير ، وله تصانيف ككتاب روائع التوجيهات في بدائع التشبيهات ، وكتاب ثمار الأنس في تشبيهات الفُرس . ومن شعره :

اسقني كأساً كلون الذهبِ	وامزج الريقَ بماء العنبِ
فقد ارتجتْ بنا الأرض حتى	كارتجاج الزئبق المنسربِ
وكأن الأرض في أرجوحةٍ	وكأنا فوقها في لولبِ " . (٣)

ويقابلها لدى " ابن شاكر الكتبي " في " الفوات " قوله :

" نصر بن يعقوب ، أبو سعد الدينوري ، مصنف كتاب التعبير المعروف بالقادري ، ذكره الثعالبي في من ورد من نيسابور ، وقال : تعقد عليه الخناصر بخراسان في الكتابة والصناعة والبراعة ، وله في الأدب تقدم محمود ، وفي

(١) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٤ ص ١٦٠ ـ ١٦١ .
(٢) الثعالبي . تتمة اليتيمة ص ١٢٠ .
(٣) الزركشي . عقود الجمان ق ٣٣٣أ .

المروّة قدم مشهورة ، وشهادة الصاحب ابن عباد له في الفضل ، يسجل بها حكام العدل . وله تصانيف ، منها كتاب روائع التوجيهات في بدائع التشبيهات ، وكتاب ثمار الأنس في تشبيهات الفرس ، (و) كتاب الجامع الكبير في التعبير ، وهو القادري ، (و) كتاب حقة الجوهر .

ومن شعره :

أبى لي أن أبالي بالليالي ....

.... ضعفتُ عن الحراك لضعف حالي

ومنه :

اسقني كأساً كلون الذهب ....

.... وكأنا فوقها في لولب ". (١)

وهكذا فإن المقابلة بين النصين ، تشير إلى أخذ " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ مادة ترجمته في هذا الموضع عن " ابن شاكر الكتبي " ، ويتأكد ذلك بالإشارة إلى أن عبارة " الزركشي " المسندة إلى " الثعالبي مطابقة وعبارة " الفوات " ، وهي مختلفة بعض الشيء عن الوارد لدى " الثعالبي " في " اليتيمة " ، لوجود تحريف فيها ، إذ المثبت لدى الثعالبي قوله :

" ... تعقد عليه الخناصر بخراسان في الكتابة ، والبراعة في الصناعة " . (٢) وليس : " ... في الكتابة والصناعة والبراعة " .

---

(١) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٤ ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .
(٢) الثعالبي . يتيمة الدهر ج ٤ ص ٤٤٩ .

* النديم (١) (ت ٤٣٨ هـ / ١٠٤٧م) صاحب كتاب " الفهرست " (٢) :

وهو من المصادر التى لم يطلع " الزركشى " ـ مؤرخنا ـ على مادتها اطلاعاً مباشراً ، وإن أسند إليه فى موضع واحد من " عقوده " ، وهو ترجمة " أبى عثمان الخالدى " ، ناقلاً ما نسب إلى النديم عن " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبى ؛ يؤيد ذلك قوله :

" سعيد بن هاشم بن وعلة بن عرام بن يزيد بن عبد الله ، ينتهى إلى عبد القيس ، أبو عثمان الخالدى ، أحد الخالديين .

قال محمد بن إسحاق النديم : قال لى الخالدى ، وقد تعجبت من كثرة حفظه : أنا أحفظ ألف بيت سمر ، كل سمر ألف ورقة .

ومن شعره :

ومن نكد الدنيا إذا ما تعذرت ... أمورٌ وإن عدّت صغاراً عظائمُ
إذا رمت بالمنقاشِ نتف أشاهبى ... أتيحت له من بينهن الأداهمُ
فأنتفُ ما أهوى بغير إرادتى ... وأترك ما أقلى وأنفى راغمُ

وله :

---

(١) هو " أبو الفرج ، محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق النديم ، الوراق " .
له ترجمة فى : ياقوت . معجم الأدباء ج ١٨ ص ١٧ تر ٦ ، الصفدى . الوافى بالوفيات ج ٢ ص ١٩٧ تر ٥٦٨ ، ابن حجر . لسان الميزان ج ٥ ص ٧٢ ـ ٧٣ تر ٢٣٧ ، والتأريخ لوفاته عنه .

(٢) أشار إليه مؤلفه فى مقدمته بقوله :
" ... هذا فهرست كتب جميع الأمم ، من العرب والعجم ، الموجود منها بلغة العرب وقلمها فى أصناف العلوم ، وأخبار مصنفيها ، وطبقات مؤلفيها ، وأنسابهم ، وتاريخ مواليدهم ، ومبلغ أعمارهم ، وأوقات وفاتهم ، وأماكن بلدانهم ، ومناقبهم ، ومثالبهم ، منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا ، وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة " .
مقسماً له إلى مقدمة وعشر مقالات . وهو مطبوع عدة طبعات ، لعل أدقها نشرة " رضا ـ تجدد " .

بنفسي حبيبٌ بان صبري لبَيْنه ... وأودعني الأشجان ساعة ودعا

وأنحلني بالهجر حتى لوانني ... قذًى بين جفني أرمد ما ترجعا

وله :

هتف الصبحُ بالدجى فاسقنيها ... قهوةً تتركُ الحليمَ سفيها

لست أدري من رقةٍ وصفاءٍ ... هيَ في كاسها أم الكاسُ فيها ".(١)

ويقابله قول ابن شاكر الكتبي في " الفوات " :

" سعيد بن هاشم بن وعلة بن عرام بن يزيد بن عبد الله ، ينتهي إلى عبد القيس ، أبو عثمان الخالدي ، أحد الخالديين ... قال محمد بن إسحاق النديم : قال لي الخالدي ، وقد تعجبت من كثرة حفظه : أنا أحفظ ألف سمر ، كل سمر مائة ورقة .... ومن شعره :

ومن نكد الدنيا إذا ما تعذرت ... .

.... وأتركها أقلى وأنفي راغم

... وله أيضاً :

هتف الصبحُ بالدجى فاسقنيها ... .

.... هيَ في كاسها أم الكاسُ فيها

وله أيضاً :

بنفسي حبيبٌ بان صبري لبَيْنه ... .

.... هيَ في كاسها أم الكاسُ فيها ".(٢)

وبالمقابلة بين هذين النصين يتضح أن " الزركشي " قد أخذ ترجمته انتقاءً عن مادة " الفوات " في هذا الموضع ، وبالتعبير ذاته ، مع تقديم الشاهد الشعري الثاني على الذي يليه ، إذ وُجِدَ أن ترتيبهما في " الفوات " معاكس لذلك تماماً .

أما ما نُسِبَ إلى النديم لديه فقد أتى محرفاً عن مصدره ، وإن حافظ في شطره الأول على عبارة " الفوات " .

ويقابله لدى " النديم " قوله :

---

(١) الزركشي . عقود الجمان ق ١٢٣ ب

(٢) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٢ ص ٥٢ ـ ٥٤ .

" ... قال لى أبو بكر منهما ، وقد تعجبت من كثرة حفظه وسرعة بديهته ومذاكراته : إنى أحفظ ألف سَمَر (١) ، كل سمر فى نحو مائة ورقة " . (٢)

فالتعجب إذاً ليس من " كثرة الحفظ " فقط ، وإنما هو مع ذلك من " سرعة بديهته ومذاكراته " ، والمصرح بحفظه لم يقدر فى " الفهرست " جزماً ، ولكن تقريبياً : " كل سمر فى نحو مائة ورقة " ، و " أنا " المذكورة لديهما ، يقابلها لدى النديم : " إنى " .

وهكذا فإنه بقدر ما تتفق عبارة " الزركشى " و " الفوات " بقدر ما تفترق وعبارة " الفهرست " ، بما يؤكد على عدم اطلاعه على مادة " الفهرست " اطلاعاً مباشراً .

(١) النديم . الفهرست ص ١٩٥ .
(٢) السَمَر محركة : " الليل وحديثه " ـ الفيروزابادى . القاموس المحيط ص ٥٢٥ .

* ابن حزم الأندلسي (1) (ت ٤٥٦ هـ . / ١٠٦٤م .) :

أسند إليه " الزركشي " ــ مؤرخنا ــ في موضع واحد من ترجمات " عقوده "

---

(١) هو " أبو محمد ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح ابن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي (المعروف بيزيد الخير ، مولى يزيد بن أبي سفيان) ، الفقيه الأندلسي ، الظاهري " .
عالم مشارك في الفقه ، والأصول ، والفرق ، والحديث ، والتاريخ ، والأدب ، والطب .
وفيه يقول الذهبي : " ... كان ينهض بعلوم جمة ، ويجيد النقل ، ويحسن النظم والنثر ، وفيه دين وخير ، ومقاصده جميلة ، ومصنفاته مفيدة ، وقد زهد في الرياسة ، ولزم منزله مكباً على العلم " .
(له ترجمة في : الحميدي . جذوة المقتبس ص ٣٠٨ ــ ٣١١ تر ٧٠٨ ، الفتح ابن خاقان . مطمح الأنفس ص ٢٧٩ ــ ٢٨٢ ، ابن بسام . الذخيرة ج ١ ص ١٦٧ ــ ١٧٥ ، ابن بشكوال . الصلة ج ٢ ص ٤١٥ ــ ٤١٧ تر ٨٩٤ ، ياقوت . معجم الأدباء ج ١٢ ص ٢٣٥ ــ ٢٥٧ تر ٦٢ ، ابن القفطي . تأريخ الحكماء (اختصار الزوزني) ص ٢٣٢ ــ ٢٣٣ ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٢٥ ــ ٣٣٠ تر ٤٤٨ ، ابن سعيد المغربي . المغرب (الأندلس) ج ١ ص ٣٥٤ ــ ٣٥٧ تر ٢٥٣ ، الذهبي . تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١١٤٦ ــ ١١٥٤ تر ١٠١٦ ، دول الإسلام ج ١ ص ٢٦٨ ، سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ١٨٤ ــ ٢١٢ تر ٩٩ ، العبر ج ٣ ص ٢٣٩ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٣ ص ٧٩ ــ ٨١ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٢ ص ٩١ ــ ٩٢ ، ابن الخطيب . الإحاطة ج ٤ ص ١١١ ــ ١١٦ ، ابن حجر . لسان الميزان ج ٤ ص ١٩٨ ــ ٢٠٢ تر ٥٣١ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٧٥ ، السيوطي . طبقات الحفاظ ص ٤٣٦ ــ ٤٣٧ تر ٩٨٣ ، المقري . نفح الطيب ج ٢ ص ٧٧ ــ ٨٤ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٩٩ ــ ٣٠٠ ، د . زكريا إبراهيم . ابن حزم الأندلسي (أعلام العرب ــ ٥٦) ، د . الطاهر مكي . دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، د . عبد الحليم عويس . ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ، د . محمود علي حماية . ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان) .
ويلحظ أنه ــ رحمه الله ــ كان مؤرخاً وراوية إخبارياً في الوقت عينه ، ولذا كثيراً ما تتردد رواية أو أكثر في المصادر منسوبة إليه ولا نجدها في كتبه ، بل ربما تعين الكتاب المنقول عنه ، وأظهرت المقابلة تفاوتاً في العبارة (محتوى ولغة) فيما بين المنقول والكتاب المسند إليه ، وهو ما يلمس هنا ، إذ وردت لديه معلومات عن " هارون الرشيد " في " جمهرة أنساب العرب " ت . عبد السلام هارون (ص٢٣) ، و " نقط =

، من خلال ترجمة " هارون الرشيد " ، الواردة لديه على النحو التالى :
" هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس ابن عبدالمطلب ، أمير المؤمنين الرشيد بن المهدى بن المنصور .
كان شجاعاً ، كثير الحج والغزو ، حج فى خلافته ثمانى (١) حجج ، و (غزا) (٢) ثمانى (٣) غزوات ، ولم يحج خليفة بعده .
مولده سنة سبع وأربعين ومائة ، يوم موت الهادى ، وتوفى بطوس فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وله ست وأربعون سنة ، وكانت مدة خلافته ثلاثاً وعشرين (٤) سنة وشهرين ، وكان جواداً بالمال ، ديناً ، عفيفاً ؛ قال ابن حزم : إلا أنه كان يشرب الخمر " . (٥)
ويقابله لدى " ابن شاكر الكتبى " فى " الفوات " قوله :
" هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علـى بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب ، أمير المؤمنين الرشيد بن المهدى بن المنصور .
كان شجاعاً ، كثير الحج والغزو ، حجّ فى خلافته ثمانى حجج ، وقيل : تسع ، وغزا ثمانى غزوات ، ولم يحج خليفة بعده ... مولده سنة سبع وأربعين ومائة ، فى نصف شوال بمدينة الريّ ، وبويع له بمدينة السلام فى ربيع الأول سنة سبعين ومائة يوم موت الهادى ، وكان ولى العهد بعده ، وله يومئذ اثنتان وعشرون سنة ونصف ، وتوفى بطوس فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وله ست وأربعون سنة ، وكانت مدة خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وستة عشر يوماً ؛ وكان يحج سنة ويغزو سنة ... وكان جواداً بالمال ... وكان من أميز الخلفاء وأجل ملوك الدنيا ، كان يصلى فى اليوم مائة ركعة إلى أن مات ،

= العروس " (ص ٤٥) ، و " رسالة الخلفاء والولاة وذكر مددهم " (ص ١٤٩) ، و " الخلفاء بعده عليه السلام " (ص ١٦٤) ت . د . إحسان عباس ، لكننا وإن وجدنا تشابهاً كبيراً بين مادة ترجمته فى كل من " الفوات " و " العقود " و " رسالة الخلفاء والولاة " ، فإننا لا نجد ما نُسِبَ إلى " ابن حزم " من التصريح بشرب " الرشيد " للخمر .
(١) فى الأصل : " ثمان " .
(٢) ساقط من الأصل .
(٣) فى الأصل " ثمان " .
(٤) فى الأصل : " ثلاث وعشرون " .
(٥) الزركشى . عقود الجمان ق ٢٤٠ أ .

ويتصدق كل يوم من صلب ماله بألف درهم ، وكان يحب العلم وأهله ، ويعظم حرمات الله تعالى ... قال ابن حزم : كان يشرب الخمر " . (١)

مما يشير إلى أخذه مادة ترجمته في هذا الموضع عن ابن شاكر الكتبي في " الفوات " ، وليس عن " ابن حزم " ، وإن لم يكن دقيقاً في تلخيصه عنه ، إذ جعل يوم مولد الرشيد يوم وفاة الهادي ، بينما كان اليوم الثاني يوم بيعته ، كما قصر تقدير مدة خلافته على السنين والشهور دون الأيام ، فضلاً عن أغلاط النحو المنبه إليها في الحواشي .

(١) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٤ ص ٢٢٥ ـ ٢٢٧ .

* الخطيب البغدادي (١) (ت ٤٦٣ هـ . / ١٠٧٢ م .) صاحب " تاريخ بغداد " :

وهو من المصادر التي لم يطلع " الزركشي " – مؤرخنا – على مادتها اطلاعاً مباشراً ، وإنما هو مطلع على ما أُسْنِدَ إليه في " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبي ، وإن لم يصرح هو بذلك ، مكتفياً في ثلاث ترجمات مما استفاده عن " الفوات " بالإسناد إلى الخطيب في بعض عناصرها ، وأولى هذه الترجمات هي ترجمة " جعفر بن قدامة الكاتب " ، الواردة لديه على النحو التالي :

" جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب ؛ ذكره الخطيب فقال : هو أحد مشايخ الكتاب وعلمائهم ، حدث عن أبي العيناء وحماد بن إسحاق الموصلي والمبرد ونحوهم ، وروى عنه أبو الفرج الأصفهاني .

وقال ياقوت : قرأت في كتاب المحاضرات لأبي حيان قال : قلت للعروضي : أراك منخرطاً في سلك ابن قدامة ومنصباً إليه ومتوفراً عليه ،

---

(١) هو " أبو بكر ، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي بن ثابت البغدادي " .

له ترجمة في : السمعاني . الأنساب ج ٥ ص ١٥١ ، ابن الجوزي . المنتظم ج ٨ ص ٢٦٥ – ٢٧٠ تر ٣١٢ ، ياقوت . معجم البلدان ج ٤ ص ١٣ – ٤٥ تر ٢ ، ابن الأثير . الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٦٨ ، اللباب ج ١ ص ٤٥٣ – ٤٥٤ ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ١ ص ٩٢ – ٩٣ تر ٣٤ ، الذهبي . تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١١٣٥ – ١١٤٦ تر ١٠١٥ ، دول الإسلام ج ١ ص ٢٧٣ ، سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٢٧٠ – ٢٩٦ تر ١٣٧ ، العبر ج ٣ ص ٢٥٣ ، ابن الدمياطي . المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص ١٥١ – ١٦١ تر ٣٨ ، الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٧ ص ١٩٠ – ١٩٩ تر ٣١٣٧ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٣ ص ١٢ – ١٦ ، السبكي . طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ١٢ – ١٦ ، الاسنوي . طبقات الشافعية ج ١ ص ٢٠١ – ٢٠٣ تر ١٧٤ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٠١ – ١٠٣ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٨٧ – ٨٨ ، السيوطي . طبقات الحفاظ ص ٤٣٤ – ٤٣٦ تر ٩٨٢ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٣ ص ٣١١ – ٣١٢ ، يوسف العش . الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها . دمشق ، ١٩٤٥ م ، أكرم ضياء العمري . موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد . الرياض ، ط ٢ ، ١٩٨٥ .

وكيف يتفق بينكما وتأتلفان ولا تختلفان ؟! فقال : اعلم أن الزمان وقت الاعتدال ، والرجل كما تعرفه فى غاية البرد والغثاثة ، وأنا كما تعرفنى وتثبتى ، فاعتدلنا إلى أن تغير الزمان ، ثم نفترق ونختلف ولا نتفق ، وأنشأ يقول :

وصاحبٍ أصبحَ من بردِهِ	كالماءِ فى كانونَ أو فى شباطْ
نُدْمانُهُ من ضيقِ أخلاقه	كأنهم فى مثل سَمِّ الخياطْ
نادمتُهُ يوماً فألفيتُهُ	متصلَ الصمتِ قليلَ النشاطْ
حتى لقد أوهمنى أنّهُ	بعضُ التماثيلِ التى فى البساطْ

ومن شعره :

تَمَتَّعْ - متُّ قبلك - بعض قولى	ولا تسألا منى لماذا
نعم أسقمتَ بالهجران جسمى	ومتُّ بغصتى ، فيكون ماذا ؟

توفى سنة ثمان وثلاثمائة " . (١)

ويقابلها لدى " ابن شاكر الكتبى " فى " الفوات " قوله :

" جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب ؛ ذكره الخطيب فقال : هو أحد مشايخ الكتاب وعلمائهم ، وكان وافر الأدب حسن المعرفة ، وله مصنفات فى الكتابة وغيرها ؛ حدّث على أبى العيناء وحماد بن إسحاق الموصلى والمبرد وغيرهم ، وروى عنه أبو الفرج الأصفهانى .

قال ياقوت : قرأت فى كتاب المحاضرات لأبى حيان قال : قلت للعروضى : أراك منخرطاً فى سلك ابن قدامة ومنصباً إليه ومتوفراً عليه ، وكيف يتفق بينكما وتأتلفان ولا تختلفان ؟ فقال : اعلم أن الزمان وقت الاعتدال ، والرجل كما تعرفه فى غاية البرد والغثاثة ، وأنا كما تعرفنى وتثبتى ، فاعتدلنا إلى أن يغير الزمان ، ثم نفترق ونختلف ولا نتفق ، ثم أنشأ يقول :

وصاحبٍ أصبحَ من بردِهِ	....
....	بعضُ التماثيل التى فى البساطْ

ومن شعره :

تَمَتَّعْ - متُّ قبلك - بعض قولى	....
....	ومتُّ بغصتى ، فيكون ماذا ؟

وكانت وفاة ابن قدامة فى سنة ثمان وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى " . (٢)

---

(١) الزركشى . عقود الجمان ق ٨٥ .
(٢) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ تر ١٠٢ .

وهكذا تكشف المقابلة بين النصين عن اعتماد " الزركشى " فى بنـــاء ترجمته تلك على مادة " الفوات " ، بحيث لم تشذ عناصرها عن دائرة ما أثبتـه " ابن شاكر " فيه ، وإن أهمل هو التصريح بذلك ،مسنداً عناصرها إلى المصادر ذاتها الواردة فى " الفوات " ،وبالتتابع واللغة عينيهما ،بل وتقليده فـــى بعض الأخطاء ،إذ لم يشر " الخطيب " إلى تحديث المترجم له على " المبرد " ، كما أن " ياقوت " قد أورد عنصر الوفاة ، مؤرخاً له بيوم الثلاثاء ،لثمـــان بقين من جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وثلاثمائة .(١) وليس " سنة ثمـــان وثلاثمائة " كما جاء لديهما .

أما ما أُسْنِدَ إلى " الخطيب " ،فقد أُثبِتَ فى تاريخه على النحـــو الآتـى :

" جعفر بن قدامة بن زياد ،أحد مشايخ الكتاب وعلمائهم . وافـــر الأدب ،حسن المعرفة ،وله مصنفات فى صنعة الكتابة وغيرها . وحدث عـــن أبى العيناء الضرير ، وحماد بن اسحاق الموصلى ،ومحمد بن مالك الخزاعى ، ونحوهم . روى عنه أبو الفرج الأصبهانى " .(٢)

وثانى هذه الترجمـــات ترجمـــة " أبى الفضل ،ابن حنزابة " ، ومـا أُسْنِدَ فيها إلى " الخطيب " جاء على النحو التالى :

" ... وذكره الخطيب وقال : إنه كان يذكر أنه سمع من أبى القاســم البغَوى ،وكان يُملى الحديث بمصر ،وبسببه خرج الدارقطنى إلى هناك وروى عنه شيئاً كثيراً " .(٣)

ويقابله لدى ابن شاكر الكتبى قوله فى " الفوات " :

" ... قال الخطيب : كان يذكر أنه سمع من أبى القاسم البغَـــوى ، وكان يُملى الحديث بمصر ، وبسببه خرج الدارقطنى إلى هناك ، وكان ابـــن حنزابة يريد يصنف مسنداً ،فأقام عنده مدة وحصل بسببه له مال كثير ، وروى عنه الدارقطنى أحاديث " .(٤)

---

(١) ياقوت . معجم الأدباء ج ٧ ص ١٧٨ .
(٢) الخطيب البغدادى . تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٠٥ تر ٣٦٧٠ .
(٣) الزركشى . عقود الجمان ق ٨٥ ب .
(٤) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ١ ص ٢٩٢ .

أما ما أُسْنِدَ إلى " الخطيب " ، فقد جاء في تاريخه على النحو التالي :

" ... وكان يذكر أنه سمع من عبدالله بن محمد البغوي مجلساً ولم يكن عنده ، فكان يقول : من جاءني به أغنيته ، فكان يملي الحديث بمصر ، وبسببه خرج أبو الحسن الدارقطني إلى هناك ، فإنه كان يريد أن يصنف مسنداً ، فخرج أبو الحسن إليه وأقام عنده مدة يصنف له المسند ، وحصل له من جهته مال كثير ،وروى عنه الدارقطني في كتاب المديح وغيره أحاديث ". (١)

وهكذا يتشابه النصان الواردان في " الفوات " و " العقود " ويقترب كل منهما من الآخر بالقدر الذي يبعد هما عن المصدر الرئيس ، حيث تفرد الخطيب في تاريخه بالتصريح باسم البغوي " عبدالله بن محمد " بينما اكتفيا بالكنية والنسبة ، وحَصَرَ سماع المترجم له عليه " مجلساً " ، وموضع رواية الدارقطني عن المترجم له " كتاب المديح وغيره " .. مما يشير إلى أخذ " الزركشي " مادته في هذا الموضع عن " ابن شاكر الكتبي " وليس عن " الخطيب البغدادي " .

ويزيد ذلك توكيداً تأريخ " الخطيب " لعنصري " المولد والوفاة " تأريخاً مكتملاً ، واشتراكهما في التأريخ لهما تأريخاً ناقصاً ، اكتفاء في الأول بالشهر فالسنة ، وفي الثاني بالسنة فقط ،بل واتفاقهما على رواية الشاهد الشعري الثاني الممثل به لأدب المترجم له رواية مباينة لما أورده الخطيب في تاريخه .

أما الترجمة الثالثة ،فهي ترجمة " أبي محمد المالكي البغدادي " ،وما أُسْنِدَ فيها إلى "الخطيب " جاء على النحو التالي :

" ... قال الخطيب : كتبت عنه ،وكان ثقة لم ألقَ أفقه منه ،وولي القضاء ببَادَرَايا ، وخرج آخر عمره إلى مصر فمات بها في شعبان سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ". (٢)

وهو قول مطابق لعبارة " الفوات " :

" ... وقال الخطيب في تاريخه : كتبت عنه ،وكان ثقة لم ألقَ أفقه

(١) الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٣٤ ــ ٢٣٥ .
(٢) الزركشي . عقود الجمان ق ٢٠٢ ب .

منه ،ولى القضاء ببادرايا ، وخرج آخر عمره إلى مصر ،فمات بها فى شعبان سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة " . (١)

ويقابله لدى " الخطيب " قوله فى تاريخه :

" ... كتبت عنه ، وكان ثقة ،ولم نلقَ من المالكيين أحداً أفقه منه ، وكان حسن النظر ، جيد العبارة ،وتولى القضاء ببَادَرَايا (٢) وباكُسَايا (٣)، وخرج فى آخر عمره إلى مصر فمات بها ... مات أبو نصر بمصر فى شعبان من سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة " . (٤)

مما يشير إلى اقتصار " الزركشى " فى هذا الموضع على عبارة " الفوات" ، حيث اشتركا معاً فى إطلاق دائرة ما بالغ فيه " الخطيب " من الخاص إلى العام ،بإبدال قوله : " ولم نلقَ من المالكيين أحداً أفقه منه " بقولهما : " لم ألقَ أفقه منه " ، وشتان ما بين هذا وذاك ،كما اقتصرا على "بَادَرَايا " فى تحديد دائرة عمل المترجم له ، وقد أُضِيفَ إليها فى قول " الخطيب": " باكُسَايا " . وأسقطا تقويم الخطيب لمترجمه ، الممثل فى نعته بحسن النظر وجودة العبارة .

---

(١) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٢ ص ٤١٩ .
(٢) " بَادَرَايا " : بليدة بين البندنيجين ونواحى واسط ـ ياقوت . معجم البلدان ج ١ ص ٣١٦ .
(٣) " باكُسَايا " : بلدة قرب بَادَرَايا بين بغداد وواسط من الجانب الشرقى فى أقصى النهروان ـ نفسه ج ١ ص ٣٢٧ .
(٤) الخطيب البغدادى . تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣١ ـ ٣٢ .

* ابن رشيق القيروانى (١) (ت ٤٦٣ هـ ٠ / ١٠٧١) صاحب كتاب " الأنموذج " (٢) :

وهو من المصادر التى لم يطلع " الزركشى " ـ مؤرخنا ـ على مادتها اطلاعاً مباشراً ، وإن أسند إليه فى ستة مواضع من ترجمات (٣) " عقوده " ، ناقلاً ما اسند إلى ابن رشيق " عن " الفوات " لابن شاكر الكتبى .

ومن الأمثلة الدالة على ذلك ، قوله مترجماً " للرقيق النديم " :

" ... قال ابن رشيق فى حقه : شاعر سهل الكلام ، لطيف الطبع ، غلب عليه اسم الكتابة وعلم التأريخ ؛ قدم مصر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة بهدية من ابن باديس إلى الحاكم ، وقال قصيدة يصف فيها المنازل والمناهل ، منها :

إذا مَا ابْنُ شَهْرٍ قَدْ لَبِسْنَا شَبَابَهُ ... بَدَا آخَرٌ مِنْ جَانِبِ الأُفْقِ يَطْلُعُ
إلى أَنْ أَقَرَّتْ جِيزَةُ النِّيلِ أَعْيُنَا ... كَمَا قَرَّ عَيْنًا ظَاعِنٌ حِينَ يَرْجِعُ " . (٤)

(١) هو " أبو على ، الحسن بن رشيق ، القيروانى " ، له ترجمة فى : ياقوت : معجم الأدباء ج ٨ ص ١١٠ ـ ١٢١ تر ١١ ، القفطى : إنباه الرواة ج ١ ص ٣٣٣ ـ ٣٣٩ تر ١٩١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٨٥ ـ ٨٩ تر ١٦٥ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥ تر ١٤٨ ، الصفدى : الوافى بالوفيات ج ١٢ ص ١١ ـ ١٦ تر ٩ ، اليافعى : مرآة الجنان ج ٣ ص ٧٨ ـ ٧٩ ، السيوطى : بغية الوعاة ج ١ ص ٥٠٤ تر ١٠٤٣ ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨ .

(٢) أشار كل من " ياقوت " و " الصفدى " و " السيوطى " إلى أنه مصنف فى شعراء القيروان المعاصرين له ، وأنه ترجم نفسه بآخره ، وهو من المصادر التى لم يُكتشف حتى الآن عن مظان وجودها .

(٣) هى ترجمات كل من :
* إبراهيم بن القاسم ، الرقيق النديم (ق ٥١ أ) ، وقد ترجمه خطأ باسم " أحمد " .
* عبد الله بن محمد الأزدى ، العطار (ق ١٥٥ ب ـ ١٥٦ أ) .
* عبد الله بن محمد ، ابن البغدادى (ق ١٥٦) .
* عبد الرحمن بن أحمد ، أبى حبيب (ق ١٦٤) .
* عبد الوهاب بن محمد المعروف بالمثقال (ق ٢٠٣) .
* عتيق بن محمد ، الوراق التميمى (ق ٢٠٥ ب ـ ٢٠٦ أ) .

(٤) نفسه ق ٥١ أ .

ويقابله لدى ابن شاكر الكتبي في " الفوات " قوله :

" ... قال ابن رشيق في حقه : شاعر سهل الكلام ،لطيف الطبع، غلب عليه اسم الكتابة وعلم التأريخ وتأليف الأخبار ، وهو بذلك أحذق الناس ؛ قدم مصر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة بهدية من ابن باديس إلى الحاكم ،وقال قصيدة يصف فيها المنازل والمناهل ،منها :

إذا مَا ابْـنُ شَهْرٍ قَـدْ لَبِسْنَا شَبَابَهُ ....

.... كَما قَرَّعَيْنـاً ظَاعِـنٌ حِينَ يَرْجِعُ " (١).

وباستثناء إسقاط " الزركشي " قول " الفوات " : " وتأليف الأخبار ، وهو بذلك أحذق الناس " ، فالنصان متطابقان ، ترتيباً وتعبيراً ،مما يشير إلى أخذه هذه الفقرة المسندة إلى "ابن رشيق " عن الفوات ، وليس عن " الأنموذج " .

يؤكد ذلك :

أولاً ــ اشتراك " العقود " و " الفوات " في التأريخ الخاطئ لمقدم " الرقيق النديم " إلى مصر ، إذ الوارد لدى " ياقوت " مسنداً إلى ابن رشيق أن ذلك كان سنة " ثمان وثمانين " ، وليس سنة " ثمان وثلاثين " كما جاء لديهما .

ثانياً ــ اشتراكهما ــ كذلك ــ في الاختصار الخاطئ لاسم صاحب الهدية ،فالمصرح به لدى " ياقوت " مسنداً إلى ابن رشيق ــ أيضاً ــ أنه " نصير الدولة ،باديس بن زيرى " ،وليس " ابن باديس " كما جاء لديهما .

ثالثاً ــ وفضلاً عن ذلك ،فإن ابن شاكر الكتبي قد تصرف فيما أُسْنِدَ " لابن رشيق " لديه ،مزيداً ومنقصاً في عبارة مصدره ،وهو " الوافي بالوفيات" للصفدى ،فانعكس ذلك على مادة " العقود " ،حيث أدخلا على عبارة النص الرئيس كلمة " المنازل "المقترنة لديهما بـ " المناهل " ، وأسقطا بعض الصفات التي يحملها قول ابن رشيق : " محكمه " ، نعتاً لكلام المترجم له ،و " قويه "، نعتاً لطبعه ،و " تلوح الكتابة على ألفاظه ، قليل صنعة الشعر " ..على النحو الوارد في قول " ياقوت " ، وعنه " الصفدى " (٢) :

---

(١) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ج ١ ص ٤١ ــ ٤٢ .
(٢) الصفدى ، الوافي بالوفيات ج ٦ ص ٩٢ .

" ... وذكره ابن رشيق فقال : هو شاعر سهل الكلام محكمه ، لطيف الطبع قويه ، تلوح الكتابة على ألفاظه ، قليل صنعة الشعر ، غلب عليه اسم الكتابة وعلم التأريخ وتأليف الأخبار ، وهو بذلك أحذق الناس ، وكاتب الحضرة منذ نيف وعشرين سنة إلى الآن ... وكان قدم مصر في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة بهدية من نصير الدولة باديس بن زيري إلى الحاكم ، فقال قصيدة يذكر فيها المناهل ، ثم قال :

إذا ما ابْنُ شَهْرٍ قَدْ لَبِسْنَا شَبَابَهُ بَدَا آخَرٌ مِنْ جَانِبِ الأُفْقِ يَطْلُعُ
إلى أَنْ أَقَرَّتْ جِيزَةُ النِّيلِ أَعْيُنًا كَمَا قَرَّ عَيْنًا ظَاعِنٌ حِينَ يَرْجِعُ " . (١)

---

(١) ياقوت . معجم الأدباء ج ١ ص ٢١٦ ، ٢١٨ .

* الباخَـرْزِيّ (١) (ت ٤٦٧ هـ / ١٠٧٥م .) صاحب كتابي " دُمْيـة القصر وعُصْرة أهل العصر " (٢) و " فضل الأدباء من أهـل العربية " :

اطلع " الزركشي " ــ مؤرخنا ــ على مادة أولهما ــ فيما يبدو ــ اطلاعـاً

(١) هو " أبو الحسن ، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب ، الباخَـرْزِيّ ، السنخي ، الشافعي " .

له ترجمة في : السمعاني . الأنساب ج ٢ ص ٢١ ، ياقوت . معجم الأدباء ج ١٣ ص ٣٣ ــ ٤٨ تر ١١ ، معجم البلدان ج ١ ص ٣١٦ ، ابن الأثير . اللباب ج ١ ص ١٠٤ ، ابن النجار . ذيل تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٦٤ ــ ٢٦٩ تر ٧٥٦ ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٨٧ ــ ٣٨٩ تر ٤٧٥ ، الذهبي . سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٣٦٣ ــ ٣٦٤ تر ١٧٤ ، العبر ج ٣ ص ٢٦٥ ، ابن الدمياطي . المستفاد ص ٣٢٩ ــ ٣٣١ تر ١٤٠ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٣ ص ٩٥ ، السبكي . طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٩٨ ، الاسنوي . طبقات الشافعية ج ١ ص ٢٣٤ ــ ٢٣٦ تر ٢٠٧ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٢ ص ١١٢ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٩٩ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٢٧ ــ ٣٢٩ .

(٢) هو مصنف في أدباء وشعراء النصف الأول من القرن الخامس الهجري ، أدخل في باب " الأدب " منه في باب " التأريخ " ، لاعتناء " الباخرزي " فيه بالمحسنات البديعية ، وكلفه بسجع العبارة ، وتتبع الآثار الأدبية (شعرية ونثرية) المُمَثِّل بها لأدب المترجمين لديه ، والإكثار منهـا ، بحيث طغت على سائر عناصر الترجمات .

وهو " ذيل " على " يتيمة الدهر " للثعالبي ، وُزِّعَت مادته على مقدمة وسبعة أقسام ، خُصِّصَ أولها لشعراء البدو والحجاز ، وثانيها لشعراء الشام وديار بكر وأذربيجان والجزيرة وسائر بلاد المغرب ، وثالثها لفضلاء العراق ، ورابعها لشعراء الري والجبال وأصفهان وفارس وكرمان ، وخامسها لفضلاء جرجان واستراباذ ودهستان وقومس وخوارزم وما وراء النهـر ، وسادسها لشعراء خراسان وقهستان وبست وسجستان وغزنة ، وسابعها لأئمة الأدب الذين لم يجر لهم في الشعر رسم .

وهو من المصادر التي تكالب المحققون على إصدار نشرات لهـا ، إذ نُشِرَ في حلب بتحقيق " محمد راغب الطباخ " ، وفي القاهـرة بتحقيق " د . عبد الفتاح الحلو " ــ وإن توقفت نشرته عند نهاية القسم السادس منه ــ وفي بغداد بتحقيق " د . سامي مكي العاني " ، وفي دمشق بتحقيق " محمد التونجي " .

مباشراً ، مسنداً إليه فى ثلاثة مواضع من ترجمات " عقوده " ، هى على التتابع :

* ترجمة " أبى القاسم المغربى " ،قائلاً :

" ... وذكره الباخرزى فى دمية القصر ،فى القسم الثانى من شعراء الشام ،فقال : قرأت من رسائل أبى العلاء المعرى إليه ما نبهنى عليه ،وعرفنى درجته فى البلاغة ، واختصاصه من صناعة النظم والنثر بحسن الصياغة ،وكان يلقب بالكمال ذى (١) الجلالتين ... " (٢)

وهو قول مطابق وقول " الباخرزى " فى " الدمية " :

" ... قرأت من رسائل أبى العلاء المعرى إليه ما نبهنى عليه ، وعرفنى درجته فى البلاغة ، واختصاصه من صناعة النظم والنثر بحسن الصياغة ، وكان يلقب بالكمال ذى الجلالتين ... " (٣)

* ترجمة " أبى الفرج ،ابن هِنْدُو " ،قائلاً :

" ... قال الباخرزى فى دمية القصر : كأن الفضل لم يُخْلق إلا لأجله ، فهو أمير النظم والنثر بخيله ورجله ؛ ثم قال : وناهيك بشعره جداً وهزلاً ، وبنثره حديثاً وغزلاً ،وأورد له :

خَلع الجمالُ على عِذارك خِلْعَةً   خلَعتْ قلوبَ العاشقين غَراماً
قد تمّ حُسْنُك بالعِذارِ فمن رأى   قمراً يكون له الكُسُوفُ تِماماً " (٤)

ويقابله لدى " الباخرزى " فى " الدمية " قوله :

" ... كأن الفضل لم يُخْلق إلا لأجله ،فهو أمير النظم والنثر بخيله ورجله ... وناهيك بشعره جداً وهزلاً ، وبنثره حديثاً وغزلاً ... وله :

خَلع الجمالُ على عِذارك خِلْعَةً   ....
....   قمراً يكون له الكُسُوفُ تِماماً " (٥)

* ترجمة " أبى الحسن ،المعروف بشرف السادة " ،قائلاً :

" ... ذكره الباخرزى فى دمية القصر ،فقال : سيد السادات وشرفهم ،

---

(١) فى الأصل : " ذو " .
(٢) الزركشى . عقود الجمان ق ١٠٧أ .
(٣) الباخرزى . دمية القصر وعصرة أهل العصر (ط. القاهرة) ج ١ ص ٩٤ .
(٤) الزركشى . عقود الجمان ق ٢٣١ ب ـ ٢٣٢أ .
(٥) الباخرزى . دمية القصر ج ٢ ص ٥٧ ـ ٥٩ .

وبحر العلماء ومفترفهم ،لم يرتع ناظري في الروض الناضر إلا بتأملي مواقع أقلامه ، ولا صار سمعي صدف اللآلئ إلا بتقريظي روائع كلامه ، ومن شعره ... " (١)

ويقابله لدى " الباخرزي " في " الدمية " قوله :

" ... سيد السادات وشَرَفهم ، وبحر العلماء ومُفْتَرَفهم ،وتاج الأشراف العلوية ، المتفرعين من الجرثومة النبوية ،الشادخين غُرَرَ الآداب في أجْبِنة الأنساب ... وقد صحبته عشرين سنة ،أرتدي في ظلال نعمه العيش الناعم ،حتى عاد تِفراخُ وسائلي قَشاعم ، فكم زمت إليه المطية ، وركزت على مكارمه الخطية ، مادحاً ما اشتهر على الألسنة من حسبه ونسبه ، وآخذاً بحظي من أدبه ونشبه ، ولم يرتع ناظري في الروض الناضر إلا بتأملي مواقع أقلامه ، ولا صار سمعي صدف اللآلئ إلا بتقريظي روائع كلامه ... " (٢)

أما ثانيهما ، فإنه من المصادر التي لم يطلع " الزركشي " على مادتها - فيما يبدو - اطلاعاً مباشراً ،وإنما هو مطلع على ما أُسْنِدَ إليه في " إنباه الرواة " للقفطي ، وإن لم يصرح هو بذلك ،مكتفياً في موضع واحد من ترجمات " عقوده " ، وهو ترجمة " إسماعيل بن حماد الجوهري " بالإسناد إليه ،قائلاً :

" ... ذكره الباخرزي في كتابه فضل الأدباء من أهل العربية ،فقال : لم يتأخر في اللغة عن شرط أقرانه ، ولا انحدر عن درجة أبناء زمانه ، أنشدني الأديب يعقوب بن أحمد ، قال : أنشدني الشيخ أبو اسحاق بن صالح الجوهري الوراق - تلميذ الجوهري - له :

يا ضائِعَ العُمْرِ بالأماني أما تَرَى بَهْجَةَ (٣) الزمانِ
... " (٤)

ويقابله لدى " القفطي " قوله :

" ... وذكره الباخَرْزيّ في كتابه في فضل الأدباء من أهل العربية ،وسجع له

---

(١) الزركشي . عقود الجمان ق ٢٨٨أ (هامش أيمن) .
(٢) الباخرزي . دمية القصر ج ٢ ص ١٧٧ - ١٧٩ .
(٣) في ياقوت . معجم الأدباء ج ٦ ص ١٥٤ ،والصفدي . الوافي بالوفيات ج ٩ ص ١١٠ : " رونق " .
(٤) الزركشي . عقود الجمان ق ٧٠ ب .

فقال : أبو نصر ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، صاحب صحاح اللغة ، لم يتأخر فيها عن شرط أقرانه ، ولا انحدر عن درجة أبناء زمانه . أنشدني الأديب يعقوب ابن أحمد ، قال : أنشدني الشيخ أبو إسحاق بن صالح الوراق الجوهري — تلميذ الجوهري — له :

يا ضائع العمر بالأماني أما ترى بهجة الزمان
.... (1)

---

(1) القفطي . إنباه الرواة ج 1 ص 232 .

* عبد الدائم القيرواني (١) (ت ٤٧٢ هـ / ١٠٨٠م) صاحب كتاب " حل العلا " :

أسند إليه " الزركشي " – مؤرخنا – في موضع واحد من " عقوده " ، أتى في أثناء ترجمة " عبد الله بن المقفع " ، على النحو التالي :

" ... ذكر ابن عُنَيْن (٢) في التاريخ العزيزي ، وقال : كان يصنع القفاعات التي للطيور ، فأصابه برد شج أصابعه ، فكان يقفعها ، ويصدق عليه بهذا الاعتبار كسر الفاء وفتحها . نقله عبد الدائم القيرواني في كتاب حل العلا " . (٣)

(١) هو " أبو القاسم ، عبد الدائم بن مرزوق بن جُبَير القيرواني " ؛ عالم مشارك في اللغة والأدب .
له ترجمة في : الضبي . بغية الملتمس ص ٣٩٨ – ٣٩٩ تر ١١٢٨ ، القفطي . إنباه الرواة ج ٢ ص ١٥٨ تر ٣٧٤ ، السيوطي . بغية الوعاة ج ٢ ص ١٥٨ تر ٣٧٤ .

(٢) هو " أبو المحاسن ، شرف الدين ، محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسن (أو الحسين) بن عُنَيْن ، الأنصاري ، الدمشقي ، الزرعي " . عالم مشارك في الحديث ، والفقه ، واللغة ، والشعر ، وله ديوان شعر مطبوع .
له ترجمة في : ياقوت . معجم الأدباء ج ١٩ ص ٨١ – ٩٢ تر ٢٦ ، سبط ابن الجوزي . مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٩٦ – ٦٩٨ ، المنذري . التكملة لوفيات النقلة ج ٣ ص ٣٣٦ – ٣٣٧ تر ٢٤٥٤ ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٥ ص ١٤ – ١٥ تر ٦٨٤ ، الذهبي . سير أعلام النبلاء ج ٢٢ ص ٣٦٣ تر ٢٢٩ ، العبر ج ٥ ص ١٢٢ – ١٢٣ ، ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٥ تر ٨٢٦١ ، الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٥ ص ١٢٢ – ١٢٧ تر ٢١٣٠ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٤ ص ٧٠ – ٧٣ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٣٧ – ١٣٨ ، ابن حجر . لسان الميزان ج ٥ ص ٤٠٥ تر ١٣٣٢ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٩٣ – ٢٩٥ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٥ ص ١٤٠ – ١٤٣ .

(٣) الزركشي . عقود الجمان ق ١٥٣ ب ، هامش أيسر .

* الحميدى (١) (ت ٤٨٨ هـ ٠ / ١٠٩٥م ٠) :

أسند إليه " الزركشى " ـ مؤرخنا ـ فى موضع واحد من ترجمات "عقوده" ، من خلال ترجمته " لابن ماكولا " ، على النحو التالى :

" ٠٠٠ قال الحميدى : خرج إلى خراسان ومعه غلمان له ترك فقتلوه بجرجان وأخذوا ماله وهربوا ، وراح دمه هدراً " . (٢)

ويقابله لدى " ابن شاكر الكتبى " فى " الفوات " قوله :

" ٠٠٠ قال الحميدى : خرج إلى خراسان ومعه غلمان له ترك فقتلوه بجرجان وأخذوا ماله وهربوا ، وطاح دمه هدراً " . (٣)

وباستثناء إبدال " الزركشى " قول " الفوات " : " طاح " بـ " راح " ،

---

(١) هو " أبو عبد الله ، محمد بن فتوح بن حميد بن يصل الأزدى ، الأندلسى ، الميورقى " .
عالم مشارك فى الفقه والحديث والأدب والتاريخ ، الذى ترك فيه عدة مصنفات ، منها " جذوة المقتبس " ، و " جمل تاريخ الإسلام " ، و " وفيات الشيوخ " ، ولعل المنقول المنسوب إليه عنه .
له ترجمة فى : ابن السمعانى ٠ الأنساب ج ٤ ص ٢٣٣ـ٢٣٤ ، ابن بشكوال ٠ الصلة ج ٢ ص ٥٦٠ ـ ٥٦١ تر ١٢٣٠ ، ابن الجوزى ٠ المنتظم ج ٩ ص ٩٦ تر ١٣٣ ، ياقوت ٠ معجم البلدان ج ١٨ ص ٢٨٢ـ٢٨٦ تر ٨٨ ، ابن الاثير ٠ الكامل فى التاريخ ج ١٠ ص ٢٥٤ ، اللباب ج ١ ص ٣٩٢ ، ابن خلكان ٠ وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٤ تر ٦١٦ ، الذهبى ٠ تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٢١٨ـ١٢٢٢ تر ١٠٤١ ، دول الإسلام ج ٢ ص ١٨ ، سير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ١٢٠ـ١٢٧ تر ٦٣ ، العبر ج ٣ ص ٣٢٣ ، ابن الدمياطى ٠ المستفاد ص ١٢٢ـ١٢٤ تر ٢٦ ، الصفدى ٠ الوافى بالوفيات ج ٤ ص ٣١٦ـ٣١٨ تر ١٨٦٣ ، اليافعى ٠ مرآة الجنان ج ٣ ص ١٤٩ ، ابن كثير ٠ البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٥٢ ، ابن حجر ٠ تبصير المنتبه ج ٢ ص ٥١٦ ، ابن تغرى بردى ٠ النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٥٦ ، السيوطى ٠ طبقات الحفاظ ص ٤٤٧ـ ٤٤٨ تر ١٠٠٨ ، المقرى ٠ نفح الطيب ج ٢ ص ١١٢ـ١١٥ تر ٦٣ ، ابن العماد الحنبلى ٠ شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٩٢ ٠

(٢) الزركشى ٠ عقود الجمان ق ٢٣٤أ ٠

(٣) ابن شاكر الكتبى ٠ فوات الوفيات ج ٣ ص ١١١ ٠

فالنصان متطابقان ، مما يشير إلى أخذه مادة ما أسند إلى " الحميدى " عـن " الفوات " ، وعدم اطلاعه اطلاعاً مباشراً على مادة المصدر الرئيس المسنـــد لديه إليه .

ولعل مما يزيد ذلك توكيداً الإشارة إلى أن باقى ترجمة " ابن ماكـولا " المُسْنَد فيها لديه إلى " ابن الجوزى " قد أُخِذَتْ ـ كذلك ـ عن " الفوات " دون تصريح به ، اكتفاءً بالإسناد إلى المصدر الرئيس .

* ابن السراج القارئ (١) (ت ٥٠٠ هـ ٠ / ١١٠٦م ٠) صاحب كتـاب " مصارع العشاق " :

أسند إليه " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ في موضع واحد من ترجمات " عقود " ، وهو ترجمة " أبن سعيد المغربي " ، قائلاً :

" ٠٠٠ وقال :

وجاؤا إليه بالتعاويـــذ والرُّقـــى وصَبّـوا عليـه المـاءَ من ألمِ النُّكـــسِ

وقالـوا : بـهِ من أعـينِ الجنّ نظرةٌ ولَوْ صدقوا (٢) قالوا : به أعـينُ الإنسِ

هكذا أورد هذين البيتين له أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني (٣) ،

---

(١) هو " أبو محمد ، جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفـر ، المعروف بالسراج القارئ البغدادي " ٠
عالم مشارك في الفقه والوعظ واللغة والأدب والتاريخ ، ومـن مؤلفاتـه ـ كذلك ـ " زهد السودان " ، و " مناقب الحبش " ، و " حكـم الصبيان " ٠
وفيه يقول ابن النجار : " ٠٠٠ كان متديناً ، حسن الطريقة ، مـع ظرفه ولطف أخلاقه " ٠
له ترجمة في : ابن الجوزي ٠ المنتظم ج ٩ ص ١٥١ ـ ١٥٢ تر ٢٤٢ ، العماد الكاتب ٠ الخريدة (العراق) ج ٣ مج ١ ص ٢٨٣ ـ ٢٨٩ ، ياقوت ٠ معجم الأدباء ج ٧ ص ١٥٣ ـ ١٦٢ تر ٣٨ ، ابن الأثير ٠ الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٤٣٩ ، سبط ابن الجوزي ٠ مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٠ ـ ٢١ ، ابـن خلكان ٠ وفيات الأعيان ج ١٠ ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨ تر ١٣٥ ، ابن منظـور ٠ مختصر تاريخ دمشق ج ٦ ص ٥٢ تر ٢٠ ، الذهبي ٠ دول الإسلام ج ٢ ص ٢٩ ، سير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٢٢٨ ـ ٢٣١ تر ١٤١ ، العبر ج ٣ ص ٣٥٥ ، ابن الدمياطي ٠ المستفاد ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥ تر ٦١ ، الصفدي ٠ الوافـي بالوفيات ج ١١ ص ٩٢ ـ ٩٣ تر ١٤٨ ، اليافعي ٠ مرآة الجنان ج ٣ ص ١٦٢ ، الاسنوي ٠ طبقات الشافعية ج ٢ ص ٤٥ ـ ٤٦ تر ٦٢٥ ، ابـن كثير ٠ البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٦٨ ، ابن رجب ٠ الذيل علـى طبقات الحنابلة ج ١ ص ١٠٠ ـ ١٠٣ تر ٤٧ ، ابن تغري بردي ٠ النجـوم الزاهرة ج ٥ ص ١٩٤ ، السيوطي ٠ بغية الوعاة ج ١ ص ٤٨٥ تر ١٠٠٠ ، ابن العماد الحنبلي ٠ شذرات الذهب ج ٣ ص ٤١١ ـ ٤١٢ ٠

(٢) في " مصارع العشاق " : " ولو عقلوا " ٠

(٣) راجع ص ١٢٧ من هذا البحث ٠

وذكر ابن السراج القارئ في مصارع العشاق (١) عن ابن الأعرابي (٢) أنهما لمجنون (٣) بني عامر " . (٤)

(١) راجع :ابن السراج القارئ . مصارع العشاق ج ١ ص ١٩٩ .
(٢) هو " أبو عبد الله ،محمد بن زياد الأعرابي " ت : ٢٣١ هـ . /٩٣٧ م ."ـ له ترجمة في :
ابن قتيبة . المعارف ص ٥٤٦ ،أبي الطيب اللغوي . مراتب النحويين ص ١٤٧ ،الزبيدي . طبقات النحويين واللغويين ص ١٩٥ ـ ١٩٧ تر ١٢٠ ، النديم . الفهرست ص ٧٥ ـ ٧٦ ، الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٥ تر ٢٧٨١ ، ابن السمعاني .الأنساب ج ١ ص ٣١٠ ،ابن الأنباري . نزهة الألباء ص ١٥٠ ـ ١٥٣ تر ٤٣ ،ياقوت . معجم الأدباء ج ١٨ ص ١٨٩ ـ ١٩٦ تر ٥١ ، ابن الأثير . اللباب ج ١ ص ٧٤ ،ابن القفطي . إنباه الرواة ج ٣ ص ١٢٨ ـ ١٣٧ تر ٦٤٥ ، النووي . تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ص ٢٩٥ تر ٥٥٥ ،ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٠٦ ـ ٣٠٩ تر ٦٣٣ ، الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٣ ص ٧٩ ـ ٨٠ تر ٩٩٣ ،اليافعي . مرآة الجنان ج ٢ ص ١٠٦ ، ابن قاضي شهبة . طبقات النحاة واللغويين ص ١١٤ تر ٧٧ ،ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٦٤ ، السيوطي . بغية الوعاة ج ١ ص ١٠٥ ـ ١٠٦ تر ١٧٤ ،المزهر ج ٢ ص ٤١١ ، ٤٦٤ ،ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٢ ص ٧٠ ـ ٧١ .
(٣) هو " جميل بن عبد الله بن معمر ، المعروف بجميل بثينة " .
(٤) الزركشي . عقود الجمان ق ٢٢٩ ب .

* ابن مكي الصقلي (1) (ت ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م) صاحب

كتاب " تثقيف اللسان وتلقيح الجَنان " (٢) :

أسند إليه " الزركشي " - مؤرخنا - في موضع واحد من " عقوده " ، أتى في أثناء ترجمة " عبد الله بن المقفع " على النحو التالي :

" ... وذكر ابن مكي في تثقيف (٣) اللسان وتلقيح الجنان ماصورته : إن العامة يغلطون فيوردون المقفع بفتح الفاء ، والصواب أنه بكسرها ، لأن أباه كان يصنع القفاع (٤) ويبيعها ". (٥)

ويقابله لدى ابن مكي قوله :

" ... ويقولون : ابن المُقَفَّع ؛ والصواب : المُقَفِّع - بكسر الفاء - لأنه كان يعمل القِفاع ويبيعها ". (٦)

---

(١) هو " أبو حفص ، عمر بن خلف بن مكي الحميدي ، المازري ، الصقلي " ؛ عالم مشارك في الفقه ، والحديث ، واللغة ، والنحو ، والأدب .
له ترجمة في : القفطي . إنباه الرواة ج ٢ ص ٣٢٩ تر ٥٠٥ ، السيوطي . بغية الوعاة ج ١ ص ٢١٨ تر ١٨٣٣ ، حاجي خليفة . كشف الظنون ج ٢ ص ٩٩٣ ، البغدادي . هدية العارفين ج ١ ص ٧٨٢ .

(٢) راجع بشأنه : د . عبد العزيز مطر . لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة . القاهرة ، الكاتب العربي ، ١٩٦٧ ، ص ١٢١-١٦٥ .

(٣) في الأصل : " تصحيف " .

(٤) في ابن خلكان (وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥٥) : " القِفاع بكسر القاف جمع قفعة بفتح القاف ، وهي شيء يعمل من الخوص شبه الزبيل لكنه بغير عروة " .

(٥) الزركشي . عقود الجمان ق ١٥٣ ب ، هامش أيسر .

(٦) ابن مكي . تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ص ١٦١ - ١٦٢ .

* أميــة بن أبى الصلت(١) (ت ٥٢٩ هـ٠ / ١١٣٥م٠) صاحب كتاب " الحديقــة " (٢) :

وهو من المصادر التى لم يطلع " الزركشى " ــ مؤرخنا ــ على مادتهــا

(١) هو " أبو الصلت ،أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت ،الدانى ، الأندلسى " .

ولد بدانية سنة (٤٦٠ هـ٠ / ١٠٦٨م٠) ، ونشأ بها ،ثم رحل عنها متنقلاً بين أشبيلية ، وإفريقية ،ومصر التى دخلها يوم عيد الأضحى سنة ٤٨٩ هـ٠ فى خلافة " المستنصر بالله ، أبى تميم معد " ،وحُبِسَ فيها ــ لأمر اختلفت المصادر فى تقديره اختلافها فى موضع حبسه ــ إلى أن نفاه " الأفضــل " عن مصر سنة ٥٠٥ هـ٠ ، فتردد بالإسكندريــة ليرحل عنها فى السنة التالية إلى المهدية ،التى اتخذها مستقراً لــه إلى حين وفاته ،بعد أن قربه إليه صاحبها " على بن تميم بن المعــز ابن باديس الصنهاجى " .

وتشير المصادر إلى أنه كان " طبيباً أديباً " ، مشاركاً فى علــوم كثيرة ،منها : الفلك ،والتنجيم ،والهيئة ،والهندسة ،والموسيقــى ، والطب ،والصيدلة ،والفلسفة ،والأدب (شعره ونثره) ،والعــروض ، والتاريخ .

ومن آثاره المنشورة : ديوان شعره ،جمع وتحقيق محمد المرزوقى ، و " الرسالة المصرية " ت٠ عبد السلام هارون .

راجع فى ترجمته : العماد الكاتب ٠ الخريدة (المغرب) ج ١ ص ١٨٩ ــ ٢٧٠ ،ياقوت ٠ معجم الأدباء ج ٧ ص ٥٢ ــ ٧٠ تر ١٨ ،ابن الأثير ٠ الكامل فى التاريخ ج ١١ ص ١٨ ، القفطى ٠ أخبار الحكماء ص ٨٠ ــ ٨١ ،ابن الأبار ٠ تحفة القادم (اقتضاب البلفيقى) ص ٥٦ ــ ٦٠ ،ابن أبى أصيبعة ٠ عيون الأنباء ص ٥٠١ ــ ٥١٥ ،ابــــن خلكان ٠ وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٤٣ ــ ٢٤٧ تر ١٠٤ ،ابن سعيــد المغربى ٠ رايات المبرزين ص ٤٥ ــ ٤٦ تر ١٤ ،المغرب (الأندلس) ج ١ ص ٢٦١ ــ ٢٦٢ تر ١٨٦ ،الذهبى ٠ سير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٦٣٤ ــ ٦٣٥ تر ٣٧٥ ،العبر ج ٤ ص ٧٤ ،الصفدى ٠ الوافـــــى بالوفيات ج ٩ ص ٤٠٢ ــ ٤٠٦ تر ٤٣٣٣ ،اليافعى ٠ مرآة الجنـــان ج ٣ ص ٢٥٣ ــ ٢٥٤ ،السيوطى ٠ حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٣٩ تر ٦ ، المقرى ٠ نفح الطيب ج ٢ ص ١٠٥ ــ ١١٠ تر ٥٨ ،ابن العماد الحنبلى شذرات الذهب ج ٤ ص ٨٣ ــ ٨٥ ، ١٤٤ .

(٢) أشارت المصادر إلى أنه مصنف فى أدباء عصره وفضلائهم ،حاكــى به أسلوب " اليتيمة " للثعالبى ،وهو من المصادر التى لم يكشف بعــد عن مظان وجودها .

اطلاعاً مباشراً ، وإن أسند إليه فى موضع واحد من " عقوده " ،وهو ترجمة " ابن مكنسة الإسكندرانى " ،على النحو الوارد فى قوله :

" إسماعيل بن محمد ، أبو الطاهر المعروف بابن مكنسة الإسكندرانى ؛ ذكره أمية بن أبى الصلت فى الحديقة ؛ توفى فى حدود الخمسمائة .

من شعره :

أعاذِلُ ما هَبَّتْ رياحُ ملامةٍ ... بنارِ هوًى إلاّ وزادت تضرُّما

فكم عبرةٍ أعطتْ غرامى زِمامها ... عشيّةَ أعملنَ المطىَّ المزمزما

فكلْنى إلى عينٍ إذا جفَّ ماؤها ... رأت من حقوقِ الحبِّ تستذرف الدما

وللّهِ قلبٌ قارعتْهُ همومُهُ ... فلم يبقَ حدٌّ منهُ حتى تثلّما

وأورد له ـ أيضاً ـ فى الحديقة :

رَقَّتْ مَعاقِدُ خَصْرِهِ فكأنّما ... مشتقّةٌ من عَهدِهِ وتجلُّدى

وتجعّدتْ أصداغُهُ فكأنّها ... مسروقةٌ من خَلْقِهِ المتجعّدِ

ما بالُهُ يجفو وقد زعم الورى ... أنّ الندى يختص بالوجه الندى

لا تخدعنّكَ وجنةٌ مُحْمَرَّةٌ ... رقّت ففى الياقوت طبعُ الجَلْمدِ

وزعمتَ أنى لستُ من أهل الهوى ... صبّاً (١) فقل ما تشتهى (٢) وتقلَّدِ

واللّهِ ما أبصرتُ يوماً أبيضاً ... منذ ابتليتُ بحبّ طرفٍ أسودِ

وله :

يا رُبّ عِربيدٍ إذا ما انتشى ... أرْبَى على المجنون فى مسِّهِ

قالوا : فقد تاب وواللهِ ما ... يتوب أو يُجْعَلُ فى رمسِهِ

وإنما توبته هذه ... عربدةٌ منه (٣) على نفسِهِ

وله :

إبريقُنا عاكفٌ على قَدحٍ ... كأنّهُ الأمّ ترضعُ الولدا

أو عابدٌ من بنى المجوس إذا ... توهم الكأسَ شعلة سجدا " .(٤)

---

(١) فى الأصل : " صب " .

(٢) فى " الفوات " : " ما شئته " .

(٣) فى " الفوات " : " أيضاً " .

(٤) الزركشى ، عقود الجمان ق ٧٤ ب ـ ٧٥ أ .

ويقابله لدى ابن شاكر الكتبى فى " الفوات " قوله :

" إسماعيل بن محمد ، أبو الطاهر المعروف بابن مكنسة الإسكندرانى ؛ ذكره أمية بن أبى الصلت فى الحديقة ؛ توفى فى حدود الخمسمائة أو بعدها. من شعره :

أعاذلُ ما هبتْ رياحُ ملامةٍ ....
.... فلم يبقَ حدٌّ منه إلاّ تثلّما

وأورد له - أيضاً - فى الحديقة :

رقّتْ معاقدُ خصرِهِ فكأنما ....
.... منذ ابتليتُ بحبِّ طرفٍ أسود

وله أيضاً :

صيّرتمونا يا بنى ....
.... على ولىّ العهدِ بعدَه

وأورد له أيضاً :

يعطيكَ مبتدياً لدى سرّائه ....
.... والسيف حاسدُ بأسه ومضائه

ولابن مكنسة :

يا رُبَّ عربيدٍ إذا ما انتشى ....
.... عربدةٌ - أيضاً - على نفسه

وله أيضاً :

إبريقُنا عاكفٌ على قدحٍ ....
.... توهم الكأسَ شعلةً سجدا ". (١)

وبالمقابلة بين النصين ، نجد أن مادة " العقود " فى هذا الموضع لا تشذ عن دائرة ما ورد فى " الفوات " ، وأن صدر الترجمة ، المتصدر للشواهد الشعرية الممثل بها لأدب المترجم له ، يكاد يتطابق لديهما ، مما يشير إلى أخذ " الزركشى " مادة ترجمته تلك عن " ابن شاكر الكتبى " فى " الفوات " ، وإن أحدث بعض التعديلات الممثلة فى إسقاطه شاهدين شعريين وردا فى مصدره ، هما : الثالث والرابع بترتيب " الفوات " ، فضلاً عن

---

(١) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ١ ص ١٩٤-١٩٥ تر ٧٣ .

تقديم البيت الثالث على البيت الثاني في الشاهد الشعري الأول ، وإبـــدال بعض ألفاظ ما مثل به لأدب المترجم له في " الفوات " ، كنحو قولـــــــه : " تستذرف " بدلاً من قول مصدره : " أن تذرف " ، وقوله : " حتى تثلما " ، بدلاً من : " إلا تثلما " ، وقوله : " ما تشتهي " ، بدلاً من " ماشئته " ، وقوله : " منه " ، بدلاً من : " أيضاً " ، والإجتزاء في التأريخ لوفـــــاة المترجم له على بعض دون البعض ، حيث أرّخ لها بحدود الخمسمائة ، مسقطاً قول مصدره : " أو بعدها " ، فكان غير دقيق في ذلك .

■ ابن بسام (١) (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م) ، صاحب كتاب " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " .

وهو من المصادر التي لم يطلع " الزركشي " - مؤرخنا - على مادتها اطلاعاً مباشراً ، وإنما هو مطلع على بعضها ، فيما نُقِلَ لدى كلٍ من " ابن شاكر الكتبي " في " فوات الوفيات " ، و " الصلاح الصفدي " في " الوافي بالوفيات " ، وإن لم يصرح هو بذلك .

وللدلالة على ذلك ، فإنه سوف يكتفي بإيراد مثالين ، يشير أولهما إلى أخذ مؤرخنا مادة ترجمته عن " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبي ، بينما يشير ثانيهما إلى أخذه مادة ترجمته عن " الوافي بالوفيات " للصلاح الصفدي ، مغفلاً فيهما التصريح بالأخذ عنهما ، مكتفياً في ذلك باسناد بعض العناصر فيهما إلى المصدر الرئيس ، وهو " الذخيرة " لابن بسام .

أما المثال الأول ، فيمثله ترجمته " لمحمد بن يحيى بن حزم " ، قائلاً :

" محمد بن يحيى بن حزم ، من شعراء الذخيرة . قال ابن بسام : أحلى الناس شعراً ، لاسيما إذا عَاتب أو عُتِبَ ، وهو ابن عم الفقيه أبي (٢) محمد ، ابن حزم ، وكنيته أبو الوليد . وتوفي بعد الخمسمائة .

ومن شعره :

---

(١) هو " أبو الحسن ، علي بن بسام التغلبي ، الشنتريني " - له ترجمة في : ابن سعيد المغربي . المغرب (الأندلس) ج ١ ص ٤١٧ - ٤١٨ تر ٢٩٣ ، ياقوت . معجم الأدباء ج ١٢ ص ٢٧٥ تر ٦٨ .

صرح مؤرخنا باسمه في ثلاث ترجمات ، وهي :
■ ترجمة " إبراهيم بن علي بن تميم الحصري " (عقود الجمان ق ١٩أ = ابن بسام . الذخيرة ج ٨ ص ٥٨٤ - ٥٩٧) .
■ ترجمة " عبدالجليل بن وهبون " (عقود الجمان ق ١٦٢ = الذخيرة ج ٣ ص ٤٧٣ - ٥١٩) .
■ ترجمة " محمد بن يحيى بن حزم " (عقود الجمان ق ٣١٠أ = الذخيرة ج ٤ ص ٥٩٨ - ٦١٥) .

(٢) في الأصل " أبو " .

أتجزعُ من دمعى وأنت أسَلْتَهُ ... ومن نارِ أحشائى ومنك لهيبُها

وتزعم أن النفسَ غيرَكَ عُلّقت ... وأنت ، ولا منٌّ عليك ، حبيبها

إذا طلعت شمسٌ عليك بسلوةٍ ... أثار الهوى بين الضلوعِ غروبها

وله من قصيدة :

والشمسُ ترمقُ من محاجرِ أرمدٍ ... والظلُّ يركضُ فى النسيم الوانى

والراحُ تأخذُ من معاطفِ أغْيَدٍ ... أخَذَ الصَّبا من عِطفِ غصنِ البانِ

ملنا نؤمّل غيرَ ذلك منزلاً ... والراحُ يقصر خطوه فيدانى

ثم اعتنقنا والوشاةُ بمعزلٍ ... وقد التقت فى جفنه سنتان

والبدرُ يرمينى بمقلةِ حاسدٍ ... لو يستطيع لكان حيثُ يرانى

وله :

وكم ليلةٍ بات الهوى يستفزنى ... ولا رقبةٌ دون الأمانى ولا سترُ

وفى ساعدى بدرٌ على غصنِ بانة ... يود مكانى بين لبّاتِهِ البدرُ

وفى لحظه كالسكرِ لا عن مدامةٍ ... ولولا اعتراضُ الشك قلتُ : هو السكرُ

فلم يكُ إلاّ ما أباح لىَ التقى ... ولم يبقَ إلا أن تحلَّ لى الخمر.(١)

ويقابله لدى " ابن شاكر الكتبى " قوله :

" محمد بن يحيى بن حزم ، من شعراء الذخيرة . قال ابن بسام : أحلى الناس شعراً ، لاسيما إذا عاتب أو عُتِبَ ، وهو ابن عم الفقيه أبى (٢) محمد ابن حزم ، وكنيته أبو الوليد .

ومن شعره :

أتجزعُ من دمعى وأنت أسَلْتَهُ ... ...

... ... أثار الهوى بين الضلوعِ غروبها

ومن شعره من قصيدة :

والشمسُ ترمقُ من محاجرِ أرمدٍ ... ...

... ... لو يستطيع لكان حيثُ يرانى

وله أيضاً :

---

(١) الزركشى ، عقود الجمان ق ٣١٠ أ .

(٢) فى الأصل (المخطـ) : أبو .

وكم ليلةٍ عاقرتُ فى ظلّها المنى ... ...
... ... ولكن حمتنى عفتى وحيائى

وقال أيضاً :

وكم ليلةٍ بات الهوى يستفزنى ... ...
... ... ولم يبق إلا أن تحلّ لىَ الخمر

وقال أيضاً :

كم ليلةٍ ضمت عليه ساعدى والمسكُ يأخذ منه ما يعطيه
والبدرُ من حسدٍ يجمجم قوله ما ضرَّ مجدك لو شركتكَ فيه

توفى بعد الخمسمائة ـ رحمه الله تعالى ". (١)

وما نسب إلى ابن بسام هو فى " الذخيرة " على النحو التالى :

" ... ومن أبناء هذه القبيلة ، وشعراء هذه البيئة الأصيلة ، ابن عمه (٢) أبو الوليد ،محمد بن يحيى بن حزم .

أحد أعيان أهل الأدب ، وأجلى الناس شعراً ،لا سيما إذا عاتب أو عُتِبَ ، جعل هذا الغرض هجيراه ،فقلما يتجاوزه إلى سواه ،وكلما أبدأ فيه وأعاد ، أحسن ما شاء وأجاد ، وفى كل معنى يحسن ،أكثر ما يمكن ، ولكن رأيته فى باب العتاب يعلن بأمره ،ويعرب عن ذات صدره ، وقد أجريت من شعره فى هذا المعنى وسواه ،ما يصرح عن مغزاه ، ويشهد على بعد مداه ... " (٣)

وبالمقابلة بين هذه النصوص الثلاثة يتضح الآتى :

أولاً ـ التشابه إلى حد التطابق فى النسقين " الترتيبى " و"التعبيرى" فيما بين " العقود " و " فوات الوفيات " ، فى هذا الموضع ، إذا ما استثنى " عنصر الوفاة " ـ وهو ما لم يؤرخ له ابن بسام ـ الذى أتى لدى " ابن شاكر الكتبى " آخر الترجمة ،بينما قدمه " الزركشى " على الشواهد الشعرية المثبتة لديه .

ثانياً ـ تقليد مؤرخنا " لابن شاكر الكتبى " فى أخطاء ثلاثة ،وهى :

---

(١) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٤ ص ٥٣ ـ ٥٤ تر ٥٠٣ .
(٢) المقصود بذلك : " ابن عم الوزير أبى الحكم ،عمرو بن مذحج " .
راجع : ابن بسام . الذخيرة ج ٤ ص ٥٨٨ .
(٣) نفسه ج ٤ ص ٥٩٨ ـ ٥٩٩ .

* التصحيف الوارد في قولهما : " ... أحلى الناس شعراً " ، ويقابله قول المصدر الرئيس : " ... وأجلى الناس شعراً " .

* الخطأ النحوي الوارد في قولهما : " ... وهو ابن عم الفقيه أبو (= أبي) محمد ، ابن حزم " .

* الخطأ في الانتساب إلى ابن العم ، الوارد في قوليهما آنف الذكر ، إذ لم يصرح " ابن بسام " بذلك ، وهذه عبارته :

" فصل في ذكر الوزير أبي الحكم ، عمرو بن مذحج ، وأبي الوليد ابن عمه " .

وعلى ذلك ، فابن العم هو " أبو الحكم " ، وليس " أبا محمد " كما ورد لديهما .

ثالثاً – انحصر انتقاء " الزركشي " للشواهد الشعرية الممثل بها لأدب المترجم له في دائرة ما ورد منها في " فوات الوفيات " ، وربما لو كان له اطلاع على " الذخيرة " – وهي غنية بمثل ذلك – لزاد في هذه الشواهد المنتقاة ، أو أبدل فيها .

وهكذا ، فإن " الزركشي " قد أخذ مادة ترجمته في هذا الموضع عن " ابن شاكر الكتبي " ، وليس عن " ابن بسام " ، وإن لم يصرح هو بذلك .

وأما المثال الثاني ، فيمثله قول " الزركشي " مترجماً " لابن تميم الحصري " :

" إبراهيم بن علي بن تميم الحصري ، الشاعر المشهور ، صاحب كتاب زهر الآداب ، وكتاب المصون في سر الهوى المكنون .

قال ابن بسام : توفي بالقيروان سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة .

ومن نظمه :

إني أحبك حباً ليس يبلغه ... فهمٌ ولا ينتهي وصفي إلى صِفَتِهْ
أقصى نهايةِ علمي فيه معرفتي ... بالعجز منّي عن إدراك معرفتِهْ

وله :

أوردَ قلبي الردى ... لامُ عِذارٍ بدا
أسودُ كالكفر في ... أبيضَ مثلِ الهُدى " .(1)

---

(1) الزركشي ، عقود الجمان ق 19 أ .

ويقابله لدى " الصلاح الصفدى " قوله :

" إبراهيم بن على بن تميم القيروانى ، الحصرى ، الشاعر المشهور . ذكره ابن رشيق فى كتاب الأنموذج ، وحكى شيئاً من أخباره وأحواله ، وقال : كان شبان القيروان يجتمعون عنده ويأخذون عنه ، ورأس عندهم وشرف لديهم وسارت تأليفاته وانثالت عليه الصلات ، ومن شعره :

أورق قلبى الردى ... لام عذار بدا

أسود كالكفر فى ... أبيض مثل الهدى

ومن شعره :

إنى أحبتك حباً ليس يبلغه ... فهم ولا ينتهى وصفى إلى صفته

أقصى نهاية علمى فيه معرفتى ... بالعجز منى عن إدراك معرفته

وهو ابن خالة أبى الحسن على الحصرى ... وله من المصنفات كتاب زهر الآداب ، وهو مشهور من أمهات الأدب ، صنّفه بالقيروان ، وجميعه أخبار أهل المشرق ، وكلامهم ، ودقائقهم ، أراد بذلك الإعجاز . واختصره فى جزء لطيف سمّاه : نور الظرف ونور الطرف . وكتاب المصون فى سرّ الهوى المكنون .

قال ابن رشيق : وقد كان أخذ فى عمل طبقات الشعراء ، على رتب الأسنان ، وكنت أصغر القوم سناً ، فصنعت :

رفقا أبا اسحاق بالعالم ... حصلت فى أضيق من خاتم

لو كان فضل السبق مندوحة ... فضّل إبليس على آدم

فلما بلغه الهيتان أمسك عنه ، واعتذر منه ، ومات ، وقد سُدّ عليه باب الفكرة فيه ، ولم يصنع شيئاً .

توفى (سنة) ثلاث عشرة وأربعمائة ، كذا ذكره الشيخ شمس الدين ، وقال ابن خلكان : قال ابن بسام : بلغنى أنه توفى سنة ثلاث وخمسين وأربع مائة . وذكر القاضى الرشيد ابن الزبير فى كتاب الجنان أن الحصرى ألف كتاب زهر الآداب سنة خمسين وأربعمائة ، وهذا يدل على صحة ما قاله ابن بسام . ثم إن الشيخ شمس الدين ذكر وفاة المذكور فى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة . وقال ياقوت : قال ابن رشيق : مات بالمنصورة من القيروان سنة ثلاث عشرة وأربعمائة .

ومن شعره أيضاً :

يا هــل بكيتُ كما بكــت ورقُ الحمام على الغصـون
... ... للأنس منطقعَ القريــن ". (١)

وبالمقابلة بين هذين النصين يتضح الآتي :

أولاً ـ اقتصار " الزركشي " في إثبات مادة ترجمته تلك على ما جاء في " الوافي بالوفيات " للصفدي ، محافظاً على النسق التعبيري لمصدره ، وإن تصرف في النسق الترتيبي له ، بتقديم العنصرين الخاصين " بآثار المترجم له " ، و " التأريخ لوفاته " على الشاهدين الشعريين الممثل بهما لأدبه .

ثانياً ـ أن الانتقاء لديه قد خضعت له " العناصر " كماً وكيفاً ، إذ استُبْعِدَ العُنْصران الخاصان " بتقويم المترجم له وبيان منزلته في مجتمعه وعصره " ـ على أهميته ـ و " صلة القرابة " . كما اقتصر في مادة العناصر المثبتة لديه على بعض دون بعض ، ولذا لم تُذْكر كل مؤلفات المترجم له ، ولم يُعرف بما عَرَّفَ مصدره به منها ، كما لم يورد كل الشواهد الشعرية الممثلة لأدب المترجم له مما ورد لدى مصدره ، أما عنصر الوفاة ، فقد اقتصر فيه على قول ابن بسام ، مغفلاً ما أشار إليه مصدره من الاختلاف فيه لدى المصادر ، وما بذله من جهد في سبيل تحقيق تأريخه .

ثالثاً ـ أن " الزركشي " لم يطلع على " الذخيرة " في هذا الموضع ، وإلا لما انحصرت مادته في دائرة ما أورده " الصفدي " بشأن ذلك ، فالذخيرة غنية بالشواهد الشعرية ـ والنثرية مما مُثِّلَ به لأدب المترجم له ، بل وذكر مناسبة بعضها ، ومنها ما ورد قرين الشاهد الثاني ، المثبت لدى مؤرخناه مما أُغْفِلَ لدى " الصفدي " ، وهو محكي في " الذخيرة " على النحو التالي :

" ... وكان يختلف إليه غلام من أعيان أشراف القيروان ، وكان به كلفاً ، فبينا هو يوماً والحصري قد أخذ في الحديث إذ أقبل الغلام ... فقال له الشيخ : يا حصري ، ماذا تقول في من هام بهذا القد ، وصبا بهذا

---

(١) الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٦ ص ٦١ـ٦٢ تر ٢٥٠٣ .

الخد ؟ قال له الحصرى : الهيمان به والله غاية الظرف ، والصبوة إليه من تمام اللطف ، لاسيما إذا شاب كافور خده ذلك المسك الفتيت ، وهجم على صبحه ذلك الليل البهيم ، والله ما خلت سواده فى بياضه إلا بياض الإيمان فى سواد الكفر ، وغيهب الظلماء فى منير الفجر . فقال : صفه ياحصرى . قال : من ملك رق القول حتى انقادت له صعابه ، وذلل له جموحه حتى سطع له شهابه ، أتمد منى بذلك ، فقال : صفه ، فإنى معمل فكرى فى ذلك ، فأطرقا ساعة فقال الحصرى :

أورد قلبى الردى   لامُ عذار بدا

أسودٌ كالكفر فى   أبيض مثل الهدى

فقال له الشيخ : أتراك اطلعت على ضميرى أوخضت بين جوانحى وزفيرى ؟ قال : لا ، ولم ذاك ؟ قال : لأنى قلت :

حرّك قلبى فطارْ   صولجُ لام العذارْ

أسودٌ كالليل فى   أبيضَ مثل النهارْ " . (١)

كما أن " الذخيرة " تضيف بعداً آخر فى التعريف بالمترجم له هنا ، فيما نقلته عن " الأنموذج " لابن رشيق ، من أن الحصرى : " قد نشأ على الوراقة والنسخ لجودة خطه ، وكان منزله لزيق جامع مدينة القيروان ، فكان الجامعُ بيتَهُ وخزانَتَهُ ، وفيه اجتماعُ الناس إليه ومعه ، ونظر فى النحو والعروض ، ولزمه شبان القيروان ، وأخذ فى تأليف الأخبار وصنعة الأشعار ، مما يَقْرُبُ فى قلوبهم ، فرأس عندهم ، وشَرُفَ لديهم ، ووصلت تأليفاته صقليّة وغيرها ، وانثالت الصِلاتُ عليه " . (٢)

رابعاً — ومن الطريف أن يذكر أن " الصفدى " لم يطلع كذلك على مادة الذخيرة فى هذا الموضع إلا من خلال ما أورده ابن خلكان عنها فى " وفيات الأعيان " (٣) ، وقد كان الأولى بالزركشى — مؤرخنا — وله اطلاع

---

(١) ابن بسام . الذخيرة ج ٨ ص ٥٩٦ — ٥٩٧ .

(٢) نفسه ج ٨ ص ٥٩٣ .

(٣) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٤ — ٥٥ تر ١٦ .

على " وفيات الأعيان " - مجزوم به - أن ينتقي مادة ترجمته عنهـا ، مستبعداً " الوافي " في هذا الموضع ، لقرب " الوفيات " من المصدر الرئيس ، وبعد " الوافي " عنه .

* السمعانى (١) (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦م) صاحب كتاب " ذيل تاريخ بغداد " (٢) :

---

(١) هو " تاج الإسلام ، أبو سعد ، عبد الكريم بن محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الجبار بن الفضل بن الربيع بن مسلم بن عبد الله ، السمعانى ، التيمى ، المروزى " .

عالم موسوعى ، مشارك فى الأنساب ، والتاريخ ، والبلدانيات ، والأدب ، والتفسير ، والفقه .

ولد بمرو ، ورحل فى طلب العلم إلى خراسان ، وجرجان ، وبلاد الجبال ، والعراق ، وبلاد الجزيرة ، وقومس ، وطبرستان ، والشام ، والحجاز ... وقاربت مشيخته " السبعمائة " شيخ .

له ترجمة فى : ابن الجوزى . المنتظم ج ١٠ ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ تر ٣١٧ ، ابن نقطة . التقييد ج ٢ ص ١٣٢ ـ ١٣٥ تر ٤٦٩ ، ابن الأثير . الكامل فى التاريخ ج ١١ ص ٣٣٣ ، اللباب ج ١ ص ١٣ ـ ١٦ ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ تر ٣٩٥ ، الذهبى . تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٣١٦ ـ ١٣١٨ تر ١٠٩٠ ، دول الإسلام ج ٢ ص ٧٦ ، سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ٤٥٦ ـ ٤٦٥ تر ٢٩٢ ، العبر ج ٤ ص ١٧٨ ، ابن الدمياطى . المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص ٣٠٨ ـ ٣١٠ تر ١٢٧ ، اليافعى . مرآة الجنان ج ٣ ص ٣٧١ ـ ٣٧٢ ، السبكى . طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ، الاسنوى . طبقات الشافعية ج ٢ ص ٥٥ ـ ٥٦ تر ٦٤٠ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٧٥ ، ٢٥٤ ، ابن قاضى شهبة . طبقات الشافعية ج ٢ ص ١١ ـ ١٣ تر ٣١٠ ، ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، السيوطى . طبقات الحفاظ ص ٤٧١ ـ ٤٧٢ تر ١٠٥٧ ، ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ، منيرة ناجى سالم . تاج الإسلام أبو سعد السمعانى وكتابه التحبير فى المعجم الكبير . بغداد ، ط ١ ، ١٩٧٦م .

(٢) هو ذيل على تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، يقول فيه ابن الأثير الجزرى (اللباب ج ١ ص ١٤) :

" ... أتى فيه بكل فضيلة ، وأبان عن كل نكتة جليلة ، وهو نحو خمسة عشر مجلداً " .

وهو من المصادر التى لم يكشف بعد عن مظان وجودها ، وله مختصران ، أحدهما للبندارى (مخط . الأهلية ـ باريس ، رقم : ٦١٥٢ ـ عربيات) ، وثانيهما لابن منظور (مخط . المجمع العلمى العراقى ـ المصور ، رقم : ٥١ / م) .

أسند إليه " الزركشى " ـ مؤرخنا ـ فى موضعين من ترجمات " عقوده " ، ناقلاً أولهما عن " الفوات " لابن شاكر الكتبى ، وثانيهما عن " وفيات الأعيان " لابن خلكان .

أما الموضع الأول ، فقد جاء فى ترجمة " مرشد بن منقذ " الواردة لديه على النحو التالى :

" مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ ، والد أسامة ؛ قال السمعانى : رأيت مصحفاً بخطه بماء الذهب وما أظن الرائين رأوا مثله . وتقدم بحسن تدبيره على رهطه ، وأسن وعمر ، وله الأولاد والأمجاد النجباء ، ولد سنة خمسين وأربعمائة ، وتوفى بشيزر سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ، وكتب بخطه سبعين ختمة ، ومن شعره :

ظلومٌ أبتْ فى الظلمِ إلا تماديا ... وفى الصدِّ والهجرانِ إلا تناهيا

شكتْ هجرنَا والذنبُ فى ذاك ذنبها ... فوا عجباً (١) من ظالمٍ جاء شاكيا

وطاوعتِ الواشين فىَّ وطالما ... عصيتُ عذولاً فى هواها وواشيا

ومال بها تيهُ الجمالِ إلى القلى ... وهيهات أنْ أُمسِى لها الدهرَ قاليا

ولا ناسياً ما استودعتْ من عهودها ... وإن هى أبدتْ جفوةً وتناسيا

ومنها :

وقلتُ أخى يرعى بنىَّ وأُسرتى ... ويحفظُ فيهمْ عهدتى وذماميا

(ويجزيهمُ ما لم أكلفه فعله ... لنفسى فقد أعددته من تراثيا)

فأصبحتُ صِفْرَ الكفِّ مما رجوته ... أرى اليأسَ قد غطى سبيلَ رجائيا

فمالك لما أن حنى الدهرُ صعدتى ... وثلّمَ منى صارماً كان ماضيا

تنكرتَ حتى صار بِرُّكَ قسوةً ... وقُرْبُكَ منهم جفوةً وتنائيا

على أننى ما حلتُ عمّا عهدته ... ولا غيّرتْ هذى السنون ودادِيا

فلا زعزعتك الحادثاتُ فإننى ... أراك يمينى والأنامَ شماليا ". (٢)

ويقابله لدى ابن شاكر الكتبى فى الفوات قوله :

---

(١) فى " الفوات " : " فيا عجباً "..

(٢) الزركشى . عقود الجمان ق ٣٢٨ ب ـ ٣٢٩ أ .

" مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ ، والد أسامة ؛ قال السمعانى : رأيت مصحفاً بخطه بماء الذهب ما أظن الرائين رأوا مثله . وتقدم بحسن تدبيره على رهطه ، وأسنّ وعمّر ، وله الأولاد الأمجاد النجباء ، ولد سنة خمسين وأربعمائة ، وتوفى بشيزر سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ؛ وكتب بخطه سبعين ختمة ، ومن شعره :

ظلومٌ أبتْ فى الظلمِ إلا تماديا ....
.... وإن هى أبدتْ جفوةً وتناسيا

منها :

وقلتُ أخى يرعى بنىّ وأُسرتى ....
.... أراك يمينى والأنامَ شماليا " ؛ (١)

وهكذا يكاد النصان يتطابقان ترتيباً وتعبيراً ، لولا إبدال مؤرخنا قول مصدره : " فيا عجبا " بقوله : " فواعجبا " ، وإسقاطه البيت السابع ، مما يشير إلى أخذه ترجمته تلك عن " الفوات " ، وعدم اطلاعه فيها اطلاعاً مباشراً على مادة " ذيل تاريخ بغداد " للسمعانى .

وأما الموضع الثانى ، فقد ترجم فيه ليحيى بن نزار المنبجى على النحو التالى :

" يحيى بن نزار المنبجى ؛ ذكره الحافظ ابن السمعانى فى كتابه الذيل على تاريخ بغداد ، فقال : له شعر مطبوع غير متكلف ؛ وكتب أبياتاً من شعره ، وسأله عن مولده فقال : فى المحرم سنة ست وثمانين وأربعمائة ، وأورد له :

وأغيدَ غضٍّ زاد خطَّ عذاره لعاشقه فى همّه والبلابلِ
تموجُ بحارُ الحسنِ فى وجناته فتقذفُ منها عنبراً فى السواحلِ
وتُجزى بخديه الشبيبةُ ماءَها فتنبت ريحاناً جنوبَ الجداولِ

وذكره العماد فى كتاب الذيل والسيل وأورد له مقدار عشرة أبيات منها هذا البيت الثانى .

قال أبو سعد : وأنشدنى ابن نزار لنفسه :

لو صدّ عنى دلالاً أو معاتبةً لكنتُ أرجو تلافيه وأعتذرُ

---

(١) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٤ ص ١٣٠-١٣١ تر ٥٢١ .

لكنْ ملالاً فلا أرجو تعطُّفه جبرُ الزجاجِ عسيرٌ حين ينكسرُ

توفى يحيى بن نزار ليلة الجمعة ، سادس ذى الحجة سنة أربع وخمسين وخمسمائة ببغداد ، وكان سبب موته أنه وجد فى أذنه ثقلاً ، فاستدعى اناساً من الطرقية ، فامتص أذنه ، فخرج شئ من مخه ، فكان سبب موته " . (١)

ويقابله لدى ابن خلكان فى " وفيات الأعيان " قوله :

" أبو الفضل يحيى بن نزار بن سعيد المنبجى ؛ ذكره الحافظ أبو سعد عبدالكريم بن السمعانى فى كتاب الذيل على تاريخ الخطيب المختص ببغداد ، فقال : له شعر مطبوع غير متكلف ، وكتب لى أبياتاً من شعره ، وسمعت منه ؛ وسألته عن مولده فقال : ولدتُ فى المحرم من سنة ست وثمانين وأربعمائة بمنبج . وأورد له مقاطيع أنشده إياها ، فمن ذلك قوله :

وأغيدَ غضٍّ زاد خَطُّ عذاره ....

.... فتنبت ريحاناً جنوبَ الجداول

... وكنت قد سمعت فى زمن الاشتغال بالأدب بيتين استحسنتهما ولم أعرف قائلهما ، وهما :

يا عاذلى فى حبِّ ذى عارضٍ ما البلد المخصبُ كالماحلِ

يموجُ بحرُ الحسن فى خده فيقذفُ العنبرَ فى الساحل

فلما كان فى أوائل سنة اثنتين وسبعين وستمائة وقفت بالقاهرة المحروسة على مجلد من كتاب السيل والذيل تأليف عماد الدين الكاتب الأصبهانى ، وقد جعله ذيلاً على كتابه خريدة القصر ، فرأيت فيه ترجمة يحيى بن نزار المنبجى – المذكور – وقد ذكر له مقدار عشرة أبيات يمدح بها السلطان نورالدين محمود بن زنكى – رحمه الله تعالى – وفى جملة الأبيات البيت الثانى من هذين البيتين ، فعلمت أن الذى نظم ذلك المعنى فى البيت الثانى من الثلاثة هو الذى نظم هذين البيتين ...

وقال أبو سعد السمعانى أيضاً : أنشدنى يحيى بن نزار المنبجى لنفسه :

لو صَدّ عنى دلالاً أو معاتبةً ....

.... جبرُ الزجاجِ عسيرٌ حين ينكسر

---

(١) الزركشى . عقود الجمان ق ٣٤٤ ب .

وله غير هذا نظم مليح ومعان لطيفة .

وقال أبو الفرج ، صدقة بن الحسين بن الحداد في تاريخه المرتب على السنين ما مثاله : سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، في ليلة الجمعة ، سادس ذي الحجة مات يحيى بن نزار المنبجي ببغداد ، ودفن بالوردية ، قيل : إنه وجد في أذنه ثقلاً ، فاستدعى إنساناً من الطرقية ، فامتص أذنه ، فخرج شيء من مخه فكان سبب موته - رحمه الله تعالى " . (١)

وهكذا تظهر المقابلة بين النصين انتقاء مؤرخنا لترجمة " المنبجي " من مادة " الوفيات " انتقاءً ، مسنداً مادة ما انتقاه إلى مصدرين من ثلاثة صرح بها " ابن خلكان " ، وهي : " الذيل " للسمعاني ، و " السيل والذيل " للعماد ، و " تاريخ " أبي الفرج ابن الحداد . مع إغفاله التصريح بمصدره القريب فيهما .

كما تظهر المقابلة - كذلك - عدم الدقة في التلخيص والانتقاء عن مصدره ، فالبيت " الثاني " المصرح بالاطلاع عليه لدى " العماد الكاتب " ليس هو من عداد الثلاثة المثبتة في " العقود " - نقلاً عن " الوفيات " ، وإنما هو في عداد الاثنين المشار إليهما بعد لدى " ابن خلكان " .

---

(١) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٤٩ - ٢٥٣ .

* ابن عساكر (١) (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٦م) صاحب كتاب " تاريخ دمشق " (٢) :

(١) هو " أبو القاسم ، ثقة الدين ، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ، الشافعي " .
عالم مشارك في الحديث ، والأدب ، والتاريخ . وفيه يقول الذهبي : " ... كان فهماً ، حافظاً ، متقناً ، ذكياً ، بصيراً بهذا الشأن (الحديث ومعرفة الرجال) ، لا يشق غباره ، ولا كان له نظير في زمانه " .
له ترجمة في : العماد الكاتب . خريدة القصر (الشام) ج ١ص ٢٧٤ـ ٢٨٠ ، ابن الجوزي . المنتظم ج ١٠ ص ٢٦١ تر ٣٥٦ ، ابن الأثير . الكامل في التاريخ ج ١١ ص ٤٣٥ ، ياقوت . معجم الأدباء ج ١٣ ص ٧٣ ـ ٨٧ تر ١٤ ، سبط ابن الجوزي . مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧ ، أبو شامة . الروضتين ج ١ ص ٢٦١ ، ابن خلكان وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٠٩ ـ ٣١١ تر ٤٤١ ، الذهبي . تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٣٢٨ ـ ١٣٣٤ تر ١٠٩٤ ، دول الإسلام ج ٢ص ٨٥ ، سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ٥٥٤ ـ ٥٧١ تر ٣٥٤ ، العبر ج ٤ص ٢١٢ ـ ٢١٣ ، ابن الدمياطي . المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص ٣٣١ ـ ٣٣٥ تر ١٤١ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٣ ص ٣٩٣ ـ ٣٩٦ ، السبكي . طبقات الشافعية الكبرى ج ٤ ص ٢٧٣ـ ٢٧٧ ، الاسنوى . طبقات الشافعية ج ٢ ص ٢١٦ ـ ٢١٧ تر ٨٣٨ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٩٤ ، ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ج ٢ ص ١٣ ـ ١٥ تر ٣١١ ، ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٧٧ ، السيوطي . طبقات الحفاظ ص ٤٧٤ ـ ٤٧٥ تر ١٠٦١ ، النعيمي . الدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ١٠٠ ـ ١٠١ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

(٢) هو " تاريخ مدينة دمشق حماها الله ، وذكر فضلها ، وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها " .
ألفه على نسق " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي ، وإن طول في ترجماته ، مترجماً فيه للأعيان والعلماء والمشاهير ممن سكن دمشق أو اجتاز بها من الصحابة حتى عصره ، وإن وردت فيه بعض ترجمات للأقدمين (كسليمان وشعيب عليهما السلام) ، مرتباً لهم على حروف المعجم ، مع تقديم من اسمه " أحمد " ، مستفتحاً لترجماتهم بالسيرة النبوية ، وللكتاب بمقدمة في التاريخ وأهميته ، وخطط دمشق وفضائلها .
ومازال مجمع اللغة العربية ـ دمشق يوالي نشره منذ سنة ١٩٥١م . وحتى الآن .

وهو من المصادر التي لم يطلع " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ على مادتها اطلاعاً مباشراً ، وإن أسند إليه في ثلاثة مواضع من ترجمات[1] " عقوده " ، ناقلاً ما أسند إلى ابن عساكر فيها عن " وفيات الأعيان " لابن خلكان ، و" الوافي بالوفيات " للصفدي[2] ، و " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبي .

ومن الأمثلة الموضحة لذلك قوله مترجماً لأحمد بن يحيى البلاذري :

" أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري ، أبو الحسن ، وقيل : أبو بكر البغدادي ؛ ذكره الصولي في ندماء المتوكل ، مات في أيام المعتضد ، كان جده جابر يخدم الخصيب صاحب مصر . ذكره ابن عساكر في التاريخ فقال : سمع بدمشق هشام بن عمار وأبا حفص بن عمر بن سعيد ، وبحمص محمد بن مصفى وبالعراق عفان بن مسلم وعبد الأعلى وعبد الله ابن صالح العجلي ومصعباً[3] الزبيري والقاسم بن سلام وعثمان بن أبي شيبة . ووسوس في آخر عمره بشربه البلاذر ، وكان كثير الهجاء ، تناول وهب ابن سليمان بن وهب لما ضرط فمزقه ، وكانت الضرطة بحضرة عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، فعمل فيه :

أيا ضرطة حسبت رعده ... تشوّق في سهلها جهده

فقدّم وهبٌ بها سابقاً ... وصلّى أخو صاعدٍ[4] بعده

لقد هتك اللهُ ستريهما ... كذلك من يطعم الفهده

قال البلاذري : كنت من جلساء المستعين بالله وقد قصده الشعراء

---

(١) ورد ذلك في ترجمات كل من :
- أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح الطرابلسي (ق ٤٦أ ـ ٤٧ب).
- أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ق ٦٥أ) .
- عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (ق ١٧٧أ ، هامش) .

(٢) حيث نقل ترجمة " ابن مفلح الطرابلسي " عن " وفيات الأعيان " (ج ١ ص ١٥٦ ـ ١٦٠ تر ٦٥) ، مزيداً فيها الشواهد الشعرية الممثل بها لأدب مترجمه عن " الوافي بالوفيات " (ج ٨ ص ١٩٣ ـ ١٩٧ تر ٣٦٢٨) .

(٣) في الأصل : " مصعب " .

(٤) في الأصل : " ساعد " ، والتصويب عن " الفوات " .

فقال : ليس أقبل إلا من الذى يقول مثل قول البحترى فى المتوكل :

فلَوَ انّ مشتاقاً تكلّفَ فوق ما   فى وُسْعِهِ لسَعَى إليك المِنبرُ

فرجعت إلى دارى وأتيته وقلت : قد قلت فيك أحسن مما قاله البحترى فى المتوكل ، فقال : هاته ، فأنشدته :

ولو انّ بُرْدَ المصطفى إذ لبسته   يظنُّ لظنّ البردُ أنك صاحبُهُ

وقال وقد اعطيتَهُ ولبستَهُ   : نعم ، هذه أعطافُهُ ومناكبُهُ

فقال لى : ارجع إلى منزلك فافعل ما آمرك به ،فرجعت ،فبعث لى سبعة آلاف دينار ،وقال : ادخر هذه للحوادث بعدى ، ولك علىّ الجراية والكفاية مادمت حياً " . (١)

ويقابله لدى ابن شاكر الكتبى فى " الفوات " قوله :

" أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذرى ،أبو الحسن ، وقيل : أبو بكر البغدادى ؛ ذكره الصولى فى ندماء المتوكل ،مات فى أيام المعتضد ، كان جده جابر يخدم الخصيب صاحب مصر،وذكره ابن عساكر فى تاريخ دمشق فقال : سمع بدمشق هشام بن عمار وأبا حفص ابن عمر بن سعيد ،وبحمص محمد ابن مصفى ، وبالعراق عفان بن مسلم وعبد الأعلى وعبد الله بن صالح العجلى ومصعباً الزبيرى والقاسم بن سلام وعثمان بن أبى شيبة . ووسوس فى آخر عمره بشربه البلاذر ، وكان كثير الهجاء ،بذئ اللسان ،آخذاً لأعراض الناس. وتناول وهب بن سليمان بن وهب لما ضرط فمزقه ،فمن قوله فيه ، وكانت الضرطة بحضرة عبيد الله بن يحيى بن خاقان :

أيا ضرطةً حُسبت رعدة   ....

....   كذلك من يطعم الفهده

وقال فى عافية بن شيث : ....

قال البلاذرى : كنت من جلساء المستعين بالله وقد قصده الشعراء فقال : ليس أقبل إلا من الذى يقول مثل قول البحترى فى المتوكل :

فلَوَ انّ مشتاقاً تكلّفَ فوق ما   فى وُسْعِهِ لسَعَى إليك المِنبرُ

فرجعت إلى دارى وأتيته وقلت : قد قلت فيك أحسنَ ممّا قاله البحترى

---

(١) الزركشى . عقود الجمان ق ١٦٥ أ .

فى المتوكل ،فقال : هات ،فأنشدته :

ولو أنّ بُرْدَ المصطفى إذ لبسته ....

.... نعم هذه أعطافُهُ ومناكبه

فقال لى : ارجع إلى منزلك فافعل ما آمرك به ،فرجعت ،فبعث إلىّ سبعة آلاف دينار ، وقال : ادّخر هذه للحوادث بعدى ، ولك علىّ الجراية والكفاية مادمت حيّاً .

وقال فى عبيد الله بن يحيى بن خاقان وقد صار إلى بابه فحجبه .... »(١)

ولا يخفى ما بين النصين من تشابه فى النسقين الترتيبى والتعبيرى ، وفى الإسناد إلى المصادر مع تتابعها ، بحيث لم تخرج مادة " العقود " فى هذا الموضع عن مثيلتها فى " الفوات " ، مما يشير إلى أخذ " الزركشى " مادة هذه الترجمة عنه ، وإن لم يصرح هو بذلك ،مكتفياً بالإسناد إلى المصادر عينها المسند إليها لدى صاحب " الفوات " .

---

(١) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ١ ص ١٥٥ ـ ١٥٧ تر ٥٩ .

* أبو طاهر السِّلَفي (١) (ت ٥٧٦ هـ / ١١٨٠م) صاحب كتاب " معجم السفر " (٢) :

---

(١) هو " صدر الدين ، أبو طاهر ، أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن إبراهيم سلفة ، الأصبهاني " .
عالم مشارك في التاريخ ، والحديث ، والأدب ؛ أشار " الذهبي " إلى أنه ارتحل إلى العراق ، والجبال ، والحجاز ، والشام ، " وبقي في الرحلة ثمانية عشر عاماً ، يكتبُ الحديثَ والفقهَ والأدبَ والشعرَ ، وقَدِمَ دمشقَ سنة تسع وخمسمائة ، فأقام بها سنتين ... ثم استوطن ثغر الإسكندرية بضعاً وستين سنةً وإلى أن مات ، ينشرُ العلمَ ، ويُحصِّلُ الكتبَ التي قلَّ ما اجتمع لعالِمٍ مثلها في الدنيا " .
وفيه يقول الصفدي : " ... كان إماماً مقرئاً مجوداً ، محدثاً حافظاً جهبذاً ، فقيهاً مفتناً ، نحوياً ماهراً ، لغوياً محققاً ، ثقة فيما ينقله ، حجةً ثبتاً ، انتهى إليه علو الإسناد في البلاد " .
له ترجمة في : السمعاني ، الأنساب ج ٧ ص ١٠٥ - ١٠٦ ، ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ج ٧ ص ١٧٩ - ١٨٢ تر ١٠٩ ، ابن نقطة ، التقييد ج ١ ص ٢٠٤ - ٢١٠ تر ١٩٩ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج ١١ ص ٤٦٩ ، اللباب ج ٢ ص ١٢٦ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٦١ - ٣٦٢ ، أبي شامة ، الروضتين ج ٢ ص ١٦ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج ١ ص ١٠٥ - ١٠٧ تر ٤٤ ، ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ج ٣ ص ٢٢٩ تر ٢٧٨ ، الذهبي ، تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٢٩٨ - ١٣٠٤ تر ١٠٨٢ ، دول الإسلام ج ٢ ص ٨٩ ، سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٥ - ٣٩ تر ١ ، العبر ج ٤ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ، ميزان الاعتدال ج ١ ص ١٥٥ تر ٦١٠ ، ابن الدمياطي ، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص ١٧١ - ١٧٥ تر ٤٥ ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ج ٧ ص ٣٥١ - ٣٥٦ تر ٣٣٤٤ ، اليافعي ، مرآة الجنان ج ٣ ص ٤٠٣ ، السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ج ٤ ص ٤٣ - ٤٨ ، الاسنوي ، طبقات الشافعية ج ٢ ص ٥٨ - ٥٩ تر ٦٤٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٢ ص ٣٠٧ - ٣٠٨ ، ابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ١٠٢ - ١٠٣ تر ٤٧٢ ، ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ج ٢ ص ٣ - ٤ تر ٣٠٤ ، ابن حجر ، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ج ٢ ص ٧٣٨ ، لسان الميزان ج ١ ص ٢٩٩ - ٣٠٠ تر ٨٨٠ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٨٧ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٥٤ تر ٦٦ ، طبقات الحفاظ ص ٤٦٨ تر ١٠٤٩ ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٥٥ .

(٢) خصصه " السلفي " لمن لقيهم من العلماء في البلدان التي ارتحل

أسند إليه " الزركشي " - مؤرخنا - في موضع واحد من ترجمات "عقوده" ، وهو ترجمة " ابن حنزابة " ، قائلاً :

" ... ذكره الحافظ السلفي وعظمه ، وأثنى عليه ، وقال : إنه روى عنه الحافظ عبد الغني بن سعيد " . (١)

ويقابله لدى " ابن شاكر الكتبي " في " الفوات " قوله :

" ... قال السلفي : كان ابن حنزابة من الثقات مع جلالةٍ ورياسةٍ ... وممن روى عنه الحافظ عبد الغني بن سعيد " . (٢)

ومما يشير إلى عدم اطلاع " الزركشي " على مادة " معجم السفر " اطلاعاً مباشراً ، وأخذه مادة ما أسند إلى السلفي عن " الفوات " أن باقي مادة ترجمة

= إليها ، ماعدا أصبهان وبغداد - اللتين أفرد لعلماء كلٍ منهما معجماً قائماً بذاته - مرتباً لهم على حروف المعجم ، معتمداً في ذلك على الاسم الأول في سلسلة النسب ، تاركاً لمعجمه في " جزازه وتعاليقه " ، فأتى بعده " الزكي المنذري " (ت ٦٥٦هـ ، /١٢٨٥م ،) فحرره "كما يجيء لا كما يجب " - على النحو المصرح به في أوله - ولذا جاء ناقصاً في جوانب ، مختل الترتيب في جوانب أخرى .

ولعل مما يبرز أهمية مادته ، اعتماد عدد كبير من العلماء عليه في بناء مادة مؤلفاتهم ، ومنهم " ياقوت الحموي " (ت ٦٢٦ هـ ، / ١٢٢٩م ،) في معجم الأدباء ، و " ابن القفطي " (ت ٦٤٦ هـ ، / ١٢٤٨م ،) في إنباه الرواة ، و " الصلاح الصفدي " (ت ٧٦٤ هـ ، / ١٣٦٣م ،) في الوافي بالوفيات .

ولهذا المعجم مخطوطتان محفوظتان في الإسكوريال تحت رقم : ١٧٨٣) وفيض الله - تركيا (تحت رقم : ٥٣٢) ، ومصورتان في معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة ، تحت رقمي : ١٢٣٤ - تاريخ (عن مخطط ، عارف حكمت بالمدينة المنورة ، ذات الرقم : ١٧٦ - حديث) ، و ٢٠٣٧ - تاريخ (عن مخطط ، الرباط ، ذات الرقم : ٢٣٠ ك) .

وعن مخطط ، عارف حكمت نشر د ، إحسان عباس (بيروت ، ١٩٦٣م ،) أربعاً ومائة (١٠٤) ترجمةً وخبراً ، معنونة باسم : " أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر " ، كما نشرت د ، بهيجة الحسني (بغداد ، ١٩٧٨م ،) الجزء الأول منه ، وتعقبها فيه د ، بشار عواد في مقال نشر في مجلة المورد العراقية ج ٨ ع ١ سنة ١٩٧٩م .

(١) الزركشي ، عقود الجمان ق ٨٥ ب .

(٢) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ج ١ ص ٢٩٣ .

" ابن حنزابة " المسندة لديه إلى " الخطيب البغدادي " قد أُخِذَت عن " الفوات " كذلك ، مع اغفال التصريح بالمصدر القريب المنقول لديه عنه ، اكتفاء بالاسناد إلى المصدر الرئيس .

* ابن الأنباري (1) (ت ٥٧٧ هـ . / ١١٨١م .) صاحب كتاب " نزهة الألباء في طبقات الأدباء " :

ترجمه " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ في " عقوده " (٢) ، مسنداً إليه في موضع واحد منه ، وهو ترجمة " أبي الحسين الحاجب " ، على النحو الوارد في قوله :

" هبة الله بن الحسن ، أبو الحسين الحاجب ؛ ذكره كمال الدين ابن الأنباري في كتاب النحويين ، ومات فجأة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، وهو من أفاضل الشعراء ، ومن شعره :

يا ليلةً سَلَكَ الزمانُ بطيبها في كلِّ مَسْلَكْ
وإذا ارتقى ردفَ المسرَّةِ مُدْرِكاً ما ليس يُدْرَكْ
والبدرُ قد فَضَحَ الظلامَ فسترُهُ فيه مُهَتَّكْ
وكأنما زهرُ النجومِ بلمعها شُعَلٌ تَحَرَّكْ
والغيمُ أحياناً يموجُ كأنَّه ثوبٌ مُمَسَّكْ
وكأنَّ تجعيدَ الرياحِ بدجلةٍ ثوبٌ مُفَرَّكْ

---

(١) هو " كمال الدين ، أبو البركات ، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن الحسن بن سليمان الأنباري ".

له ترجمة في : ابن الأثير . الكامل في التاريخ ج ١١ ص ٤٧٧ ، القفطي . إنباه الرواه ج ٢ ص ١٦٩ ـ ١٧١ تر ٣٠٨٥ ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٣٩ ـ ١٤٠ تر ٣٦٩ ، ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٩٢ ـ ٢٩٥ تر ٢٦٢ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٣ ص ٤٠٨ ، السبكي . طبقات الشافعية الكبرى ج ٤ ص ٢٤٨ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٢ ص ٣١٠ ، ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ج ٢ ص ٨ ـ ٩ تر ٣٠٨ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٩٠ ، السيوطي . بغية الوعاة ج ٢ ص ٨٦ ـ ٨٨ تر ١٥٠٦ ، المزهر ج ٢ ص ٤٢١ ، ٤٦٨ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ ، د . فاضل صالح السامرائي . أبو البركات ابن الأنباري ودراساته النحوية . بغداد ، ط١ ، ١٩٧٥م .

(٢) الزركشي . عقود الجمان ق ١٨٦ .

وكأنّ نشر المسك ينفح في النسيم إذا تحرّك
وكأنما المنثور مصفرّ الندى ذهب مشبّك
والروض يبسم والرياض فإن نظرت إليه ستّرك
شارطت نفسي أن أقوم بشرطها والشرط أملك
حتى تولّى الليل منهزماً وجاء الصبح يضحك
واهاً لنا لو أننا في ظل طيب العيش نترك
والمرء يحسب عمره فإذا أتاه الشيب فذلك". (١)

ويقابله لدى ابن شاكر الكتبي في " الفوات " قوله :

" هبة الله بن الحسن ،أبو الحسين الحاجب ؛ ذكره كمال الدين ابن الأنباري في كتاب النحويين ، ومات فجأة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، كان من أفاضل الشعراء ،ومن شعره :

ياليلة سلك الزمان ....
.... فإذا أتاه الشيب فذلك". (٢)

وباستثناء إبدال مؤرخنا قول مصدره : " كان " بـ " وهو " ،وافتتاحه البيت الثاني بواو زائدة ، فالنصان متطابقان ، مما يشير إلى أخذه مادة ترجمته تلك عن " الفوات " وليس عن " النزهة " .

ويتأيد ذلك بعدة قرائن ،منها :

أولاً ـ اقتصار " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ على مادة " الفوات " في التأريخ لوفاة مترجمه ، حيث أرخ لها بالسنة فقط ، على حين أرخ لها " ابن الأنباري " في النزهة باليوم من الشهر ،فالشهر ،فالسنة ،قائلاً : ".. وتوفي الحاجب ... فجأة ،في آخر شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، في خلافة القائم بأمر الله أبي جعفر عبدالله بن القادر بالله تعالى " . (٣)

ثانياً ـ أن قوله في مترجمه " هو من أفاضل الشعراء " ،مطابق لتقويم " ابن شاكر " في " الفوات " له ، وهو مما لم يرد في " النزهة " مبالغاً فيه على هذا النحو ،إذ الوارد فيها بشأن ذلك أنه " كان من

---

(١) الزركشي ، عقود الجمان ق ٣٤٠ ب .
(٢) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ج ٤ ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ تر ٥٥٨ .
(٣) ابن الأنباري ، نزهة الألباء ص ٣٤٩ .

أهل الفضل والأدب ، وكان شاعراً مليح الشعر " . (١)

ثالثاً ـ التباين اللفظى فيما بين روايتى " النزهة " و " الفوات " فى غير موضع من الشاهد الشعرى الممثل به لأدب المترجم له ، حيث أُبْدِلَ قول " النزهة " : " درج " بـ " ردف " فى البيت الثانى ،و " عنه " بـ " فيه " فى البيت الثالث ، و " لدجلة " بـ " بدجلة " فى البيت السادس ،و " النسيم " بـ " الغيم " فى البيت السابع ،و " النور " بـ " الروض " فى البيت التاسع ،و " بحقها " بـ " بشرطها فى البيت العاشر .(٢)

---

(١) المصدر السابق ص٣٤٨ .

(٢) نفسه .

* الرجاري [1] (ت ٥٨٤ هـ ٠ / ١١٨٨م ٠) صاحب كتاب " المسهب فى أخبار أهل المغرب " :

أسند إليه " الزركشى " - مؤرخنا - فى موضع واحد من " عقوده " ، وهو ترجمة " ولادة بنت المستكفى " ، قائلاً :

" ٠٠٠ وكانت لها جارية سوداء بديعة الغناء ، فحضرت معهم ذات ليلة ، فمال ابن زيدون [2] إلى السوداء ، فكتبت إليه :

لو كنتَ تنصفُ فى الهَوَى ما بيْنَنا لم تَهْوَ جاريتى ولم تَتَخَيَّرِ
وتركتَ غُصناً مُثْمِراً بجمالِهِ وجنَحْتَ للغُصْنِ الّذى لم يُثْمِرِ
ولقد علمتَ بأننى بدرُ السما لكنْ ولعتَ لشِقْوتِى بالمُشترِى

ذكر صاحب المسهب أنها أثارت معنىً غريباً فى البيت الثانى ، لأن عتبة كانت سوداء ، فلا تظهر وردة الخجل ولا زهر البياض ، فكأنها غصن لم يثمر ، ولها بهذا الابتكار الارتقاء إلى الطبقة العالية " . [3]

---

(١) هو " أبو محمد ، عبد الله بن إبراهيم بن إبراهيم بن وزمر ، الحِجارى ، الصنهاجى " .

له ترجمة فى : ابن سعيد ٠ المغرب (الأندلس) ج ٢ ص ٣٥ - ٣٦ تر ٣٥٤ ، ابن الخطيب ٠ الإحاطة ج ٣ ص ٤٣٢ - ٤٣٥ ، حاجى خليفة ٠ كشف الظنون ج ٢ ص ١٦٨٥ ، البغدادى ٠ هدية العارفين ج ١ ص ٤٥٧ ، كحالة ٠ معجم المؤلفين ج ٦ ص ١٨ ٠

(٢) فى الأصل : " الزيدون " .

(٣) الزركشى ٠ عقود الجمان ق ٣٤١ ب ٠

* العماد الكاتب (1) (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١م.) صاحب كتابي " خريدة القصر وجريدة العصر " و " الذيل عليه " :

وهما من المصادر التي لم يطلع " الزركشي " – مؤرخنا – على مادتهما

(1) هو " عماد الدين ،أبو عبدالله ،محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبدالله بن علي بن محمود بن هبة الله ،الأصفهاني ، المعروف بالعماد الكاتب ، وبابن أخي العزيز " .

(له ترجمة في : ياقوت . معجم الأدباء ج ١٩ ص ١١ – ٢٨ تر ٤ ، ابن الأثير . الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ١٧١ ،سبط ابن الجوزي . مرآة الزمان ج ٨ ص ٥٠٤ – ٥٠٨ ، المنذري . التكملة لوفيات النقلة ج ١ ص ٣٩٢ – ٣٩٣ تر ٦٠٥ ، أبي شامة . الروضتين ج ١ص ١٤٤ – ١٤٧ ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٥ ص ١٤٧ – ١٥٣ تر ٧٠٥ ، الذهبي . سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٣٤٥ – ٣٥٠ تر ١٨٠ ، الصفدي . الوافي بالوفيات ج ١ ص ١٣٢ – ١٤٠ تر ٤٦ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٣ ص ٤٩٢ – ٤٩٤ ، السبكي . طبقات الشافعية الكبرى ج ٤ ص ٩٧ – ٩٩ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٠ – ٣١ ، ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ج ٢ ص ٥٢ – ٥٣ تر ٣٤٣ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٧٨ – ١٧٩ ، النعيمي . الدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ٤٠٨ – ٤١٢ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٣٢ – ٣٣٣)

و " الخريدة " و " الذيل عليها " من المؤلفات الداخلة في نطاقي التاريخ والأدب ، لاعتناء " العماد " فيهما بالترجمة لمترجميه من الشعراء والأدباء والكتاب بأسلوب مسجوع ،لا يُعنى بالترجمة البحتة ،بقدر اهتمامه بالصنعة اللفظية والاسترسال في إيراد الشواهد الشعرية والنثرية مما مُثِّلَ به لأدب المترجمين فيه .

ولقد قدر لهذا المؤلف وذيله أن يطبعا طبعات متباعدة الأصقاع ، متفاوتة في اعتماد الأصول بدرجاتها المتباينة ،مما كان سبباً في تمزيق موضوعاته وتشتيت أقسامه .. إذ القسم الخاص بمصر مطبوع بالقاهرة ،والقسم الخاص بالشام مطبوع بدمشق ،والقسم الخاص بالعراق مطبوع ببغداد ،والقسم الخاص بالمغرب والأندلس مطبوع بتونس . وكل قسم متباين في منهج التحقيق ، والإخراج الطباعي ، متفاوت في تأريخ إصداره .

اطلاعا مباشراً ،ولن أسند إليهما فى نحو ثلاثة عشر موضعاً[1] من ترجمات كتابه ،مغفلاً التصريح بالمصادر القريبة المنقول لديه عنها ،وهى "وفيات الأعيان" لابن خلكان ، و "الوافى بالوفيات" للصفدى ، و "فوات الوفيات" لابن شاكر الكتبى .

ومما يوضح ذلك قوله مترجماً لابن مكى النيلى :

" سعيد بن أحمد بن مكى النيلى ،المؤدب . قال العماد الكاتب: كان مغالياً فى التشيع ، حالياً بالتورع ،عالماً بالأدب ،معلماً فى المكتب ، مقدماً فى التعصب ،ثم أسن حتى جاوز حد الهرم ، وذهب بصره ،وعاد وجوده شبيه العدم ،وأناف على التسعين ،وآخر عهدى به فى درب صالح ببغداد سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة .

ومن شعره :

قمرٌ أقام قيامتى بقَوامهِ   لم لا يجودُ لمهجتى بذِمامه
ملّكته كبدى فأتلف مهجتى   بجمال بهجته وحسن كلامه

---

(1) هى بحسب ترتيب "الزركشى" لها واردة فى ترجمات :

* "إبراهيم بن نصر بن عسكر الموصلى" (عقود الجمان ق ٧ ب) .
* "الحسن بن أحمد بن محمد بن جكينا" (نفسه ق ٩٠) .
* "الحسن بن على بن نصر بن عقيل" (نفسه ق ٩٤أ ـ ٩٥أ) .
* "الحسن بن صافى ـ ملك النحاة" (نفسه ق ١٠٦أ) .
* "الحسين بن على بن أحمد الطيبى" (نفسه ق ١٠٧ ب) .
* "سعيد بن أحمد بن مكى النيلى" (نفسه ق ١٢٢ب ـ ١٢٣أ).
* "طلحة بن محمد بن طلحة النعمانى" (نفسه ق ١٤٠ ب ـ ١٤١أ) .
* "عبدالعزيز بن الحسين بن الجباب" (نفسه ق ١٧٨أ) .
* "عبدالواحد بن الفرج بن نوت" (نفسه ق ٢٠٢ ب) .
* "محمد بن محمد بن مواهب" (نفسه ق ٢٥٠ ب ـ ٢٩١ ب) .
* "مسعود بن الفضل بن الحسين بن كامل" (نفسه ق ٣٢٩ ب ـ ٣٣٠أ) .
* "يحيى بن نزار المنبجى" (نفسه ق ٣٤٤ ب) .
* "يعقوب بن أحمد بن محمد النيسابورى" (نفسه ق ٣٤٩ ب ـ ٣٥٠أ) .

ومبسم عَذْب كأنّ رُضابه	شهدٌ مذاقٌ في عبير مدامه
وبناظر غَنِج وطرف أحور	يصمى القلوب إذا رنا بسهامه
وكأنّ خطّ عِذاره في حُسْنه	شمسٌ تجلت وهي تحت لثامه
فالصبحُ يُسْفِرُ من ضياء جبينه	والليلُ يُقْبِلُ من أثيث ظلامه
والظبيُ ليس لحاظه كلحاظه	والغصن ليس قوامه كقوامه
قمر كأن الحسن يعشق بعضُهُ	بعضاً فساعده على قسّامه
فالحسن عن تلقائه ووارئه	ويمينه وشماله وأمامه
ويكاد من ترف لدقة خصره	ينقدُّ بالأرداف عند قيامه ". (١)

ويقابله لدى ابن شاكر الكتبي في " الفوات " قوله :

" سعيد بن أحمد بن مكي النيلي المؤدب ، له شعر ، وأكثره مديح في أهل البيت ، رضي الله عنهم . قال العماد الكاتب : كان غالياً في التشيع ، حالياً بالتورع ، عالياً بالأدب ، معلماً في المكتب ، مقدماً في التعصب ، ثم أسنّ حتى جاوز حد الهرم ، وذهب بصره وعاد وجوده شبيه العدم ، وأناف على التسعين ، وآخر عهدي به في درب صالح ببغداد سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، ومن شعره :

قمرٌ أقام قيامتي بقوامه	....
....	ينقد بالأرداف عند قيامه ". (٢)

وباستثناء اسقاط مؤرخنا لقول مصدره : " ... له شعر ، وأكثره مديح في أهل البيت ، رضي الله عنهم " ، وإبداله لفظة " غالياً " بـ " مغالياً " ، فالنصان متطابقان ترتيباً وتعبيراً ، مما يشير إلى أخذه مادة ترجمته في هذا الموضع عن " الفوات " .

ويؤكد ذلك أن عبارة العماد المثبتة في " الخريدة " غير مطابقة وما أورداه عنها ، وهي : " ... كان مغالياً في التشيع ، حالياً بالتورع ، غالياً في المذهب ، عالياً في الأدب ، معلماً في المكتب ... " (٣)

---

(١) المصدر السابق ق ١٢٢ ب ــ ١٢٣ أ .
(٢) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٢ ص ٥٠ ــ ٥١ .
(٣) العماد الكاتب . الخريدة (العراق) ج ٤ ق ١ ص ٢٠٣ .

إذ أُسقِطَ لديهما قوله : " غالياً في المذهب " ، وتحرف قولـــه : " غالياً في الأدب " ليصير : " عالماً بالأدب " .

كما أن المصرح به لدى صاحب الخريدة أن آخر عهده بالمُتَرْجَم لــه في درب صالح ببغداد كان " سنة اثنتين وستين " ، وليس كما ورد مصحفاً لديهما : " سنة اثنتين وتسعين " .

يضاف إلى ذلك أن الشاهد الشعري المثبت لديهما غير مطابق ومـا جاء في الخريدة ،وهو مروي في الخريدة على النحو التالي :

" قمرٌ أقـام قيامـتي بقوامـــهِ   لِمَ لا يجـودُ لمُهْجَـتي بذمامـــهِ
ملَكْتُه قلـبي ،فأتلف مُهجَتـــي   بجمـال بهـجته وحسن قوامـــهِ
وبناظـر غَـنِجٍ وطرف أحـــور   يُصمـي القلوبَ إذا رنـا بسِهامـــهِ
وكأنَّ خـطَّ عِـذاره في حسنـــه   شمسٌ تجلَّت وَهْيَ تحـتَ لِثامـــهِ
ويَكاد من ترف ،لدقَّــة خَصْــره   ينقَدُّ عنـد قعـوده وقيامـــهِ
وكأنَّه مـن خمــرة ممزوجـــة   بالرِّسْلِ عندَ رَضاعه وفِطامهِ " . (١)

أي بإبدال لفظة " كبدي " الواردة لديهما في البيت الثاني بقولـه : " قلبي " ،وإبدال قوله فيما أُثبِتَ لديهما في الشطر الثاني من البيــت العاشر : " ينقد بالأرداف عند قيامه " بقوله : " ينقد عند قعـــود ، وقيامه " ، وزيادة بيت على الأبيات العشرة الواردة لديهما ، وهو البيــت السادس في ترتيب الخريدة ،مع اسقاط الخريدة لستة أبيات مما ورد فــي " الفوات " و " العقود " ،هي البيت الثالث ، والأبيات من السادس حتى العاشر .

ويكشف ـ كذلك ـ عن عدم اطلاع " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ على مـادة الخريدة ، اطلاعاً مباشراً ، قوله مترجماً لابن جكينا الشاعر :

" الحسن بن أحمد بن محمد بن جكينا الشاعر البغدادي . ذكــره العماد الكاتب وقال : أجمع أهل بغداد على أنه لم يرزق أحدٌ من الشعــراء لطافة شعره . توفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، ومن شعره :

لافتضاحـــي فـــي عوارضـــه   سببٌ والنـاس لُـــوّامُ

---

(١) المصدر السابق ج ٤ ق ١ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

كيف تخفى ما أكابده والذى أهواه نمام

وقال :

تزايد القول فيه أن له ورداً جنياً فى صفحة الخد
فنكرشت عارضاه تشعر أن الشوك لابد منه للورد

وقال :

لما بدا خط العذا ر بزين خده بمشق
وظننت أن سواره فوق البياض كتاب عتق
فإذا به من سوء حظ ى عهدة كتبت برق

وقال :

ولائم لى (١) فى اكتحالى يوم استباحوا دم الحسين
فقلت : دعنى ، أحق عضو الحس فيه السواد عينى

فائدة : لقد بالغ أبو الحسين الجزار :

ويعود عاشوراء يذكرنى رزء الحسين فليت لم يعد
ياليت عيناً (٢) فيه قد كحلت لشماتة لم تخل من رمد
ويداً به لمسرة خضبت مقطوعة من زندها بيدى
أما وقد قتل الحسين به فأبو الحسين أحق بالكمد

وقال فى الشريف الشجرى صاحب الأمالى :

يا سيدى والذى يعيذك من نظم قريض يصدا به الفكر
ما فيك من جدك النبى سوى أنك لا ينبغى لك الشعر ". (٣)

ويقابله لدى " ابن شاكر الكتبى " فى الفوات قوله :

" الحسن بن أحمد بن محمد بن جكينا الشاعر البغدادى ، كان من ظراف الشعراء الخلعاء ، وأكثر أشعاره مقطعات . وذكره العماد الكاتب وقال : أجمع أهل بغداد على أنه لم يرزق أحد من الشعراء لطافة شعره . توفى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

---

(١) فى " الفوات " : " ولائم لام " .
(٢) فى الأصل : " ياليت عين " .
(٣) الزركشى . عقود الجمان ق ٩٠ .

ومن شعره :

لافتضاحي في عوارضه ....

.... والذي أهواهُ نمامُ

وقال :

تزايدَ القول فيهِ أنَّ لهُ ....

.... أن الشوكَ لابدَّ منهُ للورد

وقال :

لما بدا خطُ العذار ....

.... حظ ... ى عهدةٌ كتبتُ برقي

وقال :

ولائم لام في اكتحالي ....

.... ألبسُ فيهِ السوادَ عيني

أحسن منه قول أبي الحسين الجزار :

ويعود عاشوراء يذكرني ....

.... فأبو الحسين أحقُّ بالكمد

ولابن جكينا في الشريف ابن الشجري صاحب الأمالي :

يا سيدي والذي يُعيذُك من ....

.... أنكَ لا ينبغي لكَ الشعرُ ". (١)

وباستثناء اسقاط مؤرخنا قولي " الفوات " : " ... كان من ظراف الشعراء الخلعاء ، وأكثر أشعاره مقطعات و " ، و " رحمه الله تعالى " ، وابداله قولي " الفوات " : "أحسن منه قول أبي الحسين الجزار " و " ولابن جكينا في الشريف ابن الشجري صاحب الأمالي " بقوله : " فائدة : لقد بالغ أبو الحسن الجزار " ،و " وقال في الشريف الشجري صاحب الأمالي " — على التتابع ، فالنصان متطابقان ترتيباً وتعبيراً ، مما يشير إلى أخذ " الزركشي " — مؤرخنا — ترجمته في هذا الموضع عن " الفوات " .

ويقوى هذا الاعتقاد — فضلاً عن القرينة السابقة — أن ما أُسْنِدَ إلى العماد الكاتب لديهما ، قد أُثبِتَ في " الخريدة " على النحو التالي :

---

(١) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ج ١ ص ٣١٩ — ٣٢١ .

" ... من الحريم الطاهري ،ظريف الشعر ،مطبوعه . لم يَجُد الزمان بمثله في رقة لفظه وسلاسته . وقد أجمع أهل بغداد على أنه لم يرزق أحد من الشعراء لطافة طبعه ". (١)

مما يشير إلى اقتصار " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ في هذا العنصر المسند إلى العماد على عبارة " الفوات " المثبتة لبعض دون بعض ،والتي تحرفت فيها لفظة " طبعه " لتستقر لديهما : " شعره ". (٢)

كما أن روايتهما للشاهد الشعري الأول مختلفة بعض الشيء ورواية " العماد " ،إذ المثبت في " الخريدة " قوله :

" لافتضاحي بعد عارِضه (٣) سببٌ والناسُ لُوّامُ
كيف يخفى ما أكتمُه (٤) والذي أهواهُ نمّامُ ". (٥)

يضاف إلى ذلك أن الشواهد الشعرية المثبتة لديهما لم يرد منها في " الخريدة " سوى اثنين فقط ،هما الأول والسادس ،وإن انفردت " الخريدة " بشواهد أخرى .

أما ما أورده في ترجمة " أبي محمد النعماني " مُسْنَداً إلى " العماد " على النحو التالي :

" ... وذكره العماد الكاتب ،وقال : ورد إلى البصرة في زمان الحريري ـ صاحب المقامات ،وكتب إليه رسالته السينية نظماً ونثراً ،وكانت وفاته بعد العشرين والخمسمائة ". (٦)

فهو مما نقله عن قول " ابن شاكر الكتبي في " الفوات " :

---

(١) مما يشير إلى أن التحريف مرجعه إلى " الفوات " وليس لإحدى نسخ " الخريدة " المنقول عنها ، أن الصفدي (الوافي ج ١١ ص ٣٨٨) وهو المصدر المباشر للفوات في هذه الترجمة قد وردت فيه اللفظة مطابقة لما أُثبِتَ في الخريدة .
(٢) العماد الكاتب . الخريدة (العراق) ج ٢ ص ٢٣٠ .
(٣) ويقابله لديهما : " لافتضاحي في عوارضه " .
(٤) ويقابله لديهما : " كيف يخفى ما أكابده " .
(٥) نفسه ج ٢ ص ٢٣٢ .
(٦) الزركشي . عقود الجمان ق ١٤١أ .

" ... قال العماد الكاتب : ورد طلحة هذا إلى البصرة فى زمان الحريرى صاحب المقامات ، وكتب إليه رسالته السهنية نظماً ونثراً ، وكانت وفاته بعد العشرين والخمسمائة ،رحمه الله - تعالى - وإيانا " . (١)

وقرينته :

اشتراكهما فى تحريف اسم الرسالة ،إذ هى " الشهنية " لا " السينية " كما جاء لديهما . وتلك تحريفة حرجة ،لوجود رسالتين " للحريرى " ،إحداهما " سينية " والأخرى " شينية " ، على النحو الوارد فى قول العماد الكاتب :

" ... وللحَريريّ رسالتان : سِينيَّةٌ وشِينيَّةٌ نظماً ونثراً ... والشِينيَّةُ كتبها إلى أبى محمد ،طَلْحَة بن النُّعمانيّ الشاعر ،لما قصد البصرة يمدحه ويشكره ويتأسى على فراقه ". (٢)

ومرجع تسميتها بذلك إلى تعمد " الحريرى " تضمين كل كلمة فيها حرف " الشين " المسماة به . (٣)

كما أنّ الخريدة " لم تؤرخ لوفاة " النعمانى " ، وبيد وأن ذلك مما نقله " ابن شاكر الكتبى " فى " الفوات " عن " ياقوت " ، المصدر الثانى له فى ترجمة " النعمانى " ، والمؤرخ لها على النحو التالى :

" ... مات سنة عشرين وخمسمائة " . (٤)

---

(١) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٢ ص ١٣٧ .
(٢) العماد الكاتب . الخريدة (العراق) ج ٤ ق ٢ ص ٦١٦ ، ٦١٩ .
(٣) نفسه ج ٤ ق ٢ ص ٦١٩ - ٦٢٤ ، حيث أثبت نص الرسالة .
(٤) ياقوت . معجم الأدباء ج ١٢ ص ٢٦ .

* ابن الجَوزِىّ[1] (ت ٥٩٧ هـ . / ١٢٠١م .) صاحب كتاب " المُنتَظَم فى تاريخ الملوك والأمم " :

وهو من المصادر التى لم يطلع " الزركشى " - مؤرخنا - على مادتها اطلاعاً مباشراً ، وإن أسند إليه فى ثلاثة مواضع من مؤلفه ؛ يؤيد ذلك :

أولاً - أن ما أسنده إليه فى ترجمة " ابن أبى كدية " بقوله :
" ... قال ابن الجوزى : وكان يحفظ كتاب سيبويه ، وكان صلباً فى الإعتقاد ، وسمع ابن عبد البر بالأندلس ، وتوفى ببغداد سنة اثنتى عشرة وخمسمائة ، ودفن عند الأشعرى ".[2] يتشابه إلى حد كبير وقول " ابن شاكر الكتبى " فى الفوات : " ... وكان صلباً فى الإعتقاد ، وسمع ابن عبد البر بالأندلس ، وتوفى ببغداد سنة اثنتى عشرة وخمسمائة ... ودفن عند الأشعرى ؛ قال

(١) هو " أبو الفرج ، جمال الدين ، عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزى ، التميمى ، البكرى ، الحنبلى " .
له ترجمة فى : ابن نقطة . التقييد ج ٢ ص ٩٧ - ٩٨ تر ٤٢١ ، ابن الأثير . الكامل فى التاريخ ج ١٢ ص ١٧١ ، سبط ابن الجوزى . مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٨١ - ٥٠٣ ، المنذرى . التكملة لوفيات النقلة ج ١ ص ٣٩٤ - ٣٩٥ تر ٦٠٨ ، مشيخة النعال البغدادى ص ١٤٠ - ١٤١ ، أبو شامة . الذيل على الروضتين ص ٢١ - ٢٨ ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٤٠ - ١٤٢ تر ٣٧٠ ، الذهبى . تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٣٤٢ ، سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٣٦٥ - ٣٨٤ تر ١٩٢ ، العبر ج ٤ ص ٢٩٧ - ٢٩٨ ، اليافعى . مرآة الجنان ج ٣ ص ٤٨٩ - ٤٩١ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٨ - ٣٠ ، ابن رجب . الذيل على طبقات الحنابلة ج ١ ص ٣٩٩ - ٤٣٣ تر ٢٠٥ ، ابن الجزرى . غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٣٧٥ تر ١٥٩٢ ، ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٧٤ - ١٧٦ ، السيوطى . طبقات المفسرين ص ٦١ تر ٥٠ ، الداودى . طبقات المفسرين ج ١ ص ٢٧٠ - ٢٧٤ تر ٢٦٠ ، ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٢٩ - ٣٣١ .
(٢) الزركشى . عقود الجمان ق ٢٩٤أ .

ابن الجـوزى : كان يحفظ كتاب سيبويه " . (١)

وهو وهم ،إذ أن " ابن الجوزى " لم يترجم لابن أبى كدية فـــى المنتظم ، مما يجعل النسبة إلى المصدر فى هذا الموضع مجانبة للصـــواب، يكشف عن ذلك قول " الصفدى " فى " الوافى " ،وهو المصدر المباشـــر لابن شاكر الكتبى فى هذه الترجمة : " ... قال (سبط) ابن الجوزى فـــى المرآة : وكان يحفظ كتاب سيبويه " . (٢) وإن لم ترد هذه العبارة ـ كذلـك ـ فى مطبوعة " المرآة " ضمن ترجمة " ابن أبى كدية " (٣) ، لاحتمال كونهـا مختصرة " اليونينى " عن الأصل ،على النحو المفصح عنه فى خطبة ذيلـــه عليها . (٤)

ثانياً ـ أن ما أسنده إليـــه فـــى ترجمة " الراضى بالله العباسى" قائلاً : " ... ودفن فى تربة عظيمة له ،أنفق عليها أموالاً كثيرة ، وقـــال ابن الجـوزى : درست الآن ،ولم يبق لها عين ولا أثر " . (٥) هو مما نقلـه عن " الفوات " ، وليس عن " المنتظم " ، لقول ابن شاكر فيه : " ... ودفن فى تربة عظيمة له ، أنفق عليها أموالاً كثيرة ، قال ابن الجـوزى : درست الآن ، ولم يبـق لها عين ولا أثر " . (٦) ولا يخفى التطابق بين النصين ترتيبـاً وتعبيراً ، وابتعادهما ولو لغة عن قول " ابن الجوزى " : " ... ودفـــن فى تربته بالرصافة ، وكانت تربة عظيمة قد انفقت عليها الأموال ، والآن قد عمل عندها سور المحلة ،ولم يبق لها إلا أثر قريب ، ودفنت عنده أمه ظلوم " . (٧)

---

(١) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٣ ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠ .

(٢) الصفدى . الوافى بالوفيات ج ٤ ص ٨٠ .

(٣) سبط ابن الجوزى . مرآة الزمان ج ٨ ص ٧٥ ـ ٧٦ .

(٤) اليونينى . ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٢ .

(٥) الزركشى . عقود الجمان ق ٢٧١أ .

(٦) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٣ ص ٣٢٣ .

(٧) ابن الجوزى . المنتظم ج ٦ ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥ .

ثالثاً — أن ما نُسِبَ إليه في قوله مترجماً لابن ماكولا : " ... قال ابن الجوزي : سمعت شيخنا عبد الوهاب يقدح فيه ويقول : يحتاج إلى دين " (١) ؛ مطابق وقول " ابن شاكر الكتبي " في " الفوات " : " ... قال ابن الجوزي : سمعت شيخنا عبد الوهاب يقدح فيه ويقول : يحتاج إلى دين " . (٢) وهو مما لم يرد في " المنتظم " بهذه الكيفية المحكية لديهما (٣) عن " ابن الجوزي " ، إذ الوارد فيه قوله :

" ... وسمعت شيخنا عبد الوهاب يطعن في دينه ، ويقول : العلم يحتاج إلى دين " . (٤)

أي باثبات لفظة " العلم " التي اسقطاها ، وفي اسقاطها حرجة ، لما لهذه اللفظة في موضعها من دلالة كبيرة ، فالمراد بقول " عبد الوهاب الأنماطي " — وإن أورده " ابن الجوزي " في مجال الطعن — أن " ابن ماكولا " اختار زي الإمارة والكُتّاب ، فحال ذلك بينه وبين انتشار الرواية عنه ، وهو ما يؤيده قول " ابن الحبال المصري " فيه : " ... دخل مصر في زِيّ الكَتَبَةِ ، فلم نَرْفَعْ له رأساً ، فلما عرفناه كان من العلماء بهذا الشأن " (٥) ؛ وقول الذهبي : " ... يعز وقوع حديث الأمير ابن ماكولا " (٦) ؛ أي يندر العثور على حديث مسند من طريقه .

ولو كان هناك مطعن على " ابن ماكولا " في دينه لما تردد " الذهبي " في ترجمته ضمن المترجمين لديه في " ميزان الاعتدال " وقد ترجم فيه

---

(١) الزركشي . عقود الجمان ق ٢٣٤أ .
(٢) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٣ ص ١١١ .
(٣) الوارد في الصفدي (الوافي بالوفيات ج ٢٢ ص ٢٨٠) ، وهو المصدر المباشر لابن شاكر الكتبي في ترجمة ابن ماكولا : " ... قال ابن الجوزي : سمعت شيخنا عبد الوهاب يقدح فيه ويقول : العلم يحتاج إلى دين " . مما يشير إلى اخلال " ابن شاكر " في النقل عنه .
(٤) ابن الجوزي . المنتظم ج ٩ ص ٧٩ .
(٥) ياقوت . معجم الأدباء ج ١٥ ص ١٠٤ .
(٦) الذهبي . تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٢٠٦ .

" لمن تُكلِّم فيه مع ثقته وجلالته بأدنى لين وبأقل تجريح ". (١)

وهكذا ، تؤكد الشواهد على أن " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ لم يطلع اطلاعاً مباشراً على مادة " المنتظم " لابن الجوزى ، وإنما هو مطلع على ما صادفه منسوباً إلى ابن الجوزى في " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبى ، مما باعد بينه وبين المصدر الرئيس ، فانزلق في بعض الهنات .

(١) الذهبى . ميزان الاعتدال ج ١ ص٢ .

* شرف الدين ، ابن زرقالة (1) ، المعروف بشيخ الشيوخ (ت ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) صاحب كتاب " تذكار الواجد بأخبار الوالد " (2) :

أسند إليه " الزركشي " — مؤرخنا — في ثلاثة مواضع من ترجمات " عقود " ، وهي : ترجمته له (3) ، وترجمة والده " محمد بن عبد المحسن " (4) ، المعروف بالقاضي السعيد ، وترجمة " الحسن بن علي بن نصر بن عقيل " (5) ، المعروف بالهمام الواسطي .

وهو من المصادر المرجح اطلاع " الزركشي " عليها اطلاعاً مباشراً ، لانفراده بإيراد الكثير من الشواهد الشعرية المنسوبة إليه من خلال تلك الترجمات ، مما لا وجود له فيما تحت يدي من مصادر ترجماتهم .

---

(1) هو " شرف الدين ، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن بن محمد بن منصور بن خلف ، الأوسي ، الحموي ، الدمشقي " .
له ترجمة في : الذهبي . العبر ج ٥ ص ٦٨ ٢ ، ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٥٤ — ٣٦٣ تر ٢٨٩ ، السبكي . طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ١٠٨ ، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٤١٧ — ٤١٨ تر ١٤٣٧ ، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٢٤ أ — ٢٢٦ أ ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢١٤ — ٢١٥ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٠٩ .

(2) أشار " حاجي خليفة " (كشف الظنون ج ١ ص ٣٨٣) إلى أنه مؤلف ذكر فيه والده ، وشيوخ والده ، ورحلته .

(3) الزركشي . عقود الجمان ق ١٨٣ ب — ١٩١ أ .

(4) نفسه ق ٢٥٢ ب — ٢٥٥ ب .

(5) نفسه ق ١٩٤ أ — ١٩٥ أ .

* ياقوت الحموي (١) (ت ٦٢٦ هـ ٠ / ١٢٢٩م ٠) صاحب كتاب

" إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب " (٢) :

وهو من المصادر التي لم يطلع "الزركشي " ـ مؤرخنا ـ على مادتها

(١) هو " شهاب الدين ، أبو عبد الله ، ياقوت بن عبد الله ، الرومي ، الحموي " ٠

له ترجمة في : ابن المستوفي ٠ تاريخ اربل ج ١ ص ٣١٩ ـ ٣٢٤ تر ٢٢٣ ، المنذري ٠ التكملة لوفيات النقلة ج ٣ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ تر ٢٢٥٦ ، ابن خلكان ٠ وفيات الأعيان ج ٦ ص ١٢٧ ـ ١٣٩ تر ٧٩٠ ، الذهبي ٠ سير أعلام النبلاء ج ٢٢ ص ٣١٢ ـ ٣١٣ تر ١٨٨ ، العبر ج ٥ ص ١٠٦ ـ ١٠٧ ، الدمياطي ٠ المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص ٤٢٦ ـ ٤٢٨ تر ١٩٦ ، اليافعي ٠ مرآة الجنان ج ٤ ص ٥٩ ـ ٦٠ ، ابن حجر ٠ لسان الميزان ج ٦ ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ تر ٣ ٨٤٣ ، ابن تغري بردي ٠ النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٨٧ ، ابن العماد الحنبلي ٠ شذرات الذهب ج ٥ ص ١٢١ ـ ١٢٢ ٠

(٢) طبع باسم " معجم الأدباء " ، وقد أشار مؤلفه في مقدمته (ج ١ ص ٤٨ ـ ٥٠) إلى محتواه ومنهجه فيه ، قائلاً :

" ٠٠٠ وجمعت في هذا الكتاب ما وقع إليّ من أخبار النحويين ، واللغويين ، والنسابين ، والقراء المشهورين ، والإخباريين ، والمورخين ، والوراقين المعروفين ، والكتاب المشهورين ، وأصحاب الرسائل المدونة ، وأرباب الخطوط المنسوبة والمعينة ، وكل من صنف في الأدب تصنيفاً ، أو جمع في فنه تأليفاً ، مع إيثار الاختصار والإعجاز في نهاية الإيجاز ، ولم آل جهداً في إثبات الوفيات ، وتبيين المواليد والأوقات ، وذكر تصانيفهم ومستحسن أخبارهم ، والإخبار بشأنهم ، وشيء من أشعارهم ، فأما من لقيته أو لقيت من لقيه ، فأورد ذلك من أخباره وحقائق أموره ، مالا أترك لك بعده تشوقاً إلى شيء من خبره ، وأما من تقدم زمانه ، وبعد أوانه ، فأورد من خبره ما أدت الاستطاعة إليه ، ووقفني النقل عنه ، في ترددي إلى البلاد ، ومخالطتي للعباد ، وحذفت الأسانيد إلا ما قل رجاله ، وقرب مناله ، مع الاستطاعة لإثباتها سماعاً وإجازةً ، إلا أنني قصدت صغر الحجم ، وكبر النفع ، وأثبت مواضع نقلي ومواطن أخذي من كتب العلماء المعول في هذا الشأن عليهم ، والمرجوع في صحة النقل إليهم " ٠

وهكذا فإنه من المصادر الهامة لدارسي الحركة الفكرية في العصور الإسلامية حتى وقته ٠

اطلاعاً مباشراً ، وإن أسند إليه فى ثمانية مواضع من ترجمات(١) " عقود " ، ناقلاً ما أُسْنِدَ إليه " عن " الفوات " لابن شاكر الكتبى .

ومن الأمثلة الدالة على ذلك ، قوله مترجماً " لتوفيق الطرابلسى " :

" توفيق بن محمد بن الحسين النحوى الطرابلسى ؛ كان جده الحسين ابن محمد بن زريق يتولى الثغور من قِبَل الطائع ،وولد توفيق بطرابلس ، وسكن دمشق ،وكان أديباً فاضلاً شاعراً .

قال ياقوت : وكان يتهم بقلة الدين والميل إلى مذهب الأوائل ، توفى فى صفر سنة ست عشرة وخمسمائة ،ودفن بمقبرة باب الفراديس ،وكان نحوياً ، أقرأ العربية ،وله معرفة بالحساب والهندسة .

ومن شعره :

وَجُلَّنَارٍ كَأَعْرَافِ الدُّيُوكِ عَلَى	خُضْرٍ تَمِيسُ كَأَذْنَابِ الطَّوَاوِيسِ
مِثْلِ الْعَرُوسِ تَحَلَّتْ يَوْمَ زِينَتِهَا	حُمْرَ الحلى عَلَى خُضْرِ الْمَلَابِسِ
فى مَجْلِسٍ بعثتْ أَيْدِى السُّرُورِ بِهِ	لَدَى عَرِيشٍ يُحَاكِى عَرْشَ بَلْقِيسِ
سَقَى الْحَيَا أَرْبُعاً تَحْيَا النُّفُوسُ بِهَا	ما بَيْنَ مُقْرى إِلَى بَابِ الْفَرَادِيسِ.(٢)

ويقابله لدى ابن شاكر الكتبى فى " الفوات " قوله :

" توفيق بن محمد بن الحسين النحوى الطرابلسى ؛كان جده الحسين بن محمد بن زريق يتولى الثغور من قبل الطائع ، وولد توفيق بطرابلس ، وسكن دمشق ، وكان أديباً فاضلاً شاعراً .

قال ياقوت : وكان يتهم بقلة الدين والميل إلى مذهب الأوائل ،توفى

---

(١) هى بحسب ترتيبه ترجمات كل من :
- توفيق بن محمد بن الحسين الطرابلسى (ق ٨١ ب) .
- جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب (ق ٨٥) .
- الحسن بن محمد السهواجى (ق ٩٨) .
- طلحة بن محمد بن طلحة النعمانى (ق ١٤٠ ب ـ ١٤١أ) .
- عمر بن أحمد بن هبة الله ،ابن العديم (ق ٢٣٧ ب ـ ٢٣٨ ب) .
- كامل بن الفتح بن ثابت البادرائى (ق ١٤٩أ) .
- محمد بن حمد بن فورجة (ق ٢٧٥) .
- محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله ،ابن النجار (ق ٣٠٦ ب ـ ٣٠٧أ) .

(٢) نفسه ق ٨١ ب .

فى صفر سنة ست عشرة وخمسمائة ، ودفن بمقبرة باب الفراديس ، وكان نحوياً ، أقرأ العربية ، وله معرفة بالحساب والهندسة .

ومن شعره ، رحمه الله تعالى :

وجلنـــار كأعراف الديـــوك علـــى ....

.... ما بين مقرى إلى باب الفراديس" (١)

وبالمقابلة بين النصين نجد أن " الزركشى " قد أخذ مادة ترجمتـــه فى هذا الموضع عن " الفوات " ، محافظاً على النسقين الترتيبى والتعبيرى لـه ، بل يكاد النصان يتطابقان ، لولا إسقاطه مقولـة الترحم : " رحمه اللـــه تعالى " ، وهى إسقاطة غير ذات بال .

ويؤكد على ذلك :

أولاً ــ اختلاف النسق الترتيبى لترجمة " توفيق الطرابلسى " لـــدى " ياقوت " عن المثبت لديهما ، حيث أتى عنصر الوفاة لديه تلو الشاهـــد الشعرى ، آخر الترجمة (٢) ، بينما توسط الترجمة لديهمـا .

ثانياً ــ اتفاقهما فى ايراد اسم المترجم له ثلاثياً ، ووروده لدى "ياقوت" سداسياً ، على النحو التالى :

" محمد بن الحسين بن عبيد الله بن محمد بن زريق " .

ثالثاً ــ اغفالهما ذكر كنية المترجم له " أبو محمد " ، وهى مصرح بهـــا لدى " ياقوت " .

رابعاً ــ اشتراكهما فى الخطأ فى تعيين الجد المتولى أمر " الثغـــور " من قبل الخليفة ، فهو لديهما " الحسين بن (عبيد الله بن) محمـــد " ، الجد القريب ، والمصرح به لدى ياقوت " محمد بن زريق " ، الجد الأعلى .

خامساً ــ لم يشر ياقوت إلى أن المترجم له " أقرأ العربية ، وله معرفـــة بالحساب والهندسة " .

---

(١) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ١ ص ٢٦٥ ــ ٢٦٦ تر ٩٢ .

(٢) راجع : ياقوت . معجم الأدباء ج ٧ ص ١٣٨ ــ ١٣٩ تر ٢٨ .

* ابن نقطة (١) (ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١م) :

أسند إليه " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ في موضع واحد من ترجمات "عقود" ، من خلال ترجمته لابن الحباب ، المعروف " بالقاضي الجليس " ، قائلاً :

" ... قال ابن نقطة : سُمي الجليس لأنه كان يعلم الظافر وأخوته ـ أولاد الحافظ ـ القرآن الكريم والأدب ، وكانت عاداتهم يسمون مؤدبهم الجليس " . (٢)

وهو قول مطابق وقول " ابن شاكر الكتبي " في " الفوات " :

" ... قال ابن نقطة : سمي الجليس لأنه كان يعلم الظافر وأخوته ـ أولاد الحافظ ـ القرآن ـ الكريم ـ والأدب ، وكانت عاداتهم يسمون مؤدبهم الجليس " . (٣)

---

(١) هو " معين الدين ، أبو بكر ، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع بن أبي نصر بن عبد الله البغدادي ، الحنبلي " .
عالم مشارك في الحديث والأنساب والتاريخ ؛ له رحلة إلى خراسان وبلاد الجبال والجزيرة والشام ومصر والحجاز ، وفيه يقول الذهبي :
" ... كان ثقة ، حسن القراءة ، جيد الكتابة ، متثبتاً فيما يقوله ، له سمت ووقار ، وفيه ورع وصلاح وعفة وقناعة " .
من مؤلفاته : " الاستدراك " ، ذيل به على الإكمال لابن ماكولا ، منه مخط . بدار الكتب المصرية (١٠ ـ مصطلح حديث) ، والظاهرية بدمشق (٤٢٩ ـ حديث) ، والمتحف البريطاني (٤٥٨٦ ـ شرقي) . و " الأنساب " ـ لم يُكشف بعد عن مظان وجوده ، ولعل النقل المنسوب إليه أعلاه عنه ـ و " التقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد " ، نشر في الهند في قسمين ، فيما بين سنتي ٨٣ ـ ١٩٨٤م .
له ترجمة في : ابن المستوفي . تاريخ اربل ج ١ ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ تر ١٤٧ ، المنذري . التكملة لوفيات النقلة ج ٣ ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ تر ٢٣٧٤ ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣ تر ٦٦٠ ، الذهبي . تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤١٢ ـ ١٤١٣ تر ١١٣٣ ، سير أعلام النبلاء ج ٢٢ ص ٣٤٧ ـ ٣٤٩ تر ٢١٦ ، العبر ج ٥ ص ١١٧ ، المشتبه ج ٢ ص ٦٧١ ، الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٣ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ تر ١٣٠٨ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٤ ص ٦٨ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٣٣ ، ابن رجب . ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ١٨٢ ـ ١٨٤ تر ٣٠١ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٧٩ ، السيوطي . طبقات الحفاظ ص ٤٩٦ ـ ٤٩٧ تر ١١٠٢ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٥ ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .

(٢) الزركشي . عقود الجمان ق ١٧٨ أ .

(٣) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٣٢ .

* ابن المستوفى (١) (ت ٦٣٧ هـ . / ١٢٣٩م .) صاحب كتاب " تاريخ إرْبِل " (٢) :

وهو من المصادر التى لم يطلع " الزركشى " - مؤرخنا - على مادتها اطلاعاً مباشراً ، وإن أسند إليه فى موضعين من ترجمات " عقوده " ، ناقلاً فى أولهما ما أُسْنِدَ إلى ابن المستوفى عن " ابن خلكان " ، وفى ثانيهما عن " الصلاح الصفدى " .

أما الموضع الأول ، فقد ورد فى ترجمة " قاضى السلامية " الواردة لديه على النحو التالى :

" إبراهيم بن نصر بن عسكر الملقب ظهير الدين ، الفقيه الشافعى الموصلى ؛ ذكره أبو البركات ابن المستوفى فى تاريخ إربل وأثنى عليه ، وأورد له مقاطيع عديدة ومكاتبات جرت بينهما ، وكذلك أثنى عليه العماد الكاتب فى الخريدة ؛ ومن نظمه :

---

(١) هو " شرف الدين ، أبو البركات ، مبارك بن أحمد بن مبارك بن موهوب بن غنيمة بن غالب اللخمى ، الأربلى " .
كان إماماً مشاركاً فى علوم كثيرة ، منها : الحديث ، والرجال ، والتاريخ ، والأدب ، والحساب .
له ترجمة فى : المنذرى . التكملة لوفيات النقلة ج ٣ ص ٥٢٢ تر ٢٩٠٨ ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٤٧ - ١٥٢ تر ٥٥٤ ، الذهبى . سير أعلام النبلاء ج ٢٣ ص ٤٩ - ٥٣ تر ٣٥ ، العبر ج ٥ ص ١٥٥ - ١٥٦ ، اليافعى . مرآة الجنان ج ٤ ص ٩٥ - ٩٧ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٣٩ ، ابن دقماق . نزهة الأنام (مخط . باريس) ق ٤٠ ب - ٤٢ أ ، ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣١٨ ، السيوطى . بغية الوعاة ج ٢ ص ٢٧٢ تر ١٩٦٢ ، ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب ج ٥ ص ١٨٦ - ١٨٧ .

(٢) هو " نزهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل " ، نشر " سامى الصفار " القطعة المتبقية منه ، وتحتوى على خمس وثلاثين وثلاثمائة (٣٣٥) ترجمة ، ولا وجود فيها للترجمتين المسند فيهما إلى ابن المستوفى " لدى " الزركشى " .

لا تشبهوني يا ثقاتي إلى ... غدرٍ ، فليس الغدرُ من شيمتي
أقسمتُ بالذاهب من عيشنا ... وبالمسرات التي وَلّت
أني على عهدكم لم أحل ... وعُقدةُ الميثاقِ ما حُلّت

وقوله :

جُودُ الكريمِ إذا ما كان عن عِدَةٍ ... وقد تأخّر لم يَسلمْ من الكَدَرِ
إن السحائبَ لا تُجدى بوارقُها ... نفعاً إذا هي لم تمطرْ على الأثرِ
وماطلُ الوعدِ مذمومٌ وإن سَمَحَتْ ... يداه من بعدِ طول المَطلِ بالبِدَرِ
يا دوحةَ الجودِ لا عَتْبٌ على رجُلٍ ... يهُزُّها وهْوَ محتاجٌ إلى الثمرِ

وقوله :

أقولُ له صِلْني فيصرفُ وجهَهُ ... كأنّيَ أدعوهُ لفعلٍ محرّمِ
فإن كان خوفَ الإثم يكرهُ وصلَتي ... فمن أعظم الآثام قَتْلُهُ مُسْلِم ". (١)

ويقابله قول " ابن خلكان " في وفيات الأعيان :

" أبو إسحاق ، إبراهيم بن نَصْر بن عسكر ، الملقب ظهير الدين ، قاضي السّلاّمية ، الفقيه الشافعي المَوْصِلي ؛ ... غلب عليه النظم ، ونظمه رائق .

فمن شعره :

لا تشبهوني يا ثقاتي إلى ... .
.... وعُقدةُ الميثاق ما حُلّت

ومن شعره أيضاً :

جُودُ الكريمِ إذا ما كان عن عِدَةٍ ... .
.... يهُزُّها وهْوَ محتاجٌ إلى الثمرِ

... ذكره أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربِل ، وأثنى عليه ، وأورد له مقاطيع عديدة ومكاتبات جرت بينهما . وذكره العماد الكاتب في الخريدة ، فقال : شاب فاضل ، ومن شعره قوله :

أقولُ له صِلْني فيصرفُ وجهَهُ ... .
.... فمن أعظم الآثام قتلةُ مُسْلم

توفي يوم الخميس ، ثالث شهر ربيع الآخر سنة عشر وستمائة بالسّلاّمية ، رحمه الله تعالى ... " (٢)

---

(١) الزركشي . عقود الجمان ق ٧ أ .
(٢) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧ ــ ٣٨ تر ٨ .

وهكذا تظهر المقابلة بين النصين اعتماد " الزركشي " اعتماداً كلياً على " وفيات الأعيان " لابن خلكان في بناء ترجمته تلك ،التي انتقاها انتقاء من مادتها ،مغفلاً التصريح بمصدره القريب فيها ،مكتفياً في ذلك بالاسناد إلى مصدري مصدره .

أما الموضع الثاني ،فقد جاء في ترجمة " سليمان بن بنيمان بن أبي الجيش الإربيلي " على النحو التالي :

" ... ذكره أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل ؛ وتوفي سنة ست وثمانين وستمائة،وله تسعون سنة أو أزيد " . (١)

ويقابله لدى " الصفدي " قوله في " الوافي " :

" ... ذكره أبو البركات مستوفي إربل في تاريخه ،وتوفي سنة ست وثمانين وستمائة،وله تسعون سنة أو أزيد " . (٢)

ولا يخفى التشابه الكبير بين التعبيرين ،وإن أُختلف في رسم اسم صاحب المصدر المسند إليه ، مما يشير إلى أخذ " الزركشي " هذا العنصر عن " الوافي " ، وعدم اطلاعه اطلاعاً مباشراً على تاريخ إربل .

ويزيد ذلك توكيداً أن سائر عناصر " ترجمة ابن بنيمان " منقولة لديه عن " الوافي " — كذلك — مع الحفاظ على النسقين الترتيبي والتعبيري للمصدر القريب المنقول لديه عنه .

---

(١) الزركشي . عقود الجمان ق ١٢٤ أ .

(٢) الصفدي . الوافي بالوفيات ج ١٥ ص ٣٥٦ .

* ابن النجار (١) (ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥م) صاحب كتاب " التاريخ المجدد لمدينة السلام وأخبار فضلائها الأعلام ومن وردها من علماء الأنام " (٢) ، المعروف " بذيل تاريخ بغداد " :

---

(١) هو " محب الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن بن هبة الله البغدادي " .

عالم موسوعي ، مشارك في الأدب ، والنحو ، والحديث ، والقراءات ، والأنساب ، والتاريخ ، والطب .. ارتحل عن بغداد طلباً للعلم سبعاً وعشرين سنة ، وبلغت مشيخته ثلاثة آلاف شيخ وأربعمائة امرأة . وفيه يقول ياقوت :

" ... كان إماماً حجة ، ثقة ، حافظاً ، مقرئاً ، أديباً ، عارفاً بالتاريخ وعلوم الأدب ، حسن الإلقاء والمحاضرات ، وكان له شعر حسن ، وله التصانيف الممتعة " .

راجع في ترجمته : ياقوت . معجم الأدباء ج ١٩ ص ٤٩ ـ ٥١ تر ١٣ ، الذهبي . تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٢٨ ـ ١٤٢٩ تر ١١٤٠ ، سير أعلام النبلاء ج ٢٣ ص ١٣١ ـ ١٣٤ تر ٩٨ ، العبر ج ٥ ص ١٨٠ ، ابن الدمياطي . المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص ٧٥ ـ ٧٦ ، ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٣ ص ٣٦ ـ ٣٧ تر ٤٩٤ ، الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٥ ص ٩ ـ ١١ تر ١٩٦٣ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٤ ص ١١١ ، السبكي . طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ٤١ ، الاسنوي . طبقات الشافعية ج ٢ ص ٥٠٢ ـ ٥٠٣ تر ١١٩٩ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٦٩ ، الغساني . العسجد المسبوك ص ٥٣٩ ـ ٥٤٠ ، ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ج ٢ ص ١٥٦ ـ ١٥٨ تر ٤٢٤ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٥٥ ، السيوطي . طبقات الحفاظ ص ٤٩٩ تر ١١٠٨ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

(٢) وردت تسميته بهذا الاسم لدى ابن الشعار (مخط . عقود الجمان ج ٦ ص ٢١٨) فيما ذكره د . بشار عواد معروف في مقدمة تحقيقه لذيل تاريخ مدينة السلام لابن الدبيثي ج ١ ص ٢٠ .

وهو ذيل على تاريخ الخطيب البغدادي ، مع استدراك عليه ، ترجم فيه " ابن النجار " لمن كان في بغداد أو وردها وقدرت وفاته في الفترة ما بين سنتي ٤٦٣ هـ (السنة التي مات فيها الخطيب) ، و ٦٤٣ هـ (سنة وفاته هو) ، مرتباً لتراجمه على حروف المعجم ، مع تقديم المحمدين ، مفرداً الكنى وتراجمات النساء ببابين مستقلين ختم بهما الكتاب .

ترجمه (١) " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ مسنداً إليه في نحو خمسة عشر موضعاً من ترجمات " عقوده " ،ناقلاً اثني عشر موضعاً (٢) منها عن " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبي ،دون تصريح بمصدره القريب فيها ؛ ومن الأمثلة الموضحة لذلك قوله مترجماً " لسداد بن إبراهيم الجزري " :

" سداد بن إبراهيم ،أبو النجيب الجزري الملقب بالظاهر ؛ شاعر مدح المهلبي وزير معز الدولة ، ومدح عضد الدولة ،وكانت وفاته في حدود الأربعمائة . روى عنه علي بن المحسن التنوخي .

قال ابن النجار : رأيت اسمه بالسين بخط أبي الحسين هلال بن

= ومع أهمية هذا المؤلف ،المنعكسة على كتابات من أتى بعده من المؤرخين الناقلين عنه ،كالذهبي ،والصفدي ، واليافعي ،والسبكي ، وابن رجب الحنبلي ،وابن حجر العسقلاني ... فإنه لم يصلنا منه ـ حتى الآن ـ إلا النذر اليسير ، المتمثل في المجلدين العاشر (مخط . الظاهرية ،رقم : ٤٢ ـ تاريخ) ، والحادي عشر (مخط الأهلية ـ باريس ،رقم : ٢١٣١) ،وبعض أوراق من مجموع محفوظ في مكتبة جامعة برستون، تحت رقم (٣٥١٨ يهودا) ، وهي أصول طبعة الهند الصادرة فيما بين عامي (٧٨ ـ ١٩٨٢م) في ثلاثة أجزاء ، والمحتوية على قسم من حرف العين .

بالإضافة إلى (٢١٤ ترجمة) انتقى مادتها عنه ابن الدمياطي في مؤلفه " المستفاد من ذيل تاريخ بغداد " .

راجع : نشرة محمد مولود خلف . بيروت ،الرسالة ،ط١، ١٩٨٦.

(١) الزركشي . عقود الجمان ق ٣٠٦ ب ـ ٣٠٧ أ .

(٢) وردت في ترجمات كل من :

* إبراهيم بن كيغلغ ، أبي إسحاق (ق ١٨ ب ـ ١٩ أ) .
* أحمد بن جعفر بن أحمد بن محمد الدبيثي (ق ٢٦ ب ـ ٢٧ أ) .
* الحسن بن المبارك بن محمد بن الخل (ق ٩٧ ب ـ ٩٨ أ) .
* سداد بن إبراهيم الجزري (ق ١٢١ أ) .
* عبد الله بن محمد ، المقتدي بأمر الله (ق ١٥٤ أ) .
* عبد الرحيم بن أحمد بن محمد ،ابن الإخوة (ق ١٧٢ ب) .
* عثمان بن خمارتاش بن عبد الله الهيتي (ق ٢٠٦ أ) .
* محمد بن الخضر بن الحسن بن القاسم ،السابق المصري (ق ٢٧٦ أ) .
* محمد بن علي بن محمد الدينوري ،القصار (ق ٢٩٤ ب) .
* محمد بن علي بن محمد بن المطلب الكرماني (ق ٢٩٥ أ) .
* محمد بن علي ، المهذب ابن الخيمي (ق ٢٩٧ أ ـ ٢٩٨ ب) .
* نصر بن الفتح بن أبي المعمر الحلي (ق ٣٣٦ ب ـ ٣٣٧ أ) .

المحسن بن الصابى ، وأورد له :

قلتُ للقلبِ : ما دهاك أبِنْ لى … قال (لى) بائع الفراني فراني
ناظراهُ فيما جَنَتْ ناظراهُ … أو دعاني أمت بما أودعاني

وأورد له :

أفسدتُم نظرى علىّ فما أرى … مذ غبتمُ حسناً إلى أن تقدموا
فدعوا غرامى ليس يمكن أن ترى … عين الرّضى والسخط أحسن منكم

وأورد له :

أرى جيلَ التصوّفِ شرّ جيلٍ … فقلْ لهمُ وأهْوِنْ بالحلول
أقالَ اللهُ حين عشقتُموهُ … كلوا أكلَ البهائم وارقصوا لى "(١).

ويقابله لدى ابن شاكر الكتبى فى " الفوات " قوله :

" سداد بن إبراهيم ،أبو النجيب الجزرى الملقب بالظاهر ، شاعر مدح المهلبى وزير معز الدولة ، ومدح عضد الدولة ،وكانت وفاته فى حدود الأربعمائة . روى عنه على بن المحسن التنوخى .

قال محب الدين ابن النجار : رأيت اسمه بالسين بخط أبى الحسين هلال بن المحسن بن الصابى ،وأورد له :

قلتُ للقلبِ ما دهاك أبِنْ لى … ....
.... … أو دعاني أمت بما أودعاني

وأورد له :

أفسدتُم نظرى علىّ فما أرى … ....
.... … عين الرّضى والسخط أحسن منكم

وأورد له :

أرى جيلَ التصوّفِ شرّ جيلٍ … ....
.... … كلوا أكلَ البهائمِ وارقصوا لى "(٢)

وباستثناء اسقاط مؤرخنا لقولي مصدره :" محب الدين " ،و " لى " التى لعلها سهو قلم ــ فالنصان متطابقان ترتيباً وتعبيراً ،مما يشير إلى

---

(١) المصدر السابق ق ١٢١أ .

(٢) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٢ ص ٤٥ تر ١٦٣ .

عدم اطلاع مباشر منه فى هذا الموضع وما شاكله على مادة " التاريخ المجدد" لابن النجار ، وأخذه مادة ما اسند إليه فى الاثنى عشر موضعاً المشار إليها عن " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبى .

أما المواضع الثلاثة (١) الأخرى ، فالمرجح اطلاعه فيها على مادة الكتاب الرئيس (التاريخ المجدد) ، استناداً إلى الآتى :

أ ـ انفراده فى الموضع الأول منها ، المترجم فيه لملك النحاة باسناد عنصرى الوفاة والآثار التأليفية للمترجم له إلى ابن النجار ، وهما منسوبان لدى " ابن القفطى " فى " إنباه الرواة " (٢) إلى ابن عساكر ، ولا يغرب أن يكون ابنا " القفطى " و " النجار " قد نقلا مادة هذين العنصرين عن " ابن عساكر " بوجه من وجوه النقل والتحمل .

ب ـ انفراده فى الموضع الثانى ، المترجم فيه للأبيوردى بالتنبيه على ترجمة ابن النجار له فى موضعين ، وأن معتمده فيهما على " أبى طاهر السلفى " ، بل وانفراده ـ كذلك ـ بايراد عبارة السلفى ـ المسجوعة ، المنقولة عن ابن النجار :

" ... قال أبو طاهر السلفى بعد كلام طويل فى ترجمته : كان فى زمانه دُرّةَ وشاحِه ، وغُرّةَ أوضاحِه ، أخذ برقاب القوافى ، وملكَ رق المعانى ، فجاء نظمه كالماء إذا رق ، ونثره كالسحر إذا دق ، فلله دَرُّه حين ينساب من فيه دُرُّه وينظم مالا يَمَل ... وعظمه أبو طاهر تعظيماً بليغاً فيما نقله ابن النجار فى تاريخ بغداد عنه " . (٣)

وإن ورد شطر من هذه العبارة لدى " الذهبى " (٤) منسوباً إلى أبى طاهر السلفى ، دون تصريح بنقل ابن النجار عنه .

---

(١) ورد ذلك فى ترجمات كل من :
* الحسن بن صافى ، ملك النحاة (ق ١٠٦ ب) .
* محمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق الأبيوردى (ق ٢٨٢ب ـ ٢٨٣أ) .
* محمد بن عبد الرحمن بن مسعود المسعودى (ق ٢٨٥ب هامش).

(٢) ابن القفطى . إنباه الرواة ج ١ ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤ .

(٣) الزركشى . عقود الجمان ق ٢٨٢ ب .

(٤) الذهبى . سير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٢٨٩ .

جـ ـ انفراده في الموضع الثالث ، المترجم فيه للمسعودي بالكشف عن مصدر " ابن النجار " في ترجمته له ،على النحو الوارد في قوله : " ... قال ابن النجار : وذكره ابن عساكر في تاريخه ، ومن شعره ... " (١)

ولا تصريح بذلك لدى " ابن الدمياطي " في المستفاد (٢) وإن تفوق على " العقود " في استيعاب عناصر ترجمة المسعودي نقلاً عن ابن النجار .

ولا تعارض بين الإكثار في نقل " الزركشي " عن " الفوات " والإقلال في نقله عن المصدر الرئيس (التاريخ المجدد) ،أو الجمع في النقل عنهما ، فالكتاب الرئيس ـ فيما يرجح كذلك ـ كانت نسخته المحفوظة في القاهرة قد انخرمت مادتها في غير موضع بضياع بعض مجلداتها أو أجزائها ، على النحو المفصح عنه في قول السخاوي :

" ... كان سبعة عشر مجلداً (أو خمسة عشر مجلداً (٣)) بخط الجمال ابن الظاهري ، في الأوقاف التي بجامع الحاكم ،وفُقِدَ (٤) بعضه ." (٥)

وفضلاً عن ذلك ،فإن " الزركشي " قد اعتاد في بناء الكثير من ترجمات " عقوده " الجمع بين المصدر القريب والمصدر الرئيس ، بل والاكتفاء ـ غالباً ـ بالنقل عن المصدر القريب ، مع اطلاعه على المصدر الرئيس ومعرفته بمادته .

---

(١) الزركشي . عقود الجمان ق ٢٨٥ ب .

(٢) ابن الدمياطي . المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص ١٠٤ـ١٠٦ تر ١٦ .

(٣) السخاوي . الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٢٠٩ .

(٤) نفسه ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ ،حيث حصر المفقود منه ـ آنذاك ـ بقوله : " ... فالحاصل أن المفقود : الخامس ، وبعض السادس،وجميع العاشر ، وبعض الحادي عشر " .

(٥) نفسه ص ٢٤١ .

* ابن القفطي (١) (ت ٦٤٦ هـ . / ١٢٤٨م .) صاحب كتاب " إنباه الرواة على أنباه النحاة " :

وهو من المصادر التي اطلع " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ على مادتها اطلاعاً مباشراً ، وأدلى برأيه فيها ، كما يوضحه قوله مترجماً له :

" ... وفي تاريخ النحاة ، رأيته يأتي إلى ترجمة بعض الفضلاء فيحط عليه من غير معرفة بفضله " . (٢)

وإن كانت الإفادة لديه منه محدودة بما زاده في ترجمة " ابن فورجة " ، معقباً على ما سبق أن أورده فيها عن " الفوات " لابن شاكر الكتبي (٣)، بقوله :

" ... واعلم أن الصواب في اسمه : محمد بن محمد بن فُورَّجة ، وهكذا ذكره الوزير القفطي في تاريخ النحويين ، وقال : قصد أبا العلاء المعري ، وأخذ عنه الأدب ، وهو صاحب الكتابين في شعر المتنبي . قال : وكان حياً بالري

---

(١) هو " جمال الدين ، أبو الحسن ، علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد بن موسى بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن محمد بن ربيعة بن الحارث بن قريش " .

له ترجمة في : ياقوت . معجم الأدباء ج ١٥ ص ١٧٥ ـ ٢٠٤ تر ٣٤ ، ابن العبري . تاريخ مختصر الدول ص ٢٧٢ ، الادفوي . الطالع السعيد ص ٤٣٦ ـ ٤٣٨ تر ٣٣٤ ، الذهبي . سير أعلام النبلاء ج ٢٣ ص ٢٢٧ تر ١٤٥ ، العبر ج ٥ ص ١١٩ ، ابن شاكر الكتبي . عيون التواريخ ج ٢٠ ص ٢٦ ـ ٢٧ ، فوات الوفيات ج ٣ ص ١١٧ ـ ١١٨ تر ٣٦٩ ، الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٢٢ ص ٣٣٨ ـ ٣٤١ تر ٢٤١ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٤ ص ١١٦ ، الغساني . العسجد المسبوك ص ٥٦٧ ، الزركشي . عقود الجمان ق ٢٣٥ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٦١ ، السيوطي . بغية الوعاة ج ٢ ص ٢١٢ ـ ٢١٣ تر ١٨١٦ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٥٤ تر ١٢ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٣٦ .

(٢) الزركشي . عقود الجمان ق ١٢٣٥ .

(٣) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٣ ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥ تر ٤٤٥ .

سنة أربع وأربعين وأربعمائة ". (١)

ويقابله لدى " القفطي " قوله :

" ... حَمْد بن محمد بن فُورَجَة البُرُوجِرْدِيّ ... رحل إلى أبي العلاء ابن سليمان بمعرة النعمان ، وأخذ عنه الأدب واللغة ، وتصدر لإفادة هذا الشأن ، وصنف الكتابين المشهورين في الرد على ابن جني في شرح شعر المتنبي ... وكان هذا الشيخ متصدراً للإفادة بالرّيّ في سنة أربعين وأربعمائة ". (٢)

وما نقله عنه في ترجمة " إسماعيل بن حماد الجوهري " مسنداً إلى " الباخرزي " في مؤلفه " فضل الأدباء من أهل العربية " . (٣)

---

(١) الزركشي . عقود الجمان ق ٢٧٥أ .
(٢) القفطي . إنباه الرواة ج ١ ص ٣٦٩ ــ ٣٧٠ .
(٣) راجع ص١٨٣ من هذا البحث .

* الشهاب القوصي (١) (ت ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥م) صاحب كتاب " تاج المعاجم " (٢) :

وهو من المصادر التي لم يطلع " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ على مادتها اطلاعاً مباشراً ، وإن أسند إليه في اثني عشر موضعاً (٣) من " عقوده " مصرحاً

---

(١) هو " شهاب الدين ، إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن بن المرجى ابن المؤمل بن محمد بن علي ، الأنصاري ، القوصي ، الشافعي " .
امتدحه مترجموه بالظرف وحسن المحاضرة والهيئة ، مشيرين إلى أنه كان بصيراً بالفقه ، أديباً ، أخبارياً ، حفظة للأشعار ، فصيحاً ، مفوهاً .
له ترجمة في : أبي شامة . الذيل على الروضتين ص ١٨٩ ، الأدفوي . الطالع السعيد ص ١٥٧ ـ ١٥٩ تر ٨٧ ، الذهبي . دول الإسلام ج ٢ ص ١٥٨ ، سير أعلام النبلاء ج ٢٣ ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ تر ١٩٥ ، العبر ج ٥ ص ٢١٤ ، المشتبه ص ٤٥٢ ـ ٤٥٣ ، ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٢٥ تر ٨٦٢ ، ابن شاكر الكتبي . عيون التواريخ ج ٢٠ ص ٨٢ ـ ٨٣ ، الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٩ ص ١٠٥ ـ ١٠٦ تر ٤٢١ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٤ ص ١٢٩ ، الاسنوي . طبقات الشافعية ج ٢ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦ تر ٦٥٨ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٨٦ ـ ١٨٧ ، الغساني . العسجد المسبوك ص ٦١٣ ، ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ج ٢ ص ١٢٩ ـ ١٣٠ تر ٤٠٤ ، ابن حجر العسقلاني . لسان الميزان ج ١ ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ تر ١٢٥٤ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٥ ، السيوطي . حسن المحاضرة ج ١ ص ٤١٤ ، النعيمي . الدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ .

(٢) صرح بهذه التسمية كل من : ابن سعيد المغربي (الغصون اليانعة ص ٢٥) ، والأدفوي (الطالع السعيد ص ١٥٨) .
وتشير المصادر (راجع مصادر الحاشية السابقة) إلى أنه معجم كبير للغاية ، يشتمل على أربع مجلدات ، ذكر فيها من لقيه من الشعراء والمحدثين أو تكلم عليه ، صنفه وهو في سجن قلعة بعلبك (بعد غضبة الصالح إسماعيل عليه) ، معتمداً في جمعه على " الإجازات " ، مما جعله محلاً لكثرة الأغلاط والأوهام والعجائب .

(٣) ورد ذلك في ترجمات كل من :
١ـ بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه ، الملك الأمجد (ق ٧٩ ب ـ ٨٠ ب) .

فى ترجمته له بالأخذ عنه ، كما جاء فى قوله : " ... وإنما ترجمت له لأنى أنقل عنه فى معجمه كثيراً " .(١) إذ ما نُسِبَ إلى "القوصى" لديه مما نقله عن " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبى .

ومن الأمثلة الموضحة لذلك قوله مترجماً لضياء الدين القناوى :

" شيث بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة القناوى ، النحوى اللغوى العروضى ، أبو الحسن ، ضياء الدين .

من مصنفاته : الإشارة فى تسهيل العبارة ، والمعتصر من المختصر ، وتهذيب (ذهن) الواعى فى إصلاح الرعية والراعى ؛ صنفه للملك صلاح الدين يوسف .

وكانت وفاته سنة تسع وتسعين وخمسمائة بعدما أضر .

قال شهاب الدين القوصى فى المعجم : أنشدنا ضياء الدين القناوى سنة تسعين وخمسمائة قصيدته اللغوية التى نظمها ووسمها باللؤلؤة المكنونة واليتيمة المصونة فى الأسماء المذكرة ، وهى :

وصفت الشعر من يفهم يخبّرنى بما يعلم

....

= ٢ ـ ثابت بن تاوان التفليسى الصوفى (ق ٨١ ب ـ ٨٢أ) .
٣ ـ جعفر بن أحمد العلوى (ق ٨٢ ب ـ ٨٣أ) .
٤ ـ جلدك بن عبدالله المظفرى التقوى (ق ٨٦) .
٥ ـ الحسن بن على بن نصر بن عقيل الواسطى (ق ١٩٤أ ـ ١٩٥أ) .
٦ ـ شيث بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة القناوى (ق ١٣٤ ب ـ ١٣٦أ) .
٧ ـ عبدالرحمن بن وهيب بن عبدالله القوصى (ق ١٧٠) .
٨ ـ على بن محمد بن الحسن بن يوسف بن يحيى ، كمال الدين ابن النبيه المصرى (ق ٢٢١ ب ـ ٢٢٣أ) .
٩ ـ على بن يحيى بن بطريق ، نجم الدين الحلى (ق ١٣٤أ) .
١٠ ـ عمر بن مظفر بن سعيد ، رشيد الدين الفهرى (ق ٢٤٣ب) .
١١ ـ محمد بن عبدالوهاب بن منصور ، الحرانى الحنبلى (ق ٢٢٣ ب) .
١٢ ـ محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، الملك المنصور صاحب حماه (ق ٣٠٣) .

(١) نفسه ق ١٧١أ .

وسرد القوصي في معجمه شرح غريب هذه القصيدة ،رحمه الله ". (١)

ويقابله قول ابن شاكر الكتبي في " الفوات " :

" شيث بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة القناوي النحوي ، اللغوي ، العروضي ، أبو الحسن ،ضياء الدين .

قال شهاب الدين القوصي : أنشدنا ضياء الدين القناوي سنة تسعين وخمسمائة قصيدته اللغوية التي نظمها ووسمها باللؤلؤة المكنونة واليتيمة المصونة في الأسماء المذكرة ، وهي :

وصفت الشعر من يفهم يخبّرني بما يعلم

....

وسرد القوصي في معجمه شرح هذه القصيدة عقيب كل بيت .

وتوفي ضياء الدين ـ المذكور ـ سنة تسع وتسعين وخمسمائة بعدما أضر رحمه الله . وله تصانيف في العربية منها كتاب الإشارة في تسهيل العبارة ، والمعتصر من المختصر ،وتهذيب ذهن الواعي في إصلاح الرعية والراعي ، صنفه للملك صلاح الدين يوسف بن أيوب ،رحمه الله وإيانا وجميع المسلمين ". (٢)

وهكذا نجده ، قد أخذ مادة ترجمته تلك عن " الفوات " محافظاً على النسق التعبيري لمصدره ـ قدر امكانه ـ وإن تصرف في نسقه الترتيبي .

---

(١) المصدر السابق ق ١٣٤ ب ـ ١٣٦ أ .

(٢) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٢ ص ١٠٨ ـ ١١١ .

■ سبط ابن الجوزي [1] (ت ٦٥٤ هـ . / ١٢٥٦م .) صاحب كتاب " مرآة الزمان في تاريخ الأعيان " :

ترجمه " الزركشي " - مؤرخنا - في " عقوده " [2] ، مسنداً إليه في موضع واحد منه ، وهو ترجمة " أبي منصور الديلمي " ، على النحو الوارد في قوله :

" أسبهذوست بن محمد بن الحسن بن شيرويه الديلمي ، أبو منصور الشاعر ؛ روى عن ابن الحجاج ديوانه ، وكان يسلك طريقته . قال سبط ابن الجوزي : كان يهجو الصحابة والناس ، ثم تاب وحسنت توبته ؛ ومن شعره :

وزائرة تزورُ بلا رقيبٍ | وتنزلُ بالفتى من غير حُبِّه
وما أحدٌ يحبُّ القربَ منها | ولا تحلو زيارتها بقلبه
تبيتُ بباطنِ الأحشاء منهُ | فيطلبُ بُعدَها من عظم كربه
وتمنعه لذيذ العيش حتى | تنغّصه بمأكله وشربه
أتتْ لزيارتي مِنْ غير وعدٍ | وكمْ من زائرٍ لا مرحبا به

(١) هو " شمس الدين ، أبو المظفر ، يوسف بن قزغلي بن عبد الله التركي " .
له ترجمة في : أبي شامة . الذيل على الروضتين ص ١٩٥ ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٤٢ ، اليونيني . ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٣٩ - ٤٢ ، الذهبي . سير أعلام النبلاء ج ٢٣ ص ٢٩٦ - ٢٩٧ تر ٢٠٣ ، العبر ج ٥ ص ٢٢٠ ، ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٤٧١ تر ٩٨٨٠ ، ابن شاكر الكتبي . عيون التواريخ ج ٢٠ ص ١٠٣ - ١٠٤ ، فوات الوفيات ج ٤ ص ٣٥٦ - ٣٥٧ تر ٥٩٢ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٤ ص ١٣٦ ، القرشي . الجواهر المضية ج ٣ ص ٦٣٣ - ٦٣٥ تر ١٨٥١ ، الغساني . العسجد المسبوك ص ٦٢٣ - ٦٢٤ ، ابن حجر . لسان الميزان ج ٦ ص ٣٢٨ تر ١١٦٨ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٩ ، ابن قطلوبغا . تاج التراجم ص ٨٣ تر ٢٥٦ ، النعيمي . الدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ٤٧٨ - ٤٨٠ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

(٢) الزركشي . عقود الجمان ق ٣٥٤ أ .

وقال فى أبى الفتوح الواعظ ، ولم يكن فى زمانه أحسن صورةً منه ولا أعذب لفظاً :

وواعظٍ تيمّنا وعْظُه ... فعُرفُه شيبَ بإنكارِ
ينهى عن الذنب والحافظُ ... تأمرُ بالذنب بإصرارِ
وما رأينا قبْلَهُ واعظاً ... مُكتسِبَ آثامٍ وأوزارِ
لسانُهُ يدعو إلى جنّةٍ ... ووجهه يدعو إلى نارِ

ومن شعره :

يا طالب التزويج إنّكَ بالذى ... تبْغيهِ منى جاهلٌ معذورُ
هل أبصرت عيناك صاحب زوجةٍ ... إلا حزيناً ماله سرورُ
لا تبغِ فى الدنيا نكاحاً لازماً ... وافعلْ بها ما يفعل الزنبورُ
أوما تراه حين يدركُ فرصةً ... يدنو ويَلْسَعُ لسعةً ويطيرُ

وفاته سنة تسع وستين وأربعمائة " . (١)

ويقابله لدى ابن شاكر الكتبى فى " الفوات " قوله :

" أسبهدوست بن محمد بن الحسن بن شيرويه الديلمى ، أبو منصور الشاعر ؛ روى عن ابن الحجاج ديوانه وكان يسلك طريقته . قال سبط ابن الجوزى : كان يهجو الصحابة والناس ، ثم تاب وحسنت توبته ؛ ومن شعره فى الحُمّى :

وزائرةٍ تزورُ بلا رقيبٍ ... .
.... وكم من زائرٍ لا مَرحباً به

وقال فى أبى الفتوح الواعظ ، ولم يكن فى زمانه أحسن صورةً منه ولا أعذب لفظاً :

وواعظ تيمّنى وعْظُهُ ... .
.... ووجهه يدعو إلى نارِ

ومن شعره أيضاً :

يا طالب التزويج إنّكَ بالذى ... .
.... يدنو ويَلْسَعُ لسعةً ويطيرُ

---

(١) المصدر السابق ق ٦٦ أ ــ ٦٧ ب .

وتوفى سنة تسع وستين وأربعمائة ، رحمه الله ـ تعالى ـ وإيانا ، بمنه وكرمه " . (١)

مما يشير إلى أخذه مادة ترجمته فى هذا الموضع عن " الفوات " وليس عن " المرآة " التى لم يطلع على مادتها اطلاعاً مباشراً ، إذ يتشابه النصان فى " العقود " و " الفوات " تنسيقاً ولغة ، تشابهاً يقترب بهما إلى حد التطابق ، وإن أسقط " الزركشى " قول مصدره : " ... فى الخُمْس " ، و " ... أيضاً " ، أو أبدل قول مصدره : " تيمنى " بـ " تيمنا " ، و " وتوفى سنة .... بمنه وكرمه " بـ " وفاته سنة تسع وستين وأربعمائة " ، وهى تعديلات طفيفة ، غير ذات بال .

---

(١) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ١ ص ١٦٢ ـ ١٦٣ تر ٦٢ .

• ابن الأبـار (1) (ت ٦٥٨ هـ • / ١٢٦٠م •) صاحب كتـاب " تحفـة القادم " (2) :

ترجمه " الزركشى " ـ مؤرخنا ـ فى " عقوده " (3) ، مسنداً إليـه

---

(١) هو " أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن أبى بكر بن عبد الله بـن عبد الرحمن بن أحمد بن أبى بكر القضاعى ، الأندلسى ، البلنسى " .
عالم مشارك فى الحديث ، والتاريخ والأدب (شعره ونثره) ، وفيه يقول الصلاح الصفدى :
" ... كان بصيراً بالرجال ، عارفاً بالتاريخ وإماماً فى العربيـة ، فقيها ، مقرئاً ، إخبارياً ، فصيحاً ، له يد فى البلاغة والإنشاء فـى النظم والنثر ، كامل الرياسة ، ذا جلالة وأبّهة وتجمل وافر " .
قتله " المستنصر ، أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الواحـد " ـ صاحب تونس ـ بعد أن نُقِمَ عليه خوض تاريخى نُسِبَ إليه ، واحـرق جثته وما عثر عليه من مؤلفاته .
راجع فى ترجمته : ابن سعيد المغربى . اختصار القدح المعلـى ص ١٩١ ـ ١٩٥ تر ٥٨ ، المغرب فى حلى المغرب (الأندلس) ج ٢ص ٣٠٩ ـ ٣١٢ تر ٥٥٧ ، ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملـة ج ٦ ص ٢٥٣ ـ ٢٧٥ تر ٧٠٩ ، الغبرينى . عنوان الدراية ص ٢٥٧ ـ ٢٦١ ، الذهبى . سير أعلام النبلاء ج ٢٣ ص ٣٣٦ ـ ٣٣٩ تر ٢٣٤ ، العبر ج ٥ ص ٢٤٩ ، ابن شاكر الكتبى . عيون التواريخ ج ٢٠ ص ٢٤٥ ، فوات الوفيات ج ٣ ص ٤٠٤ ـ ٤٠٧ تر ٤٧١ ، الصفدى . الوافـى بالوفيات ج ٣ ص ٣٥٥ ـ ٣٥٨ تر ١٤٣٦ ، ابن تغرى بردى . النجـوم الزاهرة ج ٧ ص ٩٢ ، الزركشى (محمد بن إبراهيم) . تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ص ٣٥ ـ ٣٦ ، المقرى . أزهار الرياض ج ٣ ص ٢٠٤ ـ ٢٢١ ، نفح الطيب ج ٢ ص ٥٨٩ ـ ٥٩٤ تر ٢١٨ ، ابن العمـاد الحنبلى . شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٩٥ .

(٢) لم يصلنا هذا الكتاب فى صورته التى تركه مؤلفه عليها ، وجل ما لدينا منه ملخص اقتضبه " البلفيقى " (أبو إسحاق ، إبراهيم بن محمد بـن إبراهيم) منه اقتضاباً ، نشره " إبراهيم الأبيارى " باسم : " المقتضب من كتاب تحفة القادم " ، وفيه يقول د . حسين مؤنس (مقدمة الحلـة السيراء ج ١ ص ٤٧) :
" ... وهو مختصر سىء الصنع ، استغنى البلفيقى فيه عن معظـم النثر ، ولم يبق إلا هيكلاً جافاً يتكون من أسماء وبضعة أشعار ، وهـذه لا تعين على تقدير ابن الأبار بين أصحاب كتب الأدب " .

(٣) الزركشى . عقود الجمان ق ٢٨٧ ب ـ ٢٨٨ ب .

في ثمانية مواضع من ترجماته (١) ،ناقلاً ما أسند إلى "ابن الأبـار" عـن "فوات الوفيات" لابن شاكر الكتبي ،بما يشير إلى عـدم اطلاع مباشر لـه على مادة "تحفة القادم" .

ومن الأمثلة الموضحة لذلك قوله مترجماً لابن كسرى المالقي :

" الحسن بن محمد بن علي الأنصاري ،أبو علي المالقـي ،المعروف بابن كسرى ؛ قال ابن الأبـار في تحفة القادم : توفي سنة أربع وستمائـة . ومن شعره في طفل قبّله فاحمرت وجنته :

وا بأبـي رائـق الشبـاب ويا | بهجة خدّيه ما أُميْلحـها
كأنّـني عندمـا أُقبلـها | أنفخ فـي وردة لأفتحـها

ولـه :

وخالقٌ بنقصانٍ جميعَ الورى تَسُـد | فيا سوءَ ما تلْقاهُ إن كنتَ فاضلاً
ألم تَرَ أنّ البـدرَ يُرقَبُ ناقصـاً | ويُترك منسيّاً إذا كانَ كامـلاً" (٢)

ويقابله لدى ابن شاكر الكتبي في "الفوات" قوله :

" الحسن بن محمد بن علي الأنصاري ، أبو علي المالقي ، المعروف بابن كسرى ؛ قال ابن الأبار في تحفة القادم : توفي سنة أربع وستمائـة ، رحمه الله . ومن شعره في طفل قبّله فاحمرّتْ وجنته :

وا بأبـي رائـق الشباب ويـا | ....
.... | أنفخ في وردة لأفتحـها

---

(١) هي ترجمات كل من :
* إبراهيم بن سهل الاسرائيلي (ق ١٢أ) .
* أحمد بن الحسين بن محمد المسيلي (ق ٢٨) .
* الحسن بن محمد بن علي الأنصاري ،ابن كسرى (ق ٩٨أ) .
* حمدة بنت زياد بن بقي (ق ١٠٨أ) .
* علي بن محمد بن أحمد بن سلمة بن حريق البلنسي (ق ٢٢١) ؛ نسب إليه عنصر الوفاة ، وفي مطبوعة "الفوات" : " قال ابـن الأنباري : توفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة " ، وما في المطبوعة تحريف يصوبه ما هنا ،لأن ابن الأنباري لم يترجم لابن حريق هذا .
* محمد بن أحمد الصابوني الصدفي (ق ٢٦٢) .
* يزيد بن عبدالله بن أبي خالد اللخمي الإشبيلي (ق ٣٤٨) .
* يزيد بن محمد بن صقلاب (نفسه) .

(٢) نفسه ق ٩٨ أ.

وقال :

وخالقٌ بنقصانٍ جميعَ الورى تُسُد ....

.... ويُترك منسياً إذا كانَ كامـــلا

وقال فى ابن خلدون ... " (١)

وهكذا يتشابه النصان ترتيباً وتعبيراً تشابهاً يكاد يفضى بهمـــا إلـى التطابق ،لولا اسقاط " الزركشى " جملة الترحم " رحمه الله " ،واستغنائه عن الشاهد الشعرى الوارد فى ابن خلدون فى ذيل ترجمة " الفوات " لابن كسرى المالقى ، مما يشير إلى أخذه مادة ترجمته تلك عن " الفوات " وليس عن " التحفة " .

ولعل مما يزيد فى ذلك توكيداً أنهما نسبا إلى " ابن الأبار" التأريخ لوفاة " ابن كسرى " بسنة " أربع وستمائة " ،بينما أرخ لها فى المقتضـــب تشككاً على النحو التالى :

" ... توفى سنة ثلاث أو أربع وستمائة " . (٢)

---

(١) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ١ ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨ تر ١٢٨ .
(٢) البلفيقى . المقتضب من تحفة القادم ص ١٤٤ .

* الكمال ،ابن العديم[1] (ت ٦٦٠ هـ . / ١٢٦٢م.) صاحب

كتاب " بغية الطلب في تاريخ حلب " :

وهو من المصادر التي لم يطلع " الزركشي " ــ مؤرخنا ــ على مادتها اطلاعاً مباشراً ،وإن أسند إليه في أربعة مواضع من ترجمات[2] " عقوده " ، ناقلاً ما أسند إليه في ثلاثة منها[3] عن " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبي، ومن الأمثلة الدالة على ذلك قوله مترجماً " للظهير البادرائي " :

---

(١) هو " كمال الدين ،أبو القاسم ،عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة عامر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل ،الحلبي ،الحنفي " .
له ترجمة في : ياقوت . معجم الأدباء ج ١٦ ص ٥ــ٥٧ تر ١ ،الصقاعي تالي وفيات الأعيان ص ٩٥ ــ ٩٦ تر ١٤٣ ،اليونيني . ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٥١٠ ــ ٥١٢ ،الذهبي . دول الإسلام ج ٢ ص ١٦٦ ، العبر ج ٥ ص ٢٦١ ، ابن شاكر الكتبي . عيون التواريخ ج ٢٠ ص ٢٧٥ــ ٢٧٩ ،فوات الوفيات ج ٣ ص ١٢٦ــ١٢٩ تر ٣٧٢ ،الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٢٢ ص ٤٢١ــ ٤٢٦ تر ٣٠٣ ،اليافعي . مرآة الجنان ج ٤ ص ١٥٨ ــ ١٥٩ ،ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٣٦ ، القرشي . الجواهر المضية ج ٢ ص ٦٣٤ ــ ٦٣٦ تر ١٠٣٧ ،الزركشي . عقود الجمان ق ٢٣٧أ ــ ٢٣٨ب ،المقريزي . السلوك ج ١ ص ٤٧٦ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٠٨ ــ ٢١٠ ،ابن قطلوبغا . تاج التراجم ص ٤٨ تر ١٤٣ ،السيوطي . حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٦٦ تر ١٦ ،ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٠٣ .

(٢) هي ترجمات كل من :
* أحمد بن محمد بن إبراهيم ،ابن خلكان (ق ٥٣أ ــ ٥٦ب) .
* سعد الله بن غنائم بن علي ،الضرير (هامش ق ١٢٢أ) .
* كامل بن الفتح بن ثابت ،ظهير الدين الضرير (ق ٢٤٩أ) .
* يوسف بن محمد بن غازي بن أيوب ،الملك الناصر (ق ٣٥٤ب ــ ٣٥٥ب) .

(٣) لم يترجح لديّ موضع النقل في ترجمته " لسعد الله بن غنائم بن علي " ، وقد زيدت في الهامش ؛ لعدم ترجمة " ابن خلكان " و " ابن شاكر الكتبي " له ،وخلو (الوافي ج ١٥ ص ١٨٩ تر ٢٦٢) للصفدي وقد ترجم له من هذه المعلومة ، فضلاً عن اختلاف المصادر في التأريخ لوفاته ، اختلافاً يجعل وفاته لاحقة لوفاة " ابن العديم " ،وليس " سابقة عليها " في بعضها .

" كامل بن الفتح بن ثابت ، ظهير الدين الضرير البادرائي الأديب ؛ له شعر وترسّل ، كتب الصاحب كمال الدين ابن العديم عنه .

قال ياقوت : وكان متهماً في دينه ؛ توفي سنة ست وتسعين وخمسمائة .

ومن شعره :

وفي الأوانس من بغداد آنسةٌ	لها من القلوب ما تهوى وتختارُ
ساومتُها نهلةً من ريقها بدمي	وليس إلا خفيّ الطرف سمسارُ
عند العذول اعتراضاتٌ ولائمةٌ	وعند قلبي جواباتٌ وأعذارُ " . (١)

ويقابله قول ابن شاكر الكتبي في " الفوات " :

" كامل بن الفتح بن ثابت ، ظهير الدين الضرير البادرائي الأديب ؛ له شعر وترسّل ، كتب الصاحب كمال الدين ابن العديم عنه ، وتوفي سنة ست وتسعين وخمسمائة ، وكان مسكنه ببغداد بباب الأزج ، وكان يدخل على الخليفة الناصر ويحاضره ويخلو معه ، وعلمه علم الأوائل ، وهوّن عليه الشرع ، والله أعلم .

وقال ياقوت : وكان متهماً في دينه ، ومن شعره من قصيدة :

وفي الأوانس من بغداد آنسةٌ	....
....	وعند قلبي جواباتٌ وأعذارُ " . (٢)

وبالمقابلة بين النصين ، نجد أن " الزركشي " قد اقتصر في بناء ترجمته تلك على مادة الفوات في هذا الموضع ، محافظاً على النسق التعبيري لمصدره ، وإن تصرف في النسق الترتيبي له ، بتقديم عنصر الوفاة على القول المسند إلى " ياقوت " ، وإسقاط بعض العناصر التي يحويها قول " الفوات " : " ... وكان مسكنه ... والله أعلم " .

ومن الأمثلة الموضحة لذلك - أيضاً - قوله مترجماً " للملك الناصر ، يوسف " :

= راجع : ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٣٣ تر ١٨٠٨ ، السيوطي . بغية الوعاة ج ١ ص ٥٨٠ تر ١٢١٤ ، ابن القاضي . درة الحجال ج ٣ ص ٢٩٠ .

(١) الزركشي . عقود الجمان ق ٢٤٩ أ .

(٢) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٣ ص ٢١٧ تر ٤٠٢ .

" ... قال ابن العديم : حضر بعض المدرسين إلى العسكر زمان انقطاع العزيز عن خزائنه واحتياجه إلى النقود ، ورفع على يدى قصة بين يديه ، تتضمن التضور من قلة معلومه ، وأنه لا يطلب التثقيل على السلطان في هذا الوقت ، وإنما يريد زيادة في المدرسة التي هو بها ، فسأل عن شرط الواقف ، فقيل : شرطه ما يتناوله الآن ، لكن فيه : أن السلطان يزيده إذا رأى المصلحة ، فأطرق كما هي عادته إذ لم يرد قضاء ما طلب ، ولم يرد في ذلك جواباً ، ولم يهن عليه رده خائباً ، وتورع عن مخالفة الواقف ، وقرر له ما طلبه على ديوانه دون الواقف .

قال ابن العديم ، أنشدني لنفسه :

البدرُ يجنحُ للغروبِ ومهجتي ... لفراقِ مشبهِهِ أسىً تتقطَّعُ
والشَّربُ قد خاط النعاسُ جفونَهم ... والصبحُ من جلبابه يتطلّعُ " (١)

ويقابله لدى ابن شاكر الكتبي في " الفوات " قوله :

" ... ولما بَعُدَ عن خزائنه احتاج إلى قرض أرهن أملاكه وضرب أواني الذهب والفضة ، وقيل له في أخذ الفائض من الأوقاف ، فما مدَّ يده إلى شيء منها بدمشق ولا بحلب .

قال ابن العديم : حضر بعض المدرسين إلى العسكر ، ورفع على يدى قصة بين يديه تتضمن التضور من قلة معلومه ، ويذكر أن عياله وصلوا من مصر ، وأنه لا يطلب التثقيل على السلطان في مثل هذا الوقت الذي يحتاج فيه إلى الكلف ، بل يطلب زيادة في المدرسة التي هو بها . فسأل عن شرط الواقف ، فقيل : شرطه ما يتناوله الآن ، لكن ذكر أنه في كتاب الوقف ما يدلّ على أن السلطان يزيده إذا رأى في ذلك مصلحة . فأطرق كما هي عادته إذا لم يرى قضاء ما طلب ، ولم يردّ في ذلك جواباً ، ولم يهن عليه ردّه خائباً ، وتورّع عن مخالفة الواقف ، فقرر له ما طلبه على ديوانه دون الواقف .

قال ابن العديم : أنشدني لنفسه ، رحمه الله :

البدرُ يجنحُ للغروبِ ومهجتي ... .
.... والصبحُ من جلبابه يتطلّعُ " . (٢)

---

(١) الزركشي . عقود الجمان ق ٣٥٥ أ .
(٢) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٤ ص ٣٦٢ _ ٣٦٣ .

وهكذا فإن المقابلة بين النصين تشير إلى أن ما نُسِبَ إلى " ابـــــن العديم " في " المعقود " لا تخرج مادته عن دائرة مثيله في " الفـــوات " ، وإن تصرف " الزركشي " في النسقين الترتيبي والتعبيري المصاحبين له .

* ابن مُشْدى (١) (ت ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م) صاحب كتاب " معجم الشيوخ " . (٢)

أسند إليه " الزركشى " — مؤرخنا — فى موضع واحد من ترجمات " عقود " ، وهو ترجمة " ابن العربى " ، قائلاً :

" ... قال ابن مُشْدى فى جملة ترجمته : كان ظاهرى المذهب فى العادات ، باطنى النظر فى الاعتقادات ، ثم حج ولم يرجع إلى بلده ، وروى عن السِّلفى بالإجازة ، وبرع فى علم التصوف ، وله فيه مصنفات كثيرة ، ولقى جماعة من العلماء والمتعبدين " . (٣)

وهو قول مأخوذ من قول الصفدى فى " الوافى " :

" ... قال ابن مُشْدى فى جملة ترجمته : كان ظاهرى المذهب فى العبادات ، باطنى النظر فى الاعتقادات ، وكتب لبعض الولاة ، ثم حج ولم يرجع إلى بلده ، وروى عن السلفى بالإجازة العامة ، وبرع فى علم التصوف ، وله فيه مصنفات كثيرة ، ولقى جماعة من العلماء والمتعبدين وأخذوا عنه " . (٤)

---

(١) هو " جمال الدين ، أبو بكر ، محمد بن يوسف بن موسى بن يوسف بن مُشْدى ، المهلبى ، الغرناطى " .
محدث ، حافظ ، فقيه ، مقرئ ، أديب . له ترجمة فى : الذهبى . تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٤٨ـ ١٤٥٠ تر ١١٤٩ ، العبر ج ٥ ص ٢٧٤ ، ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٧٣ تر ٨٣٤٦ ، الصفدى . الوافى بالوفيات ج ٥ ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ تر ٢٣٣٥ ، اليافعى . مرآة الجنان ج ٤ ص ١٦٢ ، ابن فرحون . الديباج المذهب ج ٢ ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤ ، ابن الجزرى . غاية النهاية فى طبقات القراء ج ٢ ص ٢٢٨ تر ٣٥٦٤ ، ابن حجر . لسان الميزان ج ٥ ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨ تر ١٤٣٤ ، السيوطى . طبقات الحفاظ ص ٥٠٤ ـ ٥٠٥ تر ١١١٨ ، المقرى . نفح الطيب ج ٢ ص ١١٢ تر ٦٢ ، ١٨٣ ، ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب ج ٥ ص ٣١٣ .

(٢) أشار " الذهبى " إلى أنه يقع فى ثلاث مجلدات كبار ، ونبه " الصفدى " إلى أن تراجمه " مسجوعة سجع تمكن " .

(٣) الزركشى . عقود الجمان ق ٢٩٥ أ .

(٤) الصفدى . الوافى بالوفيات ج ٤ ص ١٧٣ .

* أبو شامة المقدسي (١) (ت ٦٦٥هـ ٠ / ١٢٦٧م٠) صاحب كتاب " الذيل على الروضتين " (٢) :

ترجمه " الزركشي " ــ مؤرخنا ــ في " عقوده " ، مسنداً إليه في الذيل من خلال ترجمته له شاهدين شعريين أحدهما من نظمه ، والآخر من مروياته ، على النحو الوارد في قوله :

(١) هو " شهاب الدين ، أبو القاسم ، عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم بن محمد المقدسي ، الشافعي ، المعروف بأبي شامة ، لوجود شامة (علامة) كبيرة فوق حاجبه الأيسر ". عالم مشارك في علوم الحديث ، والفقه ، والأصول ، والقراءات ، والأدب (شعره ونثره) ، والتاريخ .
ترجم لنفسه في الذيل على الروضتين (ص٣٧ ــ ٤٥) ، كما ترجم له كل من :
اليونيني . ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ٣٦٧ ــ ٣٦٨ ، الصقاعي . تالي وفيات الأعيان ص ٩٩ تر١٤٧ ، الذهبي . تذكرة الحفاظ ج ٤ص ١٤٦٠ ــ ١٤٦٢ تر١١٥٧ ، العبر ج ٥ ص ٢٨٠ ــ ٢٨١ ، معرفة القراء الكبار ج ٢ ص٢٧٣ ــ ٢٧٤ تر٦٤١ ، ابن شاكر الكتبي . عيون التواريخ ج ٢٠ ص ٣٥٢ ــ ٣٥٥ ، فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٦٩ ــ ٢٧١ تر٢٥١ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٤ ص ١٦٤ ، السبكي . طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ٦١ ــ ٦٣ ، الاسنوي . طبقات الشافعية ج ٢ ص١١٨ ــ ١١٩ تر٧١٦ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٥٠ ــ ٢٥١ ، ابن الجزري . غاية النهاية ج ١ ص٣٦٥ ــ ٣٦٦ تر ١٥٥٨ ، المقريزي . السلوك ج ١ ص ٥٦٢ ، ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ج ٢ ص ١٦٩ ــ ١٧١ تر٤٣٤ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٢٤ ، السيوطي . بغية الوعاة ج ٢ ص٧٧ ــ ٧٨ تر ١٤٨٠ ، طبقات الحفاظ ص٣٠٧ تر١١٢٥ ، النعيمي . الدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص٢٣ ــ ٢٤ ، الداودي . طبقات المفسرين ج ١ ص٢٦٣ ــ ٢٦٥ تر٢٥٤ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٥ ص٣١٨ ــ ٣١٩ .

(٢) ذيل به على " الروضتين " ابتداء بسنة تسعين وخمسمائة ، وانتهاء بسنة خمس وستين وستمائة للهجرة التي مات فيها ، وإن داخل الكتاب المذيل عليه في بعض الحوادث ، كما يفهم من قوله في خطبته : " ... جمعت في كتاب الروضتين كثيراً من الحوادث الواقعة في زمن الدولتين النورية والصلاحية ... وانتهى ذلك إلى السنة التي توفي فيها صلاح الدين ــ رحمه الله تعالى ــ وهي سنة تسع وثمانين =

" ... وله نظم حسن وقفت على شيء منه في ذيل تاريخه :

أيا لائمي مالي سوى البيت موضع ....

.... وجاد بدنياه لما يتوقع

وله في هذا المعنى غير ذلك .

وقال في ذيل التاريخ : أنشدني المولى شرف الدين الحموي ، المعروف بابن المغيزيل ؛ قال : أنشدني قاضي حماه شمس الدين إبراهيم بن المسلم ابن هبة الله البارزي لنفسه :

دمشق لها منظرٌ رائقٌ وكلٌّ إلى حسنها شائقُ
وأنى يقاس بها بلدة أبى اللهُ والجامعُ الفارقُ " . (١)

وما أُشير إلى أنه من نظم " أبي شامة " مثبت في " الذيل " ضمن حوادث حولية إحدى وستين وستمائة للهجرة (٢) ، وقد أُشير إلى أنه نظمه في السادس عشر من شوال منها ، وما نُسِبَ إليه رواياته مثبت - كذلك - في الذيل ضمن حوادث حولية خمس وستين وستمائة للهجرة . (٣)

... وهكذا فإن " الذيل على الروضتين " من المصادر التي اطلع " الزركشي " على مادتها اطلاعاً مباشراً ، وانتفع بها في هذا الموضع من كتابه .

= وخمسمائة ، وذكرت تبعاً لذلك أشياء مفرقة فيما يتعلق بأحوال أولاده ومن تعلق بهم . ثم خطر لي أن أجمع كتاباً يتضمن كثيراً من الحوادث بعد ذلك إلى آخر ما تدركه حياتي - ختمها الله بالعمل الصالح والفعل الرابح - وكان فيما حملني على ذلك كثرة موت المعارف ، فأردت اثباتهم لعلي بمطالعتهم أجد قلباً على الآخرة يساعف .

... فاستخرت الله ، وابتدأت من سنة تسعين التي تتلو سنة وفاة صلاح الدين ، فذكرت فيها وفيما بعدها ما فاتني ذكره في كتاب الروضتين سنة بعد سنة " .

(١) الزركشي . عقود الجمان ق ١٦٥ .

(٢) أبو شامة . الذيل على الروضتين ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٣) نفسه ص ٢٣٩ .

* ابن خلكان (١) (ت ٦٨١ هـ ٠ / ١٢٨٢م٠) صاحب كتاب " وفيات الأعيان " :

وهو من المصادر التى اطلع " الزركشى " — مؤرخنا — على مادتها اطلاعاً مباشراً ، ونقل عنها فى " عقوده " ، مسنداً إلى مصادرها .(٢) وباستثناء التصريح بالنقل عنه فى " التعاليق " (٣) ، فإنه لم يشر إليه إلا مرة واحدة مبيضاً ، فى سياق ترجمة " كمال الدين الموصلى الشهرزورى " ، على النحو الوارد فى قوله :

" ... محمد بن عبدالله بن القاسم بن المظفر ، قاضى القضاة كمال الدين الموصلى الشهرزورى ؛ ولد سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ، وتوفى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، وقد ترجم له ابن خلكان ... (٤) " . (٥)

---

(١) مر التعريف به ، راجع ص ١١٦ من هذا البحث .
(٢) راجع ص ٢٠٩ ، ٢٢٠ ، ٢٣٦ ، ٣٠٨ من هذا البحث .
(٣) راجع ص ١٣٧ من هذا البحث .
(٤) موضع النقط مبيض له ، والترجمة المشار إليها مثبتة لدى ابن خلكان فى وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٩ — ٥٣ تر ٣٣٤ .
(٥) الزركشى ، عقود الجمان ق ٢٥٥ أ .

* ابن إيـاز (١) (ت ٦٨١ هـ٠ / ١٢٨٢م٠) صاحب كتاب " شـــرح التصريف " :

أسند إليه " الزركشى " ـ مؤرخنا ـ فى موضع واحد من ترجمات " عقـود ، " ، وهو ترجمة " ابن مالك ـ النحوى " ، قائلاً :

" ٠٠٠ وكان أبو حيان يقول : إنه لا يُعْرف له شيخ ، وإنما حضر حلقـــة الشّلوْبين مرات ؛ قلت : ورأيت فى شرح تصريف ابن مالك لجمال الدين ابن إيـاز فى أوله ، فى الكلام على أوزان الكلام أن الشيخ موفق الدين ابن يعيش ـ النحـوى شيخه ٠ قال ابن إياز : وأخبرنى بذلك جماعة " ٠ (٢)

---

(١) هو " جمال الدين ، أبو محمد ، الحسين بن بدر بن إياز بن عبد اللـه البغدادى " ٠
له ترجمة فى : الصفدى ٠ الوافى بالوفيات ج ١٢ ص ٢٤٢ تر ٢٢٢ ، السيوطى ٠ بغية الوعاة ج ١ ص ٥٣٢ تر ١١٠٣ ، البغدادى ٠ هديـــة العارفين ج ١ ص ٣١٣ ٠

(٢) الزركشى ٠ عقود الجمان ق ٢٨٩أ ٠

* ابن سعيد المغربي (١) (ت ٦٨٥ هـ . / ١٢٨٦م .) صاحب كتابي

" المُشرِق فيما يُحاضر به من أدب المَشْرِق " (٢) و " الملتقط من السلك من حلى

العروس الأندلسية " (٣) :

ترجمه (٤) " الزركشي " - مؤرخنا - في " عقوده " ، مسنداً إليه في نحو أربعة مواضع منه (٥) ، ناقلاً ما أُسند إليه - فيما يُرجح - عن " الفوات " لابن

(١) هو " أبو الحسن ، نورالدين ، علي بن موسى بن عبدالملك بن سعيد ابن خلف بن سعيد بن محمد بن عبدالله الغماري ، العنسي " .
ترجم نفسه في مؤلفيه : رايات المبرزين وغايات المميزين ص ٩٨ - ١٠٣ ، والمغرب (الأندلس) ج ٢ ص ١٧٢ - ١٧٩ تر ٤٧٠ ، كما ترجمه غيره في مصادر متعددة ، ومنها : المراكشي . الذيل والتكملة ج ٥ ص ٤١١ - ٤١٢ تر ٦٩٧ ، ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٣ ص ١٠٣ - ١٠٦ تر ٣٦٣ ، الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٢٢ ص ٢٥٣ - ٢٥٩ تر ١٨٤ ، ابن الخطيب . الإحاطة ج ٤ ص ١٥٢ - ١٥٨ ، ابن فرحون . الديباج المذهب ج ٢ ص ١١٢ - ١١٣ تر ٢١ ، السيوطي . بغية الوعاة ج ٢ ص ٢٠٩ - ٢١٠ تر ١٨٠٩ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٥٥ تر ١٦ ، ابن القاضي . درة الحجال ج ٣ ص ٢٤٠ - ٢٤١ تر ١٢٥٨ ، مجهول . اختصار القدح المعلى ص ١-١١ تر ١ ، محمد عبد الغني حسن . ابن سعيد المغربي . القاهرة ، الأنجلو ، ١٩٦٩م .

(٢) منه مخط . في جزئين ، انخرم أوله ؛ مُحتفظ به في دار الكتب المصرية برقم : ٢٥٣٢ - تاريخ (تيمور) ، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية في القاهرة ، ذات الرقم : ٤٧٧ - تاريخ .

(٣) ذكره حاجي خليفة (كشف الظنون ج ٢ ص ١٨١٤) ، ورجح د . زكي محمد حسن (مقدمة تحقيق المغرب - قسم مصر - ج ١ ص ٢٤) أن يكون مقتبساً من " المغرب " .
لكن بمراجعة مط . المغرب لم أر فيها أدنى ذكر للكتاب ، كما لم يترجم فيها لولادة بنت المستكفي ، المنسوب لدى " الزركشي " في عناصر ترجمتها إلى هذا الكتاب .

(٤) الزركشي . عقود الجمان ق ٢٢٨ ب - ٢٢٩ ب .

(٥) أتت في ترجمات كل من :
* أيدمر المحيوي (نفسه ق ١٧٦ أ - ١٧٨ أ) .
* علي بن المحسن بن علي التنوخي (نفسه ق ٢٢٠ ب - ٢٢١ أ) .
* علي بن الحسين بن حيدرة العقيلي (نفسه ق ٢٣٢) .
* ولادة بنت المستكفي (نفسه ق ٣٤١) .

شاكر الكتبي ، و " الوافي " للصفدي .

ومن الأمثلة الموضحة لذلك قوله مترجماً لأيدمُر المحيوي :

" ... قال ابن سعيد المغربي في كتاب المُشرق في ترجمة هذا : بأي لفظ أصفه ، ولو حشدت جيوش البلاغة لفضله لم أكن أنصفه ؟ نشأ في الدوحة السعيدية فنمّت أزاهره ، وطلع في السماء الندائية فتمت زواهره ، جمعت لأقرانه أعلام الفنون حتى خرج آية في كل فن ، وبرع في المنثور والموزون ، مع الطبع الفاضل الذي عضده ، وبلغه من رياسة هذا الشأن ما قصده ، لاسيما حين سمعت قوله الذي أتى فيه بالإغراب ، وترك مهيار معلّقاً منه بالأهداب :

بالله إن جزت الغُويرَ فلا تُغِر ... باللين منك معاطفَ الأغصان

واستُرْ شقائقَ وجنتيك هناك لا ... ينشقّ قلبُ شقائقِ النعمان

وأورد له أيضاً : ... " (١)

وهو قول مطابق وقول " ابن شاكر الكتبي " في الفوات :

" ... قال ابن سعيد المغربي في كتاب المشرق في ترجمة هذا : بأي لفظ أصفه ، ولو حشدت جيوش البلاغة لفضله لم أكن أنصفه ؟ نشأ في الدوحة السعيدية فنمّت أزاهره ، وطلع بالسماء الندائية (٢) فتمت زواهره ، جمعت لأقرانه (٣) أعلام الفنون ، حتى خرج آية في كل فن ، وبرع في المنثور والموزون ، مع الطبع الفاضل الذي عضده ، وبلغه من رياسة هذا الشأن ما قصده ، لاسيما حين سمعت قوله الذي أتى فيه بالإغراب ، وترك مهيار معلّقاً منه بالأهداب :

بالله إن جزت الغُويرَ فلا تُغِر ... باللين منك معاطفَ الأغصان

واستُرْ شقائقَ وجنتيك هناك لا ... ينشقّ قلبُ شقائقِ النعمان

وأورد له أيضاً : ... " (٤)

---

(١) المصدر السابق ق ٧٦ .

(٢) نسبة " لابن تَدَى " ، لكون المترجم له عتيق " محيي الدين ، أبي المظفر ، محمد بن محمد بن سعيد بن تَدَى " .

(٣) صحفها محقق " الفوات " لتأتي : " لإقرائه " .

(٤) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ١ ص ٢٠٨ .

* ابن دقيق العيد (١) (ت ٧٠٢ هـ . / ١٣٠٢م .) صاحب كتاب

" إحكام الأحكام ، شرح عمدة الأحكام " (٢) :

---

(١) هو " أبو الفتح ، تقى الدين ، محمد بن على بن وهب بن مطيع بن أبى الطاعة القشيرى ، البهزى ، المنفلوطى " .

كان إماماً ، حافظاً ، محدثاً ، مشاركاً فى الحديث والفقه والأصول والأدب والنحو .

له ترجمة فى : الذهبى . تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٨١ ــ ١٤٨٣ تر ١١٦٨ ، دول الإسلام ج ٢ ص ٢٠٧ ، ذيل العبر ص ٢١ــ٢٢ ، الإدفوى الطالع السعيد ص ٥٦٧ ــ ٥٩٩ تر ٤٦٣ ، ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٣ ص ٤٤٢ ــ ٤٥٠ تر ٤٨٦ ، الصفدى . الوافى بالوفيات ج ٤ ص ١٩٣ ــ ٢٠٩ تر ١٧٤١ ، اليافعى . مرآة الجنان ج ٤ ص ٢٣٦ ــ ٢٣٨ ، السبكى . طبقات الشافعية الكبرى ج ٦ ص ٢ــ٢٢ ، الإسنوى . طبقات الشافعية ج ٢ ص ٢٢٧ ــ ٢٣٣ تر ٨٥٠ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ٢٧ ، ابن فرحون . الديباج المذهب ج ٢ ص ٣١٨ ــ ٣١٩ تر ١٣١ ، المقريزى . السلوك ج ١ ص ٩٤٧ ــ ٩٤٨ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٤ ص ٩١ ــ ٩٦ تر ٢٥٦ ، ابن تغرى بردى . الدليل الشافى ج ٢ ص ٦٥٨ ــ ٦٥٩ تر ٢٢٦٤ ، النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧ ، السيوطى . حسن المحاضرة ج ١ ص ٣١٧ ــ ٣٢٠ تر ٧٢ ، طبقات الحفاظ ص ٥١٣ تر ١١٣٦ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٤١١ ــ ٤١٢ ، ابن القاضى . درة الحجال ج ٢ ص ١٥ تر ٤٥٤ ، ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب ج ٦ ص ٥ ــ ٦ ، النبهانى . جامع كرامات الأولياء ج ١ ص ٢٢٧ ــ ٢٢٩ .

(٢) هو شرح على " عمدة الأحكام عن سيد الأنام " لعبد الغنى بن عبد الواحد الجماعيلى ، المقدسى (ت ٦٠٠ هـ . / ١٢٠٣م .) ، أملاه " ابن دقيق العيد " على " العماد ، إسماعيل بن أحمد بن سعيد ابن محمد بن الأثير الحلبى " (ت ٦٩٩ هـ . / ١٢٩٩م .) ، ويحتوى على خمسمائة حديث نبوى مشروحة ، موزعة على أبواب الفقه . وفيه يقول " الكمال الإدفوى " (الطالع السعيد ص ٥٧٥) :

" ... ولو لم يكن له إلا ما أملاه على العمدة لكان عمدة فى الشهادة بفضله ، والحكم بعلو منزلته فى العلم ونبله " .

وهو مطبوع مع " العدة " للأمير الصنعانى (ت ١١٨٢ هـ . / ١٧٦٩م .) .

(راجع : الصنعانى . العدة . ت . على بن محمد الهندى . القاهرة ، السلفية ، ١٣٧٩ هـ .)

ترجمه (١) " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ في " عقوده " ، مسنداً إليه في موضع واحد منه ، وهو ترجمة " ابن شرف القيرواني " ، قائلاً :

" ... ذكر الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد في شرح العمدة ، في باب الصلاة ، في الكلام على الحديث الحادي عشر (٢) ، عن عبد الله بن مالك ابن بُحَيْنة قال : إن بُحَيْنة أم أبيه ، قال : ومن غريب ما وقع لي في ذلك عن (٣) محمد بن شرف القيرواني ، أن شرف ليس هو أبوه ، وإنما هو أمه " . (٤)

ويقابله قول " ابن دقيق العيد " في إحكام الأحكام :

" ... وبُحَيْنة أمه ... وهو أحد من نُسِبَ إلى أمه ، ... وذلك مثل محمد بن حبيب اللغوي صاحب كتاب المحبر و (٥) المؤتلف والمختلف في قبائل العرب ؛ فإن حبيب أمه لا أبوه ... ومن غريب ما وقفت عليه في هذا محمد بن شرف القيرواني ، الأديب الشاعر المجيد ، أنه منسوب إلى أمه شرف ، ولذلك نظائر لو تُتُبِّعَتْ لجُمِعَ منها قدرٌ كثيرٌ ، وقد قيل : إن بُحَيْنة أم أبيه ، والأول أصح " . (٦)

وبالمقابلة بين النصين نجد أن " الزركشي " قد نقل في هذا الموضع عن مصدره ضمناً لا نصاً ، وأنه أخفق في قوله : " قال : إن بُحَيْنة أم أبيه " ؛ ذلك أن مصدره قد أشار إلى أن " عبد الله " أحد من نُسِبَ إلى أمه ، مصححاً .

= كما طبع مستقلاً بتحقيق الأستاذ " محمد أحمد شاكر " ـ رحمه الله ـ في القاهرة ، ط١ ، ١٩٥٥م .

(١) الزركشي . عقود الجمان ق ٢٩٨أ ـ ٣٠١أ .

(٢) نص الحديث فيه : " عن عبد الله بن مالك بن بُحَيْنة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان إذا صلى فرَّجَ بين يديه حتى يبدو بياض إبطيه " .

(٣) في الأصل : " أن " .

(٤) الزركشي . عقود الجمان ق ٢٧٨ ب .

(٥) في المطبوعة : " في " ، وهو خطأ ، إذ هما عنوانان لكتابين اثنين ، لا لكتاب واحد .

(٦) ابن دقيق العيد . إحكام الأحكام (ط. شاكر) ج ١ ص

* الشرف الدمياطي (1) (ت ٧٠٥ هـ / ١٣٠٦ م) صاحب كتاب " معجم الشيوخ " (٢) :

وهو من المصادر التي لم يطلع " الزركشي " - مؤرخنا - على مادتها اطلاعاً مباشراً ، وإن أسند إليه في خمسة مواضع من ترجمات " عقوده " ، ناقلاً ما اسْتَنَد إلى الدمياطي عن " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبي ؛ وأولى

---

(١) هو " شرف الدين ، أبو أحمد وأبو محمد ، عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى ، الدمياطي ، التوني " .
له ترجمة في : التجيبي ، مستفاد الرحلة والاغتراب ص ٣٧-٨٢ ، الذهبي ، تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٧٧ - ١٤٧٩ ، تر ١١٦٦ ، دول الإسلام ج ٢ ص ٢١٢ ، ذيل العبر ص ٣٣ ، معرفة القراء الكبار ج ٢ ص ٧٢٩ - ٧٣٠ تر ٦٩٧ ، الوادي آشي ، البرنامج ص ١٤٨ - ١٥٠ ، تر ١٤٩ ، ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ج ٢ ص ٤٠٩ - ٤١١ تر ٣٠٨ ، اليافعي ، مرآة الجنان ج ٤ ص ٢٤١ ، السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ج ٦ ص ١٣٢ - ١٤١ ، الاسنوي ، طبقات الشافعية ج ١ ص ٥٥٣ تر ٥١١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٤ ص ٤٠ ، ابن حبيب ، تذكرة النبيه ج ١ ص ٢٧٢ - ٢٧٣ ، المقريزي ، السلوك ج ٢ ص ٢١ ، ابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٤٧٢ تر ١٩٧٢ ، ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ج ٢ ص ٢٨٦ - ٢٨٨ تر ٥٠٩ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ج ٢ ص ٤١٧ - ٤١٨ تر ٢٥٢٥ ، ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ج ١ ص ٤٣١ تر ١٤٨٧ ، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٤١ ب - ٢٤٣ أ ، النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٢١٨ - ٢١٩ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٥٧ تر ٨٠ ، طبقات الحفاظ ص ٥١٢ تر ١١٣٤ ، ابن القاضي ، درة الحجال ج ٣ ص ١٦٤ - ١٦٥ تر ١١٣٤ ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ج ٦ ص ١٢ - ١٣ .

(٢) أشار إليه الوادي آشي (البرنامج ص ١٤٩) بقوله :
" ... ومن تواليفه معجم شيوخه الذين لقيهم وأخذ عنهم بالحجاز والشام والجزيرة والعراق وديار مصر وغيرها من سائر الآفاق ، وهو في سفرين ، يزيد عددهم على ألف شيخ وثلاثمائة شيخ " .
وتوجد منه قطعة تبتدئ بترجمة " محمد بن الحسن " ، وتنتهي بترجمة " محمد بن سلامة " ، عليها خط الدمياطي ، تقع في ثلاث عشرة ورقة مقاسها : ١٦ × ٢٣ سم ، تحتفظ بها المكتبة الأزهرية تحت رقم : مصطلح حديث ٣٢٦ (مجاميع) ١٠٦٦٠ .

هذه التراجم هى ترجمة " ابن أبى الحديد " ، الواردة لديه على النحو التالى :

" أحمد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن حسين ، ابن أبى الحديد ، أبو المعالى ، موفق الدين ، ويُدعى القاسم - أيضاً - ولد سنة تسعين وخمسمائة بالمدائن ، وكان أديباً فقيهاً فاضلاً شاعراً مشاركاً فى أكثر العلوم ، توفى سنة ست وخمسين وستمائة ، وهو أخو عز الدين عبد الحميد المعتزلى - الآتى ذكره فى حرف العين - ورأيت الحافظ الذهبى قد قال فى حق هذا إنه أشعرى ، والله أعلم . كتب الإنشاء للمستعصم بالله مدة ؛ ومن شعره فى عارضِ جيشٍ خرج من دارِ الوزير بخلعة فعانقه وقبله :

لمّا بدا رائق التثنّى | وهو بأثوابه يميسُ
قبّلتهُ باعتبار معنًى | لأنّه عارضٌ جديدُ

وقال أيضاً :

بيتٌ من الشعر فى تشبيهِ وجْنَتِهِ | لمّا أحاط بها سَطرٌ من الشَّعَرِ
كالظلّ فى النورِ أو كالشمسِ عارضَها | خطٌ من الغيمِ أو كالمحو فى القمرِ

وله :

لو يعلمون كما علمتُ لما لَحوْا | فى حُبّهِ ولأقصروا إقصارا
هلاّ أحدّثكم بسرٍّ لطيفةٍ | دقّتْ إلى أن فاتت الأبصارا
جالت صقالَ خدوده أصداغُهُ | فتمثلت للناظرين عِذارا

وقال الشيخ شرف الدين الدمياطى فى المعجم : أنشدنى موفق الدين لنفسه :

قمرٌ عدمتُ عواذلى فى عشقه | بل ما عدمتُ تزاحمَ العشاقِ
يبدو فتسبقه العيونُ وإنها | مأمورة بالغضِّ والإطراقِ
عيناى قد شهدا بعشقك إنما | لك أن تقول هما من الفساقِ

ولما صنف أخوه " الفلك الدائر على المثل السائر " كتب إليه الموفق :

المثلُ السائرُ يا سيّدى | صنفتَ فيه الفلك الدائرا
لكنّ هذا فلكٌ دائرٌ | أصبحتَ فيهِ المثلَ السائرا ". (١)

---

(١) الزركشى . عقود الجمان ق ٦٣ ب .

ويقابلها في " الفوات " قول ابن شاكر الكتبي :

" أحمد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن حسين ،ابن أبي الحديد ، أبو المعالي ،موفق الدين ، ويدعى القاسم أيضاً ؛ ولد سنة تسعين وخمسمائة بالمدائن ، وكان أديباً فقيهاً فاضلاً شاعراً مشاركاً في أكثر العلوم ، توفي سنة ست وخمسين وستمائة ،وهو أخو عزالدين عبد الحميد المعتزلي - الآتي ذكره في حرف العين إن شاء الله تعالى - ورأيت الشيخ شمس الدين قد قال في حق هذا إنه أشعري ، والله أعلم . كتب الإنشاء للمستعصم بالله مدة .

من شعره في عارض جيش خرج من دار الوزير بخلعة فعانقه وقبله :

لمّا بدا رائق التّثنّي ....
.... لأنّه عارضٌ جديدُ

وقال أيضاً :

بيتٌ من الشعر في تشبيه وجنته ....
.... خطٌّ من الغيم أو كالمحو في القمرِ

وقال أيضاً :

لو يعلمون كما علمتُ لما لَحَوْا ....
.... فتمثلت للنّاظرينَ عِذارا

وقال الشيخ شرف الدين الدمياطي : أنشدني موفق الدين لنفسه :

قمر عدمتُ عواذلي في عشقه ....
.... لك أن تقول هما من الفسّاقِ

ولما صنف أخوه " الفلك الدائر على المثل السائر " كتب إليه موفق الدين :

المثلُ السائرُ يا سيدي ....
.... أصبحت فيهِ المثلَ السائرا ".(١)

وبالمقابلة بين النصين نجد أن ترجمة " ابن أبي الحديد " لم تخرج لدى " الزركشي " عن دائرة ما جاء في " الفوات " ،بل يكاد النصان يتطابقان ،لولا بعض التعديلات الطفيفة المتمثلة في اسقاط " الزركشي " قول مصدره : "إن شاء الله تعالى " ،وإبداله قوله : " الشيخ شمس

---

(١) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ١ ص ١٥٤ - ١٥٥ تر ٥٨ .

الدين " بـ " الحافظ الذهبى " ،و " وقال أيضاً " بـ " وله "،و " موفق الدين " بـ " الموفق " ، واستئناف قوله : " من شعره " بواو ، ونسبته قول " الدمياطى إلى المعجم وهى تعديلات غير ذاتِ بال .

كما ظهر حريصاً على الإبقاء على موضع الإحالة : " ... وهو أخو عزالدين عبد الحميد المعتزلى الآتى ذكره فى حرف العين " ،والروُية المثبتة لمصنف " الفوات " : " ... ورأيت الحافظ الذهبى " .

أما الترجمة الثانية فكانت " لابن بنت الأعز " ،وقد جاءت عبارته المسند فيها إلى الدمياطى على النحو التالى :

" ... روى عنه الدمياطى فى معجمه شيئاً من نظمه " . (١)

وهو قول مطابق وقول " الفوات " : " ... روى عنه الدمياطى شيئاً من نظمه " . (٢)

بينما كانت الترجمة الثالثة " لابن العديم " ،وقد جاء قوله فيها مسنداً إلى الدمياطى على النحو التالى :

" ... أطنب الحافظ شرف الدين الدمياطى فى وصفه ،وقال : ولي قضاء حلب خمسة من آبائه متتالية ،وله الخط البديع ،والحظ الرفيع ، والتصانيف الرائقة ، منها تاريخ حلب ،ولم يكمل ؛ وروى عنه الدواداري وغيره " . (٣)

وهو قول مأخوذ من قول ابن شاكر الكتبى فى " الفوات " :

" ... أطنب الحافظ شرف الدين الدمياطى فى وصفه ، وقال : ولي قضاء حلب خمسة من آبائه متتالية ، وله الخط البديع ،والحظ الرفيع، والتصانيف الرائقة ، منها تاريخ حلب ، أدركته المنية قبل إكماله وتبييضه ؛ روى عنه الدواداري وغيره ، ودفن بسفح المقطم بالقاهرة ،انتهى " . (٤)

---

(١) الزركشى . عقود الجمان ق ١٦٦أ .
(٢) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٨٠ .
(٣) الزركشى . عقود الجمان ق ٢٣٧ ب .
(٤) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٣ ص ١٢٦ ــ ١٢٧ .

على حين ترجم فى الرابعة " لمحيى الدين ابن الجوزى " ، مسنداً من خلالها قوله إلى " الدمياطى " على النحو التالى :

" ... قال الدمياطى : أجاز لى جميع مصنفات أبيه ، وأجازنى بجائزة جليلة من الذهب " . (١)

وهو قول مطابق – تقريباً – وقول " ابن شاكر الكتبى " فى الفوات :

" ... قال الدمياطى : أجازنى جميع مصنفات أبيه ،وأجازنى بجائزة جليلة من الذهب " . (٢)

أما الترجمة الخامسة ، فكانت " لابن الحلاوى – الشاعر " ، وقد أثبت فيها قصيدة شعرية له ، مطلعها :

" حكاه من الغصن الرطيب وريقُهُ   وما الخمر إلاّ وجنتاه وريقُهُ "

مصدرا لها بقوله : " ... فمما رأيته معلقاً من شعره : ... " ،ثم تعقب ذلك بحاشيتين ،أُشير فى إحداهما إلى أن هذا الشعر موجودٌ فى بعض النسخ من ديوان " الحاجرى " ، وفى ثانيتهما إلى أن " الشرف الدمياطى " رواه عن المترجم له فى معجمه " . (٣)

وما أُسْنِدَ إلى " الدمياطى " ، مُثْبت لدى ابن شاكر الكتبى فى " الفوات " على النحو التالى :

" ... وله القصائد الطنانة التى رواها الدمياطى عنه فى معجمه ، ... فممّا رواه الشيخ شرف الدين الدمياطى له – رحمه الله تعالى :

حكاه من الغصن الرطيب وريقُهُ   ....

....   مدام ثناياه ومنها غَبُوقه " . (٤)

---

(١) الزركشى . عقود الجمان ق ٣٥٣ ب .
(٢) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٤ ص ٣٥٢ .
(٣) الزركشى . عقود الجمان ق ١٥٨ أ .
(٤) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ١ ص ١٤٣ – ١٤٤ .

* ابن الزبير (١) (ت ٧٠٨ هـ ‍. / ١٣٠٨م ‍.) صاحب كتاب " صلة " الصلة " (٢) :

أسند إليه " الزركشى " ـ مؤرخنا ـ فى موضع واحد من ترجمات " عقود " ، وهو ترجمة " ابن عصفور الأشبيلى " ، قائلاً :

" ... قال ابن الزبير (٣) : لم يكن عنده ما يؤخذ عنه سوى العربية ، وكان قائماً (٤) بها " . (٥)

ويقابله لدى " ابن شاكر الكتبى " فى " الفوات " ـ وقد أُخِذَتْ سائر عناصر الترجمة عنه ـ قوله :

" ... قال ابن الزبير : لم يكن عنده ما يؤخذ عنه سوى العربية ، ولا تأهل لغير ذلك " . (٦)

---

(١) هو " أبو جعفر ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين بن الزبير بن عاصم بن مسلم بن كعب ، الثقفى ، العاصمى " .
عالم مشارك فى الأصول ، والفقه ، والحديث ، والقراءات ، واللغة ، والتاريخ .
له ترجمة فى : المراكشى . الذيل والتكملة ج ١ ص ٣٩ـ٤٥ تر ٣١ ، الذهبى . تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٨٤ـ١٤٨٥ تر ١١٦٩ ، الصفدى . الوافى بالوفيات ج ٦ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ تر ٢٦٩٠ ، ابن الخطيب . الإحاطة ج ١ ص ١٨٨ـ١٩٣ ، ابن فرحون . الديباج المذهب ج ٢ ص ١٨٨ـ ١٨٩ تر ٦٦ ، ابن الجزرى . غاية النهاية ج ١ ص ٣٢ـ٣٣ تر ١٣٢ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ١ ص ٨٤ ـ ٨٦ تر ٢٣٢ ، ابن تغرى بردى . الدليل الشافى ج ١ ص ٣٥ تر ١٠٨ ، المنهل الصافى ج ١ ص ١٩٧ـ٢٠١ تر ١٠٨ ، السيوطى . بغية الوعاة ج ١ ص ١٩١ ـ ١٩٢ تر ٣٢٥ ، طبقات الحفاظ ص ٥١٣ تر ١١٣٧ ، الداودى . طبقات المفسرين ج ١ ص ٢٦ تر ٢٥ ، ابن القاضى . درة الحجال ج ١ ص ١١ـ١٢ تر ٨ ، ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب ج ٦ ص ١٦ ، الشوكانى . البدر الطالع ج ١ ص ٣٣ـ٣٥ تر ٢٠ .

(٢) ذيل به على " الصلة " لابن بشكوال ؛ وقد طبع قسم منه فى " الرباط " سنة ١٩٣٧ بتحقيق " ليفى بروفنسال " .

(٣) راجع : ابن الزبير . صلة الصلة ص ١٤٣ .

(٤) الزركشى . عقود الجمان ق ٢٣٣ ب .

(٥) فى الأصل : " قيماً " .

(٦) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٣ ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

* العلاء ابن العطار (1) (ت ٧٢٤ هـ . / ١٣٢٤ م .) صاحب كتاب " تحفة الطالبين " (٢) :

أسند إليه " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ في موضع واحد من ترجمات " عقود " ، وهو ترجمة " الأمين ابن عساكر " قائلاً :

" ... قال الشيخ علاء الدين ابن العطار : لما ودعت شيخنا الشيخ محيي الدين النووي بنوى حين أردت السفر إلى الحجاز حملني رسالة في السلام عنه للإمام جار الله أبي اليُمن ابن عساكر ، فلما بلغته رد عليه السلام ، وسألني عنه : أين تركته ؟ فقلت : بنوى ، فأنشدني بديهاً :

أمخيمين على نوى أشتاقكم ... شوقاً يجدد لي الصبابة والجوى
وأروم قربكم لأني مرتجي ... يا سادتي قرب المقيم على نوى " . (٣)

ويقابله لدى " ابن شاكر الكتبي " في " الفوات " قوله :

" ... قال الشيخ علاء الدين علي بن إبراهيم بن داود العطار قدس الله روحه : لما ودعت الشيخ الإمام ، العالم العلامة ، الزاهد ، محيي الدين النواوي ـ رحمه الله تعالى ـ بنوى حين أردت السفر إلى الحجاز ، حملني رسالة في السلام عنه للإمام جار الله أبي اليُمن عبد الصمد بن عساكر ، فلما بلغته سلامه

---

(١) هو " علاء الدين ، أبو الحسن ، علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان ابن سليمان العطار ، الدمشقي ، الشافعي " .
له ترجمة في : الذهبي . تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٥٠٤ ـ ١٥٠٥ ، ذيل العبر ص ١٣٦ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٤ ص ٢٧٢ ، السبكي . طبقات الشافعية الكبرى ج ٦ ص ١٤٣ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ١١٧ ، ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ج ٢ ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦ تر ٥٥١ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص ٥ ـ ٧ تر ٦ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٦١ ، النعيمي . الدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ٦٨ ـ ٧١ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٦ ص ٦٣ ـ ٦٤ .

(٢) ترجم فيه للإمام " النووي " ، وكان حفياً باختصار مؤلفاته وشرحها ؛ وأشار حاجي خليفة (كشف الظنون ج ١ ص ٣٦٨) إلى تأليفه له سنة سبع وسبعمائة للهجرة .

(٣) الزركشي . عقود الجمان ق ١٧٧ .

رد عليه السلام ،وسألني عنه : أين تركته ؟ فقلت : ببلدة توى ،فأنشدني بديهاً :

أمخيمين على توى أشتاقكم ....
.... يا سادتي قربُ المُقيمِ على توى ".(1)

(1) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٢٨ .

* القطب اليونيني [1] (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) صاحب كتاب " ذيل مرآة الزمان " :

أسند إليه " الزركشي " – مؤرخنا – في موضعين من ترجمات " عقوده " ، ناقلاً ما أُسْنِدَ إليه في أولهما عن " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبي ، وفي ثانيهما عن " الوافي بالوفيات " للصفدي ، وإن قُدِرَ له – فيما بعد – الاطلاع على المصدر الرئيس .

أما أولهما ، فقد ترجم فيه " للجمال الهوّاري " ، مسنداً إلى اليونيني على النحو التالي :

" محمد بن سليمان بن عبدالله بن يوسف ، جمال الدين الهوّاري المالكي ، المعروف بابن أبي الربيع ؛ كان فاضلاً أديباً ، قال قطب الدين اليونيني : قال ابن خلكان : أنشدني جمال الدين لنفسه :

لولا التطيرُ بالخلافِ وأنهم ... قالوا مريضٌ [2] لا يعود مريضا
لقضيتُ نحبي خدمةً بفنائكم ... لأكون مندوباً قضى المفروضا

وله :

أحبابَ قلبي إن تحكمتِ النوى ... في بيننا [3] وجرى القضاءُ بما جرى
فلقد غضضتُ عن الورى من بعدكم ... طرفاً يرى من بَعْدكم أن لا يرى

وله في صديق يدعى الصدر :

ما زلتُ في بُعْدٍ وقربٍ ... صبّاً [4] إليك وأيَّ صبّ
حُزْتَ القلوبَ بأسرها ... والصدر موضعُ كلِّ قلب

---

(1) هو " قطب الدين ، أبو الفتح ، موسى بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد البعلبكي ، اليونيني ، الحنبلي " .
له ترجمة في : اليافعي . مرآة الجنان ج ٤ ص ٢٧٦ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٢٦ ، ابن رجب . الذيل على طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٣٧٩ – ٣٨٠ تر ٤٨٩ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٨٢ تر ١٠٣٩ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٦ ص ٧٣ – ٧٤ .
(2) في الأصل : " مريضاً " ، والتصويب عن " الفوات " .
(3) في الأصل : " فيما بيننا " ، والتصويب عن " الفوات " .
(4) في الأصل : " صب " ، والتصويب عن " الفوات " .

ولـه :

وتوسوست باشتياقي إلى الصدر وما زال موضع الوسواس

ولـه (١) :

سريتُ من السواد إلى السويدا مسيرَ البدرِ في طرفي وقلبي

قضيت من النوى وَطَراً وها قد قضيتُ – لك البقا – في البعد نحبي

قلت : توفي بالقاهرة في شهر رمضان سنة اثنتين (٢) وسبعين وستمائة وقد جاوز الستين ". (٣)

ويقابله لدى ابن شاكر الكتبي في " الفوات " قوله :

" محمد بن سليمان بن عبدالله بن يوسف ، جمال الدين الهوّاري – بتشديد الواو وبعد الألف راء – المالكي، المعروف بابن أبي الربيع ؛ كان فاضلاً أديباً ، قال قطب الدين اليونيني : قال ابن خلكان : أنشدني جمال الدين لنفسه :

لولا التطيرُ بالخلافِ وأنهم ....

.... لأكون مندوباً قضى المفروضا

ومن شعره :

أحباب قلبي إن تحكمتِ النوى ....

.... طرفاً يَرَى من بَعْدكم أن لا يرى

وقال أيضاً :

سريتُ من السواد إلى السويدا ....

.... قضيتُ – لك البقا – في البعد نحبي

وقال في موسى بن يغمور :

لك الله يا موسى فأنت محمد الـ صفات ....

.... فمن يَسْوِكَ البيضاءَ إسفارُ صبحه

وكتب إلى صديق له يُدْعى الصدر :

---

(١) " وله " – ساقط من الأصل ، مثبت عن " الفوات " .
(٢) في الأصل : " اثنين " .
(٣) الزركشي . عقود الجمان ق ٢٨٠ .

مازلت في بعـــد وقــــــرب ....
.... والصدر موضع كل قلـــــب

وقـال أيضـاً :

وتوسوست باشتياقي إلى الصـــد ر ومازال موضع الوســواس ". (١)

وبالمقابلة بين النصين ،نجد أن " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ قد أخــذ مادة ترجمته تلك عن " الفوات " ، متصرفاً في نسقيه الترتيبي والتعبيري ، فلمـا قُدِرَ له الاطلاع على المصدر الرئيس ألحق عنه بالهامش الأيمن للصحيفة المترجـم فيها " للجمال المهّاري " عنصر الوفاة المسكوت عنه في " الفوات " ، والمؤرخ لـه خطأً في " الوافي " (٢) بسنة " ثلاث وسبعين وستمائة للهجرة " ،وإن لم يحسن فيه بالاستيعاب عن مصدره ، إذ أغفل التأريخ للوفاة " بليلة الخميس ،السادس والعشرين من شهر رمضان " (٣) ، مكتفياً بالتأريخ لها بالشهر فالسنة .

وأما ثانيهما ، فقد ورد في قولـه مترجماً لابن العربي :

" ... وقال الشيخ قطب الدين اليونيني في ذيله على المرآة : كان يقول : أنا أعرف اسم الله الأعظم ، وأعرف الكيميـاء ". (٤)

ويقابله لدى " الصفـدي " قوله في " الوافي " :

" ... قال الشيخ قطب الدين اليونيني في ذيله على المرآة : وكان يقول : أعرف الاسم الأعظم ، وأعرف الكيمياء بطريق المنازلة ، لا بطريق الكسب ". (٥)

وهذه النسبة إلى ذيل المرآة مجانبة للصواب ،إذ أن اليونيني لم يترجـم فيه " لابن العربي " المتوفى سنة ثمان وثلاثين وستمائة للهجرة ، لابتداء مؤلفـه بسنة أربع وخمسين وستمائة للهجرة ، حيث انقطع الكتاب المُذيل عليه ، علـى النحو الوارد في قوله :

" ... فشرعت في اختصاره (اختصار المرآة) ، وأخذت في اقتصـاره ،

---

(١) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٣ ص ٣٧١ ـ ٣٧٢ تر ٤٥٨ .
(٢) الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٣ ص ١٢٨ .
(٣) اليونيني . ذيل مرآة الزمان ج ٣ ص ٧٢ .
(٤) الزركشي . عقود الجمان ق ٢٩٥ ب .
(٥) الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٤ ص ١٧٥ .

فلما أنهيته مطالعةً ، وحررته اختصاراً ومراجعةً ،وجدته انقطع إلى سنة أربـــــع وخمسين وستمائة ،وهى السنة التى توفى المصنف ــ رحمه الله ــ فى أثنائهـــــا ، فآثرت أن أذيله بما يتصل به سببه إلى حيث يقدره الله ــ تعالى ــ مـــــن الزمان " . (١)

وهو ما يفهم منه أن " لليونينى " مؤلفين ، هما " مختصر المرآة "و"الذيل على المرآة " (٢) ، وأن ما نُسِبَ إلى" الذيل" هنا مما ورد فى " مختصر المـرآة " ، وهو مثبت فى " المرآة " على النحو التالى :

" ... وحكى لى أنه كان يقول : أنا أعرف الاسم الأعظم ،وأعرف الكيميـــاء بطريق المنازلة لا بطريق الكسب " . (٣)

---

(١) اليونينى . ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٢ .

(٢) يترجح لدى أن ما طبع فى " الهند " باسم " مرآة الزمان " ليس سوى مختصرة " اليونينى " عن الأصل ، لوجود تفاوت فى مادة ما نُقِلَ فـــى المصادر عن " المرآة " ومادة المطبوعة ، فضلاً عن كثير من الإسقاطـــات والحذوف .

(٣) سبط ابن الجوزى . مرآة الزمان ج ٨ ص ٧٣٦ .

* الكمال ، ابن الزملكاني [1] (ت ٧٢٧ هـ ٠ / ١٣٢٧م ٠) :

ترجمه [2] " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ في " عقوده " ، مسنداً إليه في موضعين [3] من ترجماته ،ناقلاً ما أسند إليه فيهما عن " الوافي بالوفيات " للصفدي ٠

أما أولهما ، فقد أتت عبارته المسندة إلى "ابن الزملكاني " فيه على النحو التالي :

" ٠٠٠ قال الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني : لو لم يقدر الله ـ تعالى ـ لقاضي القضاة شهاب الدين الخويي أن يجيء لهذه البلاد قاضياً ما طلع منا فاضل " ٠ (٤)

ويقابله لدى الصفدي في " الوافي " قوله :

" ٠٠٠ أخبرني تقي الدين عبدالرحمن بن الشيخ كمال الدين محمد ابن الزملكاني ـ رحمهما الله تعالى ـ قال : قال لي والدي : لو لم يقدر الله ـ تعالى ـ لقاضي القضاة شهاب الدين ابن الخويي أن يجيء إلى

(١) هو " كمال الدين ،أبو المعالي ،محمد بن علي بن عبدالواحد ابن عبدالكريم الأنصاري ،السماكي ،الدمشقي ،الشافعي " ٠
كان عالماً مشاركاً في الفقه ،والأصول ،والتصوف ،والأدب ،واللغة ، والنحو ٠
له ترجمة في : الذهبي ٠ ذيل العبر ص ١٥٤ ،ابن شاكر الكتبي ٠ فوات الوفيات ج ٤ ص ٧ـ ١١ تر ٤٨٨ ،الصفدي ٠ الوافي بالوفيات ج ٤ ص ٢١٤ ـ ٢٢١ تر ١٧٤٧ ،اليافعي ٠ مرآة الجنان ج ٤ ص ٢٧٧ ،السبكي ٠ طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ٢٥١ ـ ٢٥٩ ، الاسنوي ٠ طبقات الشافعية ج ٢ ص ١٣ـ ١٥ تر ٥٨٦ ،ابن كثير ٠ البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٣١ ـ ١٣٢ ، ابن قاضي شهبة ،طبقات الشافعية ج ٢ ص ٣٨٣ ـ ٣٨٧ تر ٥٦٦ ،ابن حجر ٠ الدرر الكامنة ج ٤ ص ٧٤ ـ ٧٦ تر ٢١٠ ،ابن تغري بردي ٠ النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ ،السيوطي ٠ حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ تر ٧٤ ،النعيمي ٠ الدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ٣١ ـ ٣٣ ،ابن العماد الحنبلي ٠ شذرات الذهب ج ٦ ص ٧٨ ـ ٧٩ ٠
(٢) الزركشي ٠ عقود الجمان ق ٣٠٢ أ ـ ٣٠٣ ب ٠
(٣) ورد ذلك في ترجمتي :
* محمد بن أحمد بن الخليل ، الخويي (ق ٢٦٩ أ ـ ٢٧٠ أ) ٠
* محمد بن علي بن أحمد بن عبدالله ،ابن العربي (ق ٢٩٥ أ ـ ٢٩٦ ب) ٠
(٤) نفسه ق ٢٦٩ ب ٠

دمشق قاضياً ما طلع منا فاضل ، انتهى " . (١)

.. وهكذا ، فإن المروى فى هذا الموضع " رواية شفهية " تفرد " الصفدى " باثباتها فى " الوافى " مسندة الى راويها ،فأتى " الزركشى " فنقلها عنه فى " عقوده " ، مسنداً فيها إلى " ابن الزملكانى " ، مغفلاً فيها التصريح " بالوافى " ، الذى لم يكن له اطلاع على روايته تلك إلا من خلاله .

وأما الموضع الثانى ،فقد أتت عبارته المسند فيها إلى ابن الزملكانى على النحو التالى :

" ... قال الشيخ كمال الدين ابن الزملكانى فى مصنفه الذى عمله فى الكلام على الملك والنبى والشهيد والصديق ،فى الفصل الثانى ،فى فضل الصديقية : قال الشيخ محيى الدين ابن العربى ، البحر الزاخر فى المعارف الإلهية ، وذكر من كلامه جملة ،ثم قال فى آخر الفصل : إنما نقلت كلامه وكلام من يجرى مجراه من أهل الطريق لأنهم أعرف بحقائق هذه المقامات وأبصر بها ، لدخولهم فيها وتحققهم بها ذوقاً ،والمخبرُ عن الشىء ذوقاً مخبرٌ(٢) عن عين التعيين ،فاسأل به خبيراً . انتهى " . (٣)

ويقابله لدى الصفدى فى " الوافى " قوله :

" ... وقد عظمه الشيخ كمال الدين ابن الزملكانى ــ رحمه الله تعالى ــ فى مصنفه الذى عمله فى الكلام على الملك والنبى والشهيد والصديق ــ وهو مشهور ــ فقال فى الفصل الثانى ،فى فضل الصديقية : وقال الشيخ محيى الدين ابن العربى ،البحر الزاخر فى المعارف الإلهية ،وذكر من كلامه جملة ،ثم قال آخر الفصل : إنما نقلت كلامه وكلام من جرى مجراه من أهل الطريق لأنهم أعرف بحقائق هذه المقامات وأبصر بها ،لدخولهم فيها وتحققهم بها ذوقاً ،والمخبرُ عن الشىء ذوقاً مخبرٌ عن عين اليقين ،فاسأل به خبيراً . انتهى " . (٤)

---

(١) الصفدى . الوافى بالوفيات ج ٢ ص ١٣٨ .
(٢) فى الأصل : "مخبراً " .
(٣) الزركشى . عقود الجمان ق ٢٩٥ ب .
(٤) الصفدى . الوافى بالوفيات ج ٤ ص ١٧٧ .

وبالمقابلة بين النصين ، نجد أن " الزركشي " قد أخذ ما أُسْنِـــــدَ في هذا الموضع إلى ابن الزملكاني عن " الوافي " للصفدي دون أن يصرح بمصدره القريب فيه ، وإن تشابهت العبارتان ، وانحصر مضمون ما لديه فيمـــا صُرِّحَ به لدى الصفدي في " الوافي " .

ابن سيد الناس[1] (ت ٧٣٤ هـ ٠ / ١٣٣٤م٠) :

لم تشر مصادر ترجمته إلى أنه ألف في التاريخ تأليفاً مستقلاً ، خارجاً عن مجالي " السيرة "[2] و " الصحابة "[3] . وما تردد في المصادر في غير هذين المجالين منسوباً إليه ليس سوى روايات شفهية ، أو تعليقات دونت على صفحات بعض الكتب ، أو في وريقات مستقلة .

ويمكن القول بأن ما أورده " الزركشي " في " عقوده " منسوباً إلى ابن سيد الناس لم يكن له اطلاع عليه بطريق الأصالة ، وإنما هو مما صادفه في

---

(١) هو " فتح الدين ، أبو الفتح ، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس ، اليعمري ، الأندلسي ، الإشبيلي ، المصري ، الشافعي " .
له ترجمة في : الذهبي . تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٥٠٣ ، دول الإسلام ج ٢ ص ٢٤١ ، ذيل العبر ج ٢ ص ١٨٢ ، ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٣ ص ٢٨٧ ـ ٢٩٢ تر ٤٢٧ ، الصفدي . الوافي بالوفيات ج ١ ص ٢٨٩ ـ ٣١١ تر ١٩٨ ، الحسيني . ذيل تذكرة الحفاظ ص ١٦ ـ ١٨ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٤ ص ٢٩١ ، السبكي . طبقات الشافعية الكبرى ج ٦ ص ٢٩ ـ ٣١ ، الاسنوي . طبقات الشافعية ج ٢ ص ٥١٠ ـ ٥١١ تر ١٢٠٩ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٦٩ ، ابن الملقن . العقد المذهب ق ١٦٧ ب ، المقريزي . السلوك ج ٢ ص ٣٧٦ ، ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ج ٢ ص ٣٩٠ ـ ٣٩٢ تر ٥٦٩ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٠٨ ـ ٢١٣ تر ٥٦٩ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ، السيوطي . ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ .
كما ترجمه " الزركشي " في " عقوده " (ق ٢٦٣ أ ـ ٢٦٥ ب) ، مسنداً إليه بعض عناصر ترجمات كل من : " الفخر الشيباني " (ق ١٩ ب) ، و " الأسعد ابن مماتي " (ق ٤٨) ، و " ابن الجنان الشاطبي " (ق ٢٥٦ أ ـ ٢٥٧ ب) ، و " الشهاب ابن الخويي " (ق ٢٦٩ ب ـ ٢٧٠ أ) .

(٢) له في هذا المجال : " عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير " ، ومختصره " نور العيون " ، وهما مطبوعان .

(٣) له في هذا المجال : " تحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة " ، و " المقامات العلية في كرامات الصحابة الجلية " ، وثانيهما مطبوع .

" فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبي ، و " الوافي بالوفيات " للصفدي .

وللدلالة على ذلك ،سوف يُكتفى ــ هنا ــ بالتمثيل لذلك بمثالين ، هما ترجمتا : " الفخر الشيباني " ،و " ابن الجنان الشاطبي " .

أما الأول ،فقد ترجمه " الزركشي " ــ مؤرخنا ــ على النحو التالي :

" إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد ،الوزير الكاتب ،فخر الدين الشيباني .

أصله من إسعرد . حدث عن ابن رواح ،وكتب عنه البرزالي والطلبة .

توفي بمصر سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وصُلِيَ عليه بدمشق .

ولي وزارة الصحبة للملك السعيد ،ثم وزر مرتين للملك المنصور قلاوون ، وكان قليل الظلم .

ولما فتح الكامل آمد كان ابن لقمان شاباً يكتب على عرصة القمح ، وينوب عن الناظر ،وكان البهاء زهير كاتب الإنشاء للملك الكامل ،فاستدعى من ناظر آمد حوائج ، فكانت الرسالة ترد إليه بخط ابن لقمان ، فاعجب البهاء زهير خطه وعبارته ، فاستحضره ونوه به ، وناب عنه في ديوان الإنشاء ، ثم إنه خدم في ديوان الإنشاء في الدولة الصالحية وهلم جرّا إلى أوائل الدولة الناصرية .

قال الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس اليعمرى : كان فخر الدين ابن لقمان وتاج الدين ابن الأثير في صحبة السلطان على تل العجول ، ولفخر الدين مملوك اسمه الطنبا ، فاتفق أنه دعا مملوكه ــ المذكور ــ " يالطنبا " ، فقال : نعم ،ولم يأته ، فتكرر طلبه له وهو يقول نعم ، ولا يأتيه ،وكانت (ليلة) مظلمة ، فأخرج فخر الدين رأسه من الخيمة ، فقال : تقول نعم وما أراك ؟! فقال تاج الدين :

في ليلةٍ من جُمادى ذاتِ أنديةٍ لا يبصرُ الكلبُ من ظلمائِها الطنبا

وهذا استشهاد بليغ ،وهو من أبيات الحماسة .

ومن شعر ابن لقمان في غلامه غلمش :

لو وشى فيه مَنْ وشى ما سلَّيتك غلمشا
أنا قد بحتُ باسمه يَفعلُ اللهُ ما يشا

وله :

كـنْ كيف شئتَ فإنـني بك مغـرمُ — لم أرض ما فعل الهوى المتحكمُ

ولئن كتمتُ عن الوشـاة صبابتي — بك فالجوانحُ بالهوى تتكلمُ

أشتـاقُ من أهوى وأعلم أنـني — أشتاقُ من هو في الفؤادِ مخيّمُ

يا مَن يصدُّ عن المحبِّ تدللاً — وإذا بكى جداً غدا يتبسّمُ

أسكنته القلب الذي أحرقتـه — فحذارِ من نارٍ به تتضرّمُ . (١)

ويقابله لدى " ابن شاكر الكتبي " قوله في " الفوات " :

" إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد ، الوزير الكاتب ، فخر الدين الشيباني .

قال الشيخ شمس الدين : رأيته بعمامة صغيرة ، وقد حدث عن ابن رواح ، وكتب عنه البرزالي والطلبة ، وتوفي بمصر سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وصُلِّيَ عليه بدمشق .

ولي وزارة الصحبة للملك السعيد ، ثم وزر مرتين للملك المنصور قلاوون ، وأصله من إسعرد .

وكان قليل الظلم ، فيه إحسان إلى الرعية ، وكان إذا عُزِلَ من الوزارة يأخذ غلامه الحرمدان خلفه ، ويبكر من الغد إلى ديوان الإنشاء .

ولما فتح الكامل آمد كان ابن لقمان شاباً يكتب على عرصة القمح ، وينوب عن الناظر ، وكان البهاء زهير كاتب الإنشاء للملك الكامل ، فاستدعى من ناظر آمد حوائج ، فكانت الرسالة ترد إليه بخط ابن لقمان ، فأعجب البهاء زهير خطه وعبارته ، فاستحضره ونوه به ، وناب عنه في ديوان الإنشاء ، ثم إنه خدم في ديوان الإنشاء في الدولة الصالحية وهلم جرّا إلى أوائل الدولة الناصرية .

قال الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس : كان فخر الدين ابن لقمان وتاج الدين ابن الأثير صحبة السلطان على تل العجول ، ولفخر الدين مملوك اسمه الطنبا ، فاتفق أنه دعا بمملوكه المذكور : " يا الطنبا " ، فقال : نعم ، ولم يأته ، فتكرر طلبه له وهو يقول نعم ، ولا يأتيه ، وكانت ليلة مظلمة ،

---

(١) الزركشي . عقود الجمان ق ١٩ ب .

فأخرج فخر الدين رأسه إلى الخيمة وقال : تقول نعم وما أراك ؟! فقال تاج الدين :

في ليلةٍ من جُمادى ذاتِ أنديةٍ لا يبصرُ الكلبُ من ظلمائِها الطنبا

قلت : وهذا من جملة أبيات الحماسة ، لمرة بن ملحان ، وما استشهد أحد في واقعة بأحسن من هذا أبداً .

ومن شعر فخر الدين ابن لقمان في غلامه غلمش :

لو وشى فيه مَنْ وشى ما تسلَّيتُ غلمشا
أنا قد بحتُ باسمهِ يَفْعَلُ اللهُ ما يشا

وله أيضاً :

كن كيف شئت فإنني بك مغرم ... ...
... ... فحذار من نار به تتضرم ". (١)

وبالمقابلة بين هذين النصين يتضح أن " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ قد أخذ مادة ترجمته كلها ـ في هذا الموضع ـ عن " ابن شاكر الكتبي " ، محافظاً على النسقين : الترتيبي والتعبيري لمصدره ، باستثناء تغيير طفيف فيهما ، يتمثل في تعديل بعض الألفاظ لديه ، وإبدال قول مصدره : " قلت : وهذا من جملة أبيات الحماسة لمرة بن ملحان ، وما استشهد في واقعة بأحسن من هذا أبداً " ، بقوله : " وهذا استشهاد بليغ ، وهو من أبيات الحماسة " ، وتقديم قول مصدره : " أصله من إسعرد " ، ليرد لديه تلو الاسم وملحقاته ، والاستغناء عن موضعين يسيرين من الترجمة الرئيسة ، وهما : " قال الشيخ شمس الدين : رأيته بعمامة صغيرة " ، و " ... فيه إحسان إلى الرعية ، وكان إذا عُزِلَ من الوزارة يأخذ غلامه الحرمدان خلفه ، ويبكر من الغد إلى ديوان الإنشاء " .

ومع هذا المسلك المقترب بالنصين إلى حد التطابق ، فإن مؤرخنا لم يشأ التصريح بمصدره فيها ، مكتفياً في ذلك بالإسناد إلى " ابن سيد الناس " ـ مصدر مصدره ـ فيها ، مغفلاً ـ كذلك ـ التصريح بالمصدر الثاني لديه ، وهو " الشمس الذهبي " .

أما الثاني ، وهو " ابن الجنان الشاطبي " ، فقد ترجمه ـ كذلك ـ

(١) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ج ١ ص ٤٣ ـ ٤٤ تر ١٤ .

عن " الصلاح الصفدى " فى " الوافى بالوفيات " ، مكتفياً فى ترجمته تلك باسناد بعض عناصرها إلى مصدرى مصدره فيها ، وهما " ابن سيد الناس " و " ابن حيان " ، مغفلاً التصريح بالمصدر القريب ، المأخوذ لديه عنه .

ومما ورد فيهما مُسْنَداً لديه إلى " ابن سيد الناس " قوله :

" ... ومن شعره :

عَرْفُ النسيمِ بعَرْفِكم يتعــــرّفُ   وأخــو الغرام بحبكم يتشــــرفُ
شَرَفُ المتيّم فى هواكُـمْ أنّـــــه   طَوْراً يَبُوحُ وتــارةً يتلهّـــــفُ
لَطُفَتْ معانيه فهبَّ مـع الصَّبــــا   فرقيبه بهبوبـهِ لا يَعْـــــرِفُ
وإذا الرقيبُ درى بــه فلأنّـــــه   أخفى لديـه من النسيم وألطـفُ
ولأنه يعــد والنسيم ديارَهـــــم   وله على تلك الربوع توقّـــــفُ

يحكى الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس عن والده أنه أنشد هـــذه الأبيات بالقاهرة ، بحضرة القاضـى شمس الدين ابن خلكان ، فقال : لطفته لطفته إلى أن عاد لا شئ ، فالتفت ابن الجنان وقال : الكاضى حمار هوس ، ما (له) ذوك ، يعنى : القاضى حمار ، ماله ذوق ". (١)

ويقابله لدى الصفدى قوله :

" ... أخبرنى الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس : قال : أخبرنـــى والدى ، قال : كنا عند القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان ـ وهو ينـــوب فى الحكم بالقاهرة ـ والشيخ فخر الدين ابن الجنان حاضر ، وهو إلى جانبى ، فانشد أبياتاً له ، وهى :

عَرْفُ النسيمِ بعَرْفِكم يتعـــرّفُ   ....
....   ولها على تلك الربـوع توقّـــفُ

فقال القاضى شمس الدين : يا شيخ فخر الدين ، لطفته لطفته إلـــى أن عاد لا شئ ، فالتفت إلىّ وقال بلسانه : الكاضى حمار هوس ما لو ذوك شى . يعنى : القاضى حمار ، ماله ذوق ". (٢)

وبالمقابلة بين النصين ، يتضح أن المسند لدى " الزركشى " إلـــى ابن سيد الناس ـ فى هذا الموضع ـ قد أُخِذَ عن " الصلاح الصفدى " .

---

(١) الزركشى . عقود الجمان ق ٢٥٦أ .
(٢) الصفدى . الوافى بالوفيات ج ١ ص ١٧٥ـ١٧٦ .

وأن مؤرخنا لم يطلع على رواية " ابن سيد الناس " بطريق الأصالة ، لأنهـــــا من الروايات الشفهية التي انفرد " الصفدى " بتقييدها في " الوافــــــى بالوفيات " .

وإن كان لمؤرخنا مندوحة في هذا ، فإنها تلك التي جعلته يورد هـــذا الجانب من ترجمة " ابن الجنان " عن الصلاح الصفدى ، وليس عن ابن شاكـر الكتبى الذى ترجمه ـ كذلك ـ مستفيداً في ترجمته له بما رواه الصفــــــدى مشافهة عن ابن سيد الناس ، وإن صرح هو بذلك . (١)

---

(١) راجع : ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٣ ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

* الشمس الجزري (١) (ت ٧٣٩ هـ . / ١٣٣٩م .) :

ترجمه (٢) " الزركشي " — مؤرخنا — في " عقوده " ، مسنداً إليه في موضع واحد منها ، وهو ترجمة " جوبان القواس " ، الواردة لديه على النحو

---

(١) هو " شمس الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن إبراهيم بن عبد العزيز ، الجزري ، الدمشقي " .

كان من كبار العدول في دمشق، ولثقتهم به ، كانوا يكتفون بشهادته إذا انفرد بها .

وفيه يقول ابن رافع السلامي : " ... كان ديناً ، له أوراد وعبادة ، وتسبيح وذكر ، وجمع تاريخاً فيه فوائد وأشياء مستطرفة لا توجد في غيره ، وكان ذا مروءة " .

وله مشاركة في الأدب ، والتاريخ الذي ترك فيه مؤلفين ، هما :

* حوادث الزمان وأنبائه ، ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه .
* جواهر السلوك في الخلفاء والملوك .

(له ترجمة في : الذهبي . ذيل العبر ص ٢٠٨ ، الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٢ ص ٢٢ تر ٢٧٣ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٤ ص ٣٠٣ ، ابن رافع السلامي . الوفيات ج ١ ص ٢٥١ — ٢٥٢ تر ١٢٤ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٨٦ ، المقريزي . السلوك ج ٢ ص ٤٧١ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٠١ تر ٨٠٦ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٦ ص ١٢٤) .

ولم يتعين لديّ المصدر الرئيس المنقول عنه ، لضياع الجزء المتضمن ترجمة " جوبان القواس " في كل منهما ؛ إذ لم يبق من " حوادث الزمان " سوى قسمين ، ينقسم أحدهما إلى مجلدين ، يحتويان من وفيات سنة تسع وثمانين وستمائة (٦٨٩) للهجرة وحتى أول حوادث سنة تسع وتسعين وستمائة (٦٩٩) للهجرة ، وتحتفظ به دار الكتب المصرية تحت رقم : ٢١٥٩ — تاريخ ، تيمور ، وثانيهما يبتدئ بسنة ست وعشرين وسبعمائة (٧٢٦) للهجرة ، وينتهي في أثناء سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة (٧٣٨) للهجرة ، وآخره ترجمة " البرزالي " لمولفه ، وتحتفظ به مكتبة كوبريلي — بتركيا ، تحت رقم : ١٠٣٧ ، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة ، ذات الرقم : ١٠٦ — تاريخ .

أما " جواهر السلوك " ، فالمعروف لنا منه — حتى الآن — مجلد يبتدئ من أثناء وفيات سنة تسع وثمانين وستمائة (٦٨٩) للهجرة ، وينتهي بسنة تسع وتسعين وستمائة (٦٩٩) للهجرة ، وتحتفظ به المكتبة الأهلية بباريس ، وعنها مصورة دار الكتب المصرية ، ذات الرقم : ٢١٥٩ — تاريخ ، تيمور .

(٢) الزركشي . عقود الجمان ق ٣١٦ أ .

التالى :

" جوبان بن مسعود بن سعد الله ، أمين الدين الدنيسرى القواس التوزرى ؛ كان من الأذكياء الفضلاء ، وله النظم البليغ . قال شمس الدين الجزرى : اسمه رمضان وجوبان ، ولم يكن يعرف الخط ولا النحو ، وكانت كتابته من جهة التوريز فى غاية القوة ، بحيث إنه استعار من القاضى عماد الدين ابن الشيرازى درجاً بخط ابن البواب ونقل ما فيه إلى درج بورق التوز ، وألزق التوز على خشب وأوقف عليه ابن الشيرازى فأعجبه ، وشهد له أن فى بعض ذلك أشياء أقوى من خط ابن البواب ، واشتهر بذلك فى دمشق ، وبقى الناس يقصدونه يتفرجون عليه ، وكان له ذهن خارق . توفى فى حدود الثمانين وستمائة ؛ ومن شعره :

إذا افترّ جُنحُ الليل عن مبسم الفجر ....
.... فدون الذى تحوى أناملُهُ خصرى

وقال :

أصغى إلى قولِ الوشاةِ بجملتى ....
.... من بين شوكِ ملامةِ العذال

وقال :

مُتُّ فى عشقى ومعشوقى أنا ....
.... قلتُ : والله ولا أدرى أنا

وقال :

ألذُّ العشقِ ما قَتَلا ....
.... بالعذْلِ فى حكمِ الهوى عدلا

وقال فى البان :

نفَّشَ غصنُ البانِ أذنابَهُ ....
.... ما هذه إلاّ عيونٌ وقاح

وله :

إذا كبرتْ نفسُ الفتى قلّ عقلُهُ ....
.... من الكون يجرى ما أراد وما أبى

وله :

لاح الهلالُ ابن يومين (١) فذكّرنى ....

(١) فى " الفوات " : " ابن يوميه " .

.... بالميل ، والخمرُ شفافٌ عن الباقي

وله في شبابة :

وناطقةٍ بأفواهٍ ثمانٍ ....

.... وهيبة موكب ومدام صوفي

وله في طاسة :

ومعشوقةٍ تسقى المحبَّ رُضابها ....

.... فما خص منها موضع دون موضع

وقال في منكورس :

ظبيٌ من الأتراك لا يتركني ....

.... وعكس باقيه شبيه قدّه

وله :

حَمانا الترك وانتهكوا حِمانا ....

.... وجاروا باللواحظ والقدود

وله :

عذولٌ لا يملُّ ولا يميلُ ....

.... ألا يرضى وقد رضيَ القتيلُ ". (١)

ويقابله لدى ابن شاكر الكتبي في " الفوات " قوله :

" جوبان بن مسعود بن سعد الله ، أمين الدين الدنيسري القواس التوزي ؛ كان من أذكياء العالم ، وكان له النظم الجيد ، قال شمس الدين الجزري : اسمه رمضان وجوبان ، ولم يكن يعرف الخط ولا النحو ، وكانت كتابته من جهة التتويز في غاية القوة ، بحيث إنه استعار من القاضي عماد الدين ابن الشيرازي درجاً بخط ابن البوّاب ، ونقل ما فيه إلى درج بورق التوز ، وألزق التوز على خشب وأوقف عليه ابن الشيرازي فأعجبه ، وشهد له أن في بعض ذلك أشياء أقوى من خط ابن البواب ، واشتهر بذلك في دمشق ، وبقى الناس يقصدونه يتفرجون عليه ، وكان له ذهن خارق ، وتوفي في حدود الثمانين وستمائة ، رحمه الله تعالى .

ومن شعره :

---

(١) الزركشي ، عقود الجمان ق ٨٦ ب - ٨٨ ب .

إذا افترّ جُنحُ الليـــل عن مبسم الفجر . . . .

. . . . فدون الذى تحـوى أناملُهُ خصـرى

وقال أيضاً :

أصغـى إلى قول الوشـاة بجملـــتى . . . .

. . . . من بين شوك ملامـــة العـــذ ل

وقال على طريقة الصوفية والتهكم بهم :

مُتُّ فـى عشقـى ومعشوقـى أنــــا . . . .

. . . . قلتُ : واللـه لا أدرى أنــــا

وقال أيضاً :

ألـذُّ العشـــقِ ما قتــــــلا . . . .

بالعـذْ . . . . ل فى حكم الهـوى عـــــدلا

وقال فى البان :

نفّشَ غصـنُ البـانِ أذنابـــهُ . . . .

. . . . ما هـذه إلاّ عيـونٌ وقـــاح

وقال أيضاً :

إذا كـبرتْ نفسُ الفـتى قلَّ عقلــهُ . . . .

. . . . من الكون يجـرى ما أراد وما أبـى

وقال أيضاً :

لاح الهـلالُ ابن يوميـهِ فذكّرنـــى . . . .

. . . . بالميل ، والخمر شغاف عن الباقـى

وقال فى شبابة :

وناطقـةٍ بأفـواه ثمــــــانٍ . . . .

. . . . وهيبة موكـب ومـدام صوفـــى

وقال فى طاسة :

ومعشوقـةٍ تسقى المحبَّ رضابهــــا . . . .

. . . . فما خص منها موضع دون موضـــع

وقال فى منكورس :

ظـبيٌ من الأتراكِ لا يتركـــــنى . . . .

.... وعكس باقيه شبيه قدّو

وقال أيضاً :

اربحْ وخذْ بنسيئةٍ ....

.... لى مالُ أرباب المَطامع

وقال فى حمام :

جئتُ أريدُ الحمامَ يوماً ....

.... قلنا ألم يأتكم نذير

وقال أيضاً :

حمانا الترك وانتهكوا حِمانا ....

.... وجاروا باللواحظ والقدود

وقال أيضاً :

عذولُ لا يَمَلُّ ولا يميلُ ....

.... ألا يرضى وقد رضى القتيل

وقال مواليا : .....(١)

وبالمقابلة بين النصين نجد أن " الزركشى " قد نقل مادة ترجمته تلك عن " الفوات " لابن شاكر الكتبى ،محافظاً على نسقه الترتيبى ،وإن تصرف فى النسق التعبيرى المصاحب لمادة ترجمته،مع اسقاطه تسعة شواهدَ شعريةٍ مما مُثِلَ به لأدب المترجم له ، اثنان منها أثبِتَا فى مصدره فيما بين الشاهدين العاشر والحادى عشر المثبتين لديه ،وسبعة وردت فى مصدره تلو الشاهد الأخير الوارد لديه ؛ كما لم يكن دقيقاً فى النقل عن مصدره فى بعض مواضع ،منها نسبة مترجمه " التوزرى " ، ويقابلها فى مصدره " التوزى " ،وهى نسبة الى " التوز " ، الذى كان يعالج المترجم له الورق المتخذ من لحائه بالكتابة عليه ، وقوله : " ابن يومين = ابن يوميه " ، الوارد فى الشاهد الشعرى السابع المثبت لديه .

وهكذا يمكن الإطمئنان إلى القول بأن مؤرخنا لم يكن له اطلاع مباشر على مادة ما كتبه " الشمس الجزرى " مترجماً " لجوبان القواس " ، وإنما هو مطلع ــ فقط ــ على ما أُثبِتَ لدى " الفوات " مسنداً إلى " الشمس الجزرى " .

---

(١) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ١ ص ٣٠٣ ــ ٣٠٩ تر ١١٠ .

* أثير الدين ،أبو حيـان (١) (ت ٧٤٥هـ . / ١٣٤٤م .) صاحـب

(١) هو " أثير الدين ،أبو حيان ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان ، الغرناطي ،الجياني ،النفزي " .

ولد بغرناطة في شوال سنة ٦٥٤هـ . (نوفمبر ١٢٥٦م .) ، ونشأ بها ، متتلمذاً على علمائها في القراءات والنحو واللغة ،كما كانت لـه رحلة إلى بلاد المغرب والحجاز والديار المصرية ، التي استقر فيهـا متولياً إقراء العربية في الجامعين" الحاكمي " و " الأقمر " ،وتدريـس الحديث في الجامع الطولوني ، والتفسير في القبة المنصورية ،التي كان بيده ـ كذلك ـ مشيخة الحديث فيها، جامعاً بـين هـذه الوظائـف إلى حين وفاته بالقاهرة في الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة للهجرة ،وقد بلغ أساتذته نحواً من خمسين وأربعمائة شيخ ، وإجازاته نحواً من خمسمائة وألف إجازة ،ومؤلفاته أكثر من خمسين كتابـاً في اللغة والنحو والتصوف والأدب (شعره ونثره) والتفسير والقراءات والحديث والتاريخ ، الذي ترك فيه مولفات لم يكشف بعد عن مظـان وجودها ،عدّ من ترجموه منها ستة ،وهي : " التبيان فيمن روى عنـه أبو حيان " ،و " تحفة الندى في نحاة الأندلس " ، و " مجاني الهصر في آداب وتواريخ لأهل العصر " ـ لم يكمل تصنيفه حتى سنة ٧٢٨هـ ـ و " مشيخة ابن أبي منصور " ،و " نفخة المسك في سيرة الـترك"، و " النضار في المسلاة عن نضار " ، ألفه بعد وفاة ابنته " نضار " سنة ٧٣٠ هـ . جاعلاً منه ترجمة ذاتية له .

ولقد أجمع من ترجموه على أنه كان إماماً متقناً ،ذا باع طويل فيمـا نسب إليه من علوم ، وفيه يقول الذهبي :

" ... ومع براعته الكاملة في العربية ،له يد طولى في الفقـه والآثار والقراءات ، ... وهو مفخرة أهل مصر في وقتنا في العلم ، تخرّج به عدة أئمة ... ووددت لو أنه نظر في هذا الكتاب (معرفة القراء الكبار) وأصلح فيه وزاد فيه تراجم جماعة من الكبار ،فإنه إمام في هذا المعـنى أيضاً " .

ويقول فيه الصفدي : " ... اجتهد وطلب وحصل ، وكتب وقيّد ، ولم أر في أشياخي أكثر اشتغالاً منه ، لأني لم أره إلا يسمع أو يشغـل (يعلم) أو يكتب ولم أره على غير ذلك ... وهو ثبتٌ فيما ينقله ،محرر لما يقوله ،عارف باللغة ،ضابط لألفاظها ، وأما النحو والتصريف فهـو إمام الدنيا فيهما ، لم يُذكر معه في أقطار الأرض غيره في العربية ،ولـه اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم النـاس وطبقاتهم وتواريخهم وحوادثهم خصوصاً المغاربة " .

ويقول السبكي : " ... وكان الشيخ أبو حيان إماماً منتفعاً به =

كتاب " مجانى الهصر فى آداب وتواريخ لأهل العصر " (١) :

= اتفق أهل العصر على تقديمه وإمامته ، ونشأت أولادهم على حفظ مختصراته وآباؤهم على النظر فى مبسوطاته ، وضربت الأمثال باسمه ، مع صدق اللهجة وكثرة الاتقان والتحرى " .

راجع فى ترجمته : التجيبى ، مستفاد الرحلة والاغتراب ص ١٤٠ـ ١٤٢ ، أبا حيان ، البحر المحيط ج ١ ص ٣ ، الذهبى ، معرفة القراء الكبار ج ٢ ص ٧٢٣ ـ ٧٢٤ تر ٦٨٩ ، ابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات ج ٤ ص ٧١ ـ ٧٩ تر ٥٠٦ ، الصفدى ، أعيان العصر ج ١١ ق ١١٠ ب ـ ١٢٤ ب ، نكت الهميان ص ٢٨٠ ـ ٢٨٦ ، الوافى بالوفيات ج ٥ ص ٢٦٧ ـ ٢٨٣ تر ٢٣٤٥ ، الحسينى ، ذيل تذكرة الحفاظ ص ٢٣ ـ ٢٧ ، ذيل العبر ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ، السبكى ، طبقات الشافعية الكبرى ج ٦ ص ٣١ ـ ٤٤ ، الاسنوى ، طبقات الشافعية ج ١ ص ٤٥٧ ـ ٤٥٩ تر ٤١٤ ، ابن رافع ، الوفيات ج ١ ص ٤٨٢ ـ ٤٨٣ تر ٣٩٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٤ ص ٢١٣ ، ابن الخطيب ، الكتيبة الكامنة ص ٨١ ـ ٨٦ تر ٢٣ ، الزركشى ، عقود الجمان ق ٣١٤ ب ـ ٣١٦ أ ، ابن الجزرى ، غاية النهاية ج ٢ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ تر ٣٥٥٥ ، المقريزى ، السلوك ج ٣ ص ٦٧٦ ، ابن قاضى شهبة ، طبقات الشافعية ج ٣ ص ٨٨ ـ ٩٢ تر ٦٢٦ ، طبقات النحاة ص ٢٨٩ ـ ٢٩٢ تر ٢١٩ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٠٢ ـ ٣١٠ تر ٣٠٢ ، ابن تغرى بردى ، الدليل الشافعى ج ٢ ص ٧١٥ تر ٢٤٤٥ ، المنهل الصافى مج ٣ ق ٢٢٠ ب ـ ٢٢٤ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١١١ ـ ١١٥ ، السيوطى ، بغية الوعاة ج ١ ص ٢٨٠ ـ ٢٨٥ تر ٥١٦ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٣٤ ـ ٥٣٦ تر ١٨ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٥٠١ ـ ٥٠٢ ، الداودى ، طبقات المفسرين ج ٢ ص ٢٨٦ ـ ٢٩١ ، سبط ابن حجر ، رونق الألفاظ (مخط ، مدينة) ج ٢ ق ١٣٦ ، ابن القاضى ، درة الحجال ج ٢ ص ١٢٢ ـ ١٢٤ تر ٥٧٣ ، المقرى ، نفح الطيب ج ٢ ص ٥٣٥ ـ ٥٨٤ تر ٢١٦ ، ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ج ٦ ص ١٤٥ ـ ١٤٧ ، كليزر ، دائرة المعارف الإسلامية (أبو حيان الغرناطى) ج ١ ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩ ، د ، خديجة الحديثى . أبو حيان النحوى ، بغداد ، النهضة ، ط ١ ، ١٩٦٦ .

(١) يبدو أن هذا الكتاب قد جمعه " الصفدى " مما شافهه به " أبو حيان " ، وهو ما يفهم من قول " ابن حجة الحموى " (خزانة الأدب وغاية الأرب ص ٣٣٤) : " ... وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه الذى جمعه من إملاء الشيخ أثير الدين أبى حيان ، وسماه مجانى الهصر من آداب أهل العصر : أنشدنى الشيخ أثير الدين قال : ... "

=

وهو من المصادر التى لم يطلع " الزركشى " ـ مؤرخنا ـ على مادتها اطلاعاً مباشراً ، وإن أسند إليه فى عشرين موضعاً من ترجمات (١) " عقوده " ،

= ولعل فى حرص " الصفدى " على اقتران الكثير من نقوله عنه فى " الوافى " وغيره من مؤلفاته بما يشير إلى تحصيله لها عن " أبى حيان " مشافهة ما يوهم ذلك ، ومنه قوله :

* " ... وسمعت من لفظه ما أخترته من كتابه مجانى الهصر " (نفسه ج ٥ ص ٢٦٩) .

* " ... أخبرنى الشيخ أثير الدين شفاهاً ..." (نفسه ج ٢ ص ١٣٤ ، ج ٥ ص ٩١) ، " ... قال الشيخ أثير الدين مشافهة ... " (نفسه ج ٢ ص ١٥) .

* " ... أخبرنى الشيخ أثير الدين من لفظه قال : ... " (نفسه ج ٢ ص ١٦ ، ج ٥ ص ٣١ ، ٣٥ ، ٥٥ ، ٩٠ ، ١٠٩ ، ١٦٩ ، ٢٠٣) .

* " ... أنشدنى أثير الدين من لفظه قال : ..." (نفسه ج ٥ ص ٢٠٣) ، " ... أنشدنى له الشيخ أثير الدين أبو حيان ... " (نفسه ج ١ ص ١٧٦) .

ولا يتعارض ذلك وقوله : " ... أخبرنى الشيخ الإمام العلامة أثير الدين أبو حيان قراءة منى عليه وهو يسمع ... " (نفسه ج ١ ص ٢٠٦) ، وقوله : " ... كذا قرأته على الشيخ أثير الدين " (نفسه ج ١ ص ١٧٥) ، إذ عادة ما يراجع التلميذ ما شوفه به بعد تحريره على شيخه لمزيد التثبت والاستيثاق لمادة ما دونه ، كما أن القراءة المثبتة هنا " للصفدى " وليست " لأبى حيان " .

وقد تكون المشافهة بالكتاب تمت فى حدود سنة ٧٢٨هـ ، التى حصل فيها " الصفدى " على الإجازة برواية مؤلفات " أبى حيان " ، والكتاب لم يتم تصنيفاً ، ويكون العامل الرئيس فيها ذهاب بصر الشيخ ، وإن لم يتحدد فى المصادر توقيتاً لكف بصره .

(١) هى بحسب تواردها لدى " الزركشى " ترجمات كل من :

* إبراهيم بن سهل الإسرائيلى (ق ١٢أ) .
* إبراهيم بن معضاد بن شداد الجعبرى (ق ١٨أ) .
* إبراهيم البارزى الحموى ، ظهير الدين (ق ٢١أ ـ ٢٢ب) .
* أحمد بن عبد الدائم بن يوسف بن قاسم الشارمساحى (ق ٣٠أ) .
* أحمد بن عبد الوهاب بن خلف ، ابن بنت الأعز (ق ٣٤ ب ـ ٣٥أ).
* جعفر بن محمد بن عبد العزيز (ق ٨٦أ) .
* الحسن بن شاور بن طرخان ، النقيس (ق ٩٢أ ـ ٩٤أ) .
* الحسن بن محمد بن جعفر ، ابن الطراح (ق ٩٩) .
* سليمان بن على بن عبد الله ، العفيف التلمسانى (ق ١٢٨أ ـ ١٢٩ ب) .

ناقلاً ما أسند إلى أبي حيان عن " الوافي بالوفيات " للصفدي و " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبي .

ومن الأمثلة الموضحة لذلك قوله مترجماً للبرهان الجعبري :

" إبراهيم بن مِعْضاد بن شداد ، الشيخ العارف برهان الدين الجعبري . قال أبو حيان : رأيت المذكور بالقاهرة وحضرت مجلسه أنا والشيخ نجم الدين ابن مكي ، وجرت لنا معه حكاية ، وكان يجلس للعوام يذكرهم ، ولهم فيه اعتقاد ، وكان له مشاركة في العلم والطب .

قلت : ما أنصفه ، فقد كان لسان العارفين في وقته ، وروح المشاهد في رضاه ومقته ، رحمه الله .

وله شعر ، فمنه :

(وأفاضل الناس الكرام أبـــوة ... وفتــوة ممّــن أحبّ وتاهـــا)
عَشِقوا الجمال مجرّداً بمجــرّد ال ... ـروح الزكيّـة عِشْــقَ مَنْ زكّاهــا
متجرّدين عــن الطبــاع ولومهـا ... متلبّسين عفافهــا وتُقاهــا
متمثّلين بصـــورةٍ بَشَريّـــةٍ ... وقلوبهــم ملكيّــةٌ بقُواهــا

= * شعيب بن محمد بن محمد بن محمد بن ميمون (ق ١٣٣ ب ــ ١٣٤ أ) .
* ضياء بن عبد الكريم المناوي (ق ١٣٨ ب ــ ١٣٩ أ) .
* عبد الله بن علي بن منجد السروجي (ق ١٥٠ أ ــ ١٥٣ ب) .
* عبد العزيز بن عبد الغني بن سرور النسفي (ق ١٩٢ ب ــ ١٩٥ أ) .
* علي بن عدلان بن حماد بن علي ، الربعي (ق ٢١٥ أ ــ ٢١٦ ب) .
* عمر بن عيسى بن نصر اللمطي (ق ٢٤٠) .
* محمد بن محمد بن سعيد بن هشام ، ابن الجنان (ق ٢٥٦ أ ــ ٢٥٧ ب) .
* محمد بن إبراهيم بن محمد النحاس (ق ٢٦٥ أ ــ ٢٦٦ ب) .
* محمد بن رضوان الحسيني (ق ٢٧٧) .
* محمد بن موسى الكاتب ، شرف الدين القدسي (ق ٣٠٨ أ ــ ٣٠٩ ب) .
* يوسف بن سيف الدولة بن زماح الحمداني (ق ٣٥٣ أ) .

كتمثّلِ الروحِ الأمينِ بدِحْيَةٍ ... إذ باليتيم له تمثّل طاها
(وهما هما فى مجتلى دار الملا ... فوق الملا مستوطنان علاها
هذا هو العجبُ العجيب لأهلهِ ... والغايةُ القصوى البعيدُ مداها
لا كالذى يهوى الطباع بطبعه ... ومرامُه صَلْصالها وحَماها
ويظنّ جهلاً أنّ تلك محبّةٌ ... بل شهوةٌ داعى الهموم دعاها
فانٍ تألف فانياً كتآلف الـ ... أنعام إذ عكفتْ على مرعاها
بل هم أضلّ لأنهم جعلوا له ... فى الحبّ أبناء التُّقى أشباها)

قال : لما مرض مرض موته أمر أن يُخْرَجُ به إلى مكان مدفنه ظاهر القاهرة بالحسينية ،فلما وصل إليه قال له : قبير ،جاك دبير! وتوفى بعد ذلك بيوم ،سنة تسع وثمانين وستمائة ... ". (١)

ويقابله لدى ابن شاكر الكتبى فى " الفوات " قوله :

" إبراهيم بن مِعْضاد بن شداد ،الشيخ برهان الدين الجعبرى. قال أبو حيان : رأيت المذكور بالقاهرة وحضرت مجلسه أنا والشيخ نجم الدين ابن مكى ،وجرت لنا معه حكاية ،وكان يجلس للعوام يذكرهم ،ولهم فيه اعتقاد ، وكان له مشاركة فى العلم والطب .

وله شعر منه من أبيات :

عشقوا الجمال مجرداً بمجرد الـ ... .
كتمثّلِ الروحِ الأمينِ بدحيةٍ ... .

قال : لما مرض مرض موته أمر أن يُخْرَجَ به إلى مكان مدفنه ظاهر القاهرة بالحسينية ،فلما وصل إليه قال له : قُبير ،جاك دُبَير! وتوفى بعد ذلك بيوم سنة سبع وثمانين وستمائة ... ". (٢)

ولدى " الصفدى " فى الوافى قوله :

" إبراهيم بن مِعْضاد بن شداد ،الشيخ برهان الدين الجعبرى، أخبرنى الشيخ الإمام العلامة أثير الدين أبو حيان من لفظه قال : رأيت المذكور بالقاهرة وحضرت مجلسه أنا والشيخ نجم الدين ابن مَكّى ،وجرت لنا معه حكاية ، وكان يجلس للعوام يذكرهم ولهم فيه اعتقاد ،وكان يروى شيئاً من

---

(١) المصدر السابق ق ١٨أ .
(٢) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ١ ص ٤٩ ــ ٥٠ تر ١٨ .

الحديث وله مشاركة في أشياء من العلم وفي الطب ، وله شعر منه :

وأفاضل الناس الكرام أبـــــوة ....

.... في الحب أبناء التقى أشباهـــا

قاسوا على أحوالهم أحوالـــه سُحقاً لأنفسهم فما أشقاهـــا

روض وروث هل تخير روثـــة بشر وأهمل روضة وشذاهـــا

إلا نفوس في الورى جعليـــة بالروث تحيى والعبير أذاهـــا

قال : ولما مرض مرض موته أمر أن يُخرَج به حياً إلى مكان مدفنه ظاهـــر القاهرة بالحسينية ،فلما وصل إليه قال له : قُبَيرُ ،جاك دُبيرا وتوفي بعـــد ذلك بيوم أو يومين سنة سبع وثمانين وستمائة ... » (١)

وبالمقابلة بين هذه النصوص الثلاثة يتضح أن " الزركشي " قد أخـــذ مادة ترجمته (في هذا الموضع) عن " الفوات " ، متعقباً المصدر الرئيـــس بالنقد ،ثم قُدِرَ له أن يطلع على مصدر مصدره فيها ، وهو " الوافي " للصفدي ، فعاد إلى ترجمته تلك مزيداً بين السطور وفي الهامش الأيمن للصفحة المترجـم فيها " للبرهان " ما حُصِرَ بين القوسين دون التفات إلى تصويب المنشـــور لديه عن " الفوات " ، مما يشير إلى أن ديدانه في تتبع الشواهد الشعريـــة الممثل بها لأدب المترجمين لديه ، وتدوين ما تيسر له منها في ترجماتهم دون التفات إلى صلب التراجم التي اكتفى فيها بالمصدر القريب بعيداً عن المقابلـــة بالأصل المنقول عنه ،ولذا لم يكن دقيقاً في بعض ما أثبته عن الفوات ، فلقـــد صحف سنة " سبع " لتصير " تسع " ،وأسقطا ما نُسِبَ " للبرهان " من روايـــة الحديث " ... وكان يروى شيئاً من الحديث " ،وأشارا إلى أن وفاته كانـــت بعد خروجه إلى القبر ومخاطبته له " بيوم " ، بينما ذُكِرَ في الصفدي أن ذلـــك كان بعد " يوم أو يومين " .

واليوم المسكوت عنه لديهم ،أرخ له " السبكي " بالسبت ،رابع عشـــرى المحرم . (٢)

وهكذا ،فإن ترجمة " البرهان الجعبري " تعد من الأمثلة الجيدة فـــي طريق الكشف عن منهج " الزركشي " في انتقاء مادة ترجمات كتابه وإسنادهـــا

---

(١) الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٦ ص ١٤٧ ــ ١٤٨ تر ٢٥٩٢ .

(٢) السبكي . طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ٤٩ .

إلى المصادر .

ومن الأمثلة الموضحة لذلك ـ أيضاً ـ قوله مترجماً لجعفر بن محمد بن عبدالعزيز :

" جعفر بن محمد بن عبدالعزيز بن أبى القاسم بن عمر بن سليمان بن إدريس بن يحيى ؛ وساق الشيخ أثير الدين نسبه إلى الحسين بن على بن أبى طالب ، وأنشد له :

لا تلُمنا إن رقصنا طربا	لنسيم هبّ من ذاك الخبا
طبّق الأرض بنشر عاطر	فيه للعشاق سرٌّ ونبا
يا أهيل الحىّ من كاظمة	قد لقينا من هواكم نصبا
قلتمُ جُزْ لترانا بالحمى	وملأتم حيّكم بالرُّقَبا
ليس أخشى الموت فى حبكمُ	ليس قتلى فى هواكم عجبا
إنما أخشى على عرضكمُ	أن يقول الناس قولاً كذبا :
استحلوا دمه فى حبّهم	فاجعلوا وصلى لقتلى سببا

توفى بعد الثمانين وستمائة تقريباً " . (١)

ويقابله لدى ابن شاكر الكتبى فى " الفوات " قوله :

" جعفر بن محمد بن عبدالعزيز بن أبى القاسم بن عمر بن سليمان بن إدريس بن يحيى ، وأوصل الشيخ أثير الدين نسبه إلى الحسين بن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهما ـ وأنشد للمذكور :

لا تلمنا إن رقصنا طربا	....
....	فاجعلوا وصلى لقتلى سببا

توفى بعد الثمانين وستمائة تقريباً ، رحمه الله تعالى " . (٢)

ولا يخفى التشابه بين النصين إلى حد التطابق ، وإن أسقط " الزركشى " عبارتى " الترضى " و " الترحم " وأبدل قوليه : " أوصل " بـ " ساق " ، و " للمذكور " بـ " له " .

وعنصر الوفاة المؤرخ لديهما تقريبياً ، هو مما زاده صاحب " الفوات " على الأصل . (٣)

---

(١) الزركشى . عقود الجمان ق ١٨٦أ .

(٢) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ١ ص ٢٩٦ .

(٣) اذ لم يذكر الصفدى (الوافى ج ١١ ص ١٥١ـ١٥٢) ذلك فى ترجمته .

* الكمال الإدفوى (١) (ت ٧٤٨ هـ ٠ / ١٣٤٧م ٠) صاحب كتاب " الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد " (٢) :

أسند إليه " الزركشى " ـ مؤرخنا فى موضعين (٣) من ترجمات " عقوده " ، ناقلاً ما أسند إليه فيهما عن " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبى ٠

ومن الأمثلة الموضحة لذلك ، قوله مترجماً " للنصير الإدفوى " :

" النصير الإدفوى ؛ قال كمال الدين جعفر : لم أجد بإدفو من يعرف اسم أبيه ، وكان أديباً شاعراً ، ينظم الشعر والموشح ، وكان فى أوائل المائة السابعة ، وأظنه مات بعد الخمسين وستمائة ، أنشدنى له والدى فى خولى يسمى كستبان :

أبى كستبانُ الرحلِ أن يحملَ الظرفا ... لقد عدم الحسنى كما عدم الظَرفا
يسمونه الخولىّ وهو مصحّفٌ ... الا إنّه الحولى الذى يأكلُ الحلفا

ومن نظمه هذا الموشح :

---

(١) هو " كمال الدين ، أبو الفضل ، جعفر بن ثعلب بن جعفر بن على ابن المطهر بن نوفل الإدفوى ، الشافعى " ٠
كان فقيهاً ، أديباً ، شاعراً ، مؤرخاً ٠
له ترجمة فى : الصفدى ٠ الوافى بالوفيات ج ١١ ص ٩٩ ـ ١٠٠ تر ١٦٢ ، الاسنوى ٠ طبقات الشافعية ج ١ ص ١٧٠ ـ ١٧٢ تر ١٥٢ ، المقريزى ٠ السلوك ج ٢ ص ٧٩٣ ، ابن قاضى شهبة ٠ طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٢ ـ ٢٥ تر ٥٨٩ ، ابن حجر ٠ الدرر الكامنة ج ١ ص ٥٣٥ ـ ٥٣٧ تر ١٤٥٢ ، ابن تغرى بردى ٠ النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٢٣٧ ، السيوطى ٠ حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٥٦ تر ١٩ ، ابن العماد الحنبلى ٠ شذرات الذهب ج ٦ ص ١٥٣ ٠

(٢) ألفه " الإدفوى " بإشارة شيخه " أبى حيان الأندلسى " ، مترجماً فيه لأعلام قوص وما يضاف إليها من القرى والبلاد من أهلها أو ممن أقام بها سنين حتى توفى فدفن فيها ، أو ممن نسب إليها ، أو تأهل (تزوج) فيها وله بها نسل ، أو ممن كان له منها أصل ٠٠ غير ذاكر فيه حياً ـ على وقته ـ " إلا فى النادر ، لغرض أو أمر عارض " ، مرتباً لهم على حروف المعجم ، مقدماً للكتاب بمقدمة أبان فيها عن جغرافية قوص وما انضاف إليها ، ومحاسن بلادها ٠

(٣) وردا فى ترجمتى : " النصير الإدفوى " (ق ٣٣٩) ، و " هارون ابن موسى بن محمد ، ابن المصلى الأرمنتى (ق ٣٤٠ أ) ٠

يا طلعةَ الهـلالِ هلاَّ لـي في الحبِّ منتظـرْ
...
وهاتف الأذانِ آذاني إذ نبّه البشـرْ ".(١)

ويقابله لدى " ابن شاكر الكتبي " في " الفوات " قوله :

" النصير الإدفوي ؛ قال كمال الدين جعفر : لم أجد بإدفو من يعرف اسم أبيه ،وكان أديباً شاعراً ينظم الشعر والموشح ،وكان في أوائل المائة السابعة ،وأظنه مات بعد الخمسين والستمائة ؛ أنشدني له والدي في خولي اسمه كستبان :

أبى كستبانُ الرحلِ أن يحملَ الظرفا ....
.... ألا إنه الحولي الذي يأكلُ الحلفا

ومن نظمه هذا الموشح :

يا طلعةَ الهـلالِ هلاَّ لـي في الحبِّ منتظـرْ
...
وهاتف الأذانِ آذاني إذ نبّه البشـرْ ". (٢)

ولدى الكمال الإدفوي في " الطالع السعيد " قوله :

" نُصيرٌ الإدفوي ،لم أجد من يعرف بها اسم أبيه ،كان أديباً شاعراً ، ينظمُ الشعرَ والموشّح وغيرَ ذلك .

ومن مشهور نظمه هذا الموشح الذي تنشده له الأدفوية الذين أدركوه ، وهو :

يا طلعةَ الهـلالِ هـلاَّ لـي في الحبِّ منتظـرْ
...
وهاتف الأذانِ آذاني إذ نبّه البشـرْ

وأنشدني والدي ــ رحمه الله تعالى ــ (له) في خولي البلد ،يقال له: كستبان :

أبى كستبانُ الرحلِ أن يحمل الظّرفا ....
.... ألا إنّه الحولي الذي يأكلُ الحلفا

---

(١) الزركشي . عقود الجمان ق ٣٣٩ .
(٢) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٤ ص ٢٢٠ ــ ٢٢٢ تر ٥٥٢ .

وكان فى المائة السادسة ، وأظنه مات بعد سنة خمسين ،وأنشدني أبى عنه أشياء لم تعلق بخاطرى " . (١)

وبالمقابلة بين هذه النصوص الثلاثة يتضح أن مادة " العقود " في هذا الموضع تتشابه إلى حد كبير ومادة " الفوات " المقابلة لها ترتيباً وتعبيراً ، وتبتعد بذلك عن مادة " الطالع السعيد " ، حيث جاء عنصر الوفاة لديهما قبل الشاهد الشعرى الأول ، وهو فى " الطالع " مدون في نهاية الترجمة ،كما أن ترتيب الشاهدين الشعريين لديهما معاكس لما في " الطالع " ،يضاف إلى ذلك تقليد " الزركشى " فى " عقوده " للخطأ التأريخى الوارد فى " الفوات " ، وهو قولهما : " ... كان فى أوائل المائة السابعة ،وأظنه مات بعد الخمسين والستمائة " ،ويقابله فى " الطالع السعيد " قول الكمال الإدفوى : " ... وكان فى المائة السادسة ،وأظنه مات بعد سنة خمسين " . مما يشير إلى أخذه ترجمته ـ تلك ـ عن " الفوات " وليس عن " الطالع " ،الذى لم يكن له اطلاع مباشر على مادته .

---

(١) الكمال الإدفوى . الطالع السعيد ص ٦٨١ ــ ٦٨٤ تر ٥٢٩ .

* الشمس الذهبي (١) (ت ٧٤٨ هـ . / ١٣٤٧م.) صاحب كتابي

" سير أعلام النبلاء " و " العبر في خبر من عبر " :

ترجمه " الزركشي " ـ مؤرخنا ـ في عقوده (٢)، مستنداً إليه في نحو عشرين موضعاً من ترجماته (٣)، ناقلاً عنه مباشرة تارة، وبواسطة تارة أخرى ؛ ومن

---

(١) هو " شمس الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني " .

عالم مشارك في علوم كثيرة ، منها : القراءات ، والفقه ، والحديث ، والتاريخ .

له ترجمة في : ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٣ ص ٣١٥ ـ ٣١٧ تر ٤٣٦ ، الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٢ ص ١٦٣ ـ ١٦٨ تر ٥٢٣ ، نكت الهميان ص ٢٤١ ـ ٢٤٤ ، الحسيني . ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٤ ـ ٣٧ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٤ ص ٣٠٨ ـ ٣٣٠ ، السبكي . طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ٢١٦ ـ ٢٢٦ ، الاسنوي . طبقات الشافعية ج ١ ص ٥٥٨ ـ ٥٥٩ تر ٥١٤ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ٢٢٥ ، ابن الجزري . غاية النهاية ج ٢ ص ٧١ تر ٢٧٥٢ ، ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ج ٣ ص ٧٢ ـ ٧٤ تر ٦١٥ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٣٦ ـ ٣٣٨ تر ٨٩٤ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١٨٢ ـ ١٨٣ ، السيوطي . طبقات الحفاظ ص ٥١٧ ـ ٥١٩ تر ١١٤٦ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٦ ص ١٥٣ ـ ١٥٧ ، د . بشار عواد معروف . الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام . القاهرة ، عيسى الحلبي ، ط ١ ، ١٩٧٦م .

(٢) الزركشي . عقود الجمان ق ٢٧٠ أ ـ ٢٧١ ب .

(٣) هي ترجمات كلٍ من :

* إبراهيم بن عثمان الغزي (نفسه ق ٣ ب) .
* إبراهيم بن سهل الإسرائيلي (نفسه ق ١٢ أ) .
* أحمد بن عبد الوهاب بن خلف ، ابن بنت الأعز (نفسه ق ٣٥ أ) .
* أحمد بن هبة الله بن محمد ، ابن أبي الحديد (نفسه ق ٦٣ ب) .
* أحمد بن يعقوب بن أحمد ، ابن الصابوني (نفسه ق ٦٥ ب) .
* الحسن بن علي بن عضد الدولة (نفسه ق ٩٧ أ) .
* السائب المكي ـ الشاعر (نفسه ق ١٢٠ ب) .
* سليمان بن علي ، العفيف التلمساني (نفسه ق ١٢٨ أ) .
* عبد الله بن محمد بن أحمد القيسراني (نفسه ق ١٥٩ ب) .
* علي بن مظفر بن إبراهيم الوداعي (نفسه ق ٢٢٧ ب) . =

أمثلة الأول قولـه مترجماً لإبراهيم بن عثمان الغزى :

" ... قال الذهبى فى كتابه العبر : هو شاعر العصر ، وحامل لـــواء الشعر ، تنقل فى البلدان ، وتوفى بناحية بلخ وله ثلاث وثمانون سنة ، وذلـــك سنة أربع وعشرين وخمسمائة " . (١)

ويقابله لدى "الذهبى " فى " العبر " قولـه :

" ... وفيها (سنة أربع وعشرين وخمسمائة) توفى أبو إسحاق الغـــزى ، إبراهيم بن عثمان ، شاعر العصر ،وحامل لواء القريض ، وشعره كثير سائـــر متنقـــل فى بلد الجبال وخراسان ، وتوفى بناحية بلخ ،وله ثلاث وثمانون سنة " . (٢)

مما يبرز عدم دقة مؤرخنا فى النقل عن مصدره ، إذ لم يشر " الذهبى " إلى تنقل المترجم له فى البلدان ، وإنما أشار إلى تنقل شعره ، كما أن التعميم فـــى قول " الزركشى " : " البلدان " قد خُصِصَ فى قول " الذهبى " ببلد الجبـال وخراسان .

ومن أمثلته ـ كذلك ـ قوله مترجماً للعفيف التلمسانى :

" ... قال الذهبى فى العبر : هو أحد زنادقة الصوفية ، وقد قِيل لـــه مرّة : أنت نُصَيرى ؟ فقال : النُّصَيرى بعضٌ منى " . (٣)

ويقابله لدى " الذهبى " فى " العبر " قوله :

" ... أحد زنادقة الصوفية ، وقد قِيل له مرّة : أأنت نُصَيرى ؟ فقـــال :

= * القاسم بن محمد بن يوسف البرزالى (المصدر السابق ق ٢٤٨ آ) .
* محمد بن محمد بن محمد ، ابن سيد الناس (نفسه ق ٢٦٣ أ) .
* محمد بن أحمد بن الخليل الخويى (نفسه ق ٢٦٩) .
* محمد بن عبدالواحد بن أحمد السعدى (نفسه ق ٢٩٣ ب) .
* محمد بن على بن محمد ،ابن العربى (نفسه ق ٢٩٥ ب) .
* نصرالله بن مظفر الصفار (نفســـه ق ٣٣٤ ب) .
* يزيد بن معاوية بن أبى سفيان (نفسه ق ٣٤٨ أ) .
* يعقوب بن حباب المنجنيقى (نفسه ق ٣٤٩ أ) .
* يوسف بن عبدالرحمن بن على ، ابن الجوزى (نفسه ق ٣٥٣ ب) .
* يوسف بن عبدالرحمن المزى (نفسه) .

(١) نفسه ق ٣ ب .
(٢) الذهبى . العبر ج ٤ ص ٥٥ .
(٣) الزركشى . عقود الجمان ق ١٢٨ أ .

النُّصَيري بعضَ مني " . (١)

بينما يمثل الثاني قوله مترجماً لابن بنت الأعز :

" ... قال الشيخ شمس الدين الذهبي في السير : قدم المذكور دمشق ، وولي تدريس الظاهرية والقيمرية ، وكان مليح الشكل ، لطيف الشمائل ، يركب البغلة ، ثم عاد إلى مصر وأقام بها مديدة ، وتوفي سنة تسع وتسعين وستمائة ، وهو أخو قاضي القضاة صدر الدين ، وقاضي القضاة تقي الدين ، رحمهم الله تعالى " . (٢)

ويقابله لدى " ابن شاكر الكتبي " في " الفوات " قوله :

" ... قال الشيخ شمس الدين : قدم دمشق ، وتولى تدريس الظاهرية والقيمرية ، وكان مليح الشكل ، لطيف الشمائل ، يركب البغلة ، ثم عاد إلى مصر وأقام بها مديدة ، وتوفي سنة تسع وتسعين وستمائة – رحمه الله – وهو أخو الأخوين : قاضي القضاة صدر الدين ، وقاضي القضاة تقي الدين ، رحمهما الله تعالى " . (٣)

وقوله مترجماً لفتح الدين ابن القيسراني :

" ... قال الذهبي : أنشدني لنفسه :

بوَجهِ مُعَذِّبي آياتُ حُسْنٍ فقُلْ ما شئتَ فيه ولا تُحاشي
ونُسْخةُ حسنِه قُرِئَتْ فصحَّتْ وها خطُّ الكمالِ على الحواشي " (٤)

وهي رواية شفهية أثبتها " الصفدي " عن " الذهبي " في " الوافي " على النحو التالي :

" ... أنشدني من لفظه الشيخ شمس الدين قال : أنشدني الصاحب فتح الدين من لفظه لنفسه :

بوَجهِ مُعَذِّبي آياتُ حُسْنٍ ....
.... وها خطُّ الكمالِ على الحواشي " . (٥)

---

(١) الذهبي ، العبر ج ٥ ص ٣٦٧ .
(٢) الزركشي ، عقود الجمان ق ٣٥ أ .
(٣) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ج ١ ص ١٠٧ .
(٤) الزركشي ، عقود الجمان ق ١٥٩ ب .
(٥) الصفدي ، الوافي بالوفيات ج ١٧ ص ٥٨٨ – ٥٨٩ .

ثانياً – الإسناد إلى المصادر :

من هذا العرض المسهب للمصادر المكتوبة ، وُجِدَ أن " الزركشي " قد سلك في الإسناد إلى المصادر طرقاً يمكن إجمالها في :

أ – الإسناد إلى المصدر القريب ، المنقول لديه عنه ، كنحو اسناده إلى كلٍ من : " المسبحي " (أخبار مصر) ، و " الباخرزي " (دمية القصر) ، و " عبدالدائم القيرواني " (حل العلا) ، و " السراج القارئ " (مصارع العشاق) ، و " ابن مكي " (تثقيف اللسان) ، و "الحِجاري" (المسهب) ، و " ابن زرقالة " (تذكار الواجد) ، و " ابن القِفطي " (إنباه الرواة) ، و " أبي شامة " (ذيل الروضتين) ،و " ابن خلكان " (وفيات الأعيان) ، و " ابن إياز " (شرح التصريف) ،و " ابن دقيق العيد " (إحكام الأحكام)، و " الشمس الذهبي " (العبر) .. وهي مصادر متنوعة ،بين تأريخية وأدبية ولغوية وفقهية ؛ راعى في الإسناد إليها أن يُذكَر المصدر قرين مؤلفه – غالباً – وقد تحدد لديه موضع النقل ، إذا كان المصدر مما يتعذر التعرف فيه على " مادة المنقول لديه " بيسر ، كما في المؤلفات اللغوية والفقهية ، لأن المنقول مما ورد فيه عرضاً ؛ كنحو قوله مترجماً لابن شرف القيرواني : " ...ذكر الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد في شرح العمدة ، في باب الصلاة ،في الكلام على الحديث الحادي عشر : ..." (١) ، وقوله مترجماً لابن مالك – النحوي : " ... قلت : ورأيت في شرح تصريف ابن مالك لجمال الدين ابن إياز في أوله ،في الكلام على أوزان الكلام ..." (٢)

وقد يتحدد موضع النقل – كذلك – إذا كان المصدر التأريخي غير منظم على الحروف ،كنحو قوله مترجماً لأبي القاسم المغربي : " ... وذكره الباخرزي في دمية القصر ، في القسم الثاني من شعراء الشام ،فقال : ...." (٣)

ب – الإسناد إلى المصدر الرئيس ،إهمالاً للمصدر القريب المنقول لديه عنه ، إذ نجده قد أسند الكثير من مادة كتابه إلى نحو اثنين وأربعين مصدراً متنوعاً ،ولم يكن له اطلاع مباشر عليها ، بينما هي مصادر أربعة – فقط – من مصادره المباشرة ، وهي : "وفيات الأعيان " لابن خلكان ، و " إنباه الرواة"

---

(١) الزركشي ، عقود الجمان ق ٢٨٧ ب .

(٢) نفسه ق ٢٨٩أ .

(٣) نفسه ق ١٠٧أ .

لابن القفطي ، و " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبي ، و " الوافي بالوفيات "
للصفدي ، كما يوضحه الجدول الآتي :

م	المصدر الرئيس المصرح به	المصدر القريب المنقول عنه	م	المصدر الرئيس المصرح به	المصدر القريب المنقول عنه
١	الزبير بن بكار	الفوات	٢٢	ابن الجوزي	الفوات
٢	الصولي	الفوات	٢٣	ياقوت الحموي	الفوات
٣	الأصفهاني	الفوات	٢٤	ابن نقطة	الفوات
٤	الطبراني	الوافي	٢٥	ابن المستوفي	الوفيات / الوافي
٥	ابن عدي	الفوات	٢٦	ابن النجار (في معظمه)	الفوات
٦	المرزباني	الفوات	٢٧	الشهاب القوصي	الفوات
٧	الآبي	الفوات	٢٨	سبط ابن الجوزي	الفوات
٨	الثعالبي	الفوات	٢٩	ابن الأبار	الفوات
٩	النديم	الفوات	٣٠	ابن العديم	الفوات
١٠	ابن حزم	الفوات	٣١	ابن مسدي	الوافي
١١	ابن رشيق	الفوات	٣٢	ابن سعيد المغربي	الوافي / الفوات
١٢	الخطيب البغدادي	الفوات	٣٣	الشرف الدمياطي	الفوات
١٣	الباخرزي (فضل الأدباء)	إنباه الرواة	٣٤	ابن الزبير	الفوات
			٣٥	ابن العطار	الفوات
١٤	الحميدي	الفوات	٣٦	اليونيني (في معظمه)	الفوات
١٥	أمية بن أبي الصلت	الفوات	٣٧	ابن الزملكاني	الوافي
١٦	ابن بسام	الوافي / الفوات	٣٨	ابن سيد الناس	الوافي / الفوات
١٧	السمعاني	الوفيات / الفوات	٣٩	الشمس الجزري	الفوات
١٨	ابن عساكر	الوفيات / الوافي / الفوات	٤٠	أبو حيان	الوافي / الفوات
١٩	السلفي	الفوات	٤١	الكمال الإدفوي	الفوات
٢٠	ابن الأنباري	الفوات	٤٢	الذهبي (سير أعلام النبلاء)	الوافي / الفوات
٢١	العماد الكاتب	الوفيات / الوافي / الفوات			

وبينما نجده قد صرح فى غير هذه المواضع بالنقل عن " ابن خلكان " و " ابن القفطى " ،نجده قد أغفل – تماماً – التصريح بالنقل عن " الوافى " للصفدى ،و " الفوات " لابن شاكر الكتبى ، مما يعد إجحافاً بحقهما .

جـ – بل نجده يسند – كذلك – إلى المصادر الشفهية لمصادره المباشرة (١) ،دون ذكر للمصادر المثبتة لرواياتها ؛ كنحو قوله مترجماً للنجم الطبرى :

" ... قال الشيخ أبو عبدالله ابن الصائغ اللغوى ،ثم المصرى (٢) : أنشدنى لنفسه :

آشبيهة البدر التمام إذا بدا ... حُسناً وليس البدرُ من أشباهكِ
ماسُور حُبّكِ إن يكن متشفّعاً ... فإليكِ فى الحسن البديع بجاهكِ
آشفى أساً أعيا الأُساةَ دواؤه ... وشِفاه يحصلُ بارتشافِ شفاهكِ

---

(١) من ذلك إسناده إلى " ميمون بن حماد " من خلال ترجمته لخالد التميمى (عقود الجمان ق ١٠٩ أ) ، نقلاً عن ابن خلكان (وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٣٣ – ٢٣٤) ؛ وإسناده إلى " أبى القاسم التنوخى" (ت ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م) من خلال ترجمته لابن لنكك (عقود الجمان ق ١١٩ أ) ، نقلاً عن ابن شاكر الكتبى (الفوات ج ١ ص ٤٧ – ٤٨) ؛ وإسناده إلى " ابن تيمية " (ت ٧٢٨ هـ / ١٣٢٨ م) من خلال ترجمته للجمال المزى (عقود الجمان ق ٣٥٣ ب) ،نقلاً عن ابن شاكر الكتبى (الفوات ج ٤ ص ٣٥٤) ؛ وإسناده إلى " عبد القاهر التبريزى " (ت ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م) من خلال ترجمته لابن خلكان (عقود الجمان ق ٥٣ ب – ٥٤ أ) ، نقلاً عن ابن شاكر الكتبى (الفوات ج ١ ص ١١٣) .

(٢) هو " محب الدين ،أبو عبدالله ، محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأموى ، المرى " (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) له ترجمة فى : الصفدى . الوافى بالوفيات ج ٣ ص ٣٧٥ – ٣٧٨ تر ١٤٥٢ ، ابن الخطيب . الإحاطة ج ٢ ص ٤٣٣ – ٤٤٢ ،ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٨٥ – ٤٨٦ تر ١٣٠١ ،السيوطى . بغية الوعاة ج ١ ص ١٤٣ تر ٢٣٨ .

قصليه (١) واغتمي بقاة حياته   لا تقطعيه جفاً بحق إلهك". (٢)

وهو قول مأخوذ من قول " الصفدى " فى " الوافى " :

" ... وأنشدنى من لفظه بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة الشيخ محب الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن الصائغ المغربى الأموى ، قال : أنشدنى لنفسه بمكة قاضى القضاة نجم الدين الطبرى :

آشبيهة البدر التمام إذا بدا ....

.... لا تقطعيه جفاً بحق إلهك ". (٣)

د — على أن " الزركشي " لم يكن مفتوناً برصد كل المصادر المسند إليها فى مصادره المباشرة ، والإسناد إليها ، إذ وُجِدَ يغفل ذكر الكثير مما تردد منها فى تلك المصادر المطلع عليها ، بل والإتيان بكثير من ترجمات كتابه خلواً من الاسناد فى مادتها إلى المصادر ؛ ولعل مما يوضح ذلك الإشارة إلى أنه ترجم الطبيبين : " أبا إسحاق ، ابن السويدى " (٤) و " أبا الفضل الجيانى " (٥) ، نقلاً عن " فوات الوفيات " (٦) لابن شاكر الكتبى ، دون إسناد إليه ، أو إلى " ابن أبى أصيبعة " (٧) ، المصدر الرئيس المصرح لديه به .

هـ — الإسناد إلى المصدر الرئيس ، مع التصريح بالمصدر القريب المنقول لديه عنه ؛ ويمثله قوله مترجماً لعبد الله بن المقفع : " ... ذكره ابن عُنَيْن فى التاريخ العزيزى ، وقال : ... ، نقله عبد الدائم القيروانى فى كتاب حل الملا ". (٨)

---

(١) فى الأصل : " اصليه " ، والتصويب عن " الوافى " .
(٢) الزركشى . عقود الجمان ق ٢٥٠ ب .
(٣) الصفدى . الوافى بالوفيات ج ١ ص ٢٢٩ .
(٤) الزركشى . عقود الجمان ق ٢٠ ب — ٢١ أ .
(٥) نفسه ق ٢٠١ .
(٦) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ١ ص ٤٩ — ٥٠ ، ج ٢ ص ٤٠٧ — ٤٠٩ ، على التتابع .
(٧) راجع : ابن أبى أصيبعة . عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٧٥٩ — ٧٦١ ، ٦٣٠ — ٦٣٥ ، على التتابع .
(٨) الزركشى . عقود الجمان ق ١٥٣ ب ، هامش أيسر .

ثالثاً ـ طرق النقـــل :

من العرض السابق للمصادر المكتوبة ، وُجِدَ أن " الزركشي " قد عالـــج منقوله عن مصادره المكتوبة بطرقٍ متعددة ، يمكن إجمالها في الآتي :

أ ـ النقل ، مع الحفاظ على النسقين الترتيبي والتعبيري المصاحبـــين للمنقول في المصدر الرئيس ؛ ويمثله قوله مترجماً لأيدمر المحيوي :

" ... قال ابن سعيد المغربي في كتاب المُشْرِق في ترجمة هذا : بأي لفظ أصفه ، ولو حشدت جيوش البلاغة لفضله لم أكن أنصفه ؟ نشأ في الدوحـــة السعيدية فنمت أزاهره ، وطلع في السماء الندائية فتمت زواهره ، جمعـــت لأقرانه أعلام الفنون حتى خرج آية في كل فن ، وبرع في المنثور والموزون ، مـــع الطبع الفاضل الذي عضده ، وبلغه من رياسة هذا الشأن ما قصده ، لا سيمـــا حين سمعت قوله الذي أتى فيه بالإغراب ، وترك مهيار معلّقاً منه بالأهداب :

بالله إن جزت الغُويرَ فلا تُغِـــر ... باللين منـك معاطـفَ الأغصـــــان

واسترْ شقائـقَ وجنتيك هنـاك لا ... ينشقّ قلـبُ شقائـقِ النعمــــــان

وأورد له أيضاً : ... " (١) .

وهو قول مطابق وقول " ابن شاكر الكتبي " في الفوات :

" ... قال ابن سعيد المغربي في كتاب المُشْرِق في ترجمة هذا : بأي لفظ أصفه ، ولو حشدت جيوش البلاغة لفضله لم أكن أنصفه ؟ نشأ في الدوحـــة السعيدية فنمّت أزاهره ، وطلع بالسماء الندائية فتمت زواهره ، جُمِعَت لأقرانـــه أعلام الفنون ، حتى خرج آية في كل فن ، وبرع في المنثور والموزون ، مع الطبـــع الفاضل الذي عضده ، وبلغه من رياسة هذا الشأن ما قصده ، لا سيما حـــين سمعت قوله الذي أتى فيه بالإغراب ، وترك مهيار معلّقاً منه بالأهداب :

بالله إن جزت الغُويرَ فلا تُغِـر ... باللين منـك معاطـفَ الأغصـــــان

واسترْ شقائـقَ وجنتيـك هناك لا ... ينشقّ قلـبُ شقائـقِ النعمــــــان

وأورد له أيضاً : ... " (٢)

---

(١) المصدر السابق ق ٧٦ .

(٢) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ١ ص ٢٠٨ .

ب ـ انتقاء المنقول ، مع الحفاظ على النسقين الترتيبي والتعبيري المصاحبين له في المصدر الرئيس ، وفيه تحدث بعض الإسقاطات في النقل نشداناً للإختصار ؛ ويمثله قوله مترجماً " لشرف السادة " :

" ... ذكره الباخرزي في دمية القصر ، فقال : سيد السادات وشرفهم ، وبحر العلماء ومغترفهم ، لم يرتع ناظري في الروض الناضر إلا بتأملي مواقع أقلامه ، ولا صار سمعي صدف اللآلئ إلا بتقريظي روائع كلامه " . (١)

ويقابله قول الباخرزي في " الدمية " :

" ... سيد السادات وشَرَفهم ، وبحرُ العلماءِ ومُغْتَرِفهم ، (وتاج الأشراف العَلويّة ، المتفرعين من الجُرثومة النبوية ، الشادخين غُرَرَ الآداب في أجْبِنة الأنساب .

وهو ولا مَثْنَوِيَّة من الشرفين في الذّروة العُليا ، وفي المجدَين من أسْنِمة الدنيا ، تَنُوس على عالم العلم ذَوائبُه ، وتُقَرْطِس أهدافَ الآداب صَوائبُه .

ولم يزل له أمام سرير المُلك قَدَمُ صدقٍ يطلُع في سماء الفجر بدره ، ويُوطِئ أعناقَ النجوم قَدْرُه .

وأقل ما يُعَدّ من محصوله ، جمعه بين ثمار الأدب وأصوله ، ووصفه بأنه ينثر فينفث في عُقَدِ السّحر ، ويُحلّق إلى الشّعْرَى إذا أسَفّ إلى الشعر .

فأما الذي وراءه من العلوم الإلهية ، التي أجال فيها الأفكار ، وافتضّ منها الأبكار ، فما لا يخصر ولا يُحْزَرُ ، ولا يُعَدّ ولا يُحَدّ .

وقد حضرتُ بغداد سنة خمس وخمسين ، وانحدرتُ منها إلى البصرة ، فإذا ذكرُه الذي سار ، ودَوّخ الأمصار ، فطار ، ونَقَّب الأقطاب والأقطار ، قد سبَقني إليها ، وترادَف على أثري منه ما زاحمني عليها .

ورأيتُ ديوان شعره في دار العلم ببغداد مُدَوّناً يزن إلى وراقته المستفيدون أحمرَ مُنَقّشاً ، وأبيض مُدوَّرا .

وقد صحبتُه عشرين سنة ، أرتدِي في ظلال نعمه العيشَ الناعم ، حتى عادت فِراغُ وسائلي قَشاعِم ، فكم زَممتُ إليه المطيّة ، ورَكَزتُ على مكارمه الخَطِيَّة ، مادحاً لما اشتهر على الألسنة من حَسَبه ونَسَبه ، وآخذاً بحظّي من أدبه

---

(١) الزركشي ، عقود الجمان ق ٧٠ ب .

وَتَشَبِهِ ؛) ولم يرتَعْ ناظرى فى الروض الناضر إلا بتأمُّلى مواقِعَ أقلامه ، ولا صار سمعى صدف اللآلئ إلا بتقريظى روائعَ كلامه " . (١)

وهكذا نجده قد أسقط ما بين القوسين من عبارة مصدره ، محافظاً على النسقين الترتيبى والتعبيرى المصاحبين لمنقوله عنه .

جـ ـ انتقاء المنقول ، مع الحفاظ على النسق التعبيرى المصاحب له في المصدر الرئيس ، متصرفاً في نسقه الترتيبى ؛ ويمثله قوله مترجماً لابن أبى كدية :

" ... قال ابن الجوزى : وكان يحفظ كتاب سيبويه ، وكان صلباً فى الاعتقاد ، وسمع ابن عبد البر بالأندلس ، وتوفى ببغداد سنة اثنتى عشرة وخمسمائة ، ودفن عند الأشعرى " . (٢)

ويقابله لدى مصدره قوله :

" ... وكان صلباً فى الاعتقاد ، وسمع ابن عبد البر بالأندلس ، وتوفى ببغداد سنة اثنتى عشرة وخمسمائة ... ودفن عند الأشعرى ؛ قال ابن الجوزى : كان يحفظ كتاب سيبويه " . (٣)

د ـ انتقاء المنقول ، مع الحفاظ على النسق الترتيبى المصاحب له فى المصدر الرئيس ، متصرفاً فى نسقه التعبيرى ؛ ويمثله قوله مترجماً لأبى البقاء التفليسى :

" ... ثابت بن تاوان ـ بالتاء المثناة من فوق ، وبعد الألف واو وألف ونون ـ الإمام نجم الدين ، أبو البقاء التفليسى الصوفى ؛ كان له معرفة بالفقه والأصول والعربية والأخبار والأشعار والمجاهدات والرياضات ؛ وهو من أكابر أصحاب الشيخ شهاب الدين السهروردى ، وأذن له فى اصلاح ما رأى فى تصانيفه من الخلل ، وقدم مصر رسولاً من الديوان ، وهو مليح الكتابة ؛ توفى سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، ووقف كتبه على الخانقاة الشميصاتية .

قال الشهاب القوصى ، أنشدنى لنفسه :

---

(١) الباخرزى . دمية القصر ج ٢ ص ١٧٧ ـ ١٧٩ .
(٢) الزركشى . عقود الجمان ق ٢٩٤ أ .
(٣) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٣ ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠ .

شرُّ مـالٍ حزتُـهُ ذاك الـــذى	حزتُ حـــدَّ العلم فــى استحقاقــهِ
اكتسبتُ الإثـمَ فـى تحصيلـــه	وحرمـت الأجـرَ فـى إنفاقــــه

وأنشدنى ــ أيضاً ــ لنفسه :

إن شام طرفــى عنك بــارق سلــوة	طفــق الغرام إلى هــواك يحثـــه
أو كاد يبـدى ضـره قال الهـــوى	لا كان من يشكــو الهــوى ويبثـــه

وله : ... » (١)

ويقابله قول مصدره :

" ثابت بن تاوان ــ بالتاء المثاة من فوق وبعد الألف واو وألف ونون ــ الإمام نجم الدين ، أبو البقاء التفليسى الصوفى ؛ كان له معرفة بالفقـــه والأصول والعربية والأخبار والأشعار والسلوك ، وله رياضات ومجاهدات ، وهـــو من كبار أصحاب الشيخ شهاب الدين السهروردى ، وأذن له أن يصلــح مـــا رآه فى تصانيفه من الخلل ،وقدم مصر رسولاً من الديوان ، وهو مليح الكتابـــة ، كتب الأجزاء ، وتوفى سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، ووقف كتبه على الخانقـــاة الشميصاتية .

قال شهاب الدين القوصى ، أنشدنى لنفسه :

شرُّ مـالٍ حزتُـــهُ ذاك الـــذى	....
....	وحرمت الأجــرَ فــى إنفاقـــه

وأنشدنى ــ أيضاً ــ لنفسه :

إن شـام طرفــى عنك بارقَ سلــوةٍ	....
....	لا كان من يشكــو الهــوى ويبثـــه

وقال أيضاً : ... » (٢)

وهكذا نجده قد انتقى مادة ترجمته عن " الفوات " محافظاً على النسق الترتيبى لمصدره ،متصرفاً فى نسقه التعبيرى ، حيث أبدل قول مصدره : " ولــه رياضات ومجاهدات " بـ " والمجاهدات والرياضات " ، و " كبار " بـ " أكابر " ، و " أن يصلح ما رآه " بـ " فى إصلاح ما رأى " ، و " شهاب الديـــن " بـ " الشهاب " ، و " قال أيضاً " بـ " وله " ، كما استغنى عن قول مصـدره : " كتب الأجزاء " ،و " رحمه الله ــ تعالى ــ وعفا عنه " .

---

(١) الزركشى . عقود الجمان ق ٨١ ب ــ ٨٢ أ .
(٢) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ١ ص ٢٧٠ ــ ٢٧١ تر ٩٤ .

هـ ــ النقل ،متصرفاً في النسقين الترتيبي والتعبيري المصاحبين لمنقوله في المصدر الرئيس ؛ ويمثله قوله مترجماً للناصر يوسف :

" ... قال ابن العديم : حضر بعض المدرسين إلى العسكر زمان انقطاع العزيز عن خزائنه واحتياجه إلى النقود ، ورفع على يدي قصة بين يديه ،تتضمن التضور من قلة معلومه ، وأنه لا يطلب التثقيل على السلطان في هذا الوقت ، وإنما يريد زيادة في المدرسة التي هو بها ، فسأل عن شرط الوقف ، فقيل : شرطه ما يتناوله الآن ، لكن فيه : أن السلطان يزيده إذا رأى المصلحة ،فأطرق كما هي عادته إذ لم يرد قضاء ما طلب ، ولم يرد في ذلك جواباً ، ولم يهن عليه رده خائباً ، وتورع عن مخالفة الواقف ، وقرر له ما طلبه على ديوان الوقف . " (١)

ويقابله لدى مصدره قوله :

" ... ولما بَعُدَ عن خزائنه احتاج إلى قرض أرهن أملاكه وضرب أواني الذهب والفضة ، وقيل له في أخذ الفائض من الأوقاف ،فما مدَّ يده إلى شيء منها بدمشق ولا بحلب .

قال ابن العديم : حضر بعض المدرّسين إلى العسكر ، ورفع على يدي قصة بين يديه تتضمن التضوّر من قلة معلومه ، ويذكر أن عياله وصلوا من مصر ، وأنه لا يطلب التثقيل على السلطان في مثل هذا الوقت الذي يحتاج فيه إلى الكلف ،بل يطلب زيادة في المدرسة التي هو بها . فسأل عن شرط الواقف ، فقيل : شرطه ما يتناوله الآن ،لكن ذكر أنه في كتاب الوقف ما يدلّ على أن السلطان يزيده إذا رأى في ذلك مصلحة . فأطرق كما هي عادته إذا لم يرى قضاء ما طلب ،ولم يردّ في ذلك جواباً ، ولم يهن عليه رده خائباً ، وتورّع عن مخالفة الواقف ، فقرر له ما طلبه على ديوانه دون الواقف " . (٢)

و ــ النقل ضمناً لا نصاً ؛ ويمثله قوله مترجماً لابن شرف القيرواني :

" ... ذكر الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد في شرح العمدة ،في

---

(١) الزركشي . عقود الجمان ق ١٣٥٥ .
(٢) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٤ ص ٣٦٢ ــ ٣٦٣ .

باب الصلاة ، فى الكلام على الحديث الحادى عشر ، عن عبد الله بن مالك ابن بُحَيْنة ، قال : إن بُحَيْنة أم أبيه ، قال : ومن غريب ما وقع لي فى ذلك عن (١) محمد بن شرف القيروانى ، أن شرف ليس هو أبوه ، وإنما هو أمه " . (٢)

ويقابله لدى " ابن دقيق العيد " قوله :

" ... وبُحَيْنة أمه ــ بضم الباء الموحدة ، وفتح الحاء المهملة ، وبعدها ياء ساكنة ، ونون مفتوحة ــ وأبوه مالك بن القِشْب ــ بكسر القاف وسكون الشين المعجمة ، وآخره باء ــ أزدى النسب من أَزْدِ شَنُوءة . توفى فى آخر خلافة معاوية . وهو أحد من نُسِبَ إلى أمه ... وذلك مثل محمد بن حبيب اللغوى صاحب كتاب المحبر و (٣) المؤتلف والمختلف فى قبائل العرب ، فإن حبيب أمه لا أبوه ... وقيل : إنه أبوه . ومن غريب ما وقفت عليه فى هذا محمد ابن شرف القيروانى ، الأديب الشاعر المجيد ، أنه منسوب إلى أمه ، ولذلك نظائر لو تُتُبِّعت لجُمِعَ منها قدرٌ كثير ، وقد قيل : إن بُحَيْنة أم أبيه ، والأول أصح " . (٤)

رابعاً ــ الدقة فى النقل :

على الرغم من تحرى " الزركشى " الدقة فى النقل عن مصادره ، وشيوع مظاهر ذلك فى جوانب متعددة من كتابه ، فإنه قد جانبه الصواب فى بعض مواضع منه ، يمكن التمثيل لها بالآتى :

أ ــ الاختصار المخل بعبارة مصدره ، كنحو جعله يوم مولد هارون الرشيد يوم موت الهادى ، قائلاً : " ... مولده سنة سبع وأربعين ومائة ، يوم موت الهادى " (٥) ، بينما الوارد فى " الفوات " ــ المصدر المباشر له ــ

(١) فى الأصل : " أن " .
(٢) الزركشى . عقود الجمان ق ٢٧٨ ب .
(٣) فى المطبوعة : " فى " ، وهو خطأ .
(٤) ابن دقيق العيد . إحكام الأحكام ج ١ ص ٢٤٨ ــ ٢٤٩ .
(٥) الزركشى . عقود الجمان ق ٣٤٠ أ .

قوله : " ... مولده سنة سبع وأربعين ومائة ، في نصف شوال بمدينة الري ، وبويع له بمدينة السلام في ربيع الأول سنة سبعين ومائة يوم موت الهادي ".(١)

ب ـ التصحيف أو التحريف في العبارة المنقولة عن مصدره ؛ كنحو قوله مترجماً لأبي عثمان الخالدي ، نقلاً عن " الفوات " : " ... أنا أحفظ ألف بيت سمر ، كل سمر ألف ورقة ".(٢) ، بينما الوارد في مصدره قوله : " ... أنا أحفظ ألف سمر ، كل سمر مائة ورقة ".(٣) إذ جعل " المائة " " ألفاً "؛ وجعله وفاة البرهان الجعبري ، نقلاً عن " الفوات " سنة " تسع وثمانين وستمائة ".(٤) ، على حين أرخ لها في مصدره بسنة " سبع وثمانين وستمائة ".(٥) ؛ ونسبته " جوسان القواس " ـ نقلاً عن " الفوات " ـ إلى " التوزر " ، قائلاً : " التوزري ".(٦) ، والصواب ـ كما جاء في مصدره ـ " التوزي ".(٧) ، نسبة إلى " التوز " ، لمعالجة المترجم له الورق المتخذ من لحائه بالكتابة عليه .

جـ ـ الوهم في الإسناد إلى المصادر الرئيسة المترددة في مصادره المباشرة ، على النحو المنبه إليه قبل(٨) في إسناده إلى " الأغاني " .

خامساً ـ نقد المصادر :

من العرض السابق للمصادر المكتوبة ، وُجِدَ أن " الزركشي " قد اطلع اطلاعاً مباشراً على خمسة عشر مصدراً متنوعاً ، ارتكز في بناء مادة كتابه على واحد منها فقط ، وهو " فوات الوفيات " ، فأتت تلك المصادر الأربعة عشر ثانوية إلى جانبه . وتلك مصادر لا تكفي في بناء معجم كهذا ، احتوى على نحو اثنتين وتسعين وأربعمائة (٤٩٢) ترجمة ، حيزها الزمني يشغل نحو ثمانية قرون من الزمان .

(١) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٤ ص ٢٢٥ .
(٢) الزركشي . عقود الجمان ق ١٣٢ ب .
(٣) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٢ ص ٥٣ .
(٤) الزركشي . عقود الجمان ق ١٨ أ .
(٥) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ١ ص ٥٠ .
(٦) الزركشي . عقود الجمان ق ٨٦ ب .
(٧) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ١ ص ٣٠٢ .
(٨) راجع ص ١٤٦ من هذا البحث .

بل لقد أوقعه ذلك في كثير من الهنات ، التي وسمت عمله بالخطأ في جوانب متعددة من ترجمات الكتاب ، تقليداً لما انزلق صاحب " الفوات " فيه ؛ ومن ذلك تصريحهما بأن الجد القريب " لتوفيق الطرابلسي " هو المتولي للثغور من قبل الطائع (١) ، بينما المصرح به لدى " ياقوت " ــ المصدر الرئيس للترجمة ــ أنه الجد الأعلى (٢) ، وتأريخهما وفاة " جعفر بن قدامة الكاتب " بسنة " ثمان وثلاثمائة " (٣) ، بينما أرخ لها " ياقوت " ــ أيضاً ــ بسنة " تسع عشرة وثلاثمائة " (٤) ، واشتراكهما في التنبيه على أن " الآبي " مترجم في " اليتيمة " للثعالبي (٥) ، بينما هو مترجم لديه في " التتمة " (٦) ، واشتراكهما في التأريخ الخاطئ لمقدم " الرقيق القيرواني " مصر ، وكذا التصريح باسم صاحب الهدية المهداة على يديه للحاكم صاحب مصر ، على النحو الوارد في قولهما مسنداً إلى ابن رشيق : " ... قدم مصر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة بهدية من ابن باديس إلى الحاكم " (٧) ، بينما المصرح به لدى ياقوت ــ فيما أثبته عن ابن رشيق ــ أن ذلك كان سنة " ثمان وثمانين " ، وأن صاحب الهدية هو " نصير الدولة ، باديس بن زيري " (٨) ، ونسبتهما إلى الخطيب البغدادي قوله في أبي محمد المالكي : " ... كان ثقة لم ألق أفقه منه " (٩) ، بينما المثبت لديه قوله : " ... وكان ثقة ، ولم نلق من المالكيين أحداً أفقه منه " (١٠) ، ونسبتهما إلى ابن الجوزي قوله في ابن ماكولا : " ...

---

(١) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ج ١ ص ٢٦٥ ، الزركشي ، عقود الجمان ق ٨١ ب .

(٢) ياقوت ، معجم الأدباء ج ٧ ص ١٣٨ .

(٣) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ج ١ ص ٢٩٠ ، الزركشي ، عقود الجمان ق ٨٥ ب .

(٤) ياقوت ، معجم الأدباء ج ٧ ص ١٧٨ .

(٥) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ج ٤ ص ١٦٠ ، الزركشي ، عقود الجمان ق ١٣٣ أ .

(٦) الثعالبي ، تتمة اليتيمة ص ١١٩ ــ ١٢٦ تر ٨٤ .

(٧) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ج ١ ص ٤١ ، الزركشي ، عقود الجمان ق ٥١ أ .

(٨) ياقوت ، معجم الأدباء ج ١ ص ٢١٨ .

(٩) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ج ٢ ص ٤١٩ ، الزركشي ، عقود الجمان ق ٢٠٢ ب .

(١٠) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣١ .

سمعت شيخنا عبد الوهاب يقدح فيه ويقول : يحتاج إلى دين "(١)، بينما الوارد لدى المصدر المصرح به لديهما قوله : " ... العلم يحتاج إلى دين "(٢)، أى باثبات لفظة " العلم " التى أسقطاها ، وتأريخهما خطأ لوفاة " المعتز بالله العباسى بيوم السبت ،لست خلون من رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين "(٣)، بينما أرخ لها " الصفدى " ــ المصدر المباشر للفوات ــ بيوم السبت ،لست خلون من (شعبان ،وقيل : لليلتين ، وقيل : فى اليوم الثانى من) رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين (٤) ،وقد سقط لديهما ما بين القوسين ، وإشارتهما خطأ إلى ترجمة " ابن الجوزى " لابن أبى كدية (٥) ،بينما المراد سبطه ، على النحو المصرح به فى " الوافى " ــ المصدر المباشر للفوات ــ : " ... قال (سبط) ابن الجوزى فى المرآة : ... " (٦) ، ونسبتهما إلى " ابن بسام " قوله فى محمد بن يحيى بن حزم : " ...أحلى الناس شعراً ... وهو ابن عم الفقيه أبى محمد ابن حزم ،وكنيته أبو الوليد "(٧)، بينما الوارد فى الذخيرة قوله : " ... ومن أبناء هذه القبيلة ،وشعراء هذه البيئة الأصيلة ،ابن عمه (ابن عم الوزير أبى الحكم ، عمرو بن مذحج) أبو الوليد ، محمد بن يحيى بن حزم ،أحد أعيان أهل الأدب ، وأجلى الناس شعراً "(٨) ، ونسبتهما إلى الكمال الإدفوى قوله مترجماً للنصير الإدفوى : " ... كان فى أوائل المائة السابعة ، وأظنه مات

---

(١) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٣ ص ١١١ ،الزركشى . عقود الجمان ق ٢٣٤ أ .

(٢) ابن الجوزى . المنتظم ج ٩ ص ٧٩ .

(٣) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٣ ص ٣٢٠ ، الزركشى . عقود الجمان ق ٢٧١ أ .

(٤) الصفدى . الوافى بالوفيات ج ٢ ص ٢٩٢ .

(٥) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٣ ص ٤٣٠ ، الزركشى ،عقود الجمان ق ٢٩٤ أ .

(٦) الصفدى . الوافى بالوفيات ج ٤ ص ٨٠ .

(٧) ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ج ٤ ص ٥٣ ،الزركشى . عقود الجمان ق ٣١٠ أ .

(٨) ابن بسام . الذخيرة ج ٤ ص ٥٩٨ .

بعد الخمسين والستمائة " (١) ،بينما الوارد في المصدر المصرح به لديهما قوله : " ... وكان في المائة السادسة ،وأظنه مات بعد سنة خمسين " .(٢)

كما لم يكن " الزركشي " ــ دائماً ــ موفقاً في استخدام تلك المصادر في بناء مادة ترجمات كتابه ،إذ لا مبرر لنقله عن " الفوات " ، وقد كان مطلعاً على " الوافي " ، لاعتماد " ابن شاكر الكتبي " اعتماداً كلياً في بناء مادة " الفوات " على " الوافي " .

ويبدو أن تلك كانت طريقة مألوفة لدى " الزركشي " ، الذي فضل ــ في كثير من الأحيان ــ التعامل مع المصدر القريب ، إهمالاً للمصدر الرئيس ، على النحو الوارد لديه في ترجمته " لابن تميم الحصري " (٣) ، نقلاً عن " الوافي " ، مع تصريح " الصفدي " (٤) فيها بالنقل عن " الوفيات " (٥) ، واطلاع مؤرخنا على " الوفيات " ــ كذلك ــ ونقله عنه في غير موضع من كتابه ؛ أو الجمع بين المصدرين ــ الرئيس والثانوي ــ في بناء ترجمة ما ،مكتفياً بالنقل عن هذا في عنصر ، وذاك في آخر ،دون التفات إلى تصويب ما نُقِلَ لديه عن المصدر الثانوي ،على النحو الوارد لديه في ترجمته " للجمال الهواري " (٦) ، نقلاً عن الوافي (٧) فالذيل على المرآة (٨) ، وترجمته " للبرهان الجعبري " (٩) ، نقلاً عن الفوات (١٠) فالوافي . (١١)

---

(١) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٤ ص ٢٢٠ ،الزركشي . عقود الجمان ق ٣٣٩أ .
(٢) الكمال الإدفوي . الطالع السعيد ص ٦٨٤ .
(٣) الزركشي . عقود الجمان ق ٩أ .
(٤) الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٦ ص ٦١ ــ ٦٢ تر ٢٥٠٣ .
(٥) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٤ ــ ٥٥ تر ١٦ .
(٦) الزركشي . عقود الجمان ق ٢٨٠ .
(٧) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ٣ ص ٣٧١ ــ ٣٧٢ تر ٤٥٨ .
(٨) اليونيني . ذيل مرآة الزمان ج ٣ ص ٧٢ .
(٩) الزركشي . عقود الجمان ق ١٨أ .
(١٠) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ١ ص ٤٩ ــ ٥٠ تر ١٨ .
(١١) الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٦ ص ١٤٧ ــ ١٤٨ تر ٢٥٩٢ .

النقد التأريخي في " العقود "

النقد المتردد في كثير من ترجمات " العقـود " مما نقله " الزركشي " عن مصادره ، وهو أدخل في مجالي " الجرح والتعديـل " و " النقـد الأدبي " منه في مجال " النقد التأريخي " ،وإن أُثبِتَ له في مواضـع يسيرة من ترجمات الكتاب بعض العبارات التأريخية الناقدة ،وهو المصرح في ديباجته بأنه استخرج مادته من وجوه الأصداف ،ونظر إليها " بعـين الإنصاف " . (١)

وهذه العبارات التأريخية الناقدة يمكن أن تُصنف في مجالين : سلبي وإيجابي ؛ أما الجانب السلبي منها فيتمثل في عزوفـه عن نقل الكثير من " العبارات الجارحة " للمترجمين لديه في المصادر ،بل و " للأعـلام " المذكورين في ترجمات الكتاب عرضاً ،إذ مجرد السكوت عنها ،أو نقل البعـض منها دون البعض ـ لا شك ـ موجه بحس تأريخي ناقد . ومن أمثلة الاكتفـاء في ترجمته " لأحمد بن يحيى البلاذري " بقول مصدره : " كان كثـير الهجاء " (٢) ،عازفاً عن نقل باقي عبارته فيه ، وهي : " ... وكان كثـير الهجاء ،بذيء اللسان ،آخذاً لأعراض الناس " . (٣) وعزوفه عن ترديد قـول مصدره ،وقد نقل عنه مادة ترجمة " ابن كسرى المالقي (٤) " : " ... وقـال في ابن خلدون :

يا شاعراً يتسامـى وجَـدُّهُ خلـدونُ
لم يكفِ أنـك خَـلٌّ حتى بأنـك دونُ " (٥)

على حين تمثل الجانب الإيجابي في نقده لبعض مصادره ،وإفصاحه عـن رأيه فيها ، أو تعقبه لما نقل من مادتها في " العقود " ،مدفوعاً بالإنصاف للمترجمين لديه .

---

(١) الزركشي . عقود الجمان ق ٣أ .
(٢) نفسه ق ٦٥أ .
(٣) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ١ ص ١٥٥ .
(٤) الزركشي . عقود الجمان ق ١٩٨أ .
(٥) ابن شاكر الكتبي . فوات الوفيات ج ١ ص ٣٥٨ .

ومن أمثلة ذلك نقده " لابن القفطي " ومؤلفه " إنباه الرواة " من خلال ترجمته له ،قائلاً : " ... وفي تاريخ النحاة ، رأيته يأتي إلى ترجمة بعض الفضلاء فيحط عليه من غير معرفة بفضله ". [1] وتعقبه لما نُقِلَ لديه عن أبي حيان الأندلسي في ترجمة " البرهان الجعبري " بقوله :

" ... قال أبو حيان : رأيت المذكور بالقاهرة وحضرت مجلسه أنا والشيخ نجم الدين ابن مكي ، وجرت لنا معه حكاية ،وكان يجلس للعوام يذكرهم ، ولهم فيه اعتقاد ،وكان له مشاركة في العلم والطب .

قلت : ما أنصفه ،فقد كان لسان العارفين في وقته ،وروح المشاهد في رضاه ومقته ،رحمه الله ". [2]

---

(١) الزركشي . عقود الجمان ق ١٢٣٥ .
(٢) نفسه ق ١٨أ .



الباب الثالث

ابن الملقن



الفصل الاول

ابن الملقـــــن

(٧٢٣ ـ ٨٠٤ هـ • / ١٣٢٣ ـ ١٤٠١م •)

دراسة حيـــاة

هو سراج الدين ، أبو حفص ، عمر (١) بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله ، الأنصاري ،الأندلسي ـ المصري ، الشافعي .

كان أبوه " نور الدين ، أبو الحسن علي "(٢) نحوياً أندلسيـــاً متميزاً (٣) في فنه ، معروفاً بالتقدم (٤) فيه . رحل عن بلدتـــه " وادي آش "(٥) إلى بلاد " التكرور "(٦) ، فأقرأ أهلها القرآن ـ الكريم ـ ونال منهم مالاً جزيلاً ، قدم به إلى " القاهرة " فاستوطنهـــا (٧) .

---

(١) ترجمته هنا مأخوذة عن : ابن الملقن . العقد المذهب (مخطـ . مولانا خليل الله المدراسي ، رقم :٣١٨٩) ق ١٧٠ ، التقـــي الفاسي . ذيل التقييد (مخط . دار الكتب المصرية ، رقم :١٩٨ـ مصطلح) ق ٢٤٣ ،ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ج ٤ص ٥٣ـ ٥٨ تر ٧٣٩ ، ابن حجر . إنباء الغمر ج ٢ ص ٢١٦ ـ ٢١٩ تر ٢٦ ، ذيل الدرر الكامنة (مخط . التيمورية رقم : ٦٤٩ـ تاريخ) ق ٥٠ ـ ٥٢ ، المجمع المؤسس (مخط . دار الكتب المصرية ، رقم : ٧٥ ـ مصطلح) ق ٢٢٥ ـ ٢٢٧ ، ابن تغري بردي . الدليل الشافـــي ج ١ ص ٥٠٢ تر ١٧٤٧ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ٣٢٤ ب ـ ٣٢٥ أ ، ابن فهد المكي . لحظ الألحاظ ص ١٩٧ ـ ٢٠٢ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٦ تر ٣٣٠ ص ١٠٠ ـ ١٠٥ ، السيوطي . حســـن المحاضرة ج ١ ص ٤٣٨ تر ١٨٤ ، طبقات الحفاظ ص ٥٣٧ ـ ٥٣٨ تر ١١٧٥ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٧ ص ٤٤ ـ ٤٥ .

(٢) راجع : السيوطي . بغية الوعاة ج ٢ ص ١٤٤ ـ ١٤٥ تر ١٦٦٠ ، ملحق رقم "٧" من هذا البحث .

(٣) السخاوي . الضوء اللامع ج ٦ ص ١٠٠ .

(٤) ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ج ٤ ص ١٠٠ ، ابن حجر . ذيل الدرر الكامنة ق ٥٠ .

(٥) مدينة في أسبانيا من كورة ألبيرة ، تبعد عن غرناطة بأربعـــين فرسخاً ـ الزبيدي . تاج العروس ج ١٧ ص ٦٨ .

(٦) " التكرور " : قبيل من السودان يسكنون أقصى جنوب المغرب . ياقوت . معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨ .

(٧) لم تؤرخ مصادر ترجمة مؤرخنا لارتحال والده إلى كل من بـــلاد التكرور ومصر ،ولم تشر إلى دواعي ذلك لديه .

واشتغل بتدريس العربية دون أن يتنزل فى المدارس ، فانتفع به جمع كبير من الطلبة ، منهم : " ابن المرحل "(١) (ت ٧٣٨ هـ ٠ / ١٣٣٨ م٠) ، و " ابن النقيب "(٢) (ت ٧٦٩ هـ ٠ / ١٣٦٨م٠) ، و " الجمال الإسنوى "(٣) (ت ٧٧٢ هـ ٠ / ١٣٧٠م٠) ، و " البهاء السبكى "(٤) ٠٠٠ وكتب تعليقاً ضخماً على " الرسالة " فى مذهب الإمام " مالك "(٥)

كما تزوج فيها بأخت(٦) " الفتح الزواوى "(٧) (ت ٨٠٧ هـ ٠ / ١٤٠٥م٠) ، منجباً منها " عمر " ـ مؤرخنا ـ فى الرابع والعشرين من ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة للهجرة ٠(٨) لكن قدر الله ـ سبحانه ـ وفاته(٩) بعد أن أكمل مؤرخنا من عمره سنةً وأياماً ، وكان قد أوصى بـه إلى الشيخ " شرف الدين ، عيسى المغربى " ـ ملقن القرآن الكريم فـى

---

(١) هو " زين الدين ، عبد الله بن عمر " ـ له ترجمة فى : ابن الملقن ٠ العقد المذهب ق ١٦٤ أ ٠

(٢) هو " شهاب الدين ، أبو العباس ، أحمد بن لؤلؤ بن عبد الله " ٠ له ترجمة فى : الإسنوى ٠ طبقات الشافعية ج ٢ ص ٥١٤ ـ ٥١٥ تر ١٢١٣ ، ابن الملقن ٠ العقد المذهب ق ١٥٨ ب ، ابن قاضى شهبة ٠ طبقات الشافعية ج ١ ص١٠٦ ـ ١٠٨ تر٦٣٤ ، ابن حجر ٠ الدرر الكامنة ج ١ ص٢٣٩ ـ ٢٤٠ تر ٦١٠ ، ابن تغرى بردى ٠ النجوم الزاهرة ج ١١ ص١٠١ ، السيوطى ٠ حسن المحاضرة ج ١ ص٤٣٤ تر ١٧٧ ٠

(٣) مر التعريف به ، راجع :ص١٠٥ من هذا البحث ٠

(٤) نفسه ٠

(٥) ابن الملقن ٠ العقد المذهب ق ١٧٠ ٠

(٦) أشار الولى العراقى (الذيل على العبر ق ٣٥ أ) إلى أنها ماتت يوم الثلاثاء ، الثالث من المحرم سنة (٧٨١ هـ ٠ / ١٣٧٩م٠) وقد جاوزت السبعين من عمرها ٠

(٧) هو " محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم " ، عنى بسماع الحديث النبوى الشريف وإسماعه ، على الرغم من اشتغاله بالحياكة ٠ راجع : السخاوى ٠ الضوء اللامع ج ١٠ ص٨٨ تر ٢٨٧ ٠

(٨) ابن الملقن ٠ العقد المذهب ق ١٧٠ أ ٠

(٩) توفى فى ربيع الآخر سنة (٧٢٤ هـ ٠ / ١٣٢٤ م٠) ٠ نفسه ق ١٧٠ ب ٠

الجامع الطولونى ـ فتزوج الوصى بأمه ، وتربى مؤرخنا فى كنفه ، ونشأ فـى كفالته ، فنُسِبَ إليه ، وعُرِفَ بابن الملقن (١) ، وصار علماً عليه ، مع كراهـة هذا اللقب إليه . (٢)

واعتنى الوصى به ، فحفظ له ماله بإنشاء ربع ـ أنفق على عمارتـه قريباً من الستين ألف درهم (٣) ـ فكان يتحصل لمؤرخنا من ريعه كل يـوم مثقال (٤) ذهب ـ مع رخاء الأسعار وعدم العيال ـ مما جعله يكتفى بأجرته ويتوفر له بقية مال (٥) ، تيسر معه اقتناء الكثير من الكتب . (٦)

كما أقرأه القرآن ـ الكريم ـ وبعض مختصرات علوم عصره ، كعمدة (٧)

---

(١) لقب بصيغة اسم الفاعل ، نسبة إلى صنعة الوصى .

(٢) يشير السخاوى (الضوء اللامع ج ٦ ص ١٠٠) إلى ذلك قائلاً :
" ... ولذا عُرِفَ الشيخ به ، حيث قيل له : ابـن الملقـن ، وكان ـ فيما بلغنى ـ يغضب منها ، بحيث لم يكتبها ، (و) إنمـا كان يكتب ـ غالباً ـ ابن النحوى ، وبها اشتهر فى بلاد اليمن " .

(٣) ابن فهد . لحظ الألحاظ ص ١٩٧ ـ ١٩٨ .

(٤) المثقال : اثنان وعشرون قيراطاً إلا حبة ـ راجع : أنستاس مـارى الكرملى . النقود العربية وعلم النميات ص ٢٨ .

(٥) السخاوى . الضوء اللامع ج ٦ ص ١٠٠ .

(٦) يشير ابن حجر (إنباء الغمر ج ٢ ص ٢١٧) إلى ذلك قائلاً :
" ... بلغنى أنه حضر فى الطاعون العام بيع كتب لشخـص من المحدثين ، وكانت وصيته الا يبيع إلا بالنقد الحاضر . قـال : فتوجهت إلى منزلى ، فأخذت كيساً من الدراهم ، ودخلت الحلقـة فصببته ، فصرت لا أزيد فى الكتاب شيئاً إلا قال : نعم ، فكان ممـا اشتريت مسند الإمام أحمد بثلاثين درهماً " .
كما أشار (نفسه ج ٢ ص ٢١٨) إلى أنه كان " عنده من الكتب ما لا يدخل تحت الحصر ، منها ما هو ملكه ، ومنها ما هو أوقـاف المدارس " .
وذكر ابن تغرى بردى (المنهل الصافى مج ٣ ق ٣٢٥ أ) أنـه " كان جماعة للكتب جداً " .

(٧) هو كتاب " عمدة الأحكام من كلام خير الأنام " ، لأبى محمـد ، تقى الدين ، عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور الجماعيلى ، المقدسى ، الحنبلى (ت ٦٠٠ هـ . / ١٢٠٣ م .) ، طبع عـدة طبعات فى القاهرة وبيروت .
اقتصر فيه مؤلفه على ما أورده البخارى ومسلم من أحاديـث =

الأحكام للمقدسي ، والمنهاج (١) للنووي ،فضلاً عن إسماعه الحديث النبوي ـ الشريف ـ على الحافظين : " أبي الفتح ابن سيد الناس" (٢) (ت ٧٣٤ هـ٠ / ١٣٣٤م٠) و " القطب الحلبي "(٣) (ت ٧٣٥ هـ٠ / ١٣٣٥م٠) ،والإستجازة له من الشام ومصر .(٤)

وما أن شب مؤرخنا حتى اندفع بكليته إلى العلم ، فأخذ الخط المنسوب عن " ابن سراج "(٥) (ت ٧٤٧هـ٠ / ١٣٤٦م٠) ، والعربية عن " أبي حيان الغرناطي "(٦) (ت ٧٤٥ هـ٠ / ١٣٤٤م٠)،و "الجمال

= الأحكام ، مرتباً لمادته على أبواب الفقه ،مع حذف الأسانيد ، اكتفاء بالصحابي الراوي للحديث .

(١) مر التعريف به ، راجع : ص١٠٥ من هذا البحث .

(٢) مر التعريف به ،راجع : ص٢٨٣ من هذا البحث .

(٣) هو " أبو علي ، عبد الكريم بن عبد النور بن منير ، الحلبي ".
له ترجمة في : الذهبي . تذكرة الحفاظ ج ٤ ص١٥٠٢ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص١٧١ ـ ١٧٢ ،القرشي . الجواهر المضية ج ٢ ص٤٥٤ ـ ٤٥٥ تر٨٥٠ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص٣٩٨ ـ ٣٩٩ تر٢٤٨٣ ،ابن قطلوبغا . تاج التراجم ص٣٨ تر١١٢ ،السيوطي . حسن المحاضرة ج ١ ص٣٥٨ تر٨٤ .

(٤) كان ممن أجازه فيهما : " الحافظ المزي " ، و " الشمس الفاسي " .
(راجع : ابن الملقن . العقد المذهب ق ١٦٨ب ،التقي الفاسي . ذيل التقييد ق ٢٤٣ب، السخاوي . الضوء اللامع ج ٦ ص ١٠١) .
ثم حصل ـ فيما بعد ـ على إجازات كل من : الشمس بن لاحق ، وأبي حيان ، ومحمد بن أبي بكر ، وابن سيد الناس .
(راجع : ابن الملقن . العقد المذهب ق ١٦٣ب ،١٦٥ ، ١٦٧ ب) .

(٥) هو " شمس الدين ، أبو عبد الله ،محمد بن محمد بن نمير ".
له ترجمة في : ابن رافع . الوفيات ج ٢ ص٣٢ تر١٣٤٦ ، ابن الجزري . غاية النهاية ج ٢ ص٢٥٦ تر٣٤٤٦ ، المقريزي . السلوك ج ٢ ص٧٢٣ ،ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٠ ص١٧٨ ، السيوطي . بغية الوعاة ج ١ ص٢٣٥ تر٤٢٨ ،حسن المحاضرة ج ١ ص٥٠٨ تر١٢٤ .

(٦) مر التعريف به ، راجع : ص٢٩٤ ـ ٢٩٥ من هذا البحث .

ابن هشام "(١) (ت ٧٦١ هـ / ١٣٦٠م) ، و " الشمس ابن الصائغ "(٢) (ت ٧٧٦ هـ / ١٤٧٢م) ، و " العماد البلبيسي " (٣) (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) ، والقراءات عن " البرهان الرشيدى " (٤) (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م) ، والفقه عن " الشهاب ابن ظهير " (٥)

---

(١) مر التعريف به ، راجع : ص١٠٧ من هذا البحث .

(٢) هو " شمس الدين ، محمد بن عبد الرحمن بن على بن أبى الحسن الزمردى ، الحنفى " .
له ترجمة فى : ابن الجزرى . غاية النهاية ج ٢ ص١٦٣ ـ ١٦٤ تر٣١١١ ، المقريزى . السلوك ج ٣ ص٢٤٥ ، ابن حجر . إنباء الغمر ج ١ ص٩٥ ـ ٩٦ ، الدرر الكامنة ج ٣ ص٤٩٩ ـ ٥٠٠ تر ١٣٤٧ ، السيوطى . حسن المحاضرة ج ١ ص٤٧١ تر ٤١ .

(٣) هو " عماد الدين ، محمد بن إسحاق بن محمد بن المرتضى ، البلبيسى " .
له ترجمة فى : السبكى . طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ص٢٢٧ ـ ٢٣٠ ، الإسنوى . طبقات الشافعية ج ١ ص٢٩٥ ـ ٢٩٦ تر ٢٧١ ، ابن قاضى شهبة . طبقات الشافعية ج ٣ ص٧٥ ـ ٧٧ تر١٦٧ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص٣٨٢ تر١٠٠٩ ، ابن فهد . لحظ الألحاظ ص١٢١ .
أشار ابن الملقن (العقد المذهب ق ١٦٨ أ) إلى أنه أخذ عنه قطعة من إملائه ، وسمع عليه دروساً فى العربية والأصول .

(٤) هو " برهان الدين ، إبراهيم بن لاجين بن عبد الله الرشيدى " .
له ترجمة فى : الصفدى . الوافى بالوفيات ج ٦ ص١٦٤ـ١٦٥ تر ٢٦١٤ ، السبكى . طبقات الشافعية الكبرى ج ٦ ص٨٣ ، الإسنوى . طبقات الشافعية ج ١ ص٦٠٢ ـ ٦٠٣ تر ٥٥٧ ، ابن رافع . الوفيات ج ٢ ص١٠٥ تر ٥٨٢ ، ابن الملقن . العقد المذهب ق ١٦٨ ، ابن الجزرى . غاية النهاية ج ١ ص٢٨ تر ١٢١ ، المقريزى . السلوك ج ٢ ص٧٩١ ، ابن قاضى شهبة . طبقات الشافعية ج ٣ ص٢ ـ٥ تر ٥٧٦ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ١ ص٧٥ ـ ٧٦ تر١٢٠ ، ابن فهد . لحظ الألحاظ ص١١٧ ، ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج ١ ص١٧١ ـ ١٧٣ تر٨٨ ، النجوم الزاهرة ج ١٠ ص٢٣٤ .

(٥) هو " شهاب الدين ، أبو العباس ، أحمد بن محمد بن قيس " .
له ترجمة فى : السبكى . طبقات الشافعية ج ٥ ص٧٨ ـ ٧٩ ، الإسنوى . طبقات الشافعية ج ١ ص١٧٦ ـ ١٧٧ تر١٥٦ ، ابن الملقن . العقد المذهب ق ١٥٨ب ، المقريزى . السلوك ج ٣ =

(ت ٧٤٩ هـ٠ / ١٣٤٩م٠) ، و " التقى السبكى "(١) (ت ٧٥٦ هـ٠ / ١٣٥٥م٠) ، و " الكمال النشائى "(٢) (ت ٧٥٧هـ٠ / ١٣٥٦م٠) ، و " العز ابن جماعة "(٣) (ت ٧٦٧ هـ٠ / ١٣٦٦م٠) ، و " الجمـــال

= ص ٧٩٢ ، ابن قاضى شهبة ٠ طبقات الشافعية ج ٣ ص ١٥ ـ ١٧ تر ٨٤ ، ابن حجر ٠ الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٩٦ تر ٧٤٦ ، ابن فهـد ٠ لحظ الألحاظ ص ١١٨ ٠

(١) هو " تقى الدين ، أبو الحسن ، على بن عبد الكافى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمـان ابن على بن سوار بن سليم السبكى ، الشافعى " ٠
له ترجمة فى : الحسينى ٠ ذيل تذكرة الحفـاظ ص ٣٩ ـ ٤٠ ، ذيل العبر ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ، السبكى ٠ طبقات الشافعيـة ج ٦ ص ١٤٦ ـ ٢٢٧ ، الإسنوى ٠ طبقات الشافعية ج ٢ ص ٧٥ ـ ٧٦ تـر ٦٦٦ ، ابن رافع ٠ الوفيات ص ١٨٥ ـ ١٨٧ تر ٦٨٥ ، ابـــن الجزرى ٠ غاية النهاية ج ١ ص ٥٥١ تر ٢٢٥١ ، المقريزى ٠ السلـوك ج ٣ ص ٢٢ ـ ٢٣ ، ابن قاضى شهبة ٠ طبقات الشافعية ج ٣ ص ٤٧ ـ ٥٣ تر ٦٠٣ ، ابن حجر ٠ الدرر الكامنة ج ٣ ص ٦٣ ـ ٧١ تر ١٤٨ ، ابن تغرى بردى ٠ النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣١٨ ـ ٣١٩ ، السيوطى ٠ حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢١ ـ ٣٢٨ تر ٧٤ ، الداودى ٠ طبقـات المفسرين ج ١ ص ٤١٢ ـ ٤١٦ تر ٣٦٠ ، ابن طولون ٠ قضـــاة دمشق ص ١٠١ ـ ١٠٢ تر ١١١ ، القلائد الجوهرية ج ١ ص ١٧١ ـ ١٧٢ ٠

(٢) هو " كمال الدين ، أبو العباس ، أحمد بن عمر بن أحمد بـــن مهدى ، المدلجى ، النشائى ـ نسبة إلى نشا ، احدى قـــرى الغربية بمصر " ٠
له ترجمة فى : السبكى ٠ طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٧٥ ، الإسنوى ٠ طبقات الشافعية ج ٢ ص ٥١٠ تر ١٢٠٨ ، ابن قاضى شهبة ٠ طبقـات الشافعية ج ٣ ص ١٢ ـ ١٥ تر ٥٨٣ ، ابن حجر ٠ الدرر الكامنـــة ج ١ ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ تر ٥٧٧ ، ابن تغرى بردى ٠ النجوم الزاهـرة ج ١٠ ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ ، السيوطى ٠ حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣ تر ١٤٠ ٠

(٣) هو " أبو عمر ، عزالدين ، عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بـــن سعد الله بن جماعة بن على بن جماعة بن حازم بن صخر بن عبد اللـــه ابن إبراهيم ، الكنانى ، الحموى ، الشافعى " ٠
له ترجمة فى : الحسينى ٠ ذيل طبقات الحفاظ ص ٤١ ـ ٤٢ ، السبكى ٠ طبقات الشافعية ج ٦ ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ، الإسنوى ٠ =

الأسنوي" ، و " الشمس ابن عدلان "(١) (ت ٧٤٩ هـ ، / ١٣٤٩ م ،) ،
و " الشرف المغربي "(٢) (ت ٧٨٣ هـ ، / ١٣٨١م ،) ، والأصول عن
" الشرف الدمياطي "(٣) (ت ٧٤٠ هـ ، / ١٣٣٩م ،) ، و " الشرف
المناوي "(٤) (ت ٧٥٧ هـ ، / ١٣٥٦م ،) .

وأكثر من سماع الحديث النبوي ، فسمع نحو ألف جزء حديثي على جمع

= طبقات الشافعية ج ١ ص ٣٨٨ ـ ٣٩٠ تر ٣٥٣ ، ابن رافع . الوفيات ج ٢ ص ٣٠٥ ـ ٣٠٨ تر ٨٣٧ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣١٩ ، الولي العراقي . الذيل على العبر ق ٣٣ب ـ ٣٥ أ ، التقي الفاسي . العقد الثمين ج ٥ ص ٤٥٧ ـ ٤٦٠ تر ١٨٣٢ ، المقريزي . السلوك ج ٣ ص ١٢٥ ، ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ج ٣ ص ١٣٥ ـ ١٣٨ تر ٦٤٧ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٧٨ ـ ٣٨٢ تر ٢٤٤٣ ، رفع الإصر ج ٢ ص ٣٥٥ ـ ٣٥٩ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٨٩ ـ ٩٠ ، السيوطي . حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٥٩ تر ٩١ ، ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤ .

(١) هو " شمس الدين ، محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق بن داود الكناني " .
له ترجمة في : السبكي . طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٤٢ ، الإسنوي . طبقات الشافعية ج ٢ ص ٢٣٧ تر ٨٥٦ ، ابن الملقن . العقد المذهب ق ١٦٣ ب ، التقي الفاسي . ذيل التقييد ق ١٠ أ ، ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ج ٣ ص ٧٠ ـ ٧٢ تر ٦١٤ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤ تر ٨٩١ ، السيوطي . حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٢٨ تر ١٦٧ .

(٢) هو " شرف الدين ، يعقوب بن عبد الله المغربي ، المالكي " .
له ترجمة في : الولي العراقي . الذيل على العبر ق ٣٨ ب ، ابن حجر . إنباء الغمر ج ١ ص ٢٥٢ تر ٥٥ .

(٣) هو " شرف الدين ، أبو محمد بن عبد الله بن محمد الطائي " .
له ترجمة في : ابن الملقن . العقد المذهب ق ١٦٨ ب .

(٤) هو " شرف الدين ، إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم المناوي " .
له ترجمة في : الإسنوي . طبقات الشافعية ج ٢ ص ٤٦٦ ـ ٤٦٧ تر ١١٥١ ، ابن الملقن . العقد المذهب ق ١٥٢ب ، ١٥٣ أ ، ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ج ١ ص ١ ـ ٢ تر ٥٧٥ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ١ ص ١٧ تر ٢٧ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣٢٣ .

كبير من أصحاب " ابن عبد الدائم "(١) و " النجيب "(٢) ، ومنهم : " القطب الزرزاري "(٣) (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤١م) ، و " البدر الفارقي "(٤) (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤١م) ، و " الشمس ابن الشماع "(٥) (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠م) ، و " الشهاب المشتولي "(٦) (ت ٧٤٤ هـ / ١٣٤٤م) ، و " أحمد بن

---

(١) هو " زين الدين ، أبو العباس ، أحمد بن عبد الدائم بن نعمة ابن أحمد بن نعمة بن محمد بن إبراهيم المقدسي ، الحنبلي "(ت ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م) .
له ترجمة في : الذهبي . العبر ج ٥ ص ٢٨٨ ، الصفدي . نكت الهميان ص ٩٩ـ١٠١ ، الوافي ج ٧ ص ٣٤ ـ ٣٦ تر ٢٩٦٧ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٥٧ ، ابن رجب . ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٢٧٨ ـ ٢٨٠ تر ٣٩٢ ، ابن طولون . القلائد الجوهرية ج ٢ ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩ .

(٢) هو " عبد اللطيف بن عبد المنعم بن الصيقل ، أبو الفرج الحراني ، الحنبلي " (ت ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م) .
له ترجمة في : الذهبي . تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٩١ ، العبر ج ٥ ص ٢٩٨ .

(٣) هو " إبراهيم بن علي بن يوسف بن سنان القطبي " .
له ترجمة في : ابن حجر . الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٩ تر ١٢٦ ، ابن فهد . لحظ الألحاظ ص ١١١ .

(٤) هو " بدر الدين ، محمد بن أحمد بن خالد بن محمد بن أبي بكر الفارقي " .
له ترجمة في : الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٢ ص ١٥٣ تر ٥١٥ ، ابن رافع . الوفيات ج ١ ص ٣٨١ تر ٢٧٠ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣١٥ ـ ٣١٦ تر ٨٤٦ ، ابن فهد . لحظ الألحاظ ص ١١١ .

(٥) هو " شمس الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن غالي بن نجم بن عبد العزيز الدمياطي " .
له ترجمة في : ابن رافع . الوفيات ج ١ ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣ تر ٢٣٨ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٣٣ تر ٣٥١ ، ابن فهد . لحظ الألحاظ ص ١١٢ ، السيوطي . حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٩٥ تر ١٧٢ .

(٦) هو " شهاب الدين ، أبو العباس ، أحمد بن علي بن أيوب بن علوي ، العلائي ، المشتولي " .

كشتغدى "(١) (ت ٧٤٤ هـ / ١٣٤٣م) ، و " أبي الفتح السبكي "(٢) (ت ٧٤٤ هـ / ١٣٤٤م) ، و " الزين الرحبي "(٣) (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩م) ، و " ابن السراج " ، و " ابن العطار "(٤) (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩م) ، و " ابن

= له ترجمة في : الصفدي ، الوافي بالوفيات ج ٧ ص ٢٤٣ تر ٣٢٠٦ ، ابن رافع ، الوفيات ج ١ ص ٤٦٨ تر ٣٨٣ ، المقريزي ، السلوك ج ٢ ص ٦٥٨ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٠٦ تر ٥٣١ .

(١) هو " شهاب الدين ، أبو العباس ، أحمد بن كشتغدى بن عبد الله المعزى ، الصيرفي ، المصرى " .
له ترجمة في : الصفدي ، الوافي بالوفيات ج ٧ ص ٢٩٩ تر ٣٢٨٥ ، ابن رافع ، الوفيات ج ١ ص ٤٤٩ تر ٣٥٩ ، القرشي ، الجواهر المضية ج ١ ص ٢٣٩ – ٢٤٠ تر ١٦٩ ، المقريزي ، السلوك ج ٢ ص ٦٥٨ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٣٨ تر ٦٠٨ .

(٢) هو " تقي الدين ، أبو الفتح ، محمد بن عبد اللطيف بن يحيى ابن تمام بن يوسف السبكي " .
له ترجمة في : الصفدي ، الوافي بالوفيات ج ٣ ص ٢٨٤ – ٢٩٣ تر ١٣٣١ ، الحسيني ، ذيل تذكرة الحفاظ ص ٥١ – ٥٢ ، ذيل العبر ص ٢٤١ – ٢٤٢ ، اليافعي ، مرآة الجنان ج ٤ ص ٣٠٧ ، السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ٢٤١ – ٢٥١ ، الإسنوي ، طبقات الشافعية ج ٢ ص ٧٤ تر ٦٦٥ ، ابن رافع ، الوفيات ج ١ ص ٤٧٣ – ٤٧٤ تر ٣٩٢ ، المقريزي ، السلوك ج ٢ ص ٦٥٩ ، ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ج ٣ ص ٧٨ – ٨٠ تر ٦١٩ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٥ – ٢٦ تر ٧٠ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٢٦ تر ١٦٠ ، النعيمي ، الدارس ج ١ ص ٢٥٣ – ٢٥٤ ، ابن طولون ، القلائد الجوهرية ج ١ ص ٢١١ – ٢١٢ ، ج ٢ ص ٥٧ – ٥٨ .

(٣) هو " زين الدين ، أبو بكر بن قاسم بن أبي بكر بن عبد الرحمن ابن على بن عمر الرحبي " .
له ترجمة في : ابن رافع ، الوفيات ج ٢ ص ١٠٦ – ١٠٧ ، المقريزي ، السلوك ج ٢ ص ٧٩٢ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٥٥ تر ١٢٢٠ ، ابن فهد ، لحظ الألحاظ ص ١٢٣ .

(٤) هو " تقي الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن محمد بن أبي بكر ابن عبد الله الكناني " .
قرأ عليه مؤرخنا قطعة من صحيح مسلم بحثاً وسماعاً ، وقطعة من منهاج النووي .
راجع : ابن الملقن ، العقد المذهب ق ٢٦٧ ب .

اللبان "(١) (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م) ، و " الصدر الميدومي "(٢) (ت ٧٥٤ هـ / ١٣٥٣م) ، و " العلاء مغلطاى "(٣) (ت ٧٦٢ هـ / ١٣٦١م) .

كما رحل في طلب العلم وتحصيله إلى "الإسكندرية "(٤) و "مكة "(٥)

---

(١) هو " شمس الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن عبد المؤمن بن اللبان الأسعردي " .
له ترجمة في : الصفدي . الوافي بالوفيات ج ٢ ص ١٦٨ تر ٥٢٤ ، اليافعي . مرآة الجنان ج ٤ ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤ ، السبكي . طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ٢١٣ ـ ٢١٤ ، الإسنوي . طبقات الشافعية ج ٢ ص ٣٧٠ تر ١٠١٢ ، ابن الملقن . العقد المذهب ق ١٦٨ أ ، ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ج ٣ ص ٦٨ ـ ٧٠ تر ٦١٣ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ تر ٨٨٧ ، ابن فهد . لحظ الألحاظ ص ١٢١ ، السيوطي . حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٢٨ .

(٢) هو " صدر الدين ، أبو الفتح ، محمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن عنان الميدومي " .
له ترجمة في : الحسيني . ذيل العبر ص ٢٩٣ ، ابن رافع . الوفيات ج ٢ ص ١٦١ تر ٦٥٥ ، المقريزي . السلوك ج ٢ ص ٩٠٦ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٥٧ ـ ١٥٨ تر ٤١٧ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٢٩١ .

(٣) مر التعريف به ، راجع : ص ١٦ .

(٤) أشار ابن الملقن (طبقات الأولياء ص ٥٠٠ ، ٥٧١) إلى أن أولى رحلاته إليها كانت سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، وإلى أنه سمع بها على " أبي عبد الله بن النعمان " ، كما سمع في رحلته الثانية إليها ـ وإن لم يؤرخ لها ـ على الشيخ " نهار " .
كما أشار في (نزهة النظار في قضاة الأمصار ، مخطوط طلعت رقم : ١٨٣٦ ـ تاريخ ، ق ٢٨ ب) إلى أنه فرغ من تأليف القسم الأول منه في رحلته الثالثة إلى الإسكندرية سنة ثمان وسبعين وسبعمائة للهجرة .
مما يشير إلى تعدد رحلاته إليها .

(٥) كان ذلك سنة أربعين وسبعمائة للهجرة ، ومن شيوخه فيها : " النجم الأسواني " (ابن الملقن . طبقات الأولياء ص ٥٥٩) ، كما رحل إليها حاجاً سنة احدى وستين وسبعمائة للهجرة (السخاوي . الضوء اللامع ج ٦ ص ١٠٢) .

و " القدس "(١) و " دمشق " .(٢)

ونتيجة لهذه الثقافة الواسعة ، وهذا الصيت الذائع ، شغل " ابن الملقن " عدة وظائف كالتدريس والنيابة فى القضاء ،فكان بيده تدريس " السابقية "(٣) وميعادها ، وميعاد الحديث فى " جامع الحاكم "(٤)

---

(١) كان ذلك سنة تسع وأربعين وسبعمائة للهجرة ، وقرأ فى هذه الرحلة على " الصلاح ابن كيكلدى " شيخ الصلاحية فى " التحصيل فى أحكام المراسيل " ، وأُجيْز منه .
راجع : ابن الملقن . العقد المذهب ق ١٦٨ ب .

(٢) كان ذلك سنة سبعين وسبعمائة للهجرة ، حيث سمع فيها على أصحاب الفخر البخارى (أبو الحسن ،على بن أحمد بن عبد الواحد ابن أحمد بن عبد الرحمن السعدى الصالحى الحنبلى) ، ونوه بذكره - هناك - كل من " التاج السبكى " (عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى بن تمام بن يوسف السبكى) ت ٧٧١ هـ. / ١٣٧٠م .. و " العماد ابن كثير " (إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير ابن زرع البصرى ،ثم الدمشقى) ت ٧٧٤ هـ. / ١٣٧٣ م. وكتب الأول له تقريظاً على كتابه " تخريج أحاديث الرافعى " ، والزم الثانى فكتب له أيضاً .
راجع : ابن حجر . إنباء الغمر ج ٢ ص ٢١٨ .

(٣) المدرسة السابقية : أنشأها الطواشى " سابق الدين ، مثقال الأنوكى " (ت ٧٧٦ هـ. / ١٣٧٤م.) ، وجعل بها درساً للفقهاء الشافعية ، قرر فى تدريسه وميعاده مؤرخنا ، كما جعل فيها تصدير قراءات وخزانة كتب ومكتباً لتعليم أيتام المسلمين .
راجع : المقريزى . الخطط ج ٢ ص ٣٩٣ - ٣٩٤ ،السخاوى . الضوء اللامع ج ٦ ص ١٠٤ .

(٤) جامع الحاكم : أسسه " العزيز بالله الفاطمى " فى رمضان سنة ثمانين وثلاثمائة للهجرة - خارج باب الفتوح ، أحد أبواب القاهرة - وأتم بنيانه ابنه " الحاكم بأمر الله " ، واستجد فيه - بعد - دروس للفقه على المذاهب الأربعة ، ودرس للحديث النبوى ،وجعل لكل مدرس وطلبة .
المقريزى . الخطط ج ٢ ص ٢٧٧ .
ويشير السخاوى (الضوء اللامع ج ٦ ص ١٠٤) إلى تولى مؤرخنا ميعاد الحديث فيه بعد موت " الشهاب الهكارى " سنة ثلاث وستين وسبعمائة للهجرة .

وتدريس " دار الحديث الكاملية "(١)، و" قبة الصالح ".(٢) والتصدير في " الأشرفية "(٣) و " الحسامية ".(٤) والنيابة في قضاء الشرقية

---

(١) دار الحديث الكاملية : أنشأها " الكامل محمد الأيوبي " سلطان مصر سنة اثنتين وعشرين وستمائة للهجرة ، فكانت أول دار علم للحديث النبوي الشريف في مصر .
راجع : المقريزي . الخطط ج ٢ ص ٣٧٥ .
استقر " ابن الملقن " في تدريسها بعد سفر " الزين العراقي " (ت ٨٠٦ هـ . / ١٤٠٤م .) إلى المدينة النبوية لتولي قضائها سنة ثمان وثمانين وسبعمائة للهجرة ، مع كون " الزين " قد رغب عن تدريسها لولده " الولي " ، فنازعه " الولي " ، قائلاً : " يخرج حديثنا وأخرجه ، ليظهر المستحق منا " ، فتوسل مؤرخنا بالسراج البلقيني (ت ٨٠٥ هـ . / ١٤٠٣م .) والبرهان الأبناسي (ت ٨٠٢ هـ . / ١٣٩٩م .) حتى كف " الولي " عنه ، وندم بعد دهر على منازعته .
راجع : ابن حجر . إنباء الغمر ج ١ ص ٣١٦ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٦ ص ١٠٤ .

(٢) قبة الصالح : أنشأتها - بجوار المدرسة الصالحية - " شجر الدر " لتكون مدفناً للصالح " نجم الدين أيوب " ، فنقل إليها يوم الجمعة ، السابع والعشرين من رجب سنة ثمان وأربعين وستمائة للهجرة .
راجع : المقريزي . الخطط ج ٢ ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .
استقر مؤرخنا في تدريسها يوم الخميس ، السابع والعشرين من رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة للهجرة (١٣٩٧م .) ، عوضاً عن القاضي الشافعي " عماد الدين الأزرقي الكركي " ، بحكم استقراره في خطابة القدس الشريف .
راجع : ابن الفرات . التاريخ ج ٩ ص ٤٦٣ ، ابن حجر . إنباء الغمر ج ١ ص ٥٢٧ .

(٣) لم أهتد إلى تعريف بها فيما تحت يدي من المصادر .

(٤) الحسامية : بناها في القاهرة الأمير " حسام الدين طرنطاي " (ت ٦٨٩ هـ . / ١٢٩٠م .) نائب السلطنة في مصر .
راجع : المقريزي . الخطط ج ٢ ص ٣٨٦ .
وكان تصدير مؤرخنا فيهما (الأشرفية والحسامية) بعد وفاة ابن النقيب (أحمد بن لؤلؤ بن عبد الله) ت ٧٦٩ هـ . / ١٣٦٨م .
راجع : ابن الملقن . العقد المذهب ق ١٥٨ ب .

عن قاضي القضاة الشافعي " بدرالدين ابن أبي البقاء "(١) (ت ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م.) ، ثم سعى في القضاء الأكبر على مستنيبه ، فجرت له في ذلك محنة ـ في السابع من ربيع الآخر سنة ثمانين وسبعمائة للهجرة ـ نجاه الله منها بسعاية بعض العلماء(٢) ، فترك .(٣)

---

(١) هو " بدر الدين ، محمد بن محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي ابن تمام بن يوسف السبكي " .
له ترجمة في : ابن حجر . رفع الإصر (مخط . دار الكتب المصرية ،رقم : ١٠٥ ـ تاريخ) ق ٢٥١ ب ـ ٢٥٢ ب ،السخاوي، الضوء اللامع ج ٩ ص ٨٨ ـ ٩٠ تر ٢٥٠ .

(٢) أشار ابن حجر (رفع الإصر ق ٢٥١ ب ـ ٢٥٢ أ) إلى هذه المحنة قائلاً :
" ... وملخصها أنه كان يصحب برقوق قبل أن يلي السلطنة ، ويسمع عنده صحيح البخاري ، وكان حسن السمت ،بهي الشيبة ، فعينه لقضاء الشافعية ،وكان من عزمه أن تكون ولايته مجاناً ، فاستبطأه ، فأشار عليه أن يجتمع بالأمير بركة ، فتوجه إليه ،فتكلم معه استاداره أن يبذل للأمير مالاً ، فكتب له خطه بألفي دينار أو أكثر (في إنباء الغمر ج ١ ص ١٧٣ : فكتب ورقة بأربعة آلاف دينار لبركة) ، فاجتمع بركة ببرقوق ، وأراه الخط ،فانزعج وأمر شاد الدواوين أن يستخلص منه المال ، وغضب عليه وأبعده ،فما خلص منه إلا بشفاعة الركراكي ـ وكان يدل على برقوق ـ وحضر معه السراج البلقيني و(البرهان) الأبناسي ، وغيرهم " .
وراجع : ابن حجر . إنباء الغمر ج ١ ص ١٧٢ ـ ١٧٣ ،المجمع المؤسس ق ٢٢٦ .

(٣) بينما يشير ابن حجر (رفع الإصر ق ٢٥٢ أ) إلى أن مؤرخنا قد عُزِل عن النيابة في القضاء في هذه المحنة ،قائلاً : " ... فلما خلص منه (من برقوق) لزم منزله وصرف ابن أبي البقاء النيابة عنه " ، منبهاً في إنباء الغمر (ج ١ ص ١٧٣) إلى أن ذلك كان بأمر برقوق : " ... فأمر برقوق ـ القاضي بدر الدين بعزله " ،فإنه قد خالف ذلك في المجمع المؤسس (ق ٢٢٦) ،قائلاً : " ... وناب في الحكم بعد ذلك " .
كما ورد لدى السخاوي (الضوء اللامع ج ٦ ص ١٠٤) أنه " ناب بعد ذلك ـ أيضاً ـ ثم ترك ،وأعرض عن قضاء الشرقية لولده واقتصر على جهاته " .
وعلى كل حال ، فإن " ابن الملقن " قد أشار (طبقات الأولياء ص ٥٤٨) إلى تركه النيابة في القضاء بإشارة الشيخ =

ولم تكن هذه هي المحنة الوحيدة التي تعرض لها مؤرخنا ، فلقد كانت تنتظره محنة أخرى أشد منها روعاً ، تمثلت في احتراق معظم كتبه وضياعها مع أكثر مسوداته - في أواخر عمره - مما أصابه بالذهول ، وتغير حاله بعدها (١) ، فحجبه ولده " نورالدين علي " (٢) (ت ٨٠٧ هـ ٠ / ١٤٠٥م ٠) إلى أن مات مؤرخنا - رحمه الله - في ربيع الأول (٣) سنة

= " إبراهيم الصقلي " (ت ٧٧٨ هـ ٠ / ١٣٧٦م ٠) ، قائلاً :
" ٠٠٠ وهو الذي أشار عليّ بتركي نيابة القضاء ، بعث إلى بذلك في رمضان مع بعض السادة الصلحاء الأعيان ، فاجتمعت به في شوال مع بعض السادة الصلحاء والقادة الأمراء لأتحقق إشارته فأمرني بالجلوس بجانبه ٠٠٠ وذكرت له إشارته ، فقال : نعم ، لأن منزلة العلماء أشرف ٠ فقلت له : فما ترى ؟ قال : " اعزل نفسك ٠٠٠ ثم انصرفنا من عنده ، ويسر الله الانصراف منه على حالة حسنة ، وحفني فيها من جملة الألطاف " ٠

ويشير ابن تغري بردي (النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٢٦٠) إلى حضور مؤرخنا في الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة تسعين وسبعمائة للهجرة (١٣٨٨م ٠) مجلس ترشيد " المنصور حاجي " والكتابة على الفتوى المتضمنة لذلك ، ضمن من حضر وكتب عليها ، مما يشير إلى أنه لم ينعزل عن المشاركة في أحداث عصره كلية بعد محنته تلك ٠

(١) ابن حجر ٠ إنباء الغمر ج ٢ ص ٢١٨ - ٢١٩ ، السخاوي ٠ الضوء اللامع ج ٦ ص ١٠٥ ، ابن فهد ٠ لحظ الألحاظ ص ٢٠٢ ٠

(٢) ولد في شوال سنة ثمان وستين وسبعمائة للهجرة (١٣٦٧م ٠) ، وسمع مع أبيه في القاهرة ودمشق وحلب ، ودرس في جهاته بعد وفاته ، وناب في القضاء في القاهرة والشرقية ٠
له ترجمة في : المقريزي ٠ السلوك ج ٣ ص ١١٦٨ ، ابن حجر ٠ إنباء الغمر ج ٢ ص ٣٠٨ تر ١٥ ، ابن تغري بردي ٠ الدليل الشافي ج ١ ص ٤٦٥ - ٤٦٦ تر ١٦١٤ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ٢٨٥ أ ، السخاوي ٠ الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٦٧ - ٢٦٨ تر ٨٩٤ ٠

(٣) أرخ لوفاته بالسادس عشر من ربيع الأول منها كل من : السخاوي (الضوء اللامع ج ٦ ص ١٠٥) وابن فهد (لحظ الألحاظ ص ٢٠٢) ، بينما أرخها بالسادس والعشرين من ربيع الأول كل من : ابن حجر (إنباء الغمر ج ٢ ص ٢١٩) وابن تغري بردي (المنهل الصافي مج ٢ ق ٣٢٥ أ) ٠

أربع وثمانمائة للهجرة ، عن احدى وثمانين سنة ،ودُفِنَ على أبيه بحوش سعيد السعداء .(١)

ووصفه تلميذه " ابن حجر العسقلاني " (ت ٨٥٢ هـ. / ١٤٤٩م.) بأنه " كان مديد القامة ، حسن الصورة ، يحب المزاح والمداعبة ، مع ملازمة الإشتغال والكتابة ، وكان حسن المحاضرة ، جميل الأخلاق ، كثير الإنصاف ، شديد القيام مع أصحابه " .(٢)

كما نعته " التقي المقريزي " (ت ٨٤٥ هـ. / ١٤٤٢م.) ـ فيما نقله عنه " السخاوي " (ت ٩٠٢ هـ. / ١٤٩٧م.) ـ بأنه كان " من أعذب الناس ألفاظاً ، وأحسنهم خلقاً ، وأعظمهم محاضرة " .(٣)

---

(١) المقصود بذلك حوش " الخانقاة الصلاحية " (راجع بشأنها : المقريزي ، الخطط ج ٢ ص ٤١٤ ـ ٤١٦) .
فقد كان " ابن الملقن " ـ رحمه الله ـ صاحب اتجاه صوفي ، دفع به إلى الإنخراط في سلك المتصوفة ومجالستهم ، ولبس الخرقة أو الطاقية على أيدي بعضهم .
(راجع : ابن الملقن ، طبقات الأولياء ، صفحات : ٥٤٤، ٥٤٦، ٥٥٨ ، ٥٦٠ ، ٥٦١، ٥٦٣ ، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣ ـ ٥٧٤، ٥٧٦) .

(٢) ابن حجر ، إنباء الغمر ج ٢ ص ٢١٨ .

(٣) السخاوي ، الضوء اللامع ج ٦ ص ١٠٥ .



الفصل الثاني

مؤلفاته :

عُدَّ " ابن الملقن " لدى من ترجموه أعجوبة فى كثرة التأليف ، فلقد كان مشتغلاً بالتصنيف وهو شاب ، مما جعله أكثر معاصريه تصنيفاً (١) ، بحيث قدرت مؤلفاته بنحو ثلاثمائة مجلد بين كبير وصغير (٢) ، هى فى معظمها تخريجات ، وشروح ، ومختصرات ، واعتراضات لما اشتهر فى عصره من مؤلفات فى الحديث النبوى ، والفقه ، واللغة ، والنحو (٣) .. فقد كان مؤرخنا — رحمه الله — جامعاً بين الكتابة التاريخية وبين هذه الفروع المتنوعة من صنوف المعرفة .

ولعل ما يعنينا منها تلك المؤلفات الداخلة فى نطاق " الكتابة التاريخية " ، وهى :

(١) تاريخ ملوك مصر الترك . (٤)

(٢) درر الجواهر فى ذكر شىء من مناقب سيدى عبد القادر (٥) .

(٣) طبقات الصوفية . (٦)

(٤) طبقات القراء . (٧)

(٥) العقد المذهب فى طبقات حملة المذهب ، وذيله . (٨)

(٦) نزهة النظار فى قضاة الأمصار . (٩)

ولم أتوفر إلا على دراسة ثلاثة منها — فقط — وهى :

---

(١) التقى الفاسى ، ذيل التقييد ق ٢٤٣ ب .

(٢) ابن حجر العسقلانى ، إنباء الغمر ج ٢ ص ٢١٨ ، السخاوى ، الضوء اللامع ج ٦ ص ١٠٣ .

(٣) راجع ملحق رقم "٧" من هذه الدراسة .

(٤) لم أهتد إلى مظان وجوده ، ولعله فقد فى الحريق السابق الإشارة إليه .

(٥) هو فى مناقب الشيخ " عبد القادر الجيلانى " — راجع : ابن الملقن ، طبقات الأولياء ص ١١٩ .

(٦) طبع تحت اسم " طبقات الأولياء " ، وهو مما سوف يعرض له تواً .

(٧) لم أهتد إلى مظان وجوده .

(٨) سوف يعرض لهما فيما يأتى .

(٩) نفسه .

طبقات الصوفية (١)

شرح " ابن الملقن " فى تأليفه حال صرفه عن النيابة فى القضاء (٢) فى ربيع الآخر سنة ثمانين وسبعمائة (١٣٧٨م.) ، وفرغ منه يوم الأربعاء ، ثالث جمادى الأولى سنة سبع وثمانين وسبعمائة (٣) (١٣٨٥م.) ، مرتبا له على مقدمة مقتضبة أبان فيها عن أهمية التراجم المحتوى عليها " .. فهذه جملة من طبقات الأعلام الأعيان ، وأوتاد الأقطاب فى كل قطر وأوان " (٤) ، مشيراً إلى الغاية من تأليفه " .. جمعتهم لأقتدى بمآثرهم ، وأقتفى بآثارهم ، رجاء أن أنظم فى سلكهم ، فالمرء مع من أحب ، وأحيا بذكرهم ، ويزول عنى النصب " (٥)

ثم أتبع المقدمة أصل الكتاب ، وقد احتوى على اثنتين وسبعين ترجمة رئيسة ، رتبت على حروف المعجم فى الإسم العلم ، ابتداء بترجمة " إبراهيم بن أدهم " (ت ١٦١هـ.) ، وانتهاء بترجمة " يحيى بن معاذ " (ت ٢٥٨هـ) ، مذيلاً على الأصل بسبعة ذيول ، تحتوى على قصيدتين فى أعلام الصوفية " للديريني " (٦) ، وست ذيول (٧) لمجموعات من الصوفية ، ترجموا فيها بغير

---

(١) طبع بالقاهرة (الخانجى ، ط١ ، ١٩٧٣) بتحقيق " نورالدين شريبة " ، تحت اسم " طبقات الأولياء " ، اعتماداً على نسختى : الأوقاف ببغداد ، ذات الرقم : ١٠٠٥٨ ، و الآصفية بالهند ، ذات الرقم : ٨٨ _ تراجم .
يلحظ أن محققه قد استبدل بعنوانه " طبقات الصوفية " عنوان إحدى النسخ الخطية " طبقات الأولياء " ، وإن كان العنوان الأصلى أولى بالإثبات من غيره ، لأنه تسمية للكتاب بحسب موضوعه ، فضلاً عن أنه تسمية المؤلف لمؤلفه ، كما جاء فى إجازته بمؤلفاته لمن أدرك حياته من المسلمين .. (راجع ملحق رقم ٧ من هذا البحث) .

(٢) ابن الملقن ، طبقات الأولياء ص ٥٤٨ .

(٣) نفسه ص ٥٧٨ .

(٤) نفسه ص ٣ .

(٥) نفسه .

(٦) نفسه ص ٥٢١ _ ٥٣٣ .

(٧) وردت عناوانتها كالتالى : " فصل فى طبقات أخر " (ص ٣٢٩ _ ٣٥٠) ، " فصل : من اشتهر بكنيته من غير ترتيب " (ص ٣٥١ _ ٤٠٨) ، " ذيل آخر منه " (ص ٤٠٩ _ ٥١٠) ، " فصل فى طبقة أخرى تلى هؤلاء ماتوا فى القرن الثامن " (ص ٥١١ _ ٥١٨) ، " فصل آخر فى =

ترتيب ، سواء في الاسم العلم ،أو في اللقب ،أو في الكنية .. احتوت على ثمان وأربعين ومائة ترجمة ، منها سبع وثلاثين ترجمة معاصرة لمؤلفه ، تضمهم وحدة واحدة ، هي الذيل الأخير ، مشيراً إليها بقوله : " .. وإذ قد فرغنا من هذه الخاتمة (١) ،التي عقدها ثمين ، فلنذيل عليها بسادات أدركتهم حشرنا الله في سلكهم ،ولا أخرجنا من عقدهم ". (٢) وبذلك يكون الكتاب قد احتوى على ثلاثين ومائتي ترجمة رئيسة ،ترد في أثناء الكثير منها ترجمات فرعية ،لمن لهم صلة بالمترجم له بترجمة رئيسة ، سواء بالقرابة أم بالصحبة. (٣)

وهذه الترجمات الرئيسة ،وما أضيف إليها من ترجمات فرعية ــ سواء في أصل الكتاب أم في الذيول الملحقة بآخره ــ ترجمات قصيرة ــ في معظمها ــ متعجلة المادة ،لا تكتمل فيها عناصر الترجمات المتعارف عليها ،والمدركة لدى مؤلفه ــ على نحو ما سوف يبين من خلال دراسة " العقد المذهب " له ــ لكنها مع ذلك ــ وإن شاع في محتواها كثير من الخرافات ، أو مستغربات الحدوث (٤) ــ تعد ــ إذا ما ضم بعضها إلى بعض ــ على جانب كبير من الأهمية ، لاعتبارات ، لعل من أهمها :

= الكنى " (ص٤٣٥ ــ ٥٤٠) ، " ذيل آخر يتلوه " (ص٥٤١ ــ ٥٧٨) .

(١) لم يكتب " ابن الملقن " خاتمة لمؤلفه هذا ، وإن كان قد أشار في صدر الذيل الثالث عليه إلى أن ما سوف يحتوي عليه هذا الذيل من ترجمات سيكون خاتمة له ،قائلاً ــ ص٤١١ ــ : " .. فلما يسر الله ــ تعالى ــ وله الحمد ،بذكر هؤلاء القوم ، الذين تنزل الرحمة بذكرهم ويزول اللوم ، بقي علينا بعدهم جماعات ذكرهم ترياق ،وسماع مآثرهم يجذب السباق ، ختمت بهم الكتاب ،فالختام مسك ذوي الألباب ، وأتحفت بهم الطلاب (طلباً) للرحمة في المحيا والممات " .

(٢) ابن الملقن ، طبقات الأولياء ص٥٤٤ .

(٣) لعل من أبرز التراجم الدالة على ذلك ،ترجمة " أبي القاسم بن محمد الجنيد " (ص١٢٦ ــ ١٧٤) ، حيث ترجم في ذيلها لعدد كبير من أصحابه ، وترجمة " أحمد بن أبي الحواري " (ص٣١ ــ ٣٦) ، وقد ترجم في ذيلها لولده ، وأخيه ، وزوجه .

(٤) تكثر في الكتاب ــ كما هي العادة في سائر الكتب المعنية بترجمات أعلام الصوفية ــ الكثير من الخوارق والمعجزات ، التي لا تستقيم مع التفكير العلمي ، والمنطق السليم ،ومن نماذج ما ورد في الكتاب منها : =

أولاً ـ احتواء الكتاب على عدد لا بأس به من ترجمات أعلام الصوفية الذين عاشوا فيما بين القرنين الثاني والثامن الهجريين ،مما يعد أنموذجاً طيباً لدراسة ظاهرة التصوف وتطورها في هذه الفترة من خلال ترجماتهم ،فلقد بُنيت ترجماتهم ـ أصلاً ـ على ايراد كم هائل من أقوال المترجمين وأفعالهم ، بحيث عُدَّ هذا العنصر عنصراً سائداً تتضائل إلى جانبه سائر العناصر الأخرى .. مما يجعل منه موسوعة صوفية ، يُتعرف من خلالها على الجانب

= قوله (ص ١١ ـ ١٢) في ترجمة " إبراهيم بن أدهم " : " .. ركب مرة البحر ،فقام عليهم ،فلف رأسه في عباءة ونام . فقيل له : ما ترى ما نحن فيه من الشدة ؟ فقال : ليس هذا شدة ، الشدة الحاجة إلى الناس . ثم قال : اللهم أريتنا قدرتك ،فأرنا عفوك . فصار البحر كأنه قدح زيت " .

وقوله (ص ٢٤) في ترجمة " إبراهيم بن سعد العلوي " :
" .. حكى عنه أبو الحارث ،قال : كنت معه في البحر ،فبسط كساءه على الماء وصلى عليه " .

وقوله (ص ٣٣) في ترجمة " أحمد بن أبي الحوراني " :
" روى أنه كان بينه وبين أبي سليمان الداراني عقد بأنه لا يخالفه في شيء يأمره به ، فجاء يوماً والداراني يتكلم في مجلسه ،فقال : إن التنور قد سُجِرَ ،فبمَ تأمر ؟ فلم يجبه . فقال ثانياً ، وثالثاً ،فلما ألح عليه ، كأنه قد ضاق قلبه ،فقال له : إذهب فاقعد فيه ! ثم تغافل واشتغل عنه ساعة ،ثم ذكره فقال : اطلبوا أحمد ، فإنه في التنور ،لأنه على عقد ألا يخالفني ،فذهبوا إليه فإذا به جالس في التنور لم يحترق منه شعرة " .

وقوله (ص ٩٩) في ترجمة " أبي العباس أحمد الرفاعي " :
" .. قعد مرة على الشط ، وقال : أشتهي أن آكل سمكاً مشوياً . فلم يتم كلامه حتى امتلأ الشط سمكاً . ورؤى ذلك اليوم منه في الشط ما لا يُرى مثله . فقال : إن هذه الأسماك تسألني بحق الله أن آكل منها . فأكل (وأكل) القوم ،وبقى في الطواحين رؤوس وأذناب وقطع " .

وقوله (ص ١٢٥) في ترجمة " ثابت بن أسلم البناني " :
" .. كان يقول : اللهم إن كنت أعطيت أحداً الصلاة في قبره ،فأعطني الصلاة في قبري . ويقال : إن هذه الدعوة أستجيبت له ،وأنه رؤى بعد موته يُصلي في قبره " .

وقوله (ص ١٩٠) في ترجمة " أبي الخير الأقطع " :
" .. كانت السباع تأوى إليه ،وتأنس به " .
إلى غير ذلك من الأمثلة التي أفسح لها مجالاً في أكثر تراجم كتابه .

الصوفى من الفكر العربى الإسلامى ــ فى هذه الفترة ــ إذ لا يخفى أن الصوفية كانوا مشاركين فى بناء مادته بالكثير من الآراء [1] المبثوثة فى أقوالهم ومؤلفاتهم ، كما كانت لهم اصطلاحات خاصة بهم ، ورد منها الكثير فى ترجماتهم . [2]

---

(١) من نماذج ذلك ما ورد فى الكتاب شرحاً لمفهوم " التصوف " ، كنحو قوله (ص٢٧) فيما نسب إلى " أبى القاسم النصراباذى " :

" .. التصوف : ملازمةُ الكتاب والسنة ، وتركُ الأهواء والبدع ، وتعظيمُ حرمات المشايخ ، والملازمةُ على الأوراد ، وتركُ ارتكاب الرخص والتأويلات " .

وقوله (ص٨٣) فيما نسب إلى " أبى عبد الله بن الجلاء " :

" .. التصوف : رؤية الكون بعين النقص ، بل غض الطرف عن كل ناقص بمشاهدة من تنزه عن كل نقص " .

وقوله (ص٢٥٣) فيما نسب إلى " أبى الحسن البوشنجى " :

" .. التصوف : فراغُ القلب ، وخلاءُ اليدين ، وقلةُ المبالاة بالأشكال " .

وما ورد فيه من تفسيرهم للكثير من آيات القرآن الكريم ، ومنها قوله (ص٤١) فيما نسب إلى " أبى سعيد الخزاز " :

" .. وقال فى قوله تعالى : "ولله خزائن السموات والأرض" (٧ : المنافقون) : خزائنه فى السماء الغيوب ، وفى الأرض القلوب " .

وقوله (ص٥٦) فيما نسب إلى " أبى على الروذبارى " :

" .. وقال فى قوله تعالى : "إنّ الذينَ قالوا ربُّنا اللهُ ثم استقامُوا" (٣٠ : فصلت) : استقاموا بالرضا ، على مر القضاء ، والصبر على البلاء ، والشكر فى النعماء " .

وما ورد من تفسيرهم لبعض الأحاديث القدسية والنبوية ، ومن أمثلة الأولى قوله (ص١٠٢ ــ ١٠٣) فيما نسب إلى " أبى الفتح المغزالى " :

" .. وقال فى قوله سبحانه ــ فى الحديث القدسى ــ "كذب من ادّعى محبتى فإذا جنهُ الليلُ نام عنى" . لا تظن أن كل نوم حرام ، الحرام نومك ، لأنه غلة فى غلة ، إذ كان نومهم من غلبة . فهم ما داموا أحياء يراقبونه ، فإذا ناموا راقبهم ، " إنّ اللهَ كانَ عليكُم رقيباً " (١ : النساء) " .

ومن نماذج الثانية قوله (ص٢٠٥) فيما نسب إلى أبى بكر الشبلى :

" .. وقد سُئل عن حديث : "خيرُ كسبِ المرءِ عملُ يمينه" . (فقال :) إذ كان الليل فخذ ماء ، وتهيأ للصلاة ، وصل ما شئت ، ومُدّ يدك ، وسل الله ، فذلك كسب يمينك " .

إلى غير ذلك من الآراء والتفسيرات والمفاهيم الواردة فى ثنايا ترجمات الكتاب ، نثراً وشعراً .

(٢) ابن الملقن ، طبقات الأولياء ص٥٨٤ ــ ٥٨٩ ، حيث كشاف اصطلاحات الصوفية المستخرج من ترجمات الكتاب .

ثانياً — التعرف على بعض جوانب من مشاركة الصوفية في حوادث مجتمعهم (١) ، وما يقابل ذلك من نظرة معاصريهم — من غير طائفتهم — إليهم . (٢)

ثالثاً — والكتاب — فضلاً عن ذلك — يحتوى على قدر لا بأس به من جوانب " السيرة الذاتية " لمؤرخنا (٣) ، بحيث أتت ترجمات أعلام الصوفية المعاصرين له وقد اختلطت فيها عناصر حياته بعناصر ترجماتهم — باعتبار ما لابن الملقن من ميول صوفية مبكرة (٤) — مما يبرز لهذا المؤلف أهمية في التأريخ لحياة مؤلفه .

ومن الطريف أن يذكر أن هذا الكتاب قد حمل انطباعين معاكسين من جوانب الفكر الصوفي لمؤرخنا ، تمثل أولهما في هذا الاتجاه الصوفي المُورد

---

(١) من ذلك مشاركتهم في إصلاح من فسد — في مجتمعهم — بالنصح والتوجيه ، ومنه قوله (ص ٣٧٧ — ٣٧٨) في ترجمة " هشام بن مطيع الدمشقي " :

" .. نظر مرة إلى رجل يساوم بغلام جميل ليشتريه ، فظل ينتظر حتى قطع الرجل أمره مع صاحب الغلام ، وهم أن يزن له ، فجلس إلى جانبه ، فقال له :

يا أخي ، إني والله ما عرفتك ولا عرفتني ، ولا كلمتك ولا كلمتني . وقد رأيتك على أمر ، لم يسعني فيه إلا تسديدك ، وبذل النصيحة فرض على المسلم لأخيه إذا رآه على حالة لا يرضاها ؛ وقد رأيتك تنظر إلى هذا الغلام نظراً لا ينظره إلى مثله إلا من اشتغل عقله به عن طاعة ربه ، ثم رأيتك تريد أن تزن فيه مالاً ، لا أدرى ما أقول فيه : أحلال هو أم حرام ؟ فلأن كان حراماً فحقيق على مثلك ألا يجمع على نفسه أمرين محرمين ، وإن كان حلالاً فينبغى أن تضعه في موضع نسبة الحلال .

وأعلم أنه لن يصاب المؤمن بمصيبة ولا ابتلاء ، أعظم من بلية تسكن في قلبه ، فينقطع بها عن طاعة ربه " .

(٢) من ذلك قصدهم لتبيين ما خفى على العامة من أمور الدين (ص ١٧٨) ، أو الوشاية بهم لدى الخليفة وتقتيلهم (ص ٦٤ — ٦٥) ، أو حظوة بعضهم لدى بعض السلاطين (ص ٤٧٧) ، أو تكريمهم في الجنازات بعد الموت (ص ٥٥١ ، ٥٥٣) .. الخ .

(٣) من ذلك ما تعلق برحلاته إلى " الإسكندرية (ص ٥٤٨ ، ٥٧١) ، و" مكة " (ص ٥٥٩) ، و " القدس " و " الشام " (ص ٥٦٠) ، وتركه النيابة في القضاء (ص ٥٤٨) .. الخ .

(٤) فلقد صرح مؤرخنا بلبسه الخرقة أو الطاقية عن بعضهم ، وزيارته لهم أحياء وأمواتاً ، والامتثال لنصائحهم .

راجع : ابن الملقن . طبقات الأولياء . صفحات : ٤٩٤ — ٥١٠ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٥٣ ، ٥٥٩ ، ٥٦١ ، ٥٦٣ ، ٥٦٥ ، ٥٧٠ ، ٥٨١ ، ٥٧٤ .

للكثير من الخرافات ومستغربات الحدوث ، والمسلم بها دون أدنى تمحيص أو نقد ، بل واعطاء بعض الوصفات التجريبية ـ لمطالع كتابه ـ مما أشير إلى أنه جُرِّبَ فصح ، كنحو قوله في ترجمة " معروف الكرخي " :

" .. قال أبو عبد الرحمن الزهري : قبره معروف لقضاء الحوائج ، يقال : إنه من قرأ عنده مائة مرة (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) (١) ، وسأل الله ما يريد قضى حاجته .

ومثل هذا يُذكر عن قبر أشهب (٢) ، وابن القاسم (٣) ـ صاحبي الإمام مالك ـ وهما مدفونان في مشهد واحد بقرافة مصر ، يقال : إن زائرهما إذا وقف بين القبرين ، مستقبلاً القبلة ، ودعا أُستجيب له ، وقد جُرِّبَ ذلك .

وقد زرتُهما وقرأتُ عندهما مائة مرة (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) ، ودعوت الله لأمر نزل بي ، أرجو زواله فزال " . (٤)

بينما يمثل الثاني جانبٌ من جوانب النقد المقترن ببعض التصرفات المنسوبة إلى " أحمد بن الحوراني " ، اعتماداً على حس صوفي مدرك ، ويتضمنه قوله :

" .. طلب العلم ثلاثين سنة ، فلما بلغ الغاية غَرَّق كتبه ، وقال : لم أفعله تهاوناً ولا استخفافاً بحقك ، ولكن طلبنا الهداية فحصلت ، فاستغنيت عنك به .

فإن قلت : هذه إضاعة مال . قلت : لعله كان فيها شيء لا يرى تعديه إلى الغير . وقد رُوي نحو هذا عن سفيانَ الثوريِّ الإمام ، أنه أوصى بدفن كتبه ، وكان ندم على أشياء كتبها عن الضعفاء ، وقال : حملني عليها شهوةُ

---

(١) المقصود بذلك سورة " الإخلاص " مكتملة .

(٢) هو " مسكين بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القيسي المعافري الجعدي " ، وأشهب لقب له ـ له ترجمة في : ابن عبد البر ، ذكر التعريف بجماعة من أصحاب مالك ق ٣ ، القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك ج ٢ ص ٤٤٧ ـ ٤٥٣ ، الذهبي ، العبر ج ١ ص ٣٤٥ ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب ج ١ ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠ .

(٣) هو " عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة ، أبو عبد الله العتقي " ، له ترجمة في : القاضي عياض ، ترتيب المدارك ج ٢ ص ٤٣٣ ـ ٤٤٧ ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب ج ٦ تر ٥٠٠ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٤ .

(٤) ابن الملقن ، طبقات الأولياء ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ .

الحديث . فكأنه لما عسر عليه التمييز بين الصحيح وغيره ، أوصى أن تُدفن كلها .
أو أن هذا من باب إلقاء أهل السفينة الأموال رجاء النجاة . وأين ذلك
من غرق النفس في بحر الركون إلى المألوفات المنافية لصفاء الذكر ، والإلتجاء
إلى الله — تعالى — في فسيح أبواب الفكر ، لا سيما إذا خاف فوات الأولى
بالإشتغال به ، فيكون إتلافه لذلك من باب " رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ
والأَعْنَاقِ " (٣٢ : ص) " . (١)

ويبقى أن يُشار إلى أن مصادر الكتاب قليلة في معظمها ، وتتمثل في
بعض المؤلفات المتقدمة كحلية الأولياء " لأبي نعيم " (ت ٤٣٠ هـ . / ١٠٣٨
م .) ، وتاريخ بغداد " للخطيب البغدادي " (ت ٤٦٣هـ . / ١٠٧١م .) ،
و الأنساب " للسمعاني " (ت ٥٦٢ هـ . / ١١٦٦م .) ، وتاريخ دمشق " لابن
عساكر " (ت ٥٧١ هـ . / ١١٧٦م .) ، والمنتظم " لابن الجوزي " (ت
٥٩٧ هـ . / ١٢٠١م .) . . فضلاً عن المعاصرة والمشاهدة المصاحبتين
للكثير من ترجمات الذيل الأخير على الكتاب ، حسب ما أُشير إليه .

---

(١) المصدر السابق ص ٣١ — ٣٢ .

العقد المذهب في طبقات حملة المذهب (١)

مؤلف في تراجم الشافعية من زمن الشافعي ـ رضي الله عنه ـ إلى وقت مؤرخنا ، ابتدأ " ابن الملقن " بكتابة مسوداته يوم الأربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة للهجرة ، وفرغ من تأليفه مساء يوم الأربعاء ثالث عشر ذي القعدة سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، ثم زاد فيه زيادات كثيرة حتى سنة سبعين وسبعمائة للهجرة . فاشتمل على نحو ألف ومائتي ترجمة وزعت على ثلاث طبقات رئيسة ، قسمت الطبقتان الأولى والثانية منهما إلى طبقات فرعية (٢) ، بحيث اشتملت الطبقة الأولى على أربع وثلاثين طبقة، ترجم فيها لأصحاب الوجوه (الآراء الفقهية) ومن داناهم ،بينما قسمت

---

(١) اعتمدت هذه الدراسة على مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة ،ذات الرقم : (١١٣٩ ـ تاريخ) المأخوذة عن مخط . محفوظة بمكتبة " مولانا خليل الله المدراسي " بحيدر آباد ـ الدكن ،تحت رقم : (٣١٨٩) ، كتبها سنة خمس وسبعين وسبعمائة للهجرة " عبدالعزيز بن محمد النشائي الشافعي " في ٢٠٥ ورقة، ذات القطع ١٣ × ٥ر٢٠ سم .

مع مراجعة مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة، ذات الرقم : (١/٣٣٧ ـ تاريخ) ،المأخوذة عن مخط .استانبول ، ذات الرقم : (٥٢١٢ ـ عمومية) .

(٢) أراد " ابن الملقن " بهذه الطبقات الفرعية توزيع المترجمين لديه حسب المكانة العلمية المبنية على الأخذ عن الشيخ والعلو في الإسناد ، وبالتالي على سنوات الوفاة ، ولكن لم يوفق ـ دائماً ـ في ذلك ، فقد كانت بعض التراجم لديه مجهولة الطبقة ، وهو ما يفهم من قوله (ق ١٨ أ) : " علي بن أحمد الفسوي ،القاضي أبوالحسن . له شرح المفتاح كما ذكره ابن الصلاح في بعض مجاميعه ،لا أعرف طبقته " ، وقوله (ق ٣٩ب) : " إسماعيل بن أحمد الروياني ، والد مصنف البحر . يحكي عنه ولده فيه كثيراً . لا أعرف طبقته ولا حاله " .

وراجع كذلك ق ٢٤ب ، ٤٣ب .

بل ربما التبست عليه طبقة المترجم له ، فيذكره في طبقة مترجماً وفي أخرى محيلاً ، ومن أمثلة ذلك قوله (ق ١٧ب) : " الحسين ابن صالح بن خيران . تقدم في الطبقة الثالثة ، وذكره الشيخ أبو إسحاق (الشيرازي) مع ابن اللبان ونظرائه " .

الطبقة الثانية إلى ست وثلاثين طبقة ، ترجم فيها لجماعات دونهم ، على حين أتت الطبقة الثالثة دون توزيع على طبقات فرعية ، مترجماً فيها لمتأخرى الشافعية ممن عاصرهم وأخذ عن بعضهم ، مذيلاً كل طبقة من الطبقات الرئيسة بفصول فى الكنى والأبناء والأنساب ، مرتباً التراجم فى كل على حروف المعجم .

وقد أتبع أصل الكتاب بإجازة عامة منه لمن أدرك حياته من المسلمين برواية مؤلفاته ، معدداً لها ، مع ذكر ترجمة مقتضبة له ، أثبت فيها تاريخ مولده ، معرفاً بوالده ، إلى حين وفاته .(١)

ويلى ذلك ذيل على أصل الكتاب احتوى على أربعمائة ترجمة أو اسم مجرد (٢) مما جاء فى الكتاب مترجماً باقتضاب (٣) ، أو ممن لم يترجم فيه أصلاً (٤) ، مرتباً لما ورد فى الذيل على حروف المعجم ، مشيراً إليه بقوله :

" .. هذا ذيل على طبقاتى للفقهاء ، رتبته على حروف المعجم لا على السنين ، وبدأت (فيه) بالمحمدين تبركا ، والله أسأل أن ينفع به " .(٥)

وعلى الرغم من ظهور الطبقات الثلاث الرئيسة والذيل كوحدات مستقلة

---

(١) ابن الملقن . العقد المذهب ق ١٦٩ب ــ ١٧٠ ب .

(٢) نفسه ق ١٧٢ أ ، وقد جرد للأسماء الثلاثة الأوائل من الواردين فى الذيل .

(٣) فقد كان ذلك مدركاً لدى مؤلفه ، وهو ما يفهم من كثرة التنبيهات أو الإحالات فى الأصل على الذيل ، ومنها قوله (ق ٤٢ب) فى ترجمة البغوى : "... وسيأتى فى الذيل أبسط من هذا " ، وقوله فى ترجمة زيد اليفاعى : "... وقد بسطت ترجمته فى الذيل بأكثر من هذا فراجعه منه " .

وما ورد ــ كذلك ــ فى الذيل منبهاً إلى ذكر بعض المترجمين فيه ــ فى الأصل باختصار ، ومنه قوله (ق ١٧٥ب) فى ترجمة ابن النحاس : " ذكرته فى الأصل مختصرا " .

(٤) إذ كثيراً ما يحيل فى ترجمات الأبناء المذكورين فى ذيل بعض ترجمات الآباء المترجمين فى أصل الكتاب إلى الذيل ، ومن نماذج ذلك قوله فى ترجمة أبى حاتم القزوينى (ق ٢٩ أ) من أصل الكتاب : "... وولده أبو الفتوح محمد ، وحفيده عبد الرحمن بن محمد بن أبى حاتم ذكرتهما فى الذيل " .

(٥) ابن الملقن . العقد المذهب ق ١٧٠ ب (الذيل) .

بذاتها (١) ، فإن " ابن الملقن " قد حاول الربط فيما بينهما بكثير من الإحالات (٢) أو التنبيهات (٣) الواردة في ترجمات الكتاب ، معتمداً في ذلك على صلات القرابة أو المشابهة في الأسماء والألقاب .

---

(١) حيث جعل لكل طبقة من الطبقات الرئيسة الثلاث ديباجة خاصة بها ، فجاء في صدر الطبقة الأولى منها قوله (ق ٢) : " الطبقة الأولى ، أصحاب الوجوه ومن داناهم ، وتشتمل على أربع وثلاثين طبقة ، مجموع عددهم نيف على خمسمائة " .

كما ورد في صدر الطبقة الثانية (ق ٨٢ب) قوله : " بسم الله الرحمن الرحيم ، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً ، وإذ فرغنا من الطبقة الأولى ـ أصحاب الوجوه ومن داناهم ـ فلنشرع في الطبقة الثانية ، وهم جماعات دونهم ، وتشتمل على ست وثلاثين طبقة ، ومجموعهم نيف على سبعمائة " .

بينما صدر للطبقة الثالثة (ق ١٥٢ ب) بقوله : " بسم الله الرحمن الرحيم ، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً ، وإذ قد فرغنا من الطبقة الثانية المشتملة على ست وثلاثين طبقة ، فلنشرع في الطبقة الثالثة ، وهم جماعات أدركناهم وأخذنا عن بعضهم كما نبينه إن شاء الله " .

وختم الكتاب بقوله (ق ١٦٩) : " .. هذا آخر ما يسر الله تعليقه بفضل الله ومنته ، وله الحمد على ذلك وعلى أمثاله وسائر نعمه حمداً يوفي بنعمه ويكافيء مزيده " .

(٢) من ذلك الترجمة بالإحالة في قوله (ق ١٣ب) : " عمر بن أحمد بن شريح ، سبق مع والده " ، وقوله (ق ٢٠ أ) : " محمد ابن محمد بن سهل الماسرجسي ، تقدم في ترجمة أبيه " .

وراجع الحاشية رقم : (٣) من ص ٣٤٨.

(٣) من ذلك ما ورد في ترجمة " ابن اللبان الفرضي " ـ ق٢٢ أ ـ من قوله : " ... فائدة : من أصحابنا أحد يعرف بابن اللبان سيأتي في الطبقة العاشرة ، لكنه لم يشهر مثل هذا " ، وقوله (ق ٤٠ب) في ترجمة أحمد الروياني : " ... وسبطه هبة الله ابن سعد سيأتي في طبقة العشرين ، وإسماعيل والد الروياني تقدم قريباً ، وجده أحمد قاضي القضاة مصنف الجرجانيات سلف ، وابن أخته أبو المكارم صاحب العدة يأتي في الكنى ، وابن عمه شريح سلف قريباً " .

وراجع : ق ٢٥ب ، ٢٨ب ، ٣٥أ ، ٤٠أ .

اعتمد " ابن الملقن " في جمع مادة كتابه على ثلاثة أنواع من المصادر ، وهي : المؤلفات السابقة ، والمشاهدة ، والمشافهة .

أ ـ المؤلفات السابقة :

وتعد البنية الأساسية ، والمورد الرئيس لمادة كتابه . وقد أجمل الإشارة إليها في مقدمة كتابه قائلاً :

" .. وقد عني بهذا الشأن جماعات من المتقدمين والمتأخرين ، وألفوا فيه تواليف .

فأول من علمته ألف في ذلك الإمام أبو حفص المطوعي (١) ، ولخصه الشيخ تقي الدين بن الصلاح . ثم القاضي أبو الطيب الطبري (٢) ، ثم العبادي (٣) ، ثم أبو إسحاق الشيرازي (٤) ، ثم أبو محمد الجرجاني (٥) ، ثم القاضي عبد الوهاب الشيرازي (٦) ، ثم البيهقي ، المعروف

---

(١) هو " عمر بن علي المطوعي " ، له ترجمة في : الثعالبي . يتيمة الدهر ج ٤ ص ٥٠٠ ـ ٥٠٤ تر ١٢٠ .

(٢) هو " طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عبد الله بن عمر " ، ت . سنة ٤٥٠هـ . / ١٠٥٨م . ـ له ترجمة في : الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد ج ٩ تر ٤٩٢٦ ص ٣٥٨ ـ ٣٦٠ ، الصفدي . الوافي بالوفيات ج ١٦ تر ٤٣٥ ص ٤٠١ ـ ٤٠٤ .

(٣) هو " محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عباد ، العبادي الهروي " ، ت . سنة ٤٥٨هـ . / ١٠٦٦م . ـ راجع : العبادي . كتاب طبقات الفقهاء الشافعية . ط . ليدن ، ١٩٦٤م .

(٤) هو " إبراهيم بن علي بن يوسف " ، ت . سنة ٤٧٦ هـ . / ١٠٨٣م . ـ راجع : الشيرازي . طبقات الفقهاء ، ت . د . احسان عباس . بيروت ، الرائد العربي ، ١٩٧٠م .

(٥) هو " أبو محمد ، عبد الله بن يوسف الجرجاني " ، ت . سنة ٤٨٩هـ . / ١٠٩٦م . ـ له ترجمة في : السبكي . طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٢١٩ .

(٦) هو " أبو محمد ، عبد الوهاب بن محمد بن عبد الواحد بن محمد الشيرازي " ، ت . سنة ٤٣٠هـ . / ١٠٦٩م . ـ له ترجمة في : السبكي . طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

بفندق (١) ــ أحد أجداده ــ ثم أبو النجيب السهروردى (٢) ، ثم ابــن الصلاح (٣) ، وهذبه النــووى (٤) ــ وأهمل خلقاً من الأعيـان أفرد تهــم فى جــزء ــ وألف ابن باطيش (٥) الضياء ، وهذا المصنــف ، نجمع (فيــه) ــ إن شاء الله تعالى ــ شتاتهم مع زيادات كثيرة ، علــى سبيل الاختصــار والاعتناء بغرائب الشخص من الأصــول والفروع " . (٦)

لكنه مع ذلك قد يبعد بنا عن المصدر الرئيس المنقــول عنه فــى كتابــه ، وهو " طبقات الشافعية " لشيخه " الجمال الاسنوى " . بل إن كثيراً ممــا يتردد لديه من مصادر قرين عاصر الكثير من ترجمات الكتاب لا يعدو أن يكون ــ فى معظمه ــ أكثر من مصادر هذا المصدر المشار إليه ، والذى لم يشــر " ابن الملقن " إلى أخــذه عنه ولو بإشارة عابرة ، وإن أستفيد ذلك مــن المقابلة بين مادة " العقد المذهب " ومادته . ومن نماذج ذلك قولــه فــى

---

(١) هو " أبو الحسن على بن أبى القاسم البيهقى " ، ت . سنة ٥٦٥هـ . / ١١٦٩م . ومؤلفه المشار إليه هو " وسائل الألمعى فــى فضائــل أصحاب الشافعى " ــ حاجى خليفة . كشف الظنون ص ١١٠٠ ــ ١١٠١ .

(٢) هو " أبو النجيب ، عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه بــن سعد السهروردى " ، ت . سنة ٥٦٣هـ . / ١١٦٨م . ــ له ترجمــة فى : اليافعى . مرآة الجنان ، ج ٣ ص ٣٧٢ ــ ٣٧٣ .

(٣) هو " عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردى الشهرزورى " ، ت . سنة ٦٤٣هـ . / ١٢٤٥م . ــ له ترجمة فــى : الاسنــوى . طبقات الشافعية ج ٢ تر ٧٣٠ ص ١٣٣ ــ ١٣٤ .

(٤) هو " محيى الدين ، أبو زكريا ، يحيى بن شرف بن مرى بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزم النووى " ، ت . سنة ٦٧٧ هـ . / ١٢٧٨م . ــ له ترجمة فى : الاسنوى . طبقات الشافعية ج ٢ تــر ١١٦٢ ص ٤٧٦ ــ ٤٧٧ .

(٥) هو " أبو المجد ، عماد الدين ، إسماعيل بن هبة الله بن سعيد بــن هبة الله بن محمد الموصلى " ، ت . سنة ٦٥٥هـ . / ١٢٥٧م . ــ له ترجمة فى : الذهــبى . العبر ج ٥ ص ٢٢١ .

(٦) ابن الملقن . العقد المذهب ق ٢ أ .

الطبقة الثالثة من الطبقة الرئيسة الأولى مترجماً للصابوني :

" أحمد بن محمد الصابوني . من غرائبه أن أم الزوجة لا تحرم إلا بالدخول بالزوج كعكسه .

ذكره النووي في تهذيبه ، وذكره العبادي في طبقاته في آخر الطبقة المتقدمة على ابن شريح .

وفي تاريخ الحاكم : أحمد بن يوسف العبادي ، أبو الحسن المناظر الجدلي المتعصب للسنة ، ورد نيسابور سنة ثلاث وثلاثمائة ، فيجوز أن يكون هو صاحب الترجمة " . (١)

ويقابله لدى " الاسنوي قوله في طبقاته :

" أحمد بن محمد الصابوني . قال النووي في تهذيبه : أنه من أصحابنا ، أصحاب الوجوه ، ولم يزد عليه . وقال الحاكم في تاريخه : كان جدلاً متعصباً للسنة ، ورد نيسابور سنة ثلاثمائة . إلا أن الحاكم جعله : ابن يوسف ، فيجوز أن يكون ذلك اسم جد من أجداده ، وذكره العبادي في آخر الطبقة المتقدمة على طبقة ابن سريج .

نقل عنه الرافعي في أوائل الباب السادس من كتاب النكاح ، أن أم الزوجة لا تحرم إلا بالدخول على البنت كعكسه " . (٢)

مما يشير إلى اعتماد " ابن الملقن " اعتماداً كلياً على مادة طبقات الشافعية للاسنوي في إيراد ترجمة الصابوني ، فهي لديه لا تزيد عن كونها إعادة تنظيم وصياغة لعناصرها المثبتة لدى مصدره .

ومن نماذجه ـ كذلك ـ قوله في الطبقة الرئيسة الثالثة مترجماً لأحمد النحوي :

" أحمد بن يوسف بن محمد الحلبي الأصل ، المعروف بالنحوي . كان فقيهاً بارعاً في النحو والتفسير وعلم القراءات ، وشارك في الأصول . خيراً ديناً . شرح التسهيل ، وله الإعراب والتفسير ـ أيضاً ـ وبقي من هذا أوراق قلائل ، وشرح الشاطبية . تصدر لإقراء السبع بالجامع الطولوني ، وأعاد بالشافعي ، وناب في القاهرة ، وتولى نظر الأوقاف بها إلى أن مات

---

(١) ابن الملقن . العقد المذهب ق ٦ب .

(٢) الاسنوي . طبقات الشافعية ج ٢ تر ٧٢١ ص ١٢٤ .

سنة ست وخمسين وسبعمائة " . (١)

ويقابله لدى " الاسنوى " قوله :

" شهاب الدين ، أحمد بن يوسف بن محمد الحلبي الأصل ، المعروف بالنحوى ، كان فقيهاً بارعاً في النحو والتفسير وعلم القراءات ، يتكلم في الأصول ، خيراً ديناً ، شرح تسهيل ابن مالك شرحاً مختصراً مأخوذاً من شرح أبي حيان ، وصنف إعراباً على القرآن – الكريم – مادته – أيضاً – من تفسير شيخه المذكور ، إلا أنه زاد عليه وناقشه في مواضع مناقشة حسنة ، وصنف تفسيراً جيداً ، وبقي منه أوراق قلائل ، وشرحاً على الشاطبية ، تولى تصدير إقراء السبع بالجامع الطولوني ، وأعاد بالشافعي ، وناب في الحكم بالقاهرة ، وتولى نظر الأوقاف بها إلى أن مات في جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبعمائة " . (٢)

وبالمقابلة بين النصين نجد أن " ابن الملقن " قد أخذ مادة ترجمته عن " الاسنوى " مع التصرف في مادة مصدرها ، حيث أسقط لقب المترجم له " شهاب الدين " ، والتأريخ للوفاة بالشهر " جمادى الآخرة " مكتفياً بالتأريخ لها بالسنة فقط " سنة ست وخمسين وسبعمائة " ، كما أسقط نعت مصدره لثلاثة من آثار المترجم له على ما في النعت من تقويم ، مكتفياً فيها بقوله : " .. شرح التسهيل ، وله الإعراب والتفسير – أيضاً .. "

مما يجعل ترجمة " أحمد النحوى " أوفى لدى مصدره منها لديه .

ومن أمثلة ذلك – أيضاً – ما أورده في ترجمة " البهاء ابن عقيل " في الطبقة الرئيسة الثالثة من قوله :

" عبدالله بن عبدالرحمن ، الشيخ بهاء الدين بن عقيل ، كان إماماً نحوياً مفسراً مقرئاً ، قرأ بالسبع على التقي الصائغ ، ولازم أبا حيان والشيخ علاء الدين القونوى ، (و) ناب في القضاء عن الجلال وعن ابن جماعة ، ثم استقل به أياماً نحو ثمانين يوماً ، ثم مات معزولاً ليلة الأربعاء ثالث عشر شهر ربيع الأول من سنة تسع وستين وسبعمائة ، ودفن بالقرافة .

(١) ابن الملقن ، العقد المذهب ق ١٥٩ أ .
(٢) الاسنوى ، طبقات الشافعية ج٢ تر ١٢١٢ ص٥١٢ .

شرح الألفية والتسهيل وقطعة من التفسير والفقه ، ودرس بالقطبية وجامع ابن طولون والزاوية بمصر " . (١)

ويقابله لدى " الاسنوى " فى " طبقات الشافعية " قوله :

" بهاء الدين ، عبدالله بن عبدالرحمن المعروف بابن عقيل ، كان إماماً فى علم العربية ، وعلمى المعانى والبيان ، والتفسير ، يتكلم فى الفقه والأصول كلاماً حسناً ، قارئا بالسبع ، حسن الخط ، كثير المروءة ، لكنه كان غير محمود فى التصرفات المالية ، وحاد المزاج والخلق ، بحيث (يؤدى به) ذلك غالباً إلى ما (لا) يليق .

قرأ بالسبع على التقى الصائغ ، ولازم الشيخ علاء الدين القونوى والشيخ أبا حيان ملازمة كبيرة ، ثم لازم قاضى القضاة جلال الدين القزوينى عند قدومه إلى الديار المصرية قاضياً بإشارة الشيخين المذكورين ، وناب فى القضاء عنه ببعض مجالس القاهرة ، ثم ناب عن قاضى القضاة عز الدين بمصر ، ثم عزل عنها لكلام وقع منه فى حق القاضى موفق الدين الحنبلى عند اجتماعهما فى بعض المحافل ، ودرس المذكور بالمدرسة القطبية العتيقة بالقاهرة ، ودرس التفسير بالجامع الطولونى ، ودرس الفقه بجامع القلعة ، ثم درس فى آخر عمره بالزاوية الكبيرة بالجامع العتيق بمصر ، وهو المكان الذى كان الشافعى يدرس فيه ، وشرح الألفية لابن مالك والتسهيل شرحين حسنين متوسطين ، وشرع فى تفسير مطول وصل فيه إلى أثناء سورة النساء ، ثم إن الأمير صرغتمش لما صارت الشوكة له قام فى عزل ابن جماعة وتولية المذكور قياماً كبيراً ، فتولى فى العشر الأخير من جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين ، فأقام فيه نحواً من ثمانين يوماً ، ثم عزل وأعيد ابن جماعة عند مسك الملك الناصر لصرغتمش ، وطرأت فى تلك الأيام اللطيفة أمور غريبة ، علم الناس فيها مقدار الرجلين ، واستمر المذكور معزولاً إلى أن مات ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة تسع وستين وسبعمائة ـ رحمه الله وإيانا ـ ودفن بالقرافة بتربة قريبة من الإمام الشافعى رضى الله عنه " . (٢)

---

(١) ابن الملقن . العقد المذهب ق ١٥٩ ب .

(٢) الاسنوى . طبقات الشافعية ج ٢ تر ٦٥٩ ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

وبالمقارنة بين النصين يتضح أن " ابن الملقن " قد أخذ ترجمة " البهاء ابن عقيل " عن " طبقات الشافعية " للاسنوى ، وقد تصرف في مادتها بالاختصار ، بحيث أتت الترجمة لديه في حيز يعادل ثلث الأصل المنقول عنه ، نتيجة لحذف بعض العناصر ، واختصار البعض الآخر ، فكان من العناصر المحذوفة لديه ما تعلق بمهارات " البهاء " : " حسن الخط " وصفاته : " كثير المروءة ، لكنه كان غير محمود في التصرفات المالية ، وحاد المزاج والخلق ، بحيث (يؤدى به) ذلك ـ غالباً ـ إلى ما (لا) يليق " .
بل والعنصر الخاص بالموازنة بينه وبين المزابن جماعة : " وطرأت في تلك الأيام اللطيفة أمور غريبة ، علم الناس فيها مقدار الرجلين " .

على حين أتت العناصر المثبتة لديه مختصرة عن الأصل ، فكان التعبير بقوله : " كان إماماً نحوياً مفسراً مقرئاً " بدلاً من عبارة المصدر : " .. كان إماماً في علم العربية وعلمي المعاني والبيان والتفسير ، يتكلم في الفقه والأصول كلاماً حسناً ، قارئاً بالسبع " ، وهو ما لا يفيد مقصد " الاسنوى " ، إذ لم يثبت " ابن الملقن " لمترجمه معرفة بالمعاني والبيان والفقه والأصول .

كما أن العنصر الخاص بتولية " البهاء " للقضاء نيابةً واستقلالاً قد اختصر بحيث حذف منه العلة في توليته وعزله .

واختصر العنصر الخاص بآثار المترجم له ـ كذلك ـ بحيث أسقط النعت المصاحب لاثنين منها ، فلقد شرح التسهيل " شرحين حسنين متوسطين " ، كما أن ما عبر عنه لدى " ابن الملقن " بقطعة من التفسير " هو " تفسير مطول ، وصل فيه إلى أثناء سورة النساء " .

على أن قوله : " والفقه " مقحم في موضعه ، ولا يعني في الأصل التصنيف ـ وهو المتوهم من أسلوب ابن الملقن ـ وإن كان يعني في مصدره التدريس : " ودرس الفقه بجامع القلعة " .

أما العنصر الخاص بوظائف المترجم له فقد أسقط منه ما يشير إلى تدريسه " للفقه بجامع القلعة " ، وإلى أن تدريسه بالزاوية كان في آخر عمره .

ثم إنه أعاد ترتيب ما انتقاه من عناصر الترجمة ، بحيث سبق الاسم اللقب ، وسبق العنصر الخاص بالوفاة ـ وإن أخطأ في اثباته ـ العنصر الخاص بآثار

المترجم له ، مقدما آثاره على وظائفه .

وهكذا فإن " ابن الملقن " قد اعتمد اعتماداً كلياً على " طبقات الشافعية " للاسنوى فى ايراد هذه الترجمات الثلاث ـ وهى قليل من كثير ـ اعتماداً لم يفقد مصدره أهميته ، لكونه لم يضف إلى مادته جديداً ، ولم ينبه إلى وهم فيه ، بل لم يستوعب كافة عناصر ما نقل من ترجماته ، مسقطاً الكثير مما يفيد الدارس الحديث من جوانب المترجمين لديه ، مما يجعل " العقد المذهب " فى مثل هذه المواضع مصدراً ثانوياً مع وجود الأصل .

ومن المصادر المعتمد عليها لدى " ابن الملقن " فى " العقد المذهب " ، و " الذيل عليه " ـ مما لم يرد له ذكر فى مقدمة الكتاب ، وإن أُشير إليه قرين بعض عناصر الترجمات ـ ما انتقاه " العفيف المطرى "(١) من تاريخ اليمن للقطب القسطلانى .(٢)

وكذا بعض الكتب الفقهية التى اطلع " ابن الملقن " عليها وعالجها بجانب أو بأكثر من جوانب التأليف(٣) فيها ، بل كثيراً ما يحيل فى الترجمات إليها .(٤)

---

(١) هو " عفيف الدين ، أبو جعفر وأبو محمد ، عبدالله بن محمد بن أحمد بن خلف ـ أو خليف ـ بن عيسى بن عباس بن يوسف بن بدر ابن على بن عثمان الخزرجى العبادى " ، ت ، سنة ٧٦٥هـ . / ١٣٦٤م . ـ ابن حجر العسقلانى . الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ .

(٢) حيث أشار إلى ذلك فى بعض مواضع ، منها قوله : " ... أفادنا هذه التراجم الحافظ عفيف الدين المطرى حافظ الحجاز ـ أبقاه الله ـ عن شيخنا الحافظ قطب الدين عبدالكريم الحلبى عن الشيخ قطب الدين أبى بكر القسطلانى فيما علقه من تاريخ اليمن " ـ ابن الملقن . العقد المذهب ق ١٧٩ ب (الذيل) .

(٣) كثيراً ما كان " ابن الملقن " يعالج أصل المؤلف المطلع عليه بعدة مؤلفات ، فالحاوى ـ مثلاً ـ شرحه بثلاثة شروح : شرح كبير ، ووسط ، وصغير ، ثم وضع عليه ثلاثة مؤلفات أفرد فيها لغاته وأدلته وتصحيحه ، ويقال ذلك ـ تماماً ـ على " التنبيه " و " المنهاج " ـ راجع : إجازته بكتبه فى ذيل " العقد المذهب " .

(٤) من أمثلة ذلك قوله (ق ٣٤ ب) : " إبراهيم بن يوسف بن عبدالله ، أبو إسحاق الشيرازى . ذكرت ترجمته مستوفاة فى أول تخريجى لأحاديث مهذبه ، وذكرت نبذة منها فى شرحى لتنبيهه فتراجمهما منها " .

ب ـ المشاهدة والمشاركة :

ينحصر مداها في مواضع يسيرة من ترجمات الطبقة الرئيسة الثالثة ، ومثلها قوله في ترجمة " التاج التبريزي " : " .. وقدم مصر فنزل بالحسامية (١) ، فأحدث ابن واقفها له بها تصديراً حضرت فيه عنده ، وأنا ـ الآن ـ متصدر به .. وحصل له في آخر عمره صمم ، بحيث أنه كان يقرئ والكتاب بيده ، ويشير إلينا : هل فهمتم ؟ " (٢) ، وقوله في ترجمة " أبي حيان " : " .. سمعت عليه وأجاز لي " (٣) ، وقوله في ترجمة " ابن كيكلدي " : " .. قرأتها (أحكام المراسيل) عليه بالقدس سنة تسع وأربعين .. وأجاز لي " (٤) ، وقوله في ترجمة " الشرف القيراطي " : " .. حضرت عنده بجامع الأزهر ، وشرحت عليه خطبة منهاج النووي فقط " (٥) ، وقوله في ترجمة " الكمال النشائي " : " .. سمعته يحكي أنه غيره (غير جامع المختصرات له) ثلاث عشرة مرة ، ولو مد في عمره لزاد في تغييرة .. " . (٦)

جـ ـ المشافهة :

ينحصر مداها ـ كذلك ـ في مواضع يسيرة من ترجمات الطبقة الرئيسة الثالثة ، ومنها قوله في ترجمة " الشهاب بن الظهير " : " .. ودرس بالحافظية (٧) بها ، وأخبرني الشيخ الصالح شهاب الدين القونوي بها

(١) مر التعريف بها ، راجع ص٥٥ ح ٢ من هذا البحث .
(٢) ابن الملقن ، العقد المذهب ق ١٦٢ أ .
(٣) نفسه ق ١٦٥ ب .
(٤) نفسه ق ١٦٨ ب .
(٥) نفسه .
(٦) نفسه ق ١٦٩ أ .
(٧) المدرسة الحافظية : أنشأها " رضوان بن ولخشي " ـ وزير الخليفة الحافظ الفاطمي ـ للفقيه المالكي " أبي الطاهر بن عوف " سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧ ـ ١١٣٨م . ـ د . جمال الدين الشيال ، تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي ص٤٨ ـ ٤٩ .

أنها بقيت معه خمسين سنة " (١) ، وقوله في ترجمة " الجمال الاسنوي " : " .. أخبرني أنه سود الأشباه والنظائر والفروق ". (٢)

عناصر الترجمات

تتباين ترجمات الكتاب بين الطول (٣) والقصر (٤) ، وبين الاقتضاب والاسهاب ، مما أدى إلى الاختلاف والتباين في مادتها .. لكن مع ذلك فإنه يمكن التعرف على السمات العامة المقدرة لدى مؤلفه في بناء مادتها من خلال دراسة الكتاب ككل للوقوف على عناصرها ، مع ملاحظة أن تلك العناصر لا تجتمع في موضع واحد – غالباً – وإنما يرد أكثرها في ترجمة ، وبعضها في أخرى ، كما أنها لا ترد بالضرورة مرتبة في ترجمات الكتاب بهذا الترتيب الوارد هنا .

فاذا ما تقرر هذا ، فإنه يمكن الإشارة إلى أن أهم عناصر الترجمات لديه هي :

---

(١) ابن الملقن . العقد المذهب ق ١٥٨ ب .

(٢) نفسه ق ١٦٠ أ .

(٣) ممن تُرجم بترجمة طويلة في الكتاب كل من : " أبي بكر الشاشي القفال " (ق ١٦ أ – ١٧ أ) ، و " الضياء الجويني " (ق ٣٥ أ – ٣٦ أ) ، و " أبي عبدالله الطبري " (ق ٣٨) ، و " الفخر الرازي " (ق ٥٦ أ – ٥٧ أ) .

(٤) من نماذج الترجمات القصيرة في الكتاب قوله (ق ٢١ ب) :

" محمد بن الإمام بن أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن نصر الإسماعيلي . مات سنة خمس وأربعمائة " .

وقوله (ق ٢٢ ب) :

" يوسف بن أحمد بن كج ، أبو القاسم الدينوري . أحد أئمة أصحابنا ، تفقه بابن القطان ، وفضل على الشيخ أبي حامد ببغداد ، قتله العيارون في رمضان سنة خمس وأربعمائة " .

وراجع : ق ٢٥ أ ، ٤٢ ب .

أما الترجمات المتوسطة بين الطول والقصر فمن نماذجها ترجمة " الشهاب النحوي " ق ١٥٩ أ ، المثبتة قبل .

(١) الاســم :

وهو غالباً ما يتصدر الترجمة وقد تسلسل ليشمل : اسم المترجم له فوالده فأجداده ، كنحو قوله : " على بن عبد الكافى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن على بن سوار ابن سوارى بن سليم " (١) ، أو يرد ثلاثياً وقد ذكر فيه اسم المترجم له فوالده فجده ، كنحو قوله : " إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم " (٢)، وقوله : " أحمد بن محمد بن قيس " (٣) ، وقد يرد ثنائياً ليحتوى على اسم المترجم له فوالده ، كنحو قوله : " عبد الله بن عبد الرحمن " (٤) ، وقوله : " محمد بن إبراهيم " (٥) ، وقد يقتصر فى الاسم على العلم المترجم له فحسب ، مغفلاً اسم الأب والجد ، كنحو قوله : " جعفر ، كمال الدين أبو الفضل الأدفوى " (٦) ، وقوله : " على ، الشيخ تاج الدين أبو الحسن التبريزى " (٧) ، ونادراً ما يكون .

(٢) اللقــب :

كما كان " ابن الملقن " حريصاً على إيراد ألقاب المترجم لهم ــ غالباً ــ مع ما يضاف إليها ، كنحو قوله : " برهان الدين " (٨) ، " شهاب الدين " (٩) ، " عز الدين " (١٠) ، " فخر الدين " (١١) .. وليس

(١) ابن الملقن ، العقد المذهب ق ١٦١ أ .
(٢) نفسه ق ١٥٣ أ .
(٣) نفسه ق ١٥٨ ب .
(٤) نفسه ق ١٥٩ ب .
(٥) نفسه ق ١٦٣ أ .
(٦) نفسه ق ١٥٩ أ .
(٧) نفسه ق ١٦٢ أ .
(٨) نفسه ق ١٥٣ أ .
(٩) نفسه ق ١٥٨ ب .
(١٠) نفسه ق ١٦٠ ب .
(١١) نفسه ق ١٥٨ أ .

" البرهان " ، و " الشهاب " ، و " العـز " ،و " الفخر " .

وهو - غالباً - ما يقتصر على لقب المترجم له فحسب ، وإن تسلسلت الألقاب في بعض مواضع لترد ثلاثية ، كنحو قوله : " نجم الدين أبو حامد بن جمال الدين بن الشيخ محب الدين الطبري الآملي " (١) ، أو ثنائياً مكتفياً فيها بلقب المترجم له ووالده ، كنحو قوله : " عمر بن صدر الدين هارون بن محمد الركاني ،شهاب الدين " (٢) ، وقوله : " فخر الدين المصري بن تاج الدين الكاتب " . (٣)

وقد يسقط اللقب - تماماً - من مواضع أخرى ، كنحو قوله : " إبراهيم بن عبدالله بن علي الحكري " (٤) ،وقوله : " إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل ،أبو إسحاق الجعبري " . (٥)

(٣) الكنيـــة :

وترد الكنية وقد اقتصر فيها على المترجم له فحسب ، كنحو قوله : " أبو إسحاق " (٦) ،و " أبو العباس " (٧) ، و " أبو الفضل " (٨) .

وقد تتصدر الكنى عناصر الترجمات ، وترتب الترجمات عليها ، وليس على الاسم - حسب حروف الهجاء - كما في الفصول المذيل بها على الطبقات الرئيسة من الكتاب .

(٤) اسم الشهـرة :

قد يشتهر المترجم له بغير اسمه العلم ،وقد تكون شهرته بغير لقبه أو كنيته ،وهنا نجد " ابن الملقن " يورد اسم الشهرة مسبوقاً بقوله : " المعروف بـ..." أو " عـرف بـ..." ، كنحو قوله :"...المعروف بابن

---

(١) المصدر السابق ق ١٦٥ أ .
(٢) نفسه ق ١٦٢ ب .
(٣) نفسه ق ١٦٤ ب .
(٤) نفسه ق ١٥٣ أ .
(٥) نفسه .
(٦) نفسه ق ١٥٨ أ .
(٧) نفسه ق ١٥٨ ب .
(٨) نفسه ق ١٥٩ أ .

النقيب " (١) ، وقوله :" ...المعروف بالوجيزى " (٢) ، وقوله :" ...المعروف بفضل " (٣) ،وقوله :" ...المعروف بالصائغ " (٤) ، وقوله :" ... يعرف بابن خطيب الأشمونين " (٥) ،وقوله :" ... عرف بالختن " . (٦)

وقد يأتى هذا الاسم فى سياق الكلام دون تنصيص ، كنحو قوله :" إبراهيم ابن عبد الرحمن بن إبراهيم الفزارى ، الشيخ برهان الدين ابن الفركاح " (٧) ، وقوله : " أحمد بن محمد بن قيس ، أبو العباس بن الظهير ، الشيخ شهاب الدين بن الأنصاري " . (٨)

(٥) النسبة :

وتكون بنسبة المترجم له إلى القبيلة ، كنحو قوله : " الركانى " (٩) ، و قوله : " الكنانى " (١٠) ، أو إلى الموطن ، كنحو قوله : " الواسطى الأصل " (١١) ، وقوله : " الحلبى الأصل " (١٢) ، أو إلى المحلة ، كنحو قوله : " السبكى " (١٣) و قوله : " القمولى " (١٤) ، وقوله : " الأدفوى " . (١٥)

---

(١) المصدر السابق ق ١٥٨ ب .
(٢) نفسه ق ١٥٨ ب .
(٣) نفسه ق ١٥٩ ب .
(٤) نفسه ق ١٦٣ ب .
(٥) نفسه ق ١٦٠ أ .
(٦) نفسه ق ١٩ أ .
(٧) نفسه ق ١٥٣ أ .
(٨) نفسه ق ١٥٨ ب .
(٩) نفسه ق ١٦٢ ب .
(١٠) نفسه ق ١٦٣ ب .
(١١) نفسه ق ١٥٨ ب .
(١٢) نفسه ق ١٥٩ ب .
(١٣) نفسه ق ١٦١ أ .
(١٤) نفسه ق ١٥٨ ب .
(١٥) نفسه ق ١٥٩ أ .

وهو حريص على تفسير النسبة ، كنحو قوله : " الركانى .. وراكان قبيلة من العرب سكنوا قزوين " (١) ، وقوله : " الحكرى ، نسبة إلى الحكر ، مكان بظاهر القاهرة " (٢) ، وقوله : " وقمولة بلدة من الأعمال القوصية قريبة من قوص " (٣) ، وقوله : " الأرمنتى ، نسبة إلى أرمنت من الصعيد " . (٤)

كما كان حريصاً على ضبط ما أشكل من نسب بالحروف ، كنحو قوله : " .. الصيمرى ، نسبة إلى صيمرية بفتح الميم وضمها ، من أنحاء البصرة" (٥)

وقد تتوالى النسب ، كنحو قوله : " .. القزوينى الركانى "(٦) ليكون المقصود بالنسبة الأولى الموطن ، وبالثانية القبيلة ، وقوله : " .. الكنانى الحموى " (٧) ، ليكون المقصود بالنسبة الأولى القبيلة ، وبالثانية الأصل المنحدر منه .

(٦) الموطن :

كما كان " ابن الملقن " حريصاً على ذكر الموضع الذى نزله المترجم له أو استقر فيه — لما له من أهمية فى ضبط وتقييد السماع — كنحو قوله : "... نزيل تبريز " (٨) ، وقوله : "... نزيل القاهرة " . (٩)

(٧) الألقاب العلمية والصفات الرئيسة :

وقد تتبع هذه العناصر أو تتخللها بعض الألقاب العلمية أو الصفات الدالة

---

(١) المصدر السابق ق ١٦٢ أ .
(٢) نفسه ق ١٥٣ أ .
(٣) نفسه ق ١٥٩ أ .
(٤) نفسه ق ١٦٦ ب .
(٥) نفسه ق ٢٠ ب .
(٦) نفسه ق ١٦٢ ب .
(٧) نفسه ق ١٦٣ أ .
(٨) نفسه ق ١٥٨ أ .
(٩) نفسه ق ١٦٢ أ .

على أصالة المترجم له ، كنحو قوله : "... شيخ الشافعية بالشام في زمنه " (١) ، وقوله : " .. ذو التصانيف " (٢) ، وقوله : "... شيخ الشافعية بمصر " (٣) ، وقوله : "... الفقيه الورع " (٤) ، وقوله : "... العالم الخير " (٥) ، وقوله : "... شيخ الشافعية ، ومفتيهم ، ومصنفهم ، ومدرسهم ، ذو الفنون : الأصول والفقه والعربية والعروض وغير ذلك" . (٦) ، وقوله : "... العالم الزاهد الورع المخاطر بنفسه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " . (٧)

(٨) المولد :

ويأتي في أوائل أو أواخر الترجمات على حد سواء ، متبعاً فيه طرقاً منها :

- التأريخ له على وجه الاكتمال ، بذكر اليوم والشهر والسنة ، كنحو قوله : " .. وكان مولده تاسع عشرين ربيع الأول من سنة ثلاث وثمانين وستمائة" (٨)
- التأريخ بالشهر والسنة ، كنحو قوله : " .. ولد في صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة " . (٩)
- التأريخ للمولد اكتفاء بالسنة فقط ، كنحو قوله : "... ولد سنة اثنتين وسبعمائة " . (١٠)

وقد يأتي اثباته للمولد على نحو تقريبي ، كنحو قوله : "... ولد بعد السبعمائة " (١١) ، وقوله : "... ولد سنة نيف وستين وستمائة " . (١٢)

---

(١) المصدر السابق ق ١٥٣ أ .
(٢) نفسه.
(٣) نفسه ق ١٥٨ ب .
(٤) نفسه .
(٥) نفسه ق ١٥٩ ب .
(٦) نفسه ق ١٦٠ أ .
(٧) نفسه ق ١٦٢ أ .
(٨) نفسه ق ١٦٧ ب .
(٩) نفسه ق ١٦١ أ .
(١٠) نفسه ق ١٥٨ ب .
(١١) نفسه ق ١٦٣ أ .
(١٢) نفسه ق ١٦٣ ب .

كما كان معنياً بتحديد محل الميلاد كلما تيسر له ، ومنه قوله :"... ولد بجعبر "(١) ، وقوله : "... ولد بحماه "(٢) ، وقوله : "... ولد بمنية القائد من الديار المصرية "(٣) ، وقوله : "... ولد بقاعة العادلية من دمشق ". (٤)

(٩) تقدير عمر المترجم له :

فإذا ما خفي عليه تحديد تاريخ ميلاد المترجم له ، فإنه قد يجتهد في تقدير عمره حال الوفاة ، كنحو قوله : "... مات بدمشق... عن سبعين سنة سوى أشهر ". (٥) وقوله : "... مات قبيل الطاعون وقد جاوز الستين ". (٦) ، وقوله : "... وقد قارب السبعين ". (٧)

وقد يقدر عمر المترجم له مع اثباته لتاريخ مولده ، كنحو قوله : "... ولد بحماه سنة تسع وثلاثين وستمائة... ومات في جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة بالقاهرة ، عن أربع وتسعين سنة ". (٨)

(١٠) الوفاة :

وتتفاوت درجات تأريخ الوفاة لديه بين التأريخ على سبيل الاكتمال : باليوم من الاسبوع ومن الشهر فالشهر فالسنة ، كنحو قوله : "... مات يوم الأربعاء رابع عشر رمضان من سنة تسع وستين وسبعمائة "(٩) ، أو بذكر اليوم من الشهر فالشهر والسنة ، كنحو قوله : "... مات خامس شهر رمضان من سنة ست وأربعين وسبعمائة " (١٠) ، أو بذكر الشهر فالسنة ، كنحو قوله :

---

(١) المصدر السابق ق ١٥٢ أ .
(٢) نفسه ق ١٦٣ أ .
(٣) نفسه .
(٤) نفسه ق ١٦٠ ب .
(٥) نفسه ق ١٥٣ أ .
(٦) نفسه ق ١٥٩ أ .
(٧) نفسه ق ١٦٢ ب .
(٨) نفسه ق ١٦٣ أ .
(٩) نفسه ق ١٥٨ ب .
(١٠) نفسه ق ١٦٣ أ .

"... مات سعيداً حميداً في شهر رجب من سنة سبع وخمسين ".(١) أو مكتفياً في تأريخ الوفاة بالسنة فقط ، كنحو قوله : "... مات سنة ست وخمسين وسبعمائة ". (٢)

وكثيراً ما يذكر " ابن الملقن " موضع الوفاة ، كنحو قوله : "... مات بدمشق ".(٣) ، "... مات بمكة ".(٤) ، "... مات بشاطئ النيل ".(٥) ، "... مات بمنزله بالطبرسية ". (٦) أو يحدد كيفية الوفاة ، كنحو قوله : "... قتله العيارون ".(٧) ، وقوله : "... مات سعيداً حميداً ".(٨) بل والعلة المتسببة عنها الوفاة ، كنحو قوله : "... مات شهيداً في الطاعون ".(٩) ، "... مات فجأة ". (١٠) أو حال المترجم له عند الموت من حيث التمريض والضعف ، كنحو قوله : "... ثم أصابه فالج فمات به ".(١١) ، وقوله : "... وحصل له في آخر عمره صمم ".(١٢) ، والعمل والاشتغال أو التبطيل والعزل ، كنحو قوله : "... وناب بالقاهرة ، وتولى نظر الأوقاف بها إلى أن مات ".(١٣) ، وقوله : "... ثم أخرج منها إلى الشام فمات قاضياً بها ". (١٤)

وقد يحدد موضع الدفن ، كنحو قوله : "... ودفن بمقابر الصوفية ".(١٥) ، وقوله : "... ودفن بتربته بالروضة ، خارج باب البرقية ". (١٦)

---

(١) المصدر السابق ق ١٥٣ أ .
(٢) نفسه ق ١٥٩ أ .
(٣) نفسه ق ١٦٠ ب .
(٤) نفسه .
(٥) نفسه ق ١٦١ ب .
(٦) نفسه ق ١٦٣ ب .
(٧) نفسه ق ٢٣ أ .
(٨) نفسه ق ١٥٣ أ .
(٩) نفسه ق ١٦٣ ب .
(١٠) نفسه ق ١٦٠ أ .
(١١) نفسه ق ١٦٢ أ .
(١٢) نفسه .
(١٣) نفسه ق ١٥٩ أ .
(١٤) نفسه ق ١٦٤ ب .
(١٥) نفسه ق ١٦١ ب .
(١٦) نفسه ق ١٦٢ أ .

(١١) النشـأة والتكويـن :

ويذكر " ابن الملقن " في هذا العنصر المكونـات الأولـى للمترجمين لديه ، موجزاً دون تفصيل ، ومن أمثلة ذلك قوله في ترجمة الجمال الاسنوى : "... حضر عند القطب السنباطي وغيره ، وقرأ الأصول على الشيخ علاء الدين القونوي ، والعربية على والدى ، وبعده على أبي حيان "(١) ، وقوله فـي ترجمة التقي السبكي : "... وتفقه في صغره على والده ثم على جماعة منهـم ابن الرفعة ، وقرأ الفرائض على الشيخ عبدالله الغماري المالكي ، والأصليـين على العلاء الباجي ، والخلاف على السيف البغدادي ، والنحو على أبـي حيان ، والحديث على الدمياطي ، والتفسير على العلم العراقي ، والقراءات على ابن الصائغ ، وصحب في التصوف تاج الدين بن عطاء الله ، ورحـل إلى الإسكندرية عام أربع وسبعمائة ، ثم رحل إلى الشام فسمع بها وناظر ، وسمع بالقدس وغيره ، ثم عاد إلى مصر ". (٢)

وعلى الرغم من أهمية هذا العنصر ، فإنه كما يُرى قد عمد فيه إلى الانتقاء سواء في ذكر الشيوخ المأخوذ عنهم أو المرتحل إليهم ، أو في فروع العلـم المعتنى بتحصيلها ، كما أنه اختصر في بعض الأسماء مكتفياً باللقب أو الكنيـة أو النسبة ، وقد يختصر اللقب ليأتي قوله : " العلم ، و " العـلاء " ، و " السيف " ، مبدلاً من القول : " علم الدين " ، و " علاء الديـن " ، و " سيف الدين " .

(١٢) منزلـة المترجم له ومكانتـه :

ويأتي ذلك ـ غالباً ـ بعبارات ناعتة ، منها قوله : "... كان عالمـاً مفتناً "(٣) ، وقوله : "... كان إماماً بارعاً كثير الإشغال "(٤) ، وقولـه :

(١) المصدر السابق ق ١٦٠ أ .
(٢) نفسه ق ١٦١ أ .
(٣) نفسه ق ١٥٨ ب .
(٤) نفسه .

"... برع في المذهب وشاع اسمه وبعد صيته" (١) وقوله : "... كان نقيهاً بارعاً في النحو والتفسير وعلم القراءات وشارك في الأصول" (٢) وقوله : "... من أعرف الناس بالحاوي الصغير و بالأصول والحساب" (٣) وقوله : "... كانت جنازته مشهورة". (٤)

(١٣) وظائفه :

كما كان " ابن الملقن " معنياً في كثير من الترجمات بتتبع وظائف المترجم له وتنقله فيها ، ومنه قوله مترجماً للبرهان ابن الفركاح : "... اقتصر على تدريس البادرائية ، وعرض عليه قضاء الشام فامتنع ، وولي خطابة دمشق أياماً ثم تركها". (٥) وقوله في ترجمة الشهاب ابن ظهير : " ... درس بالحافظية بها (بالإسكندرية) ، وأخبرني الشيخ الصالح شهاب الدين الفرنوي بها أنها بقيت معه خمسين سنة . ومات عن تدريس المشهد الحسيني بالقاهرة وعن إعادة الظاهرية... وكان فوض إليه تدريس الشامية البرانية والعذراوية بدمشق فكره الانتقال إلى الشام ، فأعطاهما للشيخ زين الدين ابن المرحل وأخذ المشهد الحسيني واستقر به إلى أن مات . وكان درس بالخشابية بمصر ثم عزل لاساءة تصرفه بإيجار وقفه لبعض المتجوهين". (٦) وقوله في ترجمة العز ابن جماعة : "... وتولى الوكالة الخاصة والعامة وقضاء القضاة بمصر في جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين... وانفصل عن المنصب ثم أعيد بعد ثمانين يوماً ، فاستعفى قبل موته بسنة فعفي ، ودخل عليه ولي الأمر فلم يجب . مكث في قضاء مصر نحو ثلاثين سنة". (٧)

(١٤) أعماله :

ويقتصر فيها " ابن الملقن " على إثبات أهم الأعمال ، كنحو قوله

(١) المصدر السابق ق ١٥٨ ب .
(٢) نفسه ق ١٥٩ ب .
(٣) نفسه ق ١٦٢ أ .
(٤) نفسه ق ١٦٠ أ .
(٥) نفسه ق ١٥٨ أ .
(٦) نفسه ق ١٥٨ ب .
(٧) نفسه ق ١٦٠ ب .

فى ترجمة " النجم القمولى " : "... صاحب البحر المحيط فى شرح الوسيط ، وهو كتاب جليل جامع لأشتات المذهب ، ثم لخصه فى الجوهر ، وهو جليل - أيضاً - وشرح مقدمة ابن الحاجب ، وشرح الأسماء الحسنى ، وكمل تفسير ابن الخطيب " . (١) وقوله فى ترجمة " الجمال الاسنوى " : " .. وصنف الطبقات ، والكواكب ، والتمهيد ، والمهمات على الرافعى والروضة ، والألغاز ، والتنقيح والتصحيح ، والجواهر ، وشرح الفروض ، وأوهام الكفاية ، وشرح منهاج البيضاوى ، وله زوائد على منهاج الأصول ، وقطعتين على منهاج النووى ، وقطعة من مختصر الشرح الصغير ، وأخبرنى أنه سود الأشباه والنظائر والفروق ، وله أحكام الحبالى " . (٢)

وقد يذكر نماذج من فتاوى المترجم له وغرائبه ، كنحو قوله فى ترجمة " ابن يوسف الترمذى " معقباً عليه : "... وقطع بطهارة شعر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو الحق ، فإنه فرقه ، ولا يفرق غير طاهر ، ونفى الضمان فيما إذا رمى إلى حربى فأسلم ثم أصابه السهم ، وقال : إن الساجد للتلاوة خارج الصلاة لا يكبر للافتتاح لا وجوباً ولا ندباً ، والمعروف خلافهما " . (٣)

وقوله فى ترجمة " ابن رزين " : "... ومن فتاويه أن الشخص إذا عزم على معصية فإن كان قد فعلها ولم يتب منها فهو مؤاخذ بهذا العزم ، لأنه إصرار ، وأنه لو وقف مدرسة لم يجز أن يشرك اثنان فى تدريسها بل لا يكون إلا مدرس واحد " . (٤)

وقد يأتى بالكثير من نماذج شعره .

(١٥) السجايا والصفات :

ويعنى فيها بذكر ما يتصل بهيئة المترجم له من شكل وملبس ، أو ما يتصل بأخلاقه من طباع وصفات ، أو ما يلحق به من مهارات ، كنحو قوله : "... وافر العقل ، غزير المروءة " (٥) ، وقوله : "... خيراً ديناً " (٦) ، وقوله :

---

(١) المصدر السابق ق ١٥٨ ب - ١٥٩ أ .
(٢) نفسه ق ١٦٠ أ .
(٣) نفسه ق ٦ ب .
(٤) نفسه ق ٦٧ ب .
(٥) نفسه ق ١٥٢ أ .
(٦) نفسه ق ١٥٩ أ .

"... كان خيراً ملازماً للعبادة والبر" (١)، وقوله: "... كان من أحسن الناس صورة، ذا لحية بيضاء" (٢)، وقوله: "... كان يتلو في اليوم والليلة ختمة، وكان سريع القراءة، قرأ البخاري على كريمة المروزية في خمسة أيام". (٣)

(١٦) علاقات المترجم لهم بذوي قرباهم:

وكثيراً ما ترد في ذيل الترجمات الرئيسة ترجمات فرعية للمشهورين من أبناء وأحفاد المترجم لهم، أو تنبيهات وإحالات إلى مواضع ترجماتهم في الكتاب وذيله، ومن ذلك قوله مذيلاً على ترجمة عبد الواحد الروياني: "... وولده حمد، أبو القاسم تفقه على والده بآمل طبرستان، وسمع منه الحديث ومن عمه أبي مسلم محمد بن إسماعيل وجماعة، وسافر في طلب العلم، وسمع بجرجان وغيرها، سمع منه الحافظ ابن ناصر وغيره، ولا يحضرني وفاته.

وسبطه هبة الله بن سعد سيأتي في طبقة العشرين.

وإسماعيل والد الروياني تقدم قريباً.

وجده أحمد بن محمد بن أحمد قاضي القضاة مصنف الجرجانيات، سلف.

وابن أخته أبو المكارم صاحب العدة يأتي في الكنى.

وابن عمه شريح سلف قريباً". (٤)

وقوله في ترجمة ابن الخل: "... وأخوه أحمد فاضل فقيه شاعر، ولد سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، ومات في السنة التي توفي فيها أخوه أو في التي بعدها، قاله ابن خلكان". (٥)

مما يشير إلى اعتناء "ابن الملقن" بذكر القرابات سواء كانت من صلب المترجم له أو من صلب أبيه وجده.

ونتيجة لذلك فإنه كثيراً ما يحيل في كثير من الترجمات على ما سبق أن ذيل به من ترجمات فرعية على الترجمات الرئيسة، كنحو قوله: "... محمد

---

(١) المصدر السابق ق ١٦٢ أ.
(٢) نفسه ق ٦ ب.
(٣) نفسه ق ٣٢ ب.
(٤) نفسه ق ٤٠ ب.
(٥) نفسه ق ٤٨ ب.

ابن محمد بن سهل الماسرجيسي • تقدم في ترجمة أبيه " . (١)

(١٧) علاقات ابن الملقن بالمترجمين لديه :

ولم يغفل " ابن الملقن " اثبات علاقاته ببعض من ترجم لهم في الطبقة الرئيسة الثالثة من الكتاب ، وهي علاقات تلمذة في معظمها ، ومن أمثلتها قوله في ترجمة الشمس ابن لاحق : "... اجتمعت به وأجاز لي " (٢)، وقوله في ترجمة العماد البلبيسي : "... علقت عنه عليه قطعة من إملائه ، وسمعت عليه دروساً في العربية والأصول ، وكان يحب الاختصار ، اختصر لنا مرة باب الشفعة ، أختصر من الحاوي " . (٣) وقوله في ترجمة البرهان الرشيدي : "... قرأت عليه القرآن - العظيم - من أوله إلى آخره برواية أبي عمرو بن العلاء من طريقته ، وختمة أخرى برواية ابن كثير إلى سورة يس ... " (٤)

النقـد التأريخـي

" ابن الملقن " مائل بطبعه إلى " كثرة الانصاف " على نحو ما نبه عنه تلميذه " ابن حجر العسقلاني " - مما مر آنفاً في ترجمته من هذا البحث - وهو ما تعكسه تلك النتف النقدية الواردة في ثنايا الكثير من ترجمات الكتاب .. وإن كان النقد لديه لا يعدو أن يكون نقداً سطحياً غير نافذ إلى الأغوار ، يكتفي فيه - غالباً - بعبارات المصدر ، اللهم إلا إذا تعارضت الآراء في المترجم لديه ، فإنه لا مناص من تقويم الآراء المتعارضة فيه ، ثم الإدلاء برأيه .

ومن ذلك قوله في ترجمة الفخر الرازي : "... أثنى عليه ابن خلكان

---

(١) المصدر السابق ق ٢٠ أ .
(٢) نفسه ق ١٦٣ ب .
(٣) نفسه ق ١٦٨ أ .
(٤) نفسه .

فبالغ فى وصفه ومدحه . وأما ابن الصلاح فلم يكن مقبلاً عليه ، وربما غض من شأنه ، وتوسط فيه أبو شامة ، وذكر أنه خلف ثمانين ألف دينار سوى الدواب والعقاقير وغير ذلك ، وكان إذا ركب يمشى فى حرسه نحو ثلاثمائة تلميذ من الفقهاء وغيرهم ، وكان فقيراً أولاً . وأغرب الذهبى حيث ذكره فى الضعفاء وسماه الفخر ، وهو افراط منه ، فقد قيل : إنه السادس المبعوث لتجديد الدين ، وهو ثقة لا تُعرف له رواية " . (١)

وقد يصوب مسادة مصدره ، كما فعل بإخراج أبى بكر الطرطوسى من دائرة الشافعية وقد أدخله ابن باطيش فيها ، قائلاً :

" ... محمد بن الوليد الفهرى الطرطوسى ، أبو بكر ، أحد أئمة المالكية ، ذكره ابن باطيش من أصحابنا .

ولعله لما رأى أنه دخل بغداد وأخذ الفقه عن جماعة من أصحابنا : فخر الإسلام والشاشى وغيره ،فعده من أصحابنا ، وهذا لا يجدى " .(٢)

وهو كما يُرى من الشاهدين السابقين عفيف اللفظ ، مقرن للرأى بأدلة توثيقه .

قيمة الكتاب

الكتاب مرآة انعكس عليها الكثير من جوانب شخصية " ابن الملقن " بما فيها من " حب المزاح والمداعبة " ـ على نحو ما نبه عليه آنفا ـ بحيث نجد مؤرخنا وقد تتبع ما يمت إلى شخصيات المترجمين لديه من اللطائف (النوادر) راصداً لها ، ومنبهاً عليها . ومنها قوله فى ترجمة " أبى زرعة الدمشقى " :

" ... وكان قبل قضاء دمشق على قضاء مصر لأحمد بن طولون ،وجرت له وقائع مع أبى أحمد الموفق لما خلعه وولى أحمد بن طولون ، ثم ظفر به أبو أحمد الموفق فى جماعة من أصحابه ، فسألهم : من الذى ابتدر بالخلع؟ فشرع القاضى أبو زرعة فى الاعتذار ، فحلف بالطلاق والعتاق وأيمان كثيرة إن كان فى هؤلاء القوم أحد قال ذلك ، فأطلق .

---

(١) المصدر السابق ق ١٥٦ ب .

(٢) نفسه ق ١٧٢ ب .

وكان هذا من حسن تصرفه ، لأنه هو الذى قال ذلك دون القوم المشار إليهم فى يمينه " . (١)

ولا يخفى أن نسبة الحسن إلى هذا التصرف عائدة إلى ذكاء المتصرف بالحلف ، سواء فى اصدار اليمين مع الحرص على عدم الحنث فيه ، أو فى تقدير النتيجة المترتبة على الحلف ، وهى الفكاك من الأسر وازاحة ما ارتقب من السوء .

ومن أمثلته ـ كذلك ـ قوله فى ترجمة الدارقطنى :

"... ومن لطائفه أنه جىء برجل غريب ليملى عليه شيئاً ، فتملل ثم أملى من حفظه مجلساً مزيداً أحاديثه على العشرين متن ، جميعها : نعم الشىء الهدية أمام الحاجة ، فانصرف الرجل فأهدى له شيئاً . فقربه وأملى عليه من حفظه سبعة عشر حديثاً متن جميعها : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه " . (٢)

ومن نزعة نحو التصوف اقتضته التسليم ببعض الخرافات أو مستغربات الحدوث ، مع تهافت أدلة الصدق فى محتواها ، فكان من ذلك ما ورد فى ترجمة " ابن أبى حاتم الحنظلى " من قوله :

"... وحكى أنه لما انهدم بعض سور طرسوس أحتيج فى بنائه إلى ألف دينار ، فقال أبو محمد (المترجم له) لأهل مجلسه الذين كان يلقى عليهم التفسير : من رجل يبنى ما هدم من هذا السور وأنا ضامن له عند الله قصراً فى الجنة ؟ فقام إليه رجل من العجم ، فقال : هذه ألف دينار واكتب لى خطك بالضمان . فكتب له رقعة بذلك ، وبنى ذلك السور . وقدر موت ذلك العجمى ، فلما دفن دفنت معه تلك الرقعة ، فجاءت ريح فحملتها ووضعتها فى حجر ابن أبى حاتم وقد كُتب فى ظهرها : قد وفينا ما ضمنته ، ولا تعد إلى ذلك " . (٣)

كما أنه انعكاس لثقافة " ابن الملقن " المتهدية فيما جمع فى الكتاب من معلومات فقهية وتفسيرية وجغرافية تناثرت فى عناصر المترجمين فيه .

---

(١) المصدر السابق ق ١٠ ب .
(٢) نفسه ق ١٨ ب .
(٣) نفسه ق ١٢ .

وهو ـ علاوة عن ذلك ـ سجل حافل بمجهودات علماء الشافعية من زمن الشافعي ـ رضي الله عنه ـ إلى وقت مؤرخنا ، وفيهم : المؤرخ ، والأديب ، والشاعر ، والفقيه ، والأصولي ، والمتكلم ، والمحدث ، والمتطبب .. على تباين فيما بينهم في الثقافات والآراء والتخصصات ، وطرقهم في تحصيل العلم ونشره .(1)

---

(1) فمن الأشياء اللافتة للانتباه ، والمأخوذة في الاعتبار في تقدير الثقافة العربية الإسلامية في العصور الوسطى وتقويمها ، ما ورد لديه متناثراً في جوانب ترجمات الكتاب من تحرج أحدهم من التصريح باسم أخته مع كونها ممن يحكى عن الشافعي ويأخذ عنه (ق ٥ أ) ومن تقديره لمكتبة أحدهم بقوله (ق ٢٦ ب) : "... كان هذه من الكتب ثلاثة وستون سفطاً وصندوقان " ، وما ورد لديه ـ كذلك ـ (ق ١٠ أ) بشأن نشر بعضهم للمذهب الشافعي مشجعاً بالمال على حفظ بعض المؤلفات فيه ، من قوله : "... كان يهب لمن يحفظ مختصر المازني مائة دينار ، وهو الذي أدخل مذهب الشافعي دمشق وحكم به القضاة ، وكان الغالب عليها مذهب الأوزعي " .. وأمثاله .

نزهة النظار في قضاة الأمصار (١)

ألفه " ابن الملقن " مدفوعاً بأن " معرفة قضاة مصر وأخبارها وطبقاتهم على تباين أنواعها وأجناسها وفوائدها المهمة وفرائدها من الطرق الجليلة ومهماتها ، وممن يُرحل إليه إلى البلاد الشاسعة سهلها وأوعارها ". (٢) مرتباً له على ثلاثة أقسام متتالية ، وهي :

القسم الأول

ويشتمل بعد المقدمة على سبع طبقات تتتابع فيها ترجمات قضاة مصر حسب سنوات ولاياتهم ، ابتداء بأول قضاتها في الإسلام " قيس بن أبي العاص بن قيس بن علي بن سعد بن سهم " ، وانتهاء بترجمة " عبد الوهاب ابن خلف بن بدر العلامي " ، المعروف بابن بنت الأعز ، منبهاً في أثناء ترجمته إلى أن قضاة القضاة في مصر والشام قد صاروا في ولايته أربعة ، بحيث استقل عن الشافعي قضاة المذاهب الثلاثة ـ الحنفي والمالكي والحنبلي ـ وكانوا ـ فيما مضى ـ نوابه .

---

(١) اُعتمد في التعريف بهذا الكتاب على مخط . دار الكتب المصرية ، ذات الرقم : (١١٥٤٩ ح) ، المأخوذة بالفوتستات عن النسخة الخطية المحفوظة في مكتبة طلعت برقم : (١٨٣٦ ـ تاريخ) ، وهي مجموع في تسع وستين (٦٩) لوحة ذات شقين ، شغل الكتاب منها أربعين لوحة ، أتبعت بتسع عشرة لوحة احتوت على ما ذيله من قضاة مصر عليه " أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن أحمد الزفتاوي " (ت ٨٩٥ هـ / ١٤٨٩م) ، فخمس عشرة لوحة اشتملت على نبذة عن قضاة مصر بعد أن صاروا أربعة ، على المذاهب.

ويلحظ أن " ابن حجر العسقلاني " قد أشار في مقدمة كتابه " رفع الإصر " (ج ١ ص ٢) إلى هذا الكتاب بقوله :

" ... وقد جمع شيخنا العلامة ، ذو التصانيف الواسعة ، سراج الدين ابن الملقن شيئاً من ذلك ، وقفت عليه ، فلم يشف لي غليلاً " .

(٢) ابن الملقن . نزهة النظار ق ٢ أ .

وترجمات هذا القسم ملخصة لديه عن " تاريخ القضاة " لابن ميسر ، وما انتقاه " أحمد بن محمد بن صبح بن هلال " من كتاب " مرشد الزوار " لأبي عبدالله ،محمد بن علي القرشي . (١)

القسم الثاني

ويشتمل على طبقة ثامنة ـ أُشير إليها بأنها " الطبقة الأخيرة " ـ انتظمت إحدى عشرة ترجمة لبعض قضاة مصر من الشافعية ، وهم :

* عبد الوهاب بن خلف ، ابن بنت الأعز (ت ٦٦٥هـ . / ١٢٦٦م .)

* محمد بن الحسن بن رزين (ت ٦٨٠ هـ . / ١٢٨١م .)

* عبدالوهاب بن الحسين البهنسي (ت ٦٨٥ هـ . / ١٢٨٦م .)

* محمد بن أحمد بن خليل الخويي (ت ٦٩٣هـ . / ١٢٩٣م .)

* محمد بن وهب بن مطيع ،ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢ هـ . / ١٣٠٢م .)

* محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة ،بدر الدين (ت ٧٣٣ هـ . / ١٣٣٢م .)

* سليمان بن عمر بن سالم الزرعي (ت ٧٣٤ هـ . / ١٣٣٣م .)

* محمد بن عبدالرحمن بن عمر ،الجلال القزويني (ت ٧٣٩ هـ . / ١٣٣٨م .)

* عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة (ت٧٦٧ هـ . / ١٣٦٥م .)

* عبدالله بن عبدالرحمن ،البهاء ابن عقيل (ت٧٦٧هـ . /١٣٦٥م .)

* محمد بن عبدالبر بن يحيى السبكي ،بهاء الدين ،أبو البقاء (ت ٧٧٧ هـ . / ١٣٧٥م .)

مع ملاحظة أن " ابن الملقن " قد ترجم للمشهورين من أبناء وأحفاد

---

(١) أشار ابن الملقن (نزهة النظار ق ٢أ) إلى أن هذا المؤلف المنتقى ينتهي بترجمة " شرف الدين ابن عض الدولة " المتوفى سنة تسع وثلاثين وستمائة للهجرة .

المترجمين لديه في هذه الطبقة في ترجمات فرعية مقتضبة ، تضمنتها تلك الترجمات الرئيسة .

وتعد ترجمات هذا القسم أوسع ما في الكتاب مادةً وأوفى موضوعاً .

القسم الثالث

ويشتمل على أربع قصائد شعرية (١) في القضاة والخلفاء ، وهي :

* أرجوزة " جوهرة النظام فيمن ولي مصر من الحكام " (٢) لابن دانيال الكحال " (٣) في قضاة الشافعية بمصر .

---

(١) يشير إلى أن القصائد الثلاث الأولى من أصل الكتاب ، وليست مزيدة عليه قول " ابن الملقن " (نزهة النظار ق ٣٢ أ) مذيلاً على ترجمة " أبي البقاء السبكي " : " ... وحين انتهيت إلى هذا المكان رأيت بعض المتأخرين جمع قضاة مصر في أرجوزة ، وهو الإمام الأديب الفاضل شمس الدين أبو عبد الله محمد بن دانيال بن يوسف ابن عبد الحق الخزاعي الموصلي ، الطبيب ، سماها : جوهرة النظام فيمن ولي مصر من الحكام ، وفيها بعض (مما) يخالف ما ذكرته ، أنبأنا بها قاضي القضاة عز الدين ابن جماعة ، قال ... "

وقوله (نفسه ق ٣٦ أ) تلو هذه القصيدة التالية لترجمة أبي البقاء السبكي " : " ... قال المصنف – رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأوانا وإياه آمين ، بمحمد وآله – وقد نظم سيدنا ومولانا قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة قضاة الشام المحروس في قصيدة ، فقال : ... "

وقوله (نفسه ق ٣٨ ب) مقدماً للقصيدة الثالثة : " ... قال مؤلفه غفر الله لنا وله وللمسلمين أجمعين ، آمين : ومن نظم سيدنا قاضي القضاة بدر الدين أرجوزة في الخلفاء نختم بها الكتاب ، ونعم الختام ... "

أما القصيدة الرابعة ، فإن الشك يحوم حول اعتبارها من أصل الكتاب ، لأن العبارة المتصدرة لها (ق ٤٠ أ) لا تشير إلى المؤلف ، فضلاً عن قوله – آنف الذكر – مقدماً للقصيدة السابقة عليها مباشرة : " ... نختم بها الكتاب ، ونعم الختام " .

(٢) وهي مثبتة – كذلك – في : ابن حجر . رفع الإصر ج ١ ص ٢ – ١٤ .

(٣) هو " شمس الدين ، محمد بن دانيال بن يوسف ، الخزاعي ، الموصلي " ت ٧١٠ هـ / ١٣١٠ – ١٣١١ م .

=

* قصيدتان " البدر ابن جماعة " (١) ، خصصت الأولى منهما لقضاة الشام ، بينما اشتملت الثانية على سرد للخلفاء الراشدين فالأمويين فالعباسيين في العراق ومصر ، حتى خلافة " المستكفي بالله ، أبي الربيع سليمان " ، مع تعيين مدة كل منهم على وجه التقريب .

* قصيدة " لأبي الفتح السبكي " (٢) في الخلفاء سرداً من غير

= له ترجمة في :
الصفدي ، الوافي بالوفيات ج ٣ ص ٥١ ـ ٥٧ تر ٥٩١ ، ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ج ٣ ص ٣٣٠ ـ ٣٣٩ تر ٤٤٣ ، الزركشي ، عقود الجمان ق ٢٧٣ ب ـ ٢٧٥ أ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٣٤ ـ ٤٣٦ تر ١١٦٦ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢١٥ .

(١) هو " بدر الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر " ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م .
له ترجمة في : ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ج ٣ ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨ تر ٤٣١ ، الصفدي ، نكت الهميان ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ، الوافي بالوفيات ج ٢ ص ١٨ ـ ٢٠ تر ٢٦٨ ، اليافعي ، مرآة الجنان ج ٤ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ، السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ٢٣٠ ـ ٢٣٣ ، الاسنوي ، طبقات الشافعية ج ١ ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧ تر ٣٥٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٦٣ ، ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ج ٢ ص ٣٦٩ ـ ٣٧١ تر ٥٥٨ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٢٥ تر ١٥١ .

(٢) هو " أبو الفتح ، محمد بن عبد اللطيف بن يحيى بن علي بن تمام السبكي " ت ٧٤٤ هـ / ١٣٤٣ م .
له ترجمة في : الصفدي ، الوافي بالوفيات ج ٣ ص ٢٨٤ ـ ٢٩٣ تر ١٣٣١ ، اليافعي ، مرآة الجنان ج ٤ ص ٣٠٧ ، السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ٢٤١ ـ ٢٥١ ، الاسنوي ، طبقات الشافعية ج ٢ ص ٧٤ تر ٦٦٥ ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ج ٣ ص ٧٨ ـ ٨٠ تر ٦١٩ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٥ ـ ٢٦ تر ٧٠ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٢٦ تر ١٦٠ ، محمد الصادق حسين ، البيت السبكي ص ٦٩ .

تعيين مدة .

ولعل أهم ما يميز هذا المؤلف أنه موجز سريع ومقتضب لسير قضاة مصـــر – من الشافعية – وأخبارهم ، وإن أسقطت منه ترجمات الكثيرين من قضاتهـــا ، مما جعله " لا يشفي غليلاً " على حد قول " ابن حجر العسقلاني " فيه .

فهرست المحتـــــوى